

نظامی الگجوی

شاعر الفضيلة
عصره و بیئته و شعره

تالیف

دکنور عبدالغنی محمد حسنین

مدیر کتب خانہ الآداب . جامعہ ابراہیم

الطبعة الأولى

۱۳۷۳ھ - ۱۹۵۴ء

الناسخ من مکتبہ الخانی

ص. ۱۳۷۵

نظامی الکجوی

شاعر الفضيلة
عصره و بیئته و شعره

تألیف
دکتر عبد الغنیم محمد حسنین
مدرس بكلية الآداب • جامعة ابراهيم

الطبعة الأولى

١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م

الناشر مكتبة النخعي
ص.ب. ١٣٧٥

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

بسم الله الرحمن الرحيم هست کلید درکنج حکیم
نظامی الکنجوی

(البيت الأول من مخزن الأسرار)

إهداء

إلى روح والدى العزيز

إليك . . يامن غرست في نفسى حب العلم والخلق الفاضل .

إليك . . يامن علمتني أن العلم لا قيمة له بدون الأخلاق ، وأن طلبه يجب أن يكون من المهد إلى اللحد ، وأن المرء لا يزال عالماً حتى يظن أنه قد علم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل .

إليك . . يامن لفتني أن الكرامة هي أئمن شيء في الوجود ، وأن الحياة يجب أن تقوم على المبادئ السليمة ، والمثل الرفيعة ، لا على الأغراض والأهواء . . فيكون أساسها الخلق الفاضل للنظيف ، والجهد والاستقامة وإنكار الذات ، والإخلاص وبقطة الضمير ، والمحبة والتعاون .

إليك . . يامن جعلتني أؤمن بأن الزبد يذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . . وبأن دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى أن تقوم الساعة .

إلى رومك باوالمري . . أقدم هذا الكتاب فإنه النمرة الأولى لفرسك . . وإني لأدعو الله أن يطيب ثراك ، ويعمل الجنة مأواك . كما أرجو أن يجد القارئ فيه متعة وفائدة . . وأن يجد فيه ابني «أسامة» ما يحبه في البحث ، ويرغبه في طلب العلم ، ويدعوه إلى التمسك بالخلق والاعتزاز بالكرامة ، ويجعله يستعذب ما يجده في سبيل ذلك من العناء والشقات .

وإن روحك الطاهرة لتتف بنا أن نسير في الطريق الذي رسمته لنا ، فنحمل مشعل العلم والأخلاق ، ونؤدى للوطن المحبوب أجل الخدمات . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

ابنك

عبد النعيم محمد حسنين

فهرس الموضوعات

ج	إهداء
ق	تقديم . . . بقلم الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربي
١٤-١	مقدمة المؤلف
١	سبب اختيار الموضوع
٣	المجهودات التي بذلت لتيسير دراسة نظامى حتى عام ١٨٥١م
•	كتاب باخر Bacher عن نظامى ، وتقدنا له
٧	المجهودات التي بذلها دستكردى في نشر منظومات الشاعر ودراسته ، وتقدنا له
٨	ماقام به المستشرقون الروس ، وتقدنا لهم
١٠	منهج البحث والدراسة

الكتاب الأول

عصر نظامى وبيئته والتعريف به ١٤٠-١

٧٢-١٥	الباب الأول - عصر نظامى
١٧	تمهيد . . . تصوير موجز للعصر الذى عاش فيه نظامى
٣١-١٩	الفصل الأول : دولة السلاجقة
١٩	للسلاجقة العظام
٢١	سلاجقة العراق
٢٦	سلاجقة آسيا الصغرى ، ومن والام
٤٨-٣٢	الفصل الثانى : حكام آذربيجان
٣٢	أتابكة آذربيجان
٣٩	حكام مراغة
٤٣	حكام شروان

٥٦-٤٩	الفصل الثالث : المسكران السنى والشيعى
٤٩	العباسيون فى بغداد
٥٢	الاسماعيليون فى إيران
٧٢-٥٧	الفصل الرابع : النواحي الاجتماعية والفنية والدينية فى عصر نظامى
٥٧	للمناحية الاجتماعية
٥٩	للمناحية الفنية
٦٣	للمناحية الدينية
٩٦-٧٣	الباب الثانى - بيئة نظامى الخاصة
٨٤-٧٥	الفصل الأول : البيئة الجغرافية
٧٥	تحديد البيئة الجغرافية التى ولد فيها نظامى
٧٨	كنجه وما فى بيئتها من عوامل موجهة
٩٥-٨٥	الفصل الثانى : البيئة العائلية
٨٥	إشارة الشاعر إلى والده ودلالاتها
٨٦	» » » والدته »
٨٦	» » » خاله »
٨٧	» » » أصهاره »
٩٠	إشارات » » ابنه »
٩٥	العوامل الموجهة فى بيئته العائلية
١٤٠-٩٧	الباب الثالث - التعريف بنظامى
١٠٥-٩٩	الفصل الأول : اسم للشاعر ولقبه وكنيته وتخلصه ومولده
٩٩	اسم الشاعر ولقبه وكنيته وتخلصه كما ذكر هو فى شعره
١٠٠	الأقوال المختلفة التى وردت فى تاريخ ولادته ومناقشتها
١٠٣	ترجيح أنه ولد فى عام ٥٣٩ هـ
١١٣-١٠٦	الفصل الثانى : نشأة نظامى
١٠٦	ترجيح أنه نشأ نشأة دينية
١٠٧	اعتكاف الشاعر للعبادة والتفكر
١٠٩	طريقته الخاصة فى الاعتكاف

١١٠

قضاؤه الوقت في تحصيل العلوم المختلفة

١١١

تأثير النشأة الدينية في الشاعر وشعره

١١٤-١٢٣

الفصل الثالث : ثقافة نظامي

١١٤

ثقافة الشاعر الدينية

١١٦

إمامه بالتاريخ الفارسي القديم

١١٦

اطلاعه على الفلسفة

١١٨

إمامه بعلم التنجيم

١١٨

» » الهندسة

١١٩

اطلاعه على كتب الطب

١٢٠

معرفته بالعادات والتقاليد الاجتماعية

١٢١

رغبته في البحث والتقصي

١٢٤-١٣٣

الفصل الرابع : أخلاق نظامي ومذهبه في الحياة

١٢٤

أخلاق نظامي الفاضلة

١٢٦

تمسكه بالمذهب السني

١٢٧

موافقته للأشاعرة

١٢٨

ميله إلى القول بالجبر

١٢٩

تشبهه بالصوفية

١٣٠

رغبته في الاتصال بالناس

١٣٤-١٤٠

الفصل الخامس : وفاة نظامي ومدفنه

١٤٣

الأقوال المختلفة التي وردت في تاريخ وفاته ومناقشتها

١٣٧

ترجيح أنه توفي في عام ٦٠٨ هـ

١٣٨

مدفنه في كنبه وما قيل حول مقبرته

١٤١-١٤٨ الكتاب الثاني - شعر نظامي

١٤٣-١٥٢

تمهيد

١٤٣

فن المتنوى

١٤٦

النسخ الخطية الموجودة من خمسة نظامي

١٥٠

ترتيب خمسة نظامي

الفصل الأول : دراسة حول مخزن الأسرار

١٥٩-١٥٥

الأقوال المختلفة التي وردت في تاريخ إتمام المنظومة ومناقشتها

١٥٨

ترجيح أنها تمت في عام ٥٨١ هـ

١٥٩

ماحاظته من نجاح

٢١٦-١٦٠

الفصل الثاني : محتويات مخزن الأسرار

١٦٠

موضوعات المقدمة

١٦٢

المقالة الأولى ... في خلق آدم

١٦٥

المقالة الثانية ... في العدل ورعاية الإنصاف

١٦٨

المقالة الثالثة ... في حوادث العالم

١٧٠

المقالة الرابعة ... في رعاية الرعية

١٧٢

المقالة الخامسة ... في وصف الحرم

١٧٤

المقالة السادسة ... في الاعتبار بالموجودات

١٧٦

المقالة السابعة ... في فضل الإنسان على الحيوانات

١٧٨

المقالة الثامنة ... في بيان الخلق

١٧٩

المقالة التاسعة ... في ترك المشونات الدنيوية

١٨٢

المقالة العاشرة ... في ظهور آخر الزمان

١٨٤

المقالة الحادية عشرة .. في غدر الدنيا

١٨٧

المقالة الثانية عشرة .. في وداع الدنيا

١٩٠

المقالة الثالثة عشرة .. في ذم العالم

١٩٢

المقالة الرابعة عشرة .. في ذم الغفلة

١٩٥

المقالة الخامسة عشرة .. في ذم الحساد

١٩٨

المقالة السادسة عشرة .. في سرعة السير

٢٠١

المقالة السابعة عشرة .. في العبادة والتجرد

٢٠٣

المقالة الثامنة عشرة .. في ذم المناققين

٢٠٦

المقالة التاسعة عشرة .. في استقبال الآخرة

٢١٠

المقالة العشرون .. في وقاحة أبناء العصر

٢١٤

خاتمة المنظومة

الفصل الثالث : مقارنة مخزن الأسرار لنظامي بحديقة الحقائق لسنائي ٢١٧-٢٣٦

- ٢١٧ تأثر نظامي بفكرة سنائي
٢١٧ معالجة المنظومتين لموضوع واحد هو التهذيب الخلقى ونشر الفضائل فى المجتمع
٢١٨ اختلافهما من الناحية المنهجية
٢١٩ » » » الأسلوبية
٢٢٥ مزايا منظومة نظامي وتقليد الشعراء له

الباب الثانى - منظومة خسرو وشيرين ٢٢٢٧-٢٨٢

الفصل الأول : دراسة حول منظومة خسرو وشيرين ٢٢٩-٢٣٧

- ٢٢٩ الأقوال المختلفة التى وردت فى تاريخ إتمامها ، ومناقشتها
٢٣٠ ترجيح أنها تمت فى عام ٥٨٢ هـ
٢٣١ تقديم المنظومة وما لاقته من نجاح لم تظفر بمثله منظومة أخرى
٢٣٥ الأساس الذى بنيت عليه قصة خسرو وشيرين
٢٣٦ أبطالها و ترجيح أن فرهاد كان شخصاً خيالياً
٢٣٧ الأماكن التى مثلت فيها أدوار القصة

الفصل الثانى : قصة خسرو وشيرين كما عرضها نظامي ٢٣٨-٢٧٠

- ٢٣٨ ولادة خسرو بعد تضرع ودعاء لله
٢٣٩ إحاطته بهالات البطولة منذ صغره
٢٣٩ حرص والده على تلقينه مبادئ العدل وأخذه بالشدة فى تطبيقها
٢٤١ ظهور شخصية شيرين
٢٤١ بدء عشق خسرو لشيرين
٢٤٢ ذهاب شاپور صديق خسرو لإحضار شيرين له
٢٤٢ بدء عشق شيرين لخسرو
٢٤٥ توجه شيرين إلى المدائن للاقاء خسرو
٢٤٦ هرب خسرو خوفاً من مؤامرة دبرته له وتوجهه إلى ديار شيرين
٢٤٧ تقابل العاشقين فى الطريق وعدم معرفة كل منهما للآخر
٢٤٧ إقامة شيرين فى المدائن ثم فى قصر بنى لها بالقرب من كرمانشاهان

- ٢٤٨ إقامة خسرو في بلاد الأرمن في ضيافة مهيمن بانوعمة شيرين
- ٢٤٩ إرساله شاپور لإحضار شيرين إلى ديارها
- ٢٥٠ موت والد خسرو ووراثته للعرش ، وسفره لاعتلائه
- ٢٥١ وصول شيرين إلى ديارها بعد رحيل خسرو
- ٢٥١ عصيان أحد قواد خسرو وفراره إلى ديار شيرين
- ٢٥١ تقابل العاشقين لأول مرة
- ٢٥٤ غضب خسرو من شيرين لرفضها مشاركتة الفراش
- ٢٥٤ توجه خسرو إلى قيصر الروم
- ٢٥٤ زواجه من بنت القيصر
- ٢٥٤ استرجاعه العرش بمساعدة القيصر
- ٢٥٤ حنينه إلى شيرين ، وحنينها إليه
- ٢٥٥ موت عمه شيرين وجلسها على العرش
- ٢٥٥ عدل شيرين
- ٢٥٦ توجهها إلى ديار معشوقها خسرو
- ٢٥٧ بدء عشق فرهاد
- ٢٦٠ انتحار فرهاد لعله كذباً بموت شيرين
- ٢٦١ تبادل الخطابات بين خسرو وشيرين
- ٢٦١ موت مريم زوجة خسرو
- ٢٦١ زواج خسرو من امرأة لإصفهانية
- ٢٦٣ تقابل خسرو وشيرين
- ٢٦٤ زواج العاشقين
- ٢٦٦ عشق شيرويه بن خسرو من مريم لشيرين
- ٢٦٧ قتل خسرو
- ٢٦٨ انتحار شيرين
- ٢٦٩ الدعوة إلى اتباع العدل ونشر السلام
- ٢٨٢-٢٧١ الفصل الثالث : مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي
- لقصة خسرو وشيرين
- ٢٧١ اختلاف الشاعرين في طريقة التصوير

٢٧٢	مزايا تصوير الفردوسى
٢٧٤	مزايا تصوير نظامى
٢٧٩	مذهب نظامى الخاص فى نظم القصص
٢٨١	نظامى أول من أخرج قصة خسرو وشيرين فى صورة قصة رومانتيكية
٢٨٢	تقليد الشعراء لنظامى

٢٨٣-٣٢٠ الباب الثالث - منظومة ليلى ومجنون

٢٨٩-٢٨٥	الفصل الأول : دراسة حول منظومة ليلى ومجنون
٢٨٥	ترجيح أنها تمت فى عام ٥٨٤ هـ
٢٨٦	إضافة بعض القطع إليها فى عام ٥٨٨ هـ
٢٨٧	نظمها تحقيقاً لرغبة اخستان بن منوچهر حاكم شروان
٢٨٩	إرسال المنظومة مع ابنه إلى الحاكم وعدم ذكر الجائزة

٢٩٠-٣١٣ الفصل الثانى : قصة ليلى والمجنون كما صورها نظامى

٢٩٠	ولادة قيس بعد دعاء وتضرع لله
٢٩١	بدء عشق قيس وليلى فى مكتب كانا يتعلمان فيه
٢٩٢	شدة عشق قيس وجنونه
٢٩٣	هيامه فى الأسواق والمحلات
٢٩٤	خطبة ليلى للمجنون ورفض والدها
٢٩٥	حمل قيس إلى مكة فى موسم الحج
٢٩٥	دعاء قيس فى الكعبة أن يزيد الله عشقا
٢٩٦	شكوى أهل ليلى وإهدار الوالى لدم قيس
٢٩٧	تبادل الرسائل الشعرية بين العاشقين
٢٩٩	خطبة ليلى لابن سلام
٢٩٩	تعرف قيس بنوقل وإقامته معه
٣٠٠	الحرب بين نوقل وقوم ليلى
٣٠١	كف نوقل عن التدخل فى موضوع قيس وليلى
٣٠١	معيشة المجنون مع الحيوانات
٣٠٢	تحديثه مع غراب

٣٢٠	توجهه إلى منازل ليلى برقة عجوز
٣٠٣	زواج ليلى بابن سلام
٣٠٥	وفاة والد المجنون
٣٠٦	تحدث المجنون مع النجوم
٣٠٦	مناجاته لله
٣٠٨	تبادل الرسائل بين ليلى والمجنون
٣٠٨	مقابلة المجنون لحاله سليم العامري
٣٠٩	وفاة والد المجنون
٣١٠	مقابلة عاشق آخر يدعى «سلام» للمجنون وروايته لشعره
٣١٠	وفاة زوج ليلى
٣١٠	مرض ليلى ووصيتها
٣١٢	وفاة ليلى
٣١٢	موت المجنون على قبر ليلى
٣١٣	دفنه مع معشوقته
٣٢٠-٣١٤	الفصل الثالث : مقارنة تصوير نظامى لقصة ليلى والمجنون
	بالأصل العربى لها
٣١٤	تقيد نظامى بالأصل العربى إلى حد كبير
٣١٥	ظهور صبغة مذهب نظامى فى هذه القصة
٣١٩	نظامى أول شاعر نظم هذه القصة بالفارسية
٣١٩	تقليد الشعراء له ؛ وأشهر من قلده
٣٢١-٣٦٨	الباب الرابع - منظومة هفت بيكر
٣٢٦-٣٣٣	الفصل الأول : دراسة حول منظومة هفت بيكر
٣٢٣	إتمامها فى عام ١٥٩٣هـ
٣٢٤	سبب نظم القصيدة
٣٢٥	عدم معرفة ما أصابته المنظومة من نجاح
٣٢٧-٣٦٠	الفصل الثانى : قصة هفت بيكر كما صورها نظامى
٣٢٧	ولادة بهرام كور

٣٢٨	تربيته في بلاد العرب
٣٢٩	بناء قصر الخورنق
٣٣٠	فروسية بهرام ومهارته في الصيد
٣٣٢	رؤيته لصور سبع فتيات فانتات مرسومات على حيطان الخورنق
٣٣٣	حبه للفتيات السبع
٣٣٤	جلوسه على العرش
٣٣٥	عدله وحبه للشعب
٣٣٦	قصة بهرام وجاريته فتنة
٣٣٧	غزو ملك الصين لإيران
٣٣٨	انتصار بهرام
٣٣٨	زواجه من الفتيات السبع
٣٣٩	بناء سبعة قصور لكل منها قبة ذات لون خاص
٣٤٢	بهرام تحت القبة السوداء وقصة الأميرة الهندية
٣٤٥	بهرام تحت القبة الصفراء » » الصينية
٣٣٧	» » » الحضراء » » الحوارزمية
٣٤٩	» » » الحمراء » » السقلاية
٣٥٠	» » » الفيروزية » » المغربية
٣٥٢	» » » البنية » » الرومية
٣٥٤	» » » البيضاء » » الإيرانية
١٥٧	ظلم «راست روشن» وزير بهرام وانتشار الفساد في الدولة
٣٥٨	قتل الوزير وبسط العدل
٣٥٨	نهاية بهرام

الفصل الثالث : مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي ٣٦١-٣٦٨

لقصة بهرام كور

٣٦١	تشابه تصوير كل من الشاعرين للجانب التاريخي من حياة بهرام
٣٦٣	اختلاف أسلوب كل منهما
٣٦٣	غلبة روح العصر على كل منهما
٣٦٤	ظهور آراء نظامي ومبادئه في هذا الجانب التاريخي

٣٦٤	انفراد نظامى بتصوير الجانب العاطفى من حياة بهرام
٣٦٥	تطبيق مذهبه فى نظم القصص واضحاً فى هذا القسم
٣٦٦	نظامى أول من نظم قصة بهرام فى هذه الصورة
٣٦٦	تقليد الشعراء له ، وأشهر من قلده
٤٣٤-٣٦٩	الباب الخامس - منظومة إسكندرنامه
٣٧٧-٣٧١	الفصل الأول : دراسة حول منظومة إسكندرنامه
٣٧١	ترجيح أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام لا قسمين
٣٧٤	تواريخ إتمام هذه الأقسام
٣٧٥	ما أصابته من نجاح
٣٧٦	سبب نظم هذه القصة
٣٧٧	ترجيح أنه اختارها بدافع نفسى
٣٩٧-٣٧٨	الفصل الثانى : بطولة الإسكندر كما صورها نظامى فى شرفنامه
٣٧٨	إعجاب الشاعر بمنظومته لأن فيها جديداً
٣٧٩	جلوس الإسكندر على العرش
٣٨١	أصله
٣٨١	ما قيل من أن فيلقوس قد تبناه
٣٨١	ما ورد من أنه إيرافى
٣٨٢	رأى نظامى الذى يرجح أنه ابن شرعى لفيلقوس
٣٨٣	فتوح الإسكندر وتأثرها بعاطفة حب العدل
٣٨٣	الفتح المصرى
٣٨٥	الحروب بينه وبين دارا ملك الفرس
٣٨٥	قتل دارا على يد ضابطين من رجاله .
٣٨٨	جلوس الإسكندر على عرش إيران
٣٨٩	قضاؤه على عبادة النار
٣٨٩	جمع كتب الحكمة وإرسالها إلى بلاد اليونان
٣٩٠	توجه الإسكندر لزيارة الكعبة
٣٩١	فتحه بلاد اليمن

- ٣٩٢ سيره إلى بردعة في صورة رسول من قبل الإسكندر
 ٣٩٢ اكتشاف أمره ، وإكرام ملكة بردعة له
 ٣٩٣ سيره إلى جبال البرز وفتح قلعة دربند
 ٣٩٣ توجهه إلى قلعة سرير وجالوسه على عرش كيخسرو
 ٣٩٤ سيره إلى الهند عن طريق خراسان
 ٣٩٤ تعاehده مع ملك الهند
 ٣٩٤ سيره إلى التبت ثم إلى الصين
 ٣٩٤ هجومه على ملك الصين ثم صلحه معه
 ٣٩٥ توجهه إلى أرمينية وحروبه ضد الروس
 ٣٩٦ سيره في منطقة الغلام للبحث مع الحضرم عن ماء الحياة
 ٣٩٦ عبور الحضرم على العين وفشل الإسكندر
 ٣٩٦ رجوع الإسكندر إلى بلاد اليونان

الفصل الثانى : حكمة الإسكندر كما صورها نظامى فى خردنامه ٣٩٨-٤٠٨

- ٣٩٨ أمر الإسكندر للفلاسفة بترجمة كتب العلم المختلفة إلى اليونانية
 ٣٩٩ الأقوال التى وردت فى تسميته بذى القرنين
 ٤٠١ قصة الإسكندر والراعى
 ٤٠١ قصة أرشيدس والفتاة الجميلة
 ٤٠٢ قصة مارية القبطية
 ٤٠٣ قصة فقير أصبح غنياً جداً
 ٤٠٣ قصة مؤامرة سبعين حكماً ضد هرمس
 ٤٠٣ قصة إساءة أرسطو إلى أفلاطون
 ٥٠٤ قصة الراعى والحصان النحاسى
 ٤٠٤ قصة الإسكندر مع سقراط
 ٤٠٤ اجتماع الحكماء حول الإسكندر
 ٤٠٥ زيارة الحكيم الهندى للإسكندر وسؤاله عن نهاية العالم ،
 وحقيقة الروح ، والأحلام ، وعلم النجوم
 ٤٠٦ إعجاب الهندى بإجانات الإسكندر
 ٤٠٦ اختيار الإسكندر لسبعة حكماء من الفلاسفة

- ٤٠٧ سؤال الحكماء عن أصل العالم والمادة الأولى
- ٤٠٧ إثبات وجود الله ووحدانيته
- ٤٠٨ تفكك خردنامه واضطرابها وترجيح ضياع بعض أجزائها
- ٤٠٩-٤٢٦ الفصل الرابع : نبوة الإسكندر كما صورها نظامي في إقبالنامه
- ٤٠٩ نزول الوحي على الإسكندر وأمره بالخروج لهداية الناس
- ٤١٠ وصول الإسكندر إلى مصر
- ٤١١ سيره إلى بيت المقدس وقتل حاكمها الظالم ونشر العدل
- ٤١١ توجهه إلى بلاد الأندلس
- ٤١١ وصوله إلى حيث تغرب الشمس
- ٤١٣ سيره إلى منابع النيل
- ٤١٣ وصوله إلى جنة عدن
- ٤١٤ مارآه من عجائب في أثناء الطريق
- ٤١٥ سيره صوب الجنوب وهدايته للخلق
- ٤١٦ توجهه إلى الهند
- ٤١٦ قصة معبد قندهار
- ٤١٧ إرشاد الناس إلى الدين الحق
- ٤١٧ سيره إلى بلاد الصين
- ٤١٨ وصوله إلى نهاية العالم من الشرق وما رآه من عجائب
- ٤١٩ رحلته إلى الشمال ووصوله إلى أرض الفضة
- ٤٢٠ قصة الإسكندر مع يأجوج
- ٤٢١ وصوله إلى منطقة يسودها العدل دون حاجة إلى حاكم يسوسها
- ٤٢٢ نهاية الإسكندر
- ٤٢٣ دفنه في الاسكندرية
- ٤٢٤ موت الحكماء السبعة
- ٤٢٥ تأثر نظامي بما ورد في القرآن عن ذى القرنين
- ٤٢٥ الأقوال التي قبلت في حقيقة الإسكندر

الفصل الخامس : مقارنة بين تصوير كل من الفردوسى ونظامى ٤٢٧-٤٣٤
اشخصية الإسكندر

٤٢٧ الفردوسى يرجح أنه الإسكندر إيراى

٤٢٨ اقتصار الفردوسى على تصوير بطولة الإسكندر

٤٢٩ نظامى يصور الإسكندر فى صورة الحاكم العادل ، والحكيم
المرسل من قبل الله

٤٢٩ اختلاف تصوير نظامى عن تصوير الفردوسى

٤٣٠ تأثير نظامى بقصة الإسكندر الثرية

٤٣١ نظامى أول من نظم القصة فى هذه الصورة

٤٣٢ ظهور صيغة مذهبه فى هذه القصة

٤٣٢ تقليد الشعراء له وأشهر من قلده

٤٣٥-٤٥٦ الباب السادس - ديوان نظامى

الفصل الأول - دراسة حول الديوان ٤٣٧-٤٤٣

٥٣٧ تصريح الشاعر بأن له ديوان شعر

٤٣٧ ترجيح ضياع بعض أجزائه

٤٣٨ عدد أبيات الديوان ومناقشة ما قيل حوله

٤٣٨ النسخ الخطية الموجودة منه

٤٣٩ ما نشر من الديوان

٤٤٠ تواريخ نظم قصائد الديوان

٤٤٤-٤٥٦ الثانى الثانى : محتويات ديوان نظامى

٤٤٤ الفخر

٤٤٦ الزهد والتجرد من الدنيا والعمل للآخرة

٤٤٩ الغزل

٤٥٢ الرثاء

٤٥٤ رباعيات نظامى

٤٥٨-٤٧٩	الباب السابع - فن نظامى الشعرى
٤٥٩-٤٦٩	الفصل الأول : مزايا فن نظامى الشعرى
٤٥٩	وضوح العناصر العربية فى الأدب الفارسى
٤٦٠	ظهور التفنن فى صناعة الشعر الفارسى
٤٦٠	مذهب نظامى الشعرى
٤٦٥	الشعر صناعة شاقة تحتاج إلى جهد وتفنن
٤٦٦	الوصول إلى المعنى عن طريق السكنايات والاستعارات والتشبيهات المختلفة
٤٦٧	الإغراب والتعقيد
٤٦٧	مناقشة فكرة صعوبة فهم شعر نظامى
٤٦٨	مثل يوضح الإغراب
٤٧٠-٤٧٩	الفصل الثانى : صور شعرية تجسم فن نظامى
٤٧٠	منظر الغروب
٤٧٢	صورة جنة الحقيقة
٤٧٥	وصف حفل ليلي
٤٧٨	رأى فى فن نظامى
٤٧٩	مقاييس الذوق التى ينبغى أن يقاس بها فن نظامى
٤٨٠-٤٨٢	خاتمة : الحكم على نظامى بعد دراسته
٤٨٠	نظامى ذو شخصية واضحة العالم لها مقوماتها الخاصة
٤٨٠	نظامى داع من دعاة الفصيلة
٤٨٢	نظامى إمام فن المتنوى
٤٨٢	منهج دراسته فى المستقبل
٤٨٣-٤٩٩	ثبت بأسماء المراجع
٥٠٠-٥٠٢	ملحقات
٥٠٣	كشاف بأسماء الأعلام
٥١٥	» » القبائل والشعوب
٥١٧	» » الأمكنة والبقاع
٥٢١	جدول الرسوم
٥٢٢	تصويب

تقــــــــــــــــــــم لــــــــــــــــــــم

بقلم أستاذى الدكتور إبراهيم أمين الشواربى

رئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة إبراهيم

من حق المهتمين بالدراسات الشرقية أن يتجهجوا وأن يستبشروا ، إذا ظفرت دراساتهم بين الفينة والفينة ببحث قيم ، يقدمه إليهم باحث جاد ، يسلك طريق البحث العلمى الصحيح ، مزوداً من عزمه وإخلاصه بما يذلل الصعاب ، ويمهد العقبات .

ومن حقهم أيضاً أن يتفاءلوا وأن يطمئنوا إذا علموا أن الدراسات الشرقية بمصر ، لم تسلك من عمرها فى الجامعات المصرية إلا قرابة ربع قرن من الزمان ، ولسكنها استطاعت رغم قصر العهد بها ، وقلة العناية بأسرها أن تبرز بين سائر الدراسات الأدبية والعلمية التى صاحبت نهضتنا الحديثة ، وأن تخرج لنا جيلاً جديداً من المتخصصين فى لغات الشرق وآدابه ، يشاركون الآن جماعة « المستشرقين » من أهل الغرب فى مجهودهم الطويل الذى بذلوه منذ قرون فى هذه الدراسات ، فإذا هم يدركون ركبهم ويزامنون قافلهم ، وبساهمون فى هذا التراث الشرقى بنصيب مهما قل أو صغر ، فإنه كفيل بأن ينقى عن الشرق وصمة السكسل الذهبى ، عند ما تهامس عليه المتهاوسون فقالوا : إنه غريب فى دياره ، تستغنى ثقافته على بنيه ، وتستغلق حضارته على أهله وذويه .!!

ومع ذلك كله ، فمن الحق أن نقرر أن « الدراسات الشرقية » فى مصر

ما زالت في حاجة إلى مزيد من الاهتمام والتشجيع ، حتى تتمكن من أن تؤدي رسالتها على أكل وجه في هذا البلد الذي يعد من غير شك واسطة العقد بين سائر البلاد الشرقية ، وفيه تتركز آمال الشرق وأماهيه . وفي رأبي أنه لن يتأني لها ذلك إلا إذا قرن التشجيع النظري بالتشجيع العمل بحيث يتمكن أصحاب هذه الدراسات من الانتقال بها من المرحلة النظرية البهتة ، إلى مرحلة ثانية يستهدفون فيها أغراضاً عملية أخرى ، تبجل شأن هذه الدراسات شأنها في سائر بلاد الغرب ، حيث ينتفعون بها علماء وعملأ ، وحيث لا تستوفي فائدة العلم إلا إذا اقترن بالعمل . ومن حسن الحظ أننا سائرون إلى هذه النهاية ، سواء تمهلنا أم تعجلنا ، لأن العزم قد انعقد واليقين قد تأكد .

ولا أدل على انعقاد العزم وتأكيذ اليقين ، من أن إقبال الشباب على هذه الدراسات قد زاد في السنوات الأخيرة زيادة ملحوظة ، تتمثل في طائفة مختارة من المتعلمين إلى الشرق ، المشغوفين بثقافته ، المؤمنين بمحضاراته ، الذين إذا قيل لهم « الشرق شرق والغرب غرب » لم يجدوا في هذا القول غضاضة أو ضيقاً لأن الشرق أصبح عقيدة ثابتة في أنفسهم ، تجعله لديهم مطلع النور ، ومنبع الحضارات ، ومجمع الخير الذي يدعو إلى كل زهو وإعجاب .

وإني أقدم إلى هؤلاء وإلى كل سعنز بالشرق مريداً قديماً وزميلاً كريماً هو الدكتور عبد النعيم حسنين .

استكمل الدكتور عبد النعيم دراساته الفارسية في مصر وإيران ، وكان مثلاً للشباب الجامعي الطموح ، الذي يقتحم الاجعة ويثلف المهجة ، دون أن ينتظر أجراً أو يستنفذ صبراً ، فاستطاع برأيه وجلده أن يخرج لنا بحثه عن الشاعره الفارسي « نظامي » فإذا هو طرفه أدبية رائة تنضم إلى المسكبة العربية ، فتضيف إليها درة من درر الأدب الفارسي الجميل .

وإني لأذكر أنني قرأت « نظامي » طويلاً ، وقرأته مراراً ، استعداداً

لمناقشة « عبد النعيم » في أول رسالة للدكتوراه تمنحها جامعة إبراهيم ، فكنت
كلما أطلتُ قراءة الرسالة ، أكرتُ الجهد الذي بذله فيها صاحبها وحمدتُ له
مقدار العناية التي صمد لها . وإذا كنت قد خالفته في بعض مناحي البحث ، فإنني
لا أستطيع أن أنكر أنني فيها وافقته عليه أو خالفته فيه ، قد فزتُ بمتعة عقلية
كبيرة ، مهدا لي ما في البحث من شغف بإطالة النظر والتفكير ، وجلد على
التعمق والاستقصاء .

وإذا كنت أرجو بعد ذلك من الدكتور عبد النعيم شيئا ، فإنما أرجو أن
يمكننا قريبا من أن نقرأ « مثنويات » نظامي مترجمة إلى العربية ، حتى يصبح
فضله علينا مضاعفا ، وحتى يصبح حمدنا له مكررا ومضاعفا أيضا .

إبراهيم أمين السواربي

٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٣
٣ يناير سنة ١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين ، كان يعيش - في كنجه بإقليم آذربيجان - شاعرٌ وجَمته أحداث عصره ، وعوامل بيئته إلى إثارة العزلة عن الولاة والحكام ، رغم إرسال مدائحه إليهم وتقديم منظوماته لهم ، كما جعلته يدعو إلى الفضيلة ، ويتغنى بالخلق القويم ، ويشكو من الظلم ، وينادي باتباع العدل والوفاء ؛ ذلك الشاعر هو نظامي السنجوي ، الذي أرجح أنه ولد في عام ٥٣٩ هـ ، وتوفي في عام ٦٠٨ هـ .

وقد صاغ نظامي مبادئ دعوته في خمس منظومات وديوان شعر ، وكانت منظوماته مجالاً لتقليد كثير من شعراء الفارسية والتركية على السواء .
ولكنه - مع هذا - لم يظفر بحظ وافر من الدراسة والتحقيق ، خصوصاً إذا ما قيس بغيره من شعراء الفارسية ، كالفردوسي والخيام وسعدي وحافظ ، الذين ذاع صيتهم في الشرق والغرب ، وظفروا بنصيب كبير من العناية والبحث .
ولعل الاهتمام بدراسة نظامي لم تبدأ في أوروبا والشرق إلا منذ قرن ونصف قرن تقريباً ، ومع ذلك فقد لاحظ المحدثون أنفسهم أن الشاعر لم يستوف نصيبه من التحقيق ، وهذه طائفة من أقوال الباحثين تبين ما قرّروه :

يقول باخر Bacher عند حديثه عن كبار شعراء الفارسية ، كالفردوسي وسعدي وجامى : « إن نظامي بالنسبة إليهم يعتبر غير معروف في أوروبا لأن آثاره المطبوعة في الهند لم تصل إلينا بحيث يستفاد منها » ^(١) .

ويقول براون Browne - بعد أن يقرّر أن امتياز نظامي معترف به ، بين

W. Bacher : Nizamis Leben und Werke und der Zweite (١)

Theil des Nizamischen Alexanderbuches, P. III.

كتاب التذاكر وبين الشعراء أنفسهم - : « وقصارى القول ، أنه يمكن أن يوصف بأنه مزيج من النبوغ الممتاز والأخلاق الفاضلة ، إلى درجة لا يمدحها شاعر فارسي ، كانت حياته موضوعاً لدراسة نقدية دقيقة » ^(١) .

ويقول نيكلسون Nicholson : « إن الباحثين الأوروبيين كانوا مقلين في كتاباتهم عن نظامي منذ عام ١٨٧١ م حينما ظهرت مقاله باخر ، فلم يحدث أى تقدم لإنشاء دراسة نقدية لنص الحجة رغم الحاجة إليها ، لكل من يبحث في النصوص الشرقية ، وتكاد ترجمة كلارك « لإسكندرنامه برى » تكون العمل الوحيد ذا الأهمية . وإن إهمال شاعر مشهور موهوب كنظامي يمكن أن يفسر بالعلل التي تلمس للدراسات الفارسية بصفة عامة » ^(٢) .

ويقول نفيسى : « هناك أشياء كثيرة لم تقل فيها يتعلق بنظامي ، ورغم أننى كتبت سلسلة مقالات حول هذا الكنجوى السّاحر ، فإنى أصبحت لا أعجب بها . وإذا أردت أن أنشرها - في الوقت الحاضر - فإن أشياء كثيرة يمكن أن أضيفها إليها » ^(٣) .

ويقول برتلس Berthels نقلاً عن جورج يعقوب ^(٤) : « إن نظامي - كشاعر - ربما كان أعظم من الفردوسى ، رغم أنه لم يجد مثل نولدكه ^(٥) »

(١) Browne : A Literary History of Persia vol. II, P. 462

(٢) مقالة نيكلسون التي كتبها تعليقاً على ترجمة ويلسون لهفت ييكر إلى الإنجليزية وهي في :

Bulletin of the School of Oriental Studies, London Institution, London, 1924, P. 600.

(٣) مقالة سعيد نفيسى التي كتبها عن : « نظامي في أوروبا » في مجلة مهر شهر بورماه

شماره ٤ ص ٣٢٥ - ٣٢٩ .

(٤) ينقل برتلس هذا القول عن مقدمة ترجمة جورج يعقوب لإسكندرنامه لنظامي .

(٥) قام نولدكه يبحث الفردوسى وله كتاب قيم عن الفردوسى والشاهنامه .

وشاك^(١) ، (٢)

وهذه الأقوال جميعها ، تقرر أن نظامي لم يجد من يقوم ببحثه بحثاً علمياً مفصلاً دقيقاً ، يكشف عن شخصيته كشفاً صحيحاً .

وقد دفعني هذا إلى تناول موضوع نظامي بالبحث لعلّي أستطيع أن أكشف عن بعض جوانبه الغامضة .

وأرى لزوماً عليّ - وفاء بالأمانة العلمية - أن أعرض ، في شيء من الاختصار ماتم من أبحاث تتعلق بنظامي^(٣) ، فلعل هذا الكتاب يضيف حلقة جديدة إلى سلسلة تلك الأبحاث .

أخذ اسم نظامي يسمع منذ عام ١٧٨٦ م ، حينما نشر كتاب تحت عنوان ، « المجموعة الآسيوية » Asiatic Miscellany اشتمل على منتخبات من الأدب الفارسي ، وعلى عشرين قصة من « مخزن الأسرار » لنظامي . وقد طبعت هذه القصص مرة أخرى - في عام ١٨٠٢ م - في مدينة ليبزيغ ، مع ترجمة لاتينية لها ، ونشرت تحت عنوان : « نظامي الشاعر الوصاف القصص » : Nizami Poetae : Narrationes et Fabulae

وفي عام ١٨١٢ م ، نشر بدر الدين علي ومير حسين علي كتاباً بالفارسية - في مدينة كلكتة - تحت عنوان « منتخب الشروح لإسكندرنامه » اشتمل على نص إسكندرنامه نظامي مع الشروح التي كتبت حوله .

وكان انتشار هذه الكتب سبباً في ذبوع اسم نظامي بين المستشرقين

(١) كان شاك من الذين بحثوا في الشاهنامه وقد قام بترجمة بعض أجزائها .

(٢) مقالة برتلس التي كتبها عن نظامي وقد نشرت في كتاب « عدة مقالات عن نظامي » باللغة الروسية ، ص ٣٨ .

(٣) عرض سعيد نفيسي في مقالته « نظامي في أوروبا » التي سبقت الإشارة إليها ماتم من أبحاث تتعلق بنظامي حتى عام ١٩٣٥ م ، وسأعتمد على ما كتبه ثم أضيف ما جدد من أبحاث بعد هذا التاريخ حتى وقتنا هذا .

الأوروبيين ، ولم تَمْضِ مدة طويلة حتى أصبح نظامي ، مثل سعدى والفرديسي وحافظ والخليام ، له مكانة عالية بينهم ، بل إنه صار خامسهم ، وما زالت هذه المكانة له حتى الآن .^(١)

وفي عامي ١٨٢٦ و ١٨٢٨ م ، نشر المستشرق الروسي فرانسوا إردمان F. Erdmann - في مدينة غازان - منتخباً من « إسكندرنامه نظامي » اشتمل على قصة حرب الإسكندر مع الروس ، وذلك تحت عنوان : *De Expeditione Russorum*

ثم نشر المستشرق الروسي الشاب لويس سبتزناجل - في عام ١٨٢٨ م - كتاباً - في مدينة بطرسبرج - أخذه عن « إسكندرنامه نظامي » وسماه : « حلة الإسكندر ضد الروس » وهو يقع في مجلدين^(٢) .

كما ترجم قصة حرب الإسكندر ضد الروس إلى الفرنسية ، وأعدّ النص والترجمة للنشر في نفس السنة ، ولكن سرعة وفاته حالت دون ذلك ، فتكفل بهذه المهمة المستشرق الروسي شارموا Charmoya وكان يتقن الفارسية ، فقام بإلقاء نظرة على الترجمة ، ثم كتب لها مقدمة قيمة ، ونشر النص والترجمة . وهكذا نلاحظ أن نظامي لم يكن معروفاً في أوروبا إلا عن طريق ، « إسكندرنامه » و « مخزن الأسرار » .

وفي عام ١٨٣٦ م ترجم المستشرق الإنجليزي اتكينسون Atkinson « ليلى وجنون لنظامي » شعراً إنجليزياً ، ونُشِرَت هذه الترجمة في لندن ، كما أعيد طبعها في عامي ١٨٩٤ و ١٩٠٥ م ؛ وبهذا عرف الأوروبيون أن نظامي قد نظم شيئاً آخر غير « إسكندرنامه » و « مخزن الأسرار » ، ولو أن العناية بهاتين المنظومتين لم

(١) مقالة نفيسي عن نظامي في أوروبا : مجلة مهر شهر بورماه شماره ٤ ، ص ٣٢٥ .

(٢) L. Spitsnagel : Expedition de L'Alexandre le grand
Contre les Russes, extrait d'Alexandreide ou Iskender-Name de Nizamy.

تقطع ؛ فقد نشر المستشرق الإنجليزي ناثن بلند N. Bland - في عام ١٨٤٤م -
« مخزن الأسرار » في لندن ، ثم نشر « خردنامه إسكندري » بعد ذلك في
كلكتة .

كما نشر المستشرق الألماني شيرنجر^(١) ومحمد شوشتری - في عام ١٨٥٢ م -
« خردنامه » تحت عنوان « إسكندرنامه بحري » .

وإذا استعرضنا ما تم حتى ذلك التاريخ نجده - رغم قيمته - لا يعدو أن
يكون نشرًا أو ترجمةً لمنظومة أو جزء من منظومة ، أما شخصية نظامي كشاعر ،
فلم تُبذل محاولة جدية لكشفها وإظهار مكانتها بين شعراء الفارسية .

وكان أول من حاول ذلك المستشرق الألماني ولهم باخر فقد نشر ، في عام ١٨٧١م ،
كتابًا عن نظامي - في جوتنبرج - تحت عنوان : « حياة نظامي وآثاره »^(٢) .
تحدث في القسم الأول منه عن حياة الشاعر وآثاره ، بصفة عامة ، ودرس في
القسم الثاني الجزء الثاني من منظومة « إسكندرنامه » بصفة خاصة .

والحقيقة أن باخر قد بذل جهداً مشكوراً في محاولة كشف بعض النواحي
التي ظلت غامضة في حياة الشاعر ، فلم يُكْتَبَ عنها - في كتب التذاكر والتاريخ -
شيء ذو غناء .

وقد اتبع باخر منهجاً سليماً ، إذ اعتمد على أدق المصادر في دراسة الشاعر ،
ألا وهو شعر الشاعر نفسه ، ولكن التوفيق لم يحالفه في فهم بعض أشعار نظامي
مما ساقه إلى إخطاء جوهرية كثيرة ، أشار ريو^(٣) Rieu إلى بعضها ، وسأشير
إليها في موضعها من الكتاب .

(١) كان شيرنجر Sprenger مقبلاً في الهند .

(٢) W. Bacher : Nizamis Leben und Werke.

(٣) Rieu : Catalogue of Persian Manuscripts in the British Museum vol. II P. 564.

واهل لبأخر بعض المذر ، فقد قال - بعد أن سرد الأقوال المختلفة التي
قيلت حول تاريخ ولادة الشاعر ووفاته ، وتردّى الأورو بين في أخطاء كثيرة - :
« والذي جعل الأورو بين يتردّون في هذه الأخطاء إنما هو اعتمادهم على كتب
التذاكر دون أن يدرسوا أشعار الشاعر دراسة مباشرة ، واكتفاؤهم بالمصدر غير
الدقيق ، تذكرة دولتشاه »^(١) .

وإذا تركنا بأخر نجد أن محاولات نشر بعض منظومات الشاعر قد واصلت
سيرها ؛ فنشر كلارك Clarke - في عام ١٨٨١ م - « إقبالنامه سكندري » تحت
عنوان : « اسكندرنامه برى » ، وذلك في مدينة كالكته .

كما نشر المستشرق الهولندي هونسا Houtsma - في عام ١٩٢١ م - كتاباً
- في ليدن - تحت عنوان : « خلاصة خمسة نظامي » هو عبارة عن منتخبات
من منظومات الشاعر .

وفي عام ١٩٢٤ م ، ترجم المستشرق الإنجليزي ويلسن Wilson منظومة
« هفت پيكر » إلى الإنجليزية ، وقد نُشِرَت الترجمة في لندن .
من هذا العرض السريع ، يبدو أن منظومات الشاعر - باستثناء « خسرو
وشيرين » - قد نشرت نصاً أو ترجمة ، واستطاع الناس أن يأخذوا فكرة ما عن
شاعر كنجه .

وفي السنوات الأخيرة ، ظهر اتجاه - في تشيكوسلوفاكيا - إلى التعرف على
آثار الشاعر ، فبذلت جمعية المستشرقين التشيكوسلوفاكيين - التي مقرها مدينة
براغ - مجهودات قيمة ، وكان مما نشرته كتاب : « فرهاد وشيرين » لهربرت
دودا H. Duda ، وذلك في عام ١٩٣٤ م .

وقد قارن الناشر بين النسخ المعروفة من « فرهاد وشيرين » التي نظمها الشعراء

المختلفون ، وشرح كثيراً من المسائل الموجودة فيما نظمه أمير خسرو الدهلوى ،
وعمد فقيه ، وساطان حسين بايقرا ، وهاتفى ، ووحشى ، وهلالى ، وشمله نيرىزى ،
وغيرهم ؛ مما أكسب عمله شيئاً كبيراً من الأهمية .

ثم نشر المستشرقان ريتز الألمانى وريبكا التشيكوسلوفاكى منظومة : « هفت
پيكر » فى استانبول ، وقد اعتمدا على خمس عشرة نسخة خطية موجودة فى
مكتبات : باريس ، وأكسفورد ، وبرلين ، واستانبول ، وبراخ ، وفيينا ، وقارنا
بينها وبين « خمسة نظامى » المطبوعة فى بمباى فى عام ١٢٦٥ هـ . فخرج النص
فى صورة دقيقة محققة .

أما فى إيران ؛ فقد قام وحيد دستگردى ، فى عام ١٩٣٤ م ، بمجهود مشكور فى
نشر منظومات الشاعر الخمس ، فنشر كل منظومة على حدة ، وقد استغرق ذلك
خمس سنوات ؛ أى إلى عام ١٩٣٩ م ؛ كما نشر ماعثر عليه من ديوان نظامى فى
كتاب مستقل ، تحت عنوان : « گنجینه گنجوى » ، وقدم له بمقدمة عن حياة
الشاعر ومنظوماته .

ويعتبر النص الذى نشره دستگردى لمنظومات الشاعر من أصح النصوص
التي نشرت ، فقد تكبد فى نشره مشقات لا يستهان بها . ولا يؤخذ عليه إلا أنه
لم يعرف بالنسخ الخطية التى اعتمد عليه ، ولم يصف ولو نسخة واحدة منها ، رغم
أنه كان يكرر - فى مقدمة كل منظومة - أنه قارن بين ثلاثين نسخة خطية
قديمة ، يرجع تاريخ كتابتها إلى ما بين القرنين السابع والحادى عشر الهجريين .
كما أنه ارتكب بعض الأخطاء التاريخية ، مما جعله يضع عناوين غير صحيحة ،
كان يمكنه تلافيها لو رجع إلى كتب التاريخ . فقد أخطأ فى آخر منظومة
« خسرو وشيرين »^(١) مثلاً ؛ فأثبت أن الأنابك جهان پهلوان مات مقتولاً ،

وأن السلطان طغرل السلجوقي دعا نظامى إليه ، ورتب على هذا الأساس العناوين الأخيرة من المنظومة . وقد أقرّ هو بهذا الخطأ فى مقدمة « كنجينه گنجوى » فكتب تحت عنوان « رفع خطأ » مانصه : « وقد أخطأنا فى آخر « خسرو وشيرين » - بسبب اشتباه أبيات ، ووجود بعض الأبيات الملحقمة - فظننا أن الأتابك جهان بهلوان قد قُتِلَ ، وأن طغرل دعا نظامى إليه لا قُتِلَ أرسلان » ثم قال - بعد سرد الأبيات - : « وقد نبّه الأستاذ الفاضل أمير خيزى تبريزى وغيره - فى ذلك الوقت - إلى الخطأ ؛ وتبين - بعد الرجوع إلى كتب التاريخ - أن ما كتبناه خطأ ؛ سببه - قطعاً - التساهل فى الرجوع إلى كتب التاريخ ، ومفاسد قلة التأمل أكثر من أن تحصى ^(١) » . أما مقدمة دستگردى لما عثر عليه من ديوان نظامى ، فيبدو منها تعصبه الشديد لنظامى ، مما جعل أحكامه غير دقيقة ، ولا يفسد العلم شيء بقدر ما يفسده التعصب . وهذا يجعلنا ننظر إلى عمله بشيء من الحيلة والحذر .

وإذا تركنا دستگردى ، نجد محاولات أخرى بذلت للتعريف بنظامى وشعره ، فقد كتب ريپكا Рипка - فى عام ١٩٣٥م - مقالاً عن ديوان نظامى ، ونشّر بعض غزلياته .

كما قام المستشرقون الروس - بعد ذلك - بدراسة الشاعر فنشر برتلس Berthels - فى عام ١٩٤٠م - كتاباً تحت عنوان : « نظامى شاعر آذربيجان العظيم » . وقد نُشِرَ - فى نفس العام - كتابٌ يشتمل على عدة مقالات عن الشاعر ، كتبها مستشرقون مختلفون من الروس .

ويعتبر كتاب برتلس الخطوة الثانية بعد باخر ؛ غير أن برتلس يصرح فى المقدمة بأنه يكتب لغير المتخصصين ^(٢) ، ويكرر هذا فى مواضع كثيرة ، مما جعل

(١) وحيد دستگردى : مقدمة كنجينه گنجوى ، ص ف .

(٢) برتلس : مقدمة كتاب « نظامى شاعر آذربيجان العظيم » باللغة الروسية ،

كتابته إنشائية أكثر منها علمية .

ثم إن الروح المسيطرة على برتلس وغيره من المستشرقين الروس، تجعلنا نقبل ما كتبوه بشيء كبير من الحيلة ، فقد حاولوا إظهار نظامي في صورته الماركسي، أي في صورة داع من دعاة الشيوعية في القرن الثاني عشر الميلادي ، وأثبتوا أن مبادئه هي نفس المبادئ التي يدعو إليها زعمائهم في العصر الحاضر ، مصرّحين بأسمائهم^(١) .

وأغلب الظن عندي أن كتاباتهم تخدم أغراضاً سياسية ، ويكفي أن نلمح ذلك من عنوان كتاب برتلس « نظامي شاعر آذربيجان العظيم » واختياره لكلمة آذربيجان بالذات في الموضوع^(٢) . والعصبية السياسية مفسدة للعلم أيما إفساد . ويمكن أن نضيف إلى هذا أن كنهجه ألحقت بالامتلكات الروسية منذ عام ١٨٠٤ م ، الأمر الذي قد يدعو إلى شيء من التعصب لشاعر تلك المدينة ؛ ومهما يكن من شيء ، فإنه لا يمكننا أن نقبل كل ما يكتبه المستشرقون الروس عن الشاعر . بقي أن نذكر المحاولة التي قام بها داراب في عام ١٩٤٥ م فقد ترجم منظومة « مخزن الأسرار » إلى الإنجليزية ، ونشرها في لندن ، مع مقدمة له ، عن حياة الشاعر وعصره ، وذلك تحت عنوان : « مخزن الأسرار لنظامي السكنجوي مترجم لأول مرة عن الفارسية ، مع مقدمة عن حياة الشاعر وعصره^(٣) » .

وقد حاول داراب أن يحقق سني ولادة الشاعر ، ووفاته ، وإتمام منظوماته ويعطى فكرة ماعن عصره ، ولكن أحكامه كان يعوزها الدليل ، فكثيراً ما كان

(١) برتلس : نظامي شاعر آذربيجان ، ص ١٢١ .

(٢) كانت كتابات الروس في ذلك الوقت تغذي فكرة استقلال آذربيجان ، وانفصالها عن إيران التي تحققت لمدة وجيزة فيما بعد .

(٣) G. H. Darab : Makhzanol Asrar of Nizami of Ganjeh

Translated for the first time from the persian with an Introductory Essay of the Life and Times of Nizami .

يفرض شيئاً فرضاً دون دلائل مقنع ، كما لاحظ مينورسكى ، في المقالة التي كتبها تعليقاً على صنيع داراب^(١) .

هذا عرض سريع لأهم ماتم من محاولات لدراسة نظامى ، ولعلنا نلاحظ أنه - رغم قيمتها ومعاونتها في تيسير مهمة الباحث - لاتمدو أن يكون أغلبها نشرأ أو ترجمة ، أما الأبحاث المتعلقة بشخصية الشاعر ، ودراسة آثاره دراسة نقدية مقارنة ، فقد كانت مختصرة ، فضلاً عن الأخطاء والاعتبارات ، التي تجعلنا نحتاج كثيراً ، قبل الأخذ بشيء منها .

وقد حاولت - في هذا الكتاب - أن أدرس شخصية الشاعر وآثاره دراسة نقدية مقارنة ، وأن أوضح بعض النواحي التي ظلت غامضة في حياة الشاعر ، ثم أكشف عن مكانته في تاريخ الأدب الفارسى ، حتى يكون مكملاً للمحاولات التي بذلت من قبل .

كما حاولت - بقدر المستطاع - ألا أتعصب للشاعر أو عليه ، وأن أعتمد - في حكمى عليه - على الأدلة المقتعة ، فبنيت دراستى على هذا الأساس .

وقد وجدت أن أهم مصدر لدراسة الشاعر هو شعر الشاعر نفسه ، فحاولت أن أبحث فيه عن كل ما يتعلق بالشاعر وحياته الخاصة والعامة ، لأن المصادر المختلفة بينها من التفاوت والاختلاف ما يجعل الباحث لا يطمئن إلى الاعتماد عليها . كما وجدت أن معرفة التاريخ السياسى والاجتماعى لازمة لفهم الشعر . لأن الشعر صورة للحياة الاجتماعية يتأثر بها كما يؤثر فيها ؛ والتاريخ - كما يقول فيلمان - وسيلة لفهمه وتفسيره ، وتعليل مزاياه^(٢) .

فالشعر ، والأدب بصفة عامة ، يعبر تعبيراً صادقاً عن حياة الأمة الاجتماعية والسياسية ، ويعتبر مصدراً مهنذباً من مصادرنا التاريخية لأنه يلم بروح الحوادث

Bulletin of the School of Oriental and African Studies (١)

vol. XII, part. 2. PP. 441-445

(٢) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبى ص ٨٣ .

والأحوال المتعاقبة فيصورها ثم يتأثر بها فيجاريها أو يعارضها ، ويظهر ذلك في آثاره بأسلوب سلبى أو إيجابى ^(١) .

كما استعنت ، إلى جانب هذا ، بالبيئة الخاصة التى نشأ فيها الشاعر ، من جغرافية وعائلية واقتصادية وعلمية ، فدرستها لأنها من العوامل التى أحدثت أثراً فى الشاعر بدا واضحاً فى شعره ؛ وهكذا عنيت بدراسة البيئتين العامة والخاصة وحاولت الاستعانة بما فيهما من عوامل موجهة فى دراسة للشاعر وفهم شعره . وقد قسمت بحثى إلى كتابين :

تحدثت فى الكلام الأول ، عن عصر الشاعر أو بيئته العامة ، ثم درست بيئته الخاصة ، وحاولت أن أستشف ما فى البيئتين من موجبات ، ثم عرفت بالشاعر على ضوء هذه الموجبات .

ودرت فى الكتاب الثانى ، منظومات الشاعر الخمس دراسة نقدية مقارنة ، ثم تحدثت عن ديوانه ، واستعنت بذلك فى دراسة فنه الشعرى ، ثم ختمت بالحكم على الشاعر على ضوء هذه الدراسة .

وقد اطلعت على كل ما كتبت عن الشاعر ، حتى كتابة ، هذا البحث ، كما قرأت ما وجدته متصلاً بالشاعر من قريب أو بعيد ، ويفيد فى دراستى له ، فاستنتج هذا أن أطلع على مخطوطات قيمة كثيرة ^(٢) ، عثرت عليها فى مكتبات إيران العامة والخاصة ، وفى دار الكتب المصرية ، وأن أقرأ كتباً بلغات مختلفة ؛ فقرأت ما كتب بالفارسية والعربية والتركية ، كما اطلعت على ما كتب بالإنجليزية والألمانية والروسية والإيطالية ، بقدر المستطاع .

(١) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبى ص ٨٣ ، نقلاً عن أصول النقد الأدبى (الفصل الأول) لونسستر .

(٢) ذكرت أسماء هذه المخطوطات مع تعريف بها فى آخر البحث ، فى التبت الذى أوردته بأسماء المراجع ، فضلاً عن ذكرها فى الحواشى .

وقد استعنت - بطبيعة الحال - بمن يتقنون اللغات التي لا أعرفها ، أولاً أجيدها ، في ترجمة ما كتب بتلك اللغات .

ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى فرصة وجودى عامين في إيران ، وإلى جامعة طهران ، التي أضافتنا في خلال هذه المدة ، كما أضافت غيرنا من طلاب البحث من الدول الأخرى ، فكنت تجد في نادي الجامعة الإنجليزى والفرنسى والألماني والبلجيكي والتشييكوسلوفاكى ، والتركي والهندي والباكستاني وغيرهم ، وكان هذا وحده هو الذى أوجد الفرصة المواتية ، التي هيأت لنا الاطلاع ، دون مشقة ، على كل مايكتب بلغة من اللغات ، شرقية كانت أم غربية .

فإلى جامعة طهران وإلى أساتذتها الأجلاء ، أتوجه بالشكر ، وأخص بالذكر منهم الأستاذ سعيد نفيسى ، الذى كان مشرفاً على هذا البحث ، في أثناء إقامتى في إيران ، ولن أنسى - ماحييت - ما قدمه هذا العالم الجليل لى من خدمات ، فقد أمدنى بكثير من المراجع النادرة باللغات المختلفة ، كما وضع تحت يدى بعض المخطوطات القيمة التي يحتفظ بها في مكتبته الخاصة ، ولم يرضَ على حتى بمخطوطة «اسكندرنامه النثرية» التي لا توجد إلا عنده ، فإليه مزيد شكرى وامتنانى واعترافى بالجميل .

كما أشعر بالشكر والامتنان للمستشرق التشيكوسلوفاكى الأستاذ الدكتور بروتسكى الذى قابلته في طهران ، فكان يجود بحجز كبير من وقته - طوال المدة التي قضيتها - في ترجمة كثير من الكتب والنصوص التي تفيدنى في البحث ، فساعدنى بذلك على الاطلاع على المراجع الروسية والألمانية والإيطالية .

ولا يفوتنى أن أشكر الأساتذة عابدى الباكستاني والاب آرسلان التركي وأوبان الفرنسى ، على ما قام به الأول من شرح جزء من أشعار نظامى ، والآخران من ترجمة بعض النصوص التركية والفرنسية .

كما أشكر الأستاذ صادق نشأت ، الأستاذ بجامعة طهران ، على مساعدته القيمة في شرح وترجمة بعض أشعار نظامى الفارسية .

فإذا ما تركت طهران إلى القاهرة ، أجدنى مديناً بالشكر لأستاذى الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ، رئيس قسم اللغات الشرقية ، بكلية الآداب بجامعة إبراهيم ؛ فقد تولى الإشراف على البحث بعد عودتى من إيران ، وكان له منذ البداية فضل اختيار موضوع نظامى ، ليكون موضوعاً لبحثى للحصول على درجة الدكتوراه ، وقد ظللت على اتصال به منذ بدأت البحث إلى أن انتهيت منه ، فأمدنى بكثير من التوجيهات النافعة التى استفدت منها كثيراً ، فله مزيد من شكرى وامتنانى ، واعترافى بفضله .

وإنى لأرجو أن يحقق هذا البحث الغاية التى وضع من أجلها ، وأن يكون أساساً صالحاً لمن يريد أن يتناول نظامى بالبحث ، فى المستقبل ، إن شاء الله ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المؤلف

٥ من ذى القعدة ١٣٧٢ هـ

للقاهرة : الموافق ١٦ من يولييه ١٩٥٣ م

الكتاب الأول

١ - عصر نظامي

٢ - بيئة

٣ - التعريف به

الباب الأول

عصر نظامي

تمهيد:

كان عصر نظامي يموج بمسكرات متباينة ، حاول كل منها أن يمثل دوراً خاصاً على مسرح الحياة السياسية في ذلك الوقت ، ففي شرق إيران ، كان سنجر ، آخر سلاطين السلاجقة العظام ، لا يزال قوياً مرهوب الجانب ، يبسط سلطانه على كثير من بقاع العالم الإسلامي في ذلك الوقت .

وفي غرب إيران ، كانت دولة سلاجقة العراق تسيطر على العراق وكرديستان وآذربيجان ، كما كانت دولة أتابكة آذر بيجان قوية ، حاولت أن تتحكم في سير الأمور في دولة سلاجقة العراق ، هذا إلى جانب حكام شروان وحكام مراغه الذين كانوا يتمتعون باستقلال ذاتي تقريباً .

وفي بغداد ، كانت للدولة العباسية سيطرة روحية على العالم السني ، بينما كانت قوتها المادية ضعيفة منهارة .

وطبيعي أن مثل هذا الوضع يستتبع احتكاكاً بين تلك المسكرات ، فليس عجباً أن نرى عصر نظامي يغلي بالأحداث المختلفة ، والحروب المتصلة التي كانت لا تنقطع إلا للتشّب مرة أخرى ، كما نراه يتسم بروح الغدر التي سيطرت حتى على أفراد الأسرة الواحدة ، فكانوا يحاربون بعضهم بعضاً ، ويدبرون المكائد لبعضهم البعض .

وقد أدت هذه الأحوال المضطربة ، إلى تقلبات في الأوضاع السياسية ، وسقوط دول ودويلات ، وحلول أخرى محلها ، مما جعل عصر نظامي يشهد كثيراً

من الدول الحاكمة فى أجزاء مختلفة من العالم الإسلامى ، كما شهد انهيار دولة السلاجقة العظام ، والدولة الغزنوية ، وقيام وسقوط الدولة الخوارزمية ، ودويلة أتاتورك آذر بيجان ، ونشاط الإسماعيليين : ونذر هجوم المغول وما تبع ذلك من التغيرات السياسية والاجتماعية .

وكان للناحية الدينية - فى ذلك الوقت - أثرٌ فى تشكيل الحوادث ، وتوجيه دفة السير ، فإن الاختلافات المذهبية قد أوجدت كثيراً من المنازعات ، كان بعضها باللسان ، وبعضها الآخر باللسان ، كما أوجدت انعدام الثقة والطمأنينة فى قلوب الناس ، ورواج التصوف ، وارتفاع قدر علماء الصوفية .

ونظامى - كثيره من أبناء عصره - قد تأثر بما كان فى ذلك العصر من تيارات مختلفة ؛ فأثرت فى نشأته وتعليمه ومذهبه فى الحياة ، وانعكست أشعتها المختلفة ، وأضواؤها المتنوعة فى نفسه ، فخرجت صور منها فى شعره .

وسأعرض فى الفصول التالية أهم الأحداث السياسية التى وقعت فى القرن السادس الهجرى ، وفى النصف الثانى منه بوجه خاص . وسأقصر حديثى على ما كان منها فى إيران ، والأقاليم المجاورة لها ، التى اتصل الشاعر بحكامها ، ثم أختتم بالحديث عن النواحي الاجتماعية والفنية والدينية ، وأثر هذه العوامل متعاونة فى توجيه حياة الناس وتشكيلها .

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

دولة السلاجقة

كانت دولة السلاجقة في القرن السادس الهجري ، تبدو في أفرع منتشرة في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي ، يهنا ما كان منها في إيران وآسيا الصغرى ، لاتصال الشاعر بحكام هذين الإقليمين وتقديم منظوماته لهم . وهذا يجعلنا أقصر حديثاً على السلاجقة العظام ، وسلاجقة العراق ، وسلاجقة آسيا الصغرى .

١ - السلاجقة العظام :

كانت دولة السلاجقة ممزقة الأوصال - حينما ولد نظامي في عام ٥٣٩ - فلم تكن أجزاء الدولة تخضع لنفوذ سلطان واحد ، كما كانت الحال في عهد طغرل الأول وألب أرسلان وملكشاه ، الذين سمو بالسلاجقة العظام ، لأن الحروب اشتدت بين أفراد البيت السلجوقي ، بعد موت ملكشاه ، واختفاء وزيره نظام الملك من فوق المسرح السياسي ، حتى إن ابن العبري ليصفهم بقوله : « فكأنما سُلَّ طين السلاطين من جفن الجفاء ، وجُيِلَتْ جبلتهم على الإغفال والإغفاء ، فالرحم عندهم مقطوعة ، والعزة في خدمتهم بالذل مشفوعة ، والاغترار بهم غرر ، وصفوهم كدر ، يُقَسِّمون ويُمَحْنون ، ويُبَرِّمون وينكثون » ^(١) .

غير أن سنجر ، حاكم خراسان ، قد استطاع بعد موت أخيه محمد في عام ٥١١ ، أن يخلفه على عرش السلطنة ، وأن يخضع أغلب أجزاء الدولة السلجوقية تحت أمره ، فأعاد بذلك عهد السلاجقة العظام ، واعتبر آخرهم .

وكان سنجر سلطاناً قوياً ، فقد كان يدعى له من لماوور ، وغزنه ، وسمرقند ، إلى خراسان ، وطبرستان ، وكرمان ، وسجستان ، وإصفهان ، وهمدان ، والري ،

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٣ .

وآذربيجان ، وأرمينية ، وأرانيه ، وبغداد ، والعراقين ، والموصل ، وديار بكر ، وديار ربيع ، والشام ، والحرمين ، وتَضَرَّبُ له السَّكَّةُ في هذه الأقاليم وبلادها ، وتطأ بساطه ملوكها ، ودام ملكه كذلك إلى سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، حينما كسره الخطائي كسرة عظيمة^(١) .

ومنذ ذلك الوقت أخذت قوة سنجر في الضعف ، فقد تحالف عامله أنسر مع القبائل القراخانية ، وحشها على الهجوم على حدود سيده^(٢) ، وهزم سنجر شر هزيمة ، بينما أعلن أنسر استقلاله في خوارزم ، وأسس الدولة الخوارزمية التي دالت على يديها دولة سلاجقة العراق .

واستمرت قوة سنجر في الضعف حتى عام ٥٤٨ هـ ، حينما شبت نيران الحرب بينه وبين قبائل الغز التركية ، وقد قضت هذه الحرب على البقية الباقية من قوته ، بل إنه وقع أسيراً في أيدي تلك القبائل ، وبقي كذلك ثلاث سنوات احتال بعدها للهرب^(٣) ، ولكنه لم يلبث أن مات كدأ لما رأى ماحلّ بدياره من دمار^(٤) ؛ فإن الغز قد خربوا مرو ونيسابور وكرمان مرتكبين شناعات لاحصر لها ، وقيل : إنهم أمعنوا في القتل ، حتى إن القتلى لم يظفروا من كثرة الدماء المسفوكه^(٥) .

وبموت سنجر انقرضت دولة السلاجقة العظام نهائياً ، وكان معسكرهم - في

(١) صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٢) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢٩٥ ؛ البنداري مختصر تواريخ

آل سلجوق ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ص ١٦٨ - ١٨٤ ؛ الكرمانى : عقد العلى ، ص ٧ ؛

البنّاكتي : روضة أولى الألباب « القسم الرابع » ؛ إصفهاني : شاهد صادق ، ص ٥٣٦ ؛

قويمين : استيلاء الغز على امبراطورية السلاجقة العظام ، ص ٥٦٣ - ٦١١ .

(٤) أمير خواند : روضة الصفا « الجزء الرابع » .

(٥) حافظ أبرو : زبدة التواريخ ص ١١٢١ .

أنهاء طفولة نظامي - عوج بالاضطرابات والمنازعات ، التي لم ينقطع حدوثها طوال القرن السادس الهجري .

٢ - سرخنة العراق :

وإذا انتقلنا إلى معسكر سلاجقة العراق ، نجدهم يسيطرون على غربى إيران وشمالها الغربى ، فيسيطرون نفوذهم على العراق وكردستان وآذربيجان . وكان السلطان مسعود ، أعظم سلاطينهم فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى ، يشبه عمه سنجر من حيث سعة النفوذ وقوة البطش . فقد آلت إليه سلطنة جميع بقاع العراق وكردستان وآذربيجان ، فى عام ٥٢٩ هـ ^(١) ، ولكن معسكره كان كغيره من المعسكرات ، مملوءا بالمنازعات التى ثارت بينه وبين إخوته ، وبينه وبين الدويلات الأخرى ، فامتاز عصره بكثرة الحروب التى انتصر فى جميعها ^(٢) .

وقد بدأ حروبه بقتال الخليفة العباسى المسترشد بالله ، ثم حارب ابنه الراشد بالله ، وانتصر فى الحربين وانتهى الأمر بقتلهما ، وإسناد الخلافة إلى المفتى لأمر الله كما سيأتى ، وبذلك أصبحت لمسعود الكلمة العليا .

على أن الحروب لم تلبث أن نشبت بينه وبين والى فارس ، الذى رفع علم الثورة ضده ، فأرسل مسعود إليه أخاه سلجوقشاه يصحبه قراسنقر ، والى آذربيجان ، فانتصرا عليه ثم رجعا إلى همدان ، حيث توفى قراسنقر ، فأُسند أمر آذربيجان إلى إبلدكز ^(٣) الذى أسس دويلة الأتابكة .

وسار مسعود بعد ذلك إلى الري لتأديب واليها عباس ، فأسرع هذا الوالى إلى استقباله ، وأظهر الطاعة والالتقياد ، فعفا مسعود عنه ، غير أنه عاد فعمى ،

(١) أمير يحيى قزوینی : لب التواريخ (الفصل السابع) : ابن الوردى : تاريخه ص ٣٩ .

(٢) خواند أمير : حبيب السير ، ص ١٠٤ .

(٣) الرجوع السابق ، ص ١٠٤ وما بعدها .

مرة أخرى ، وتحالف مع سليمان شاه أخى مسعود ، ومع عبد الرحمن وبوزابه من الأمراء ، وصمموا على عزل مسعود ، فسار من بغداد لحاربهم ، ولكن الثلوج عاقت تقدمه ، فاضطر إلى الرجوع من حيث أتى ، ثم عاود السير في الربيع ، وكانوا في أعلم من توابع همدان ، فلما اقترب منهم ولّوا هاربين ، بينما أسرع سليمان شاه لتقديم فروض الطاعة لأخيه السلطان ، الذى سجنه مستمعاً لنصيحة أمرائه ^(١) .

ثم التمس الباقون العفو فُنِحُوهُ ، غير أن مسعود أحسّ فيهم روح الفدر فأمر بقتل عبد الرحمن وعباس ، ثم حارب بوازبه الذى جمع جيشاً في إصفهان ، انضم إليه خاص بك وايلدكز ، وكان النصر حليف السلطان فاتمتهى الأمر بقتل بوزابه ^(٢) .

وبذلك خلا الجو لمسعود ، فلم يجرؤ أحد على الوقوف في وجهه ، وظل قوياً مرهوب الجانب إلى أن توفى في عام ٥٤٧ هـ ؛ فضعفت بموته دولة سلاجقة العراق ، وأصبحت ألعوبة في يد الأمراء ورؤساء الجيش وأتابكة آذربيجان ^(٣) .

وخلف ملكشاه عمه مسعود ، فترك تدبير مهام الدولة ، وانصرف إلى اللهو والشراب ، فخلعه الأمراء ، وسجنوه في قلعة بهمدان ، وأجلسوا أخاه « محمد » مكانه ، ولو أن ملكشاه تمكّن من الحرب إلى خوزستان ^(٤) .

ولم يخلُ عهد محمد من الحروب ، فقد حارب الخليفة العباسى المقتدى لأمر الله

(١) العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص ١٢٢ - ١٢٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التواريخ ، ج ١١ ص ٦٨ ؛ أمير خواند : روضة الصفا ، الجزء الرابع .

(٢) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢١٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ،

ج ١١ ص ٦٨ .

(٣) الكرمانى : عقد العلى ، ص ٧ .

(٤) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٢٨ ؛ خواندامير : حبيب

السير ، ص ١٠٨ .

وحاصر بغداد ، ولو أنه لم يوفق في فتحها ، كما قتل خاص بك في عام ٥٤٨ هـ ، عقب توليه السلطنة ، فتوجس الأمراء - وعلى رأسهم ايلدكز - خيفة منه ، واتهموا فرصة حربهم مع الخليفة ليثوروا ضده ويحاولوا عزله ، الأمر الذي اضطر «محمد» إلى رفع الحصار عن بغداد والسير لمخارمهم ، وقد تمكن من الانتصار عليهم ، وبذلك استتب له الأمر حتى توفي في عام ٥٥٤ هـ^(١) ، فتولى ملكشاه أمر السلطنة مرة أخرى ولكنه توفي بعد بضعة أشهر ، فولى الأمراء عمه سليمان شاه عرش السلطنة ، وذلك في عام ٥٥٥ هـ ؛ غير أن سليمان شاه لم يكن بالشخص الذي يستطيع تصريف مهام الدولة بحكمة وتدبر ، فقد شغل وقته باللهو والمجون ، مما جعل الأمراء يفكرون في تولية غيره .

وانتهى الأمر بإرسالهم إلى ايلدكز ، لتولية ابن زوجته أرسلان بن طغرل ، فسار ايلدكز إلى همدان حيث قبض على سليمان شاه وسجنه ، وآل أمر السلطنة إلى أرسلان الذي يبدأ عهده في عام ٥٥٥ هـ . وطبيعي أن يصبح ايلدكز مهتمًا على جميع مرافق الدولة ، يتصرف في كل الأمور برأيه ، أما أرسلان فقد كان رمزاً يملك ولا يحكم^(٢) .

ولكن ايلدكز استطاع بكفاءته وحسن تديره ، ومساعدة ابنه ، محمد جهان بهلوان وقرل أرسلان ، أن يرد كيد الأعداء وينتصر عليهم^(٣) .

وقد كثرت الحروب وتعددت ميادينها ، إذ اتحد والى الرى اينانج مع والى أصفهان قياز ، وثارا ضد أرسلان ، وطالبا بعزله ، ولكن السلطان تمكن - بمساعدة ايلدكز - من الانتصار عليهما .

(٤) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٢٨ ؛ خواند امير : حبيب السير ص ١٠٨ .

(١) حمد الله مستوفى قزوینی : تاريخ كزیده ص ٤٧٠ ؛ أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .

(٢) محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان کرمان ص ٥١ ؛ کرمانی : تاريخ افضل ص ٤٣ .

وفي نفس الوقت هاجم ملك الأبخاز آذربيجان ، فخف آرسلان للقائه ودارت بينهما معركة طاحنة ، بالقرب من قلعة كاك ، انتهت بانتصار آرسلان وظفره بفنائم كثيرة .

ثم توجه بعد ذلك لقتال الاسماعيليين ، الذين حصنوا أنفسهم في نواحي قزوين وأصبحوا مصدر فزع للأهالي الآمنين ، يشيعون الرعب بينهم وينهبون أموالهم ، وقد انتصر عليهم ، وحطم حصنهم « چهار صوفه »^(١) .

وفي عام ٥٥٩ هـ ، حارب اينانج والى الرى المهزوم ، الذى كان يُغيرُ على العراق بجيش أمدته به تكش آرسلان الخوارزمى ، وقد تمكن السلطان من الانتصار على اينانج وقتله^(٢) ، ثم أسند أمر الرى إلى جهان پهلوان بن ايلدكز ، الذى تزوج من بنت اينانج ، وأنجب منها قتلوغ اينانج ، الذى ساهم فى إسقاط دولة سلاجقة العراق^(٣) .

وتوفى ايلدكز فى عام ٥٦٨ هـ ، فاحتلَّ ابنه جهان پهلوان مكانه ، وأصبحت له الكلمة العليا فى الدولة ، بينما انزوى السلطان آرسلان حتى توفى فى عام ٥٧١ هـ^(٤) . وقيل إن أخاه جهان پهلوان قد سمه ليتخلص منه ، ويولى ابنه طغرل^(٥) .

وقد خلف طغرل أباه آرسلان ، وكان طفلاً فى السابعة من عمره^(٦) ، فأسند زمام الأمور إلى عميه ، جهان پهلوان وقزل آرسلان ، اللذين تمكنا بفضل شجاعتهم من صد خطر عدوين فى وقت واحد ، أحدهما ملك الأبخاز ، الذى هاجم آذربيجان

(١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) ، خواندامير : حبيب السير ص ١١٠—١١١ .

(٢) محمد بن إبراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ص ٥١ .

(٣) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٣٠١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ٥٥ .

(٥) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٣٠١ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧١ .

مرة أخرى ، والآخر محمد بن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، الذي أغار على العراق^(١) .

وظلَّ جهان پهلوان يسيطر على الدولة ، ويصرف مهامها ، حتى توفي في عام ٥٨٢ هـ ، فأخذ أخوه قزل أرسلان مكانه ، غير أن المنازعات لم تلبث أن ثارت بينه وبين ابن أخيه السلطان طغرل ، وتدخل الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، لنصرة قزل أرسلان ، فهزِمَ طغرل وسُجِنَ^(٢) . ولم يتمكن من الحرب إلا بعد قتل عمه ، في عام ٥٨٨ هـ .

وتزوج طغرل من الخاتون ، زوجة عمه جهان پهلوان ، وأم قتلوغ اينانج ، وقيل إنها كانت تدبر هي وابنها وسيلة لقتله ، وعلم طغرل بذلك فسَمَّها ، فنار النزاع بينه وبين قتلوغ اينانج ، الذي استعان بتكش الخوارزمي ، وقامت حربٌ بين الطرفين انتهت بقتل طغرل ، على يد ابن عمه في عام ٥٩٠ هـ .^(٣) فانهارت بقتله دولة سلاجقة العراق .

وقد كان طغرل من ممدوحى نظامى ، وكان شاباً مشهوراً بالشجاعة وحب الأدب ، كما كان ينظم الشعر ، وقد مدحه نظامى في منظومته « خسرو وشيرين » فقال : « السلطان الشاب ملك حسن الحظ ، فليكن - دائماً - صاحب عرش وتاج ؛ إنه زينة العرش وفتح مُلك الدنيا . هو طغرل السلطان العادل ملاذالرعية ، ملك الملوك ، وسيد العالم ، وهو صاحب العرش ، وربُّ الدولة وبحر الجود »^(٤)

(١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .

(٢) حمد الله مستوفى قزوینی : تاریخ کریمه ، ص ٤٧٥ .

(٣) البنداری : مختصر تواریخ آل سلجوق ص ٣٠٢ ؛ الحسيني : أخبار الدولة

السلجوقية ص ١٧٢ - ١٧٦ .

(٤) هذه ترجمة قول نظامى فى خسرو وشيرين ص ١٥ :

چو سلطان جوان شاه جوانبخت که برخوردار باد اُرتاج و اُرتخت =

ومهما يكن من شيء فإن معسكر سلاجقة العراق كان زائراً بالمنازعات والحروب ، التي تلاشت بصورة أثرت في حياة الناس ، فجعلتها قلقاً مضطربة .

۳ - سلاجقة آسيا الصغرى ومن والاهم :

وإذا انتقلنا إلى آسيا الصغرى ، نجد فرعاً من فروع السلاجقة المظالم ، يُسمّى سلاجقة آسيا الصغرى . وكان يحكم من هؤلاء والسلاجقة - في الفترة التي نتحدث عنها - شخصٌ يدعى قلعج أرسلان استطاع أن يهزم ملك الروم ، ويجلس على عرش القيصرية في قونية ، ثم بدا له أن الناس قد ملّوا حكم السلطان مسعود في العراق ، فتوجّه على رأس جيش كبير لمحاربه ، غير أن جاولي - أعظم قواد مسعود - اتصل بأمراء قلعج أرسلان ومثّاهم وهدّدهم حتى كرهوه فأغرقوه في عام ۵۳۹ هـ ^(۱) .

وقد استطاع حفيده عز الدين قلعج أرسلان الذي ولي الحكم في عام ۵۵۸ هـ أن يوسّع حدود ملكه ، فاستولى على أملاك الدائشمندية لضعفهم ثم قسم ملكه بين أولاده العشرة ، فأصبح كل منهم والياً على جزء من أجزاء المملكة ^(۲) . ويُحدّثنا التاريخ أن عزّ الدين هذا صادف جفوة من أبنائه ، وكان يتردّد عليهم فلا يقبلونه ، حتى استقرّ به المطاف عند ابنه الأصغر غياث الدين كيخسرو الذي أكرم وفادته ، وساعده على تثبيت قواعد ملكه في قونية ، فعهد إليه بولاية العهد من بعده ، رغم أنه كان أصغر أبنائه سناً ^(۳) .

= سریر افروز إقليم معانی ولایت گبر ملک زندگانی
پناه ملک شاهنشاه طغرل خداوند جهان سلطان عادل
ملک طغرل که دارای وجود است سپهر دولت ودریای جود است
(۱) حمد الله مستوفی قزوینی : تاریخ گزیده ، ص ۴۸۱ .

(۲) للرجع السابق ، ص ۴۸۲ ؛ خواند امیر : حبیب السیر ، ص ۱۱۵ .

(۳) حمد الله : تاریخ گزیده ، ص ۴۸۲ .

ومات عز الدين في عام ٥٧٨هـ^(١)، خلفه ابنه غياث الدين كيخسرو، ولكن أخاه ركن الدين سليمان ثار في وجهه، يعاونه إخوته الآخرون، فسار على رأس جيش كبير حاصر به قونية، وانتهى الأمر بالصلح على أن يلى ركن الدين العرش، ويؤمن أخاه الذى لم يلبث أن هرب خوفاً وتوهماً.^(٢)

وقد قوى أمر ركن الدين بعد ذلك، لأن دولة سلاجقة العراق انهارت في ٥٩٠هـ، ومُنِحَ - من دار الخلافة - لقب القاهر، واستولى على أَرزن الروم^(٣). وهو يهمننا لأنه كان صهر فخر الدين بهرامشاه، حاكم أَرزنجان في عهده وعهد أخيه غياث الدين كيخسرو، وقد اصططحبه معه في حروبه ضد الغزو الأبخاز، في عام ٥٩٩هـ^(٤). وبهرامشاه هذا، هو الوالى الذى قدّم نظامى له، منظومته الأولى، «مخزن الأسرار».

وكان بهرامشاه من نسل منكوجك غازى، أحد أمراء الب أرسلان، الذى عينه حاكماً على أَرزنجان، في عام ٥٦٤هـ، ويبدو أنه كان عادلاً، وأن شأن إمارة أَرزنجان قد ارتفع في عهده، حتى أصبح أهلاً لمصاهرة سلاطين آسيا الصغرى. كما اشتهر بالكرم الذى عمّ سكان إمارته^(٥).

(١) هذا ما ذكره حمد الله في تاريخ كزیده، ص ٤٨٢، ولكنه قال بعد وصف الحروب التى وقعت بين كيخسرو وركن الدين سليمان، وهى التى وقعت في نفس السنة التى توفى فيها والدهما: «وفي ذلك الوقت انتهى حكم السلاجقة في العراق وتولاه الخوارزمشاه» وقد انتهى حكم سلاجقة العراق في عام ٥٩٠هـ كما مرّ، وهذا يدل على أن وفاة قلج أرسلان كانت في السنوات القريبة من عام ٥٩٠هـ، ولعلها كانت في عام ٥٨٨هـ كما ورد في ابن الأثير: الكامل ج ١٢ ص ٦٥؛ وابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٣٨٣؛ وابن البيي: مختصر سلجوقنامه، ص ٧.

(٢) حمد الله: تاريخ كزیده، ص ٤٨٣، ابن البيي: مختصر سلجوقنامه ص ٣-٧.

(٣) حمد الله: تاريخ كزیده، ص ٤٨٣.

(٤) الراوندى: راحة الصدور، حاشية ص ٢١٧.

(٥) أمين رازى: هفت إقليم (الإقليم الرابع).

ولعل هذا هو الذى جعل نظامى يقدم له منظومته الأولى ، وقد روى أن بهرامشاه كافاه على عمله بسخاء ^(١) .

وتحديد سنى حكم بهرامشاه قد يساعدنا فى ضبط تاريخ إتمام «مخزن الأسرار» ؛ غير أن المراجع اختلفت فيما بينها اختلافاً كبيراً فى تحديدها ، ووضع العلامات المميزة لها .

وقد ذكر زمباور أن فترة حكم بهرامشاه تقع بين ٥٥٠-٦١٥ هـ ^(٢) ، بينما حدد ابن الأثير تاريخ وفاته فقط على أنه ٦٢٢ هـ ^(٣) ، وحصر «تَرْبِيتُ» سنى حكمه بين ٥٥٠ - ٦٢٥ هـ ^(٤) .

وأرجح أنه كان حاكماً على أرزنجان فى الفترة التى تقع بين ٥٢٠ - ٦١٧ هـ ، لأن التاريخ يحفظ لنا قطعتين من النقود الفضية ضُربتَا فى مدينة أرزنجان التى كانت مقراً لحكمه ، كُتِبَ على الأولى : «العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى بهرامشاه بن داود نصير أمير المؤمنين أرزنجان ٥٧٠ هـ» . وكُتِبَ على الثانية : «العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى بهرامشاه ابن داود . ضُربَ بمدينة أرزنجان ٦١٧ هـ» ^(٥) .

(١) ابن البيي : مختصر سلجوقنامه ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) E. de Zambaur : Manuel de Genealogie et de chronologie pour L'histoire de L'Islam Tome Premiere. P. 145,

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٧٩ ؛ وقد نقل ريو فى فهرسته ج ٢ ص ٥٣٥ عن جهان آرا ورقه ١١١ ، وهفت إقليم ورقه ١٣٩ نفس التاريخ الذى ذكره ابن الأثير .

(٤) تربيت : مقالته عن «مثنوى ومثنوى كويان» مجلة مهرشماره ٨ سال پنجم دى ماه ١٣١٦ ، ص ٧٥٩ .

(٥) تربيت : مقالته السابق ذكرها ، وقد نقل ما كتب على قطعتى النقود عن فهرست المسكوكات الإسلامية لأحمد ضيا . وقرر أن القطعتين محفوظتان بالمتحف الجمهورى باستانبول .

وواضح أن القطعتين تثبتان أن بهرامشاه قد حكم منذ عام ٥٧٠ هـ على الأقل ، وأنه ظل يحكم حتى عام ٦١٧ هـ .

ومن الجائز أن يكون بهرامشاه قد حكم حتى وفاته في عام ٦٢٢ هـ كما ذكر ابن الأثير الذي كان معاصراً له .

وقد مدح نظامي هذا الوالي ، وأطنب في مدحه ، وبناء على أساس ديني ، ليكسبه قوة ، فجعله بتوجيه من قلبه على طريقة المتصوفة . وبدأه بقوله : « رأى القلب - من ذلك المصدر الذي يوجد في الهمة - مُعطى الدرجات الذي هو ولي النعمة » ^(١) .

ثم ذكر اسمه ونسبه فقال : « الملك فخر الدين الذي تاجه الفلك ، وخاتمه كخاتم سليمان ، والذي صح انتسابه إلى داود ، فأصبح شرفه كشرف سليمان » ^(٢) وأخذ يُطنب في مدحه في قوله . « إنه مفخرة الملوك بقوته ، مشهور في الدهر بعلمه ، ملك العالم جميعه ، فهو ملك الأرمن ، وهو ملك الروم ، وهو زينة العرش ، ومُسند الخلافة ، وفاتح الروم والأبخاز ، وهو أعلم أهل الدنيا وأعدلهم ، وأكرم أبناء الجود وأكثرهم إحساناً ، وهو قوى جاوز صوت طبوله عنان السماء ، وغلبت قوته قوى الطبيعة » ^(٣) .

(١) دید آز آن مایه که در همتست پایه دخی که ولی نعمتست

(نظامی : مخزن الأسرار ص ٣٢)

(٢) شاه فلك تاج سليمان نگین مفخر آفاق ملك فخر دين

نسبت داودی او کرده چست بر شرفش نام سليمان درست

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) مفخر شاهان بتوانا ترى نامور دهر بدانا ترى

خاص کن ملک جهان بر عموم هم ملک ارمن وهم شاه روم

سلطنت اورنگ و خلافت سریر روم ستائنده و ابخاز گیر

عالم و عادل تر اهل وجود محسن و مکرم ترى ابناءى جود =

نم طلب من الوالی أن يعطيه لأنه أهل للكرم فقال : « اجعل السخاء تابعاً لك ، وأشعل شمع السكلام بمدحك ، وأرسل خلمة الرفعة ، وعطر القبول إلى نظامی ؛ وإن الشعر مهما نظم كثيراً جيلاً ، فإنه - حينما يصل إلى مائدتك - يصير نجیلاً ، لقد انهدمت الآلئ والجواهر من البحر والكنز ، فقدم أنت الآلئ من الفم والجواهر من اليد »^(۱)

وقرن الشاعر وصفه بالكرم بوصفه بشدة البطش ، فالوالی يهب من يمدحه من أمثال نظامی ، ويقضى على مَنْ يعاديه ؛ نلاحظ ذلك في قوله : « ممنوخٌ ومحترقٌ في طريقك : ممنوخٌ أنا ، ومحترقٌ عدوك ، إن فتحك مرفوع الرأس كالعلم ، وإن خصمك مكسور الرأس كالقلم »^(۲) .

نم تحدث عن بلاط الملك ، على أنه مقصد لشعراء المديح ، وأنه هو أفضلهم جميعاً فقال : « ولو أن شعراء المديح قد ولُّوا وجوههم شطر هذا البلاط ، إلا أنهم يقفون جميعاً خاشعين أمام نظامی ، فهو شخص آخر ، أما الآخرون فمن يكونون ۱۹.. فأنا قد ظفرت بهذه المنزلة عليهم ، وسبقتهم بمرحلة »^(۳) .

= كوس فلك راجرش بشكند شیشه مه رانفش بشكند
(نظامی . مخزن الأسرار ص ۳۳)

(۱) گوش سخارا أدب آموزكن شمع سخن رانفس آفروزكن
خلمت كردون بفلاى فرست بوى قبول بنظامى فرست
گرچه سخن فربه وجان پرورست چونكه بخوان تورسد لاغراست
بى كهر ولعل شداين بحر وكان گوهرش ازكف ده ولعل ازدهان
(المرجع السابق ص ۳۶)

(۲) ساخته وسوخته در راه تو ساخته من ، سوخته بدخواه تو
فتح تو سرچون علم افراخته خصم تو سرچون قلم انداخته
(نفس للمرجع والصفحة)

(۳) گرچه بدین درکه پابندگان روى نهادند ستايندگان=

و بَیِّنْ أَنَّهُ كَكُلِّ شِعْرَاءٍ الْمَدِيحُ لَهُ هَدَفٌ مِنْ وَرَاءِ مَدْحِهِ ، فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَرْتَفِعَ شَأْنُهُ ، وَيَصِيرَ مَقْرَبًا ، فَقَالَ : « سَوْفَ أَتَمَتِّعُ - بَهْمَتِي - بِالْمَنْزِلَةِ الْعَالِيَةِ ، فَأَرْتَفِعُ بِفَضْلِكَ ، وَبِفَضْلِ تَبِيعِي لَكَ ؛ إِنِّي أَتَابِعُ غِبَارَ قَدَمِكَ ، حَتَّى أَصِلَ إِلَى الرَّفْعَةِ ؛ وَإِذَا لَمْ تَوْصِلْنِي أَنْتَ فَكَيْفَ أَصِلُ ؟ ...! » ^(۳)

و هَكَذَا أَضْفَى نِظَامِي مَدَائِحَهُ عَلَى بَهْرَامِشَاهِ بِكَرَمٍ وَسَخَاءٍ ، مِمَّا يَرْجِحُ أَنَّ هَذَا الْوَالِيَّ كَانَ يَكْرُمُ الشُّعْرَاءَ ، وَيَشْجَعُهُمْ عَلَى النِّظْمِ .

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ ، فَإِنْ مَعْسُكِرَ وَلَاةِ آسِيَا الصُّغْرَى لَمْ يَكُنْ أَقْلُ اضْطِرَابًا مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمَعْسُكِرَاتِ . فَقَدْ لَاحِظْنَا أَنَّ حُكَّامَهُ - وَإِنْ سَمَا شَأْنُ بَعْضِهِمْ - كَانُوا يَتَحَارَّبُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَيَحَارِبُونَ مِنْ جَاوِرِهِمْ . وَنَدَعَ السَّلَاجِقَةَ لِنَلْقَى نَظْرَهُ عَلَى مَعْسُكِرَاتِ أَنْبَاعِهِمْ مِنْ حُكَّامِ آذَرْبَيْجَانِ .

= پیش نظامی بحساب ایستند او دگراست این دیگران کیستند؟
منکه در این منزلشان مانده ام مرحله پیش ترک راندام
(نظامی : مخزن الأسرار ص ۳۶)

(۳) اوج بلند درو می برم باشد کز همت خود برخورم
تامگر از روشنی رای تو سر نهی آنجا که بُود پای تو
کرد تو گیرم تابگرهون رسم تازسانی تو مرا چون رسم
(المرجع السابق : ص ۳۸)

الفصل الثاني

مطام أذربيجان

كانت آذر بيجان - في القرن السادس الهجري - مقسمة بين دويلات كثيرة ، مثلت كل منها دوراً مختلف باختلاف موقعها الجغرافي ، وقوة رجالها . فأزان قد استقلت تحت حكم دويلة الأتابكة التي أسسها ايلدكز في عام ٥٣١ هـ ، وظلت تحكم حتى عام ٦٢٢ هـ .

والجزء الجنوبي من آذر بيجان ، كان تحت حكم دويلة آقسنقر الأحديلي التي كانت عاصمتها مراغة .

هذا عدا دويلة حكام شروان التي بقيت مستقلة في هذا القرن أيضاً . وقد حاول نظامي - لكونه من كنججه - أن يتصل بحكام هذه الدويلات ، لقرّبهم منه ، وقد اقتضت أغلب اتصالاته على هؤلاء الحكام ، تقدّم لهم أغلب منظوماته ، مما يجعل الإلمام بمسكراتهم ضرورياً لمن يدرس هذا الشاعر .

١ - أتابكة أذربيجان :

ونبدأ بالأتابكة ، فنجد زعيمهم ايلدكز قد أصبح قوة لها خطرهما في الدولة السلجوقية ؛ رغم أنه لم يكن أكثر من تابع من أتباع هذه الدولة ، ولكن شأنه ارتفع في عهد السلطان مسعود ، حتى زوّجه أرملة أخيه طغرل ، ثم أسند إليه ولاية أران فاستقل بشؤونها^(١) . وأسّس دويلة الأتابكة في عام ٥٣١ هـ .

ويرى سيكس أن أهمية هذه الدويلة لم تتمد أن تكون محلية^(٢) . ولكن

(١) ابن الوردي : تاريخه ، ص ٨١ رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ،

واقع الحوادث يدك على أن حكماءها قد وصل نفوذهم إلى درجة التدخل في شئون سلاجقة العراق ، والسيطرة عليهم ، وتوجيههم وفق إرادتهم ، خصوصاً في الفترة التي تقع ما بين ٥٥٥ - ٥٨٧ هـ ، كما مرّ . لأن الأتابكة كانوا يُفْتَبَرُونَ ضباط السلاجقة ، الذين كانوا يتحكمون في الخليفة العباسي ، ويلزمون به بذكر أسمائهم في الخطبة .

وقد استغل الأتابكة ضعف السلاجقة في تلك الفترة ، فتدخلوا في مهام الدولة ، ووصل نفوذهم إلى درجة عزل بعض السلاطين أو قتلهم .

ولعلنا لاحظنا - فيما سبق - كيف تمكن ايلدكز من تولية ابن زوجته ، آرسلان بن طغرل ، بعد عزل سليمان شاه وسجنه ، في عام ٥٥٥ هـ . وكيف أنه أصبح ، منذ ذلك التاريخ ، الحاكم الفعلي على العراق وكرديستان وآذربيجان ، فلم يكن لآرسلان إلا الاسم ؛ تقرأ باسمه الخطبة ، وتضرب باسمه السكة .

كما لاحظنا أن نفوذ ايلدكز ظلّ قوياً ، طوال مدة حياته ، إلى أن توفي في عام ٥٦٨ هـ ، وأن ابنه شمس الدين محمد جهان پهلوان قد خلفه في النفوذ ، بل قيل إنه سمّ أخاه آرسلان ليُجْلِسَ ابنه الطفل طغرل .

وبلغت قوة جهان پهلوان درجة جعلت الحكام الآخرين يرهبون جانبه ، ويُرسَلون السفراء إلى بلاطه^(١) .

ولعل هذا هو الذي جعل نظامي يمدحه بقوله : « الملك الأعظم ، الأتابك العادل ، الذي أخذ صوت الظلم في العالم ، أبو جعفر محمد ، الذي سيصبح - مثل محمود^(٢) - فاتحاً لخراسان ، وإن لقبه شمس الدين والدنيا ، لدليل على أنه شمس خاصة وعامة »^(٣) .

(١) صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧٢ .

(٢) لعل الشاعر يقصد السلطان محمود الغزنوي ، فقد كان مضرب المثل في الشجاعة وبسطة السلطان .

(٣) ملك أعظم أتابك داور دور كه افكند أزجهان آواز جور =

وتوفى جهان پهلوان في عام ٥٨٢ هـ ، خلفه أخوه قزل أرسلان ، ورحل إلى همدان مقر السلطنة ، لتسيير دفعة الأمور^(١) . ولكن الفتن لم تلبث أن شبت في أنحاء السلطنة ، فقامت المنازعات بينه وبين ابن أخيه السلطان طغرل ، واستنجد هو بالخليفة العباسي ، الناصر لدين الله ، فأمدّه بجيش وصل إلى العاصمة قبل وصوله هو ، فاضطُرَّ إلى القتال وحده ، مما أدّى إلى هزيمته ، في عام ٥٨٣ هـ ، فرجع مدحوراً^(٢) .

ثم جَهَّز الخليفة جيشاً آخر وصل إلى همدان في عام ٥٨٤ هـ ، واستولى عليها بينما هرب طغرل . ودخل قزل أرسلان العاصمة ، ثمّ استطاع القبض على السلطان وسجنه في قلعة بأذربيجان^(٣) .

وهكذا خلا الجو لقزل أرسلان ، الذي أراد أن يجلس سنجر بن سليمان شاه ، على عرش السلطنة ، لولا أن وصلتته رسالة من الخليفة تُظهر رضاه على أن يلي هو عرش السلطنة ، فأعلن نفسه سلطاناً في عام ٥٨٧ هـ ، ولكنه لم يلبث أن وُجِدَ مقتولاً بعد وقت قصير^(٤) .

= أبو جعفر محمد كز سر جسود خراسان گیر خواهد شدجو محمود
دلیل آنکه آفتاب خاص وعام است که شمس الدین والدیناش نام است
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ١٨)

- (١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .
- (٢) صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧٧ .
- (٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨ - ١٨١ ؛ ابن الوردي : تاريخه ، ص ١٠٠ .
- (٤) اختلف فيمن قتل قزل أرسلان ، فالحسيني يقرر أنه تزوج من الخاتون ، زوجة أخيه ، جهان پهلوان ، التي لم تلبث أن كرهته لسوء أخلاقه وانصرافه عنها ، فدبرت مع ابنها قتلوغ ايناج بن پهلوان وسيلة لقتله . والبناكتي ، في القسم الرابع من تاريخه ، يتهم الاسماعيليين بقتله ، ويفهم من كلام ابن الوردي ، في تاريخه ، ص ١٠٤ ، وابن الأثير ، في الكامل ج ١١ ، ص ٣٤٦ . أنه قتل بسبب اضطهاده للشافعية ، وقلته =

وهكذا نجد أن قوة أتابكة آذر بيجان قد بلغت حداً جعلهم جديرين بتولي عرش السلطنة .

وقد ظفر قزل أرسلان هذا بنصيب وافر من مدح نظامی ، حينما قدم له منظومته الثانية « خسرو وشیرین » ، فأشار إلى عظمته وسعة نفوذه بإشارات لم تخل من المبالغة ، على طريقة الشعراء - غالباً - في المدح ، فقال : « كن رقيقاً يانسيم الصباح ، وتفضل - في الفرصة التي تختارها - فقبل الأرض بين يدي الملك ، الذي عرشه فوق الثريا ، والذي هو واهب الحياة ، وشمس الأقاليم السبعة ، والذي اعترّ به الدين والدولة . هو الملك قزل ، ملك المشرق وملجأ المغرب ؛ تاجه فوق القمر ، وهو كالشمس ، وإن يكن مقرّه في المغرب ، إلا أن سلطانه قد جاوز المشرق ، وهو يستطيع ، في سهولة ، أن يأخذ الخراج من الصين والجزيرة من الروم » ^(۱) .

وقد دعا قزل أرسلان الشاعر إليه بعد ذلك ، فرحل إليه ، واستأذن في الدخول عليه ، ووصف حضرته عن قرب ، فصوّرها في قوله : « كان الملك جالساً كالشمس المشرقة ، على عرش كهرش جمشيد ، بتاج كتاج كيقباد ، وكان محفله صورة من محافل الجنة ... وكان المكان مملوءاً بأواني الشراب المثلثة ، كما كانت أصوات

= كثيراً من مشايخهم فقد ثار في ذلك الوقت نزاع بين الشافعية والحنفية في أصفهان وقيل إن قزل أرسلان اضطهد الشافعية . أما أميرخواند فيقرر ، في الجزء الرابع من روضة الصفا ، أن أمراء بغداد هم الذين قتلوا قزل أرسلان حقداً وحسداً .

(۱) سبك باش أي نسيم صبحگاهی
 زمین را بوسه ده در بزم شاهي
 جهان بخش آفتاب هفت کشور
 که دین ودولت از او شد مظفر
 شه مشرق که مغرب را پناهست
 قزل شه که افسرش بالای ماهست
 چو مهری گرچه شد مغرب وثاقش
 گذشته از سر حد مشرق یتاقش
 نگینش گر نه دیک نقش برموم
 خراج از چین ستاند جزیه از روم
 (نظامی : خسرو وشیرین ، ص ۲۵)

الغاي والمزامير ، تجاوز - بألحانها المختلفة - عنان السماء^(١) .

وقد أطنب الشاعر في مدح هذا الوالي ، وتصوير زيارته له ، التي كانت - فيما يبدو - الزيارة الوحيدة التي ذهب فيها إلى حاكم بناء على دعوة منه ، وقد خلم عليه بسخاء جعل لسانه يلهج بشكره ، والثناء عليه .

كما أشار إلى قتله فقال : « استشهد بضربة من أحد أهل السوء ، ستكون عاقبته في الآخرة ، أوخم منها في الدنيا^(٢) » . ثم رثاه في نهاية المنظومة^(٣) .

وأخذ نفوذ الأتابكة يضعف ، بعد قزل آرسلان ، فقد خلفه أبو بكر نصره الدين ، ابن أخيه جهان پهلوان ، غير أن النزاع ثار بينه وبين أخيه قتلوغ اينانج ، فشبت الحروب بينهما في صورة لا تنقطع ، حتى روى أنها شبت أربع مرات في شهر واحد^(٤) ، ولكن أبا بكر استطاع أن ينتصر في هذه الحروب جميعها ، فافترد بالحكم ، وتواضع في أطعاه ، فاكتمى بأتابكته ؛ على أنه لم يسل من غارت الكرج ، الذين كانوا كثيرا ما يُغيرون على بلاد الإسلام من ناحية آذر بيجان .

وقد أغاروا - في عام ٥٦٠١ هـ - على البلاد ، فأكثر فيها الفساد ، وأمعنوا في النهب والسلب ، وجاسوا خلال الديار ، فلم يجرؤ أحد على وقف تيارهم الجارف^(٥) .

(١) نشسته شاه چون تابنده خورشيد بتاج كيكباد وتخت جمشيد
بهشقی بزمش ازبزم بهشقی زحوضگاهای می پرکرده کشتی
خروش ارغنون وناله چنگک رسانیده بچرخ زهره آهنگک
(نظامی : خسرو وشرین ، ص ٤٥١ - ٤٥٢)

(٢) شهادت یافت از زخم بد اندیش که پاداش آنجهان پاداش ازین بیش
(المرجع السابق ، ص ٤٥٨)

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٤) أمير يحيى قزويني : لب التواريخ (الجزء التاسع) ، خواند أمير : حبيب السير ، ص ١١٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ١٣٣ .

وفی عام ۶۰۲ هـ ، اتفق علاء الدین ، حاکم مراغه ، مع مظفر الدین کوکبری حاکم اربل ، علی مهاجۀ آذر بیجان ، وأخذها من صاحبها أبی بکر ، لاشتغاله بالشراب لیلاً ونهاراً ، وتركه النظر فی أحوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا^(۱) ، كما تابع الكرج غاراتهم ، فاضطّر أبو بکر إلی الزواج بابنة ملك الكرج لیتقی شرهم . وقد حقق هدفه بهذه الطریقه ، فكفّوا عن الإغارة والنهب والقتل^(۲) . وتمكّن أبو بکر - أيضاً - من الاستیلاء علی مراغه ، فی عام ۶۰۵ هـ ، لموت صاحبها علاء الدین ، وتولية ابنه الصغير ، الذی لم یلبث أن مات بعد قلیل^(۳) .

وقد صوّر نظامی نصره الدین أبا بکر هذا ، فی صورة البطل القوی بعید النظر فقال : « بطل العالم نصره الدین ، الذی انتصر علی أعدائه وكأنه الفلک ، عدوّه متأخر فی تفکیره ، بینما هو بعید النظر ، قوی البطش ، ربّ السیف والعرش ، تؤدّی له شعائر الملك ، ویؤدّی هو شعائر الله . ركابه كركاب رسم ، وهو زینة للعرش ، ومأمّن للبیجان »^(۴)

ثم استرسل الشاعر فی وصف قوة الأتابک ، والمقارنة بین عداوته وصداقته

(۱) ابن الأثیر : الكامل ، ج ۱۲ ، ص ۱۵۶ .

(۲) المرجع السابق ، ص ۱۶۰ .

(۳) المرجع السابق ، ص ۱۸۲ ، فصیح خوافی : مجمل فصیحی ، ص ۸۱۱ ، خواند امیر : حبیب السیر ، ص ۱۱۷ .

(۴) جهان پهلوان نصره الدین که هست بر أعدای خود چون فلک چیره دست
مخالف پس اندیش و آویش بین بداندیش کم واو بیشکین
خداوند شمشیر و تخت و کلاه سه نوبت زن و پنج نوبت پناه
رستم رکابی روان کرده رخس هم آورنگ پیرای وهم تاج بخش
(نظامی : شرفنامه ، ص ۵۸-۵۹)

فقال : « إن صدقاته صافية نقية كالماء الفرات ، أما عداوته فمفرقة مثل نهر النيل ^(۱) ، وإن ظلّه إذا سقط على الشمس كسف نورها وأخدها ، كما يحمد الماء النار ، وإنه قد فتح كل حصن هجم عليه » ^(۲) .

وصوّر كرمه في قوله : « إن الناس من كثرة ما أصابهم من إحسانه ، قد سمّوه وليّ نعمة العالم ، فهو كعيسى ، قد أحيا كثيراً من الموتى ، وأسر الناس بإحسانه وخلقته » ^(۳) .

ويبدو أن أوصاف الشاعر أكثرها شاعريّة لا يتفق مع الواقع التاريخي كثيراً ، ولعل الدافع إليها رغبته في الظفر بالعطاء ، لأن الثابت أن الأتابك لم يكن متديناً ، كما زعم الشاعر ، ولم يبلغ ما بلغه سابقوه من القوة والعظمة . ومهما يكن من شيء ، فإن قوة الأتابكة ضعفت بعد موت أبي بكر ، في عام ۶۰۷ هـ ^(۴) . فقد خلفه أخوه أوزبك وحكم حتى عام ۶۲۲ هـ ، ثم انتصر عليه جلال الدين منكبرتي ، فسقطت بذلك ، دويلة الأتابكة .

ولعلنا لاحظنا أن معسكر الأتابكة ، لم يكن - من حيث الاضطراب وكثرة

(۱) لعل الشاعر يشير إلى قصة موسى وفرعون ، فقد كانت عداوة فرعون لموسى سبباً في غرقه في نهر النيل ، وقد ورد ما يتعلق بالفرق في القرآن : سورة يونس آية ۹۰-۹۲ .

(۲) چو آب فرات آشکارا نواز چو سر چشمه نیل پنهان گداز
اگر سایه بر آفتاب آفکند در آن چشم آتش آب آفکند
بهر دایره کوزده ترکته از زبرکار خطش گره کرده باز
(نظامی : شرفنامه ، ص ۵۹ - ۶۰)

(۳) زبس نعمت و ناز لژورانده اند و لینعمت عالمش خوانده اند
چو عیسی بسی مرده رازنده کرد بخلق چنین خلق رابنده کرد
(المرجع السابق ، ص ۶۰-۶۱)

(۴) أمير مجي قزوینی : لب التواریخ (الفصل التاسع) .

الحروب - خيراً من المعسكرات المجاورة له ، فقد كانت حياة رجاله سلسلة متصلة الحلقات من الحروب والمنازعات .

٢ -- مطعم سراغة :

وإذا تركنا الأتابكة إلى جيرانهم حكام مراغة ، نجدهم ينتسبون إلى دويلة كردية أسسها أحمد بن وهسودان ، الذي يروي التاريخ أنه كان حاكماً على مراغة وما جاورها ، في عام ٥٠٥ هـ^(١) .

وقد كانت سراغة تعتبر العاصمة القديمة لأذربيجان^(٢) . كما كانت ذات موقع يهيئ لها الاشتراك في كثير من الحوادث ، التي اتخذت مكانها على مسرح الحوادث في ذلك الوقت ، إذ كانت تقع في جنوب آذربيجان ، وتعتبر القنطرة التي تفصل بين السلاجقة والأتابكة ، مما جعلها مطعم أنظار بعض سلاطين السلاجقة وأمراءهم ، فكانوا يحاولون فتحها . ولكن دويلة الأكراد ظلت قائمة في أثناء حكم السلاجقة ، رغم تلك المحاولات .

وأبرز من حاولوا فتح سراغة - في ذلك الوقت - خاص بك بن بلنكرى ؛ أحد أمراء السلطان مسعود ؛ فقد حاصرها ، في عام ٥٤١ هـ ، وحاول انتزاعها من حاكمها آقسنقر^(٣) . ثم غاود محاصرتها في عام ٥٤٥ هـ ، وتمكن من فتحها ونحطيم أسوارها ، ولكن الخصاص انتهى بالصاح بين الطرفين ، بمقتضى اتفاقية عقدت بينهما ، في قلعة روثين درث .

وفي عام ٥٤٨ هـ ، اتفق آقسنقر مع الأتابك إبلدكر ، ضد السلطان محمد ، لقتله خاص بك ، فزارا في وجهه ، وأرادا عزله ، في أثناء انشغاله بمحاصرة بغداد ، مما

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٦١ .

(٢) The Encyclopaedia of Islam : vol. 3. P. 261 .

(٣) البنداري : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢١٧ .

سبق ذكره . . و انتهى الأمر بالصلح فاقسم ايلد كز وآقسنقر آذر بيجان بينهما ^(١) .
ولكن الحرب لم تلبث أن شبت بينهما عدة مرات . ففي عام ٥٥٤ هـ ، سُر
ايلد كز ابنه الپهلوان ضد آقسنقر ، الذي استطاع أن ينتصر مستعيناً بملوك الأرمن ، ثم
ساعد اينانج حاكم الري ، ضد ايلد كز ، الذي تمكن من الانتصار وذلك في عام ٥٥٦ هـ
ولكن العداوة بينهما كانت تتلاشى ، ليحل محلها الوفاق ، إذا ما هاجمها
عدو مشترك كالكرج مثلاً ، فكانا يشتركان معاً في صده ، فقد اتحدا - في
عام ٥٥٦ هـ - في حملة ضد الكرج ^(٢) .

وقد اعترف الخليفة العباسي بشرعية آقسنقر ، في عام ٥٦٣ هـ ، فتوطد
نفوذه ، ولكن الپهلوان بن ايلد كز حاصر مراغة ، في نفس العام ، ثم لم يلبث
أن ارتد عنها ، بعد أن تم الصلح بين الطرفين ^(٣) .

وفي عام ٥٦٤ هـ ، ثار قتلولغ في مراغه ، ولكن الپهلوان انتصر عليه ،
ثم أسند مراغه إلى علاء الدين ، وركن الدين ، أخوى آقسنقر ^(٤) .

وقد رأينا كيف أن الأتابك أبا بكر حاصر مراغه في عام ٦٠٢ هـ ،
فاضطرب علاء الدين كرب ارسلان إلى تسليمها ، ثم توفي في عام ٦٠٤ هـ ،
تاركاً ابناً صغيراً ؛ فتولاه أحد خدمه ، ولكن الطفل توفي في عام ٦٠٥ هـ ،
فضم أبو بكر أملاك الأحديلية ، باستثناء روئين در ، التي حصن خادم
علاء الدين نفسه فيها ، محتفظاً بمخزائن سيده .

(١) البنداري : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٤٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ، ص ٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٤) هذا ما ذكره حمد الله مستوفى قزويني في تاريخ كزیده ، ص ٧٢ ، ولكن
ابن الأثير يذكر في الكامل ج ١١ ، ص ٢٨٠ ، أن فلك الدين بن آقسنقر هو الذي
كان حاكماً على مراغه حينما حاصرها الپهلوان وأن الصلح تم بين الطرفين على أن
تضم تبريز إلى منطقة نفوذ الأتابك .

وهذا يدل على ضعف حكام مراغة في السنوات الأخيرة من حكمهم .
ولكن نظامي ، حينما قدم منظومته « هفت پیکر » لعلاء الدين ، في عام ٨٥٣هـ ،
وصفه بالقوة وسعة النفوذ فقال : « إن علاء الدين عمدة المملكة ، وحاكم
الأرض والزمان وناصرها . هو الملك كرب أرسلان الفاتح ، وهو أحسن من
ألب أرسلان تاجاً وعرشاً . إنه الهادي لأنه شمس هذه الأرض ، ودولته خاتمة
الدول العظيمة ، وهو كرستم إلا أن حصانه الفلك ، فهو عظيم يمنح العظمة ،
وقرين للسماء في الرفة ، وللسحاب في السكرم ، جسمه كالأسد في قوته ، واسمه
أسد^(١) » .

ثم ذكر أنه من نسل آقسنقر ، فقال : « اعتز به نسل آقسنقر وبلغ أبوه
وجده - بفضل - ذروة المجد^(٢) » .

وأخذ يصفى عليه صفات الجلال والعظمة في قوله : « كل ولاية لها ملك
مثلك يحفظها الله من كل سوء ، حتى إنهم ليسمونك مُعزَّ الأقاليم السبعة ، لما
يُحْسِنونه منك ، من إسماع . . . فكل ولاية تتمنى أن تسكون ضمن حدودك
حتى تظفر بمطفك . وقد حكم منكم أربعة ملوك ، بأربعة أساليب ، وأنت
خامسهم بعمر مديد^(٣) » .

(١) عمدة مملكت علاء الدين حافظ وناصر زمان وزمين
شاء كرب أرسلان كشورگیر به زاپ أرسلان بتاج و سریر
مهدی کافتاب این مهـداست دولتش ختم آخرین عهداست
رستمی کرفلک سوارى رخش هم بزرگ است وهم بزرگی بخش
همسر آسمان وهم کف ابر هم بن شیر وهم بنام هزیر
(نظامی : هفت پیکر ، ص ٢٢)

(٢) نسل آقسنقرى مؤيد أزو أب وجد باكمال أبجد أزو
(المرجع السابق ، ص ٢٣)

(٣) هر ولايت که چون توشه دارد ايزد أزهر بدش ننگه دارد
زان سعادت که درسرت داند مقبل هفت كشورت خوانند =

نم صور عدل الوالی وحبّه للعلم فقال مخاطباً له : « أنت حرم للعدل والعلم ، فَمَنْ غيرك يضع الكرم فی موضعه ؟... إني أنا الذي عرفت هذه الحقيقة ، وأدركت أنك ترعى أهل العلم ، فلا تأبه لكلام الموهين ، ولا تقبل خدعهم ^(١) » .
وختم مديحه بالدعاء ، قائلاً للوالی : « عظمتك مقررة . ولتكن أكثر علماً وعظمة ، وأطول عمراً من الجميع ، ولتبعد يد الزوال عن حدود دولتك ، وتهجرها فی جميع الأحوال ^(٢) » .

وإن ما ذكره الشاعر ، يمكن أن يفسر ، على أنه من قبيل المبالغة التي يصطنعها الشعراء ، حينما يُضَفُّون على مدوحهم ضروب الثناء ، بحق وبغير حق ، فی سبيل الظفر بالمطاء ؛ وأغلب الظن أن ما ذكره نظامی لا يتفق مع الحقيقة التاريخية فی شيء ، وأن الدولة كانت ضعيفة فی عهد علاء الدين .

ومهما يكن من شيء ؛ فقد كان معسكر حکام مراغة متصلاً بالحوادث التي وقعت فی ذلك الوقت ، وقد تدخل فی بعضها فأثر فيها ، وتأثر بها ، مما جعله يعمج بالحروب والمنازعات .

== همه مرزی زمهرانی تو بتمنای مرزانی تو
چارشه داشتند چار طراز پنجمین توفی بعمر دراز

(نظامی : هفت پیکر ، ص ٣١)

(١) جز تو کز ودانشت حرمیست کیست کورا بجای خود کرمیست
من که الحق شناختم بقیاس کاهل فرهنگرا تو داری پاس
نخري زرق کیمیا سازان نپذیزی فریب طناسازان

(نظامی : هفت پیکر ، ص ٣٢)

(٢) بیشیت هست بیش دانی باد وزهمه بیش زندگانی باد
أزحد دولت تودست زوال دور ومهجور باد درهمه حال

(المرجع السابق : ص ٣٥)

٣ - مظلم شروان :

أما المعسكر الثالث من معسكرات آذر بيجان ، فهو معسكر حكام شروان . وقد كانت شروان - بحكم موقعها الجغرافي - تعتبر القنطرة التي يعبر عليها السكج في هجراتهم على آذر بيجان ، أو الأتابكة لمحاربتهم وصد غاراتهم ، مما جعلها موضع حرب ، وجعل حملات حكامها دفاعية ، في أغلب الأوقات ^(١) .

ويبدو أن حكام شروان كانوا ضعافاً ، فلم يشتركوا اشتراكاً جدياً في توجيه سير الحوادث ، في القرن السادس الهجري ، وليس أدلّ على ضعفهم من أن تقوّم كانت تحمل اسم الخليفة العباسي ، كما كانت تحمل اسم السلطان السلاجوقي ^(٢) . ولم يعتمد اتصال الخليفة العباسي بهم أن يكون اسمياً ، أما اتصال سلاطين السلاجقة فكان فعلياً . فقد فرض السلطان ملكشاه ضريبة سنوية عليهم ، كما سجن السلطان محمود حاكم شروان ^(٣) ، في عام ٥١٧ هـ ، مما يرجع ضعف حكام شروان أمام السلاجقة .

وقد وصل مجد شروان إلى القمة في عصر منوچهر الثاني ، من عام ٥٣٠ هـ إلى ٥٤٤ هـ ^(٤) ، ثم أعقبه ابنه أخستّان ^(٥) ، في عام ٥٤٤ هـ ، وهو الذي يهمنّا في

(١) Hadi Hassan : Falaki -i- Shirwani, His times, life and works, P.2.

(٢) Ibid : P. 2.

(٣) Ibid : P. 2.

(٤) Ibid : P. 2.

(٥) اختلف في اسم هذا الحاكم فهو يذكر في بعض مخطوطات ديوان خاقاني المختلفة وبعض مخطوطات خمسة نظامي على أنه أخستّان ، وأخستّان ، وأخستّان ، وقد حقق هادي حسن في كتابه فلكي الشرواني (السابق ذكره) ، ص ٢٦ و ٢٧ ، اسم هذا الوالي وضبطه على أنه أخستّان . لأن الكلمة ترد في أشعار خاقاني على وزن فاعلن أي أخستّان . وبذلك رد قراءة براون في كتابه :

الفترة التي ندرسها، لأنه الحاكم الذي قدّم نظامى له منظومته « ليلى ومجنون » .
وقد تمتع هذا الوالى بحكم طويل ، كما يظهر من النقود التي حفظت لنا ، منذ
عهد ، وهي تتكون من أربع قطع مكتوب عليها ، بحسب ترتيبها الزمني ، مايلي ^(١) :

١ - المستنجد بالله السلطان أرسل شاه (كذا) لا إله إلا الله (على وجهها)
الملك العظيم اخستان بن منوچهر ^(٢) (على ظهرها) .

٢ - المستضىء بأمر الله ا (كذا) السلطان ا (كذا) طغريل (على وجهها)
الملك العظيم اخستان بن منوچهر ^(٣) (على ظهرها)

٣ - الناصر الدين الله (كذا) السلطان أعظم طغريل (كذا) (على

A Literary History of Persia, vol. II P. 394

وقراءة دورن في . Beitrage zur Geschichte des Kausasichen Landen .
und Volker, aus Morgenlandischen quellen -1-
Versucheiner Geschichte der Shirwanshahe, P. 331.

وقراءه خانيقوف في . Melanges Asiatiques, III p. 119.

وزمباور في : Manuel de Genèalogue et de Chronologie p. 182
على أنه أخستآن .

كما لاحظ أن بروسية في كتابه . Histoire de la Georgie p. 397.

قد ذكر الاسم على أنه اغزار ثان Aghzarthan وهو قريب في نطقها من أخستآن

(١) نقل هادىء حسن في كتابه فلسكى الشروانى ، ص ٢٩-٣٠ ما كتب على

قطع النقود عن فهرست ماركوف Markow's Catalogue

(٢) يبدو أن هذه القطعة قد ضربت في الفترة التي تقع بين ٥٥٦٦ و ٥٥٥٥ ، فقد
كتب عليها اسما المستنجد بالله العباسى وأرسلانشاه السلجوقى ، وقد ولى أرسلانشاه
عرش السلطنة في عام ٥٥٥٥ ، بينما توفى المستنجد بالله في عام ٥٥٦٦ .

(٣) يبدو أن هذه القطعة قد ضربت في الفترة التي تقع بين ٥٧١ و ٥٧٥ ، لأن
طغرل ولى العرش في عام ٥٧١ ، بينما توفى المستضىء بالله في عام ٥٧٥ .

(وجهها) الله ، محمد رسول ، الملك المعظم اخستان بن منوچهر^(١) (على ظهرها)
 ٤ - لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الناصر الدين الله (كذا) أمير المؤمنين
 (على وجهها) الله ، محمد رسول ، الملك المعظم اخستان بن منوچهر شير وانشاه^(٢)
 (على ظهرها) .

وهكذا نجد اخستان يدين بالولاء للخلافة العباسية ، وللدولة سلاجقة العراق
 إلى وقت سقوطها ، في عام ٥٩٠ هـ .

وضبط تاريخ وفاة هذا الحاكم قد يساعدنا - إلى حد كبير - في فهم وإثبات
 بعض الحقائق المتعلقة بنظامي ، وخاقاني ، شاعره الذي توفر على مدحه .

والشيء الذي لاشك فيه ، هو أن اخستان كان حياً في عام ٥٨٣ هـ ، كما يدل
 على ذلك ، النقش الذي اكتشفه خانيقوف^(٣) . وهو بالفارسية ونصه ، كالتالي :
 « عالم ملك الإسلام شروانشاه اخستان بن منوچهر در بتسارنج (كذا) سنة
 ثلاث وثمانين وخمماية هجرية^(٤) » .

وقد كان حياً في عام ٥٩٠ هـ ، كما اتضح مما كتب على قطعة النقود الرابعة
 كما مرّ .

والملاحظ أنه لم ترد ، في ديوان خاقاني ، أية إشارة إلى وفاة اخستان ، مما
 يُرجّح أنه تُوِّقِيَ بعد الشاعر . فاعلم من المفيد أن نعرف تاريخ وفاة خاقاني ،
 لأن ذلك يساعدنا في ضبط تاريخ وفاة ممدوحه .

(١) من المرجح أن هذه القطعة قد ضربت بين ٥٧٥ و ٥٩٠ هـ . لأن الناصر
 لدين الله ولى الخلافة في عام ٥٧٥ هـ ، بينما قتل طغرل في عام ٥٩٠ هـ .

(٢) لم يذكر ، في هذه القطعة ، اسم السلطان طغرل السلجوقي واكتفى بذكر
 اسم الخليفة الناصر لدين الله ، مما يرجح أنها ضربت بعد عام ٥٩٠ هـ ، أي بعد قتل
 طغرل وانقراض دولة سلاجقة العراق .

(٣) اكتشف خانيقوف هذا النقش في قرية بزادنان في شبه جزيرة باكو .

(٤) H. Hassan : Falaki -i- Shirwani, p. 13, from Khanikow

Melanges Asiatiques, III p. 119.

واسكن تاريخ وفاة خاقانى ليس متفقاً عليه بين الباحثين ، وإن كان من المرجح ، أنه توفي بعد عام ٥٩٢ هـ ، لأن عطا ملك الجوينى قد ذكر فى تاريخه^(١) أن السلطان تكش خوارزمشاه توجه ، فى عام ٥٩٢ هـ إلى العراق ، ثم سار إلى إصفهان ، وأن خاقانى قال قصيدة فى مدحه ، منها قوله : « البشرى لأن خوارزمشاه قد استولى على ملك إصفهان وملك العراقين ، كما استولى على ملك خراسان ، وقد جاوز نفوذه الأفلاك ، وسخر حد سيفه ملك سليمان^(٢) » .

وقد ذكر اللودى ، أن خاقانى توفي فى عام ٥٩٥ هـ ،^(٣) وهو تاريخ يمكن أن نقبله ، لأنه يتماشى مع ماسبقه ، وهو - إن صح - يرجح أن اخستان قد توفي بعد عام ٥٩٥ هـ ، كما يرجح - أيضاً - أن نظامى قد توفي بعد هذا التاريخ ، فقد ورد فى شعره رثاء للخاقانى .

وهناك نقش آخر^(٤) بالربية نصه كالآتى : « أمر بنا هذا (كذا) القلعة فى أيام الملك المعظم العادل المؤيد المظفر المنصور . . . فرُخ الدنيا والدين . فرُخ زاد بن منوچهر ناصر أمير المؤمنين الموقر . . . للدولة والدين . . . إسحاق ابن كاكا . . . لى أدام الله تأييده تاريخ سنة ستماية المرداد^(٥) ماه » . وهو يدل على أن فرخزاد بن منوچهر الثانى ، وأخا أخستان ، كان حاكماً فى عام ٦٠٠ هـ .

(١) عطا ملك الجوينى : جهان گشا ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) هذه ترجمة البيهقى اللذين نقلهما الجوينى وهما قول خاقانى :

مزدك كه خوارزمشاه ملك سپاهان گرفت ملك عراقين همچو خراسان گرفت ماهجه چتر او قلعه كردون گشود مورچه تبغ او ملك سليمان گرفت (٣) أمير شیر علی خان لودی : مرآة الحیال ، ص ٣٠ .

(٤) اكتشف خانيقوف هذا النقش أيضاً ، فى قرية ماردكان فى شبه جزيرة باكو

(٥) H. hassan : Falaki -i- Shirwani, p. 32, from Khanikow

Melanges Asiatiques, III p. 119.

وقد أشار نظامى إلى ابن أخستان على أنه كان ولياً للعهد^(١) . وعلى هذا لا ندرى ، ما إذا كان هذا الابن قد ولى العرش ، فى الفترة ما بين ٥٩٥ - ٦٠٠ هـ ، أم لا ؟ ولو عرفنا هذا لأمكننا ضبط تاريخ وفاة أخستان ، الذى يرجح أنه توفى بين ٥٩٥ و ٦٠٠ هـ .

أما معلوماتنا عن العلاقات السياسية بين أخستان والأتابكة ، فهى لا تعتمدى ماذكره الراوندى ، من أن السلطان مسعود قد أرسل إبلدكز مع طائفة من الجيش صوب أران ، فتمكن - فى مدة وجيزة - من الاستيلاء على أران ، وكفجه ، وشروان ، وباكو^(٢) . ويبدو أن هذا قد حدث قبل عام ٥٤٧ هـ ، الذى توفى فيه السلطان مسعود .

وليس عندنا بعد ذلك ، ما يدل على أن إبلدكز ، قد حارب أخستان أو استولى على جزء من ممتلكاته .

ولعلنا نرى بعد هذه النظرة السريعة ، أن حكام شروان لم يلعبوا دوراً كبيراً فى توجيه الحوادث فى القرن السادس الهجرى ، وأن الحوادث هى التى أثّرت فيهم - بحكم موقع شروان الجغرافى - وإن لم يكونوا هم قد أثروا فيها إلى حد كبير .

أما نظامى فقد ذكر أخستان ومدحه ، فصوّره فى صورة الملك القوى ، والبطل العظيم فقال : « إنه قائد جيش الملوك ، ومقدم السلاطين ، ملك العالم الأوحده ، صاحب العرش ، ورب البياض والسواد ، ذو الجلال والقدرة ، أى جلال

(١) نظامى : لىلى ومجنون ، ص ٣٨ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٥١٢ . وقد ورد ما يشبه هذا فى نص نقله هادى حسن فى كتابه فلسكى الشروانى ، ص ٣٥ . عن نسخة خطية من كتاب أحسن التواريخ ، يفيد أن إبلدكز قد استولى على كل من كنجه وشروان .

الدولة والدين ، وهو أبو المظفر أعظم الملوك ، وزينة ملك الأقاليم السبعة ^(١) .
ثم بين عراقة أصله في قوله : « إنه من نسل بهرام ، فهو مشرق الوجه ،
وهو ابن منوچهر العظيم ، وإن الملك متوارث في هذه للطائفة منذ القدم ، فهم
يتوارثون العرش كابراً عن كابر ، منذ عهد آدم ^(٢) » .

وطيبي أن هذا الكلام من مبالغات الشعراء ، فهو لا يتفق مع التاريخ
الذي يثبت أن أخستان لم يكن عظيماً تلك العظمة التي صوّرها الشاعر .

والمهم أن هذا المسكر لم يكن - رغم ضعفه - هادئاً ، بل كان مسرحاً
لكثير من الحروب والمنازعات ، شأنه في ذلك شأن غيره من المعسكرات التي
ألفها بها .

ونختم حديثنا عن الناحية السياسية - في ذلك العصر - بعرض معسكرين
كانت لهما - إلى جانب صبغتهما السياسية - صبغة دينية ، وهما : المعسكر السنّي
ممثلاً في العباسيين في بغداد ، والمعسكر الشيعي ممثلاً في الاسماعيليين في إيران ،
لنرى صلتها بسير الحوادث .

(١) سرخيل سپاه تاجداران سر جملة جملة شهر ياران
خاقان جهان معظم مطاق ملك الملوك عالم
دارنده تخت پادشاهی دارای سپیدی و سیاهی
صاحب جهت جلال و تمکین یعنی که جلال دولت و دین
تاج ماسکان أبو المظفر زینده ملک هفت کشور
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ٣٠)

(٢) بهرام نثراد و مشتری چهر در صدف ملک منو چهر
زین طائفه تابدور اول شاهیش به نسل در مسلسل
نطفه اش که رسیده گاه برگاه تا آدم هست شاه بر شاه
(نفس المرجع والصفحة)

الفصل الثالث

المعسكرات النسي والسبعي

١ — العباسيون في بغداد:

إذا ألقينا نظرة على معسكر العباسيين — في القرن السادس الهجري — نجده ضعيف الشأن ، مختل الأوضاع ، فقد طغى فيه نفوذ الوزراء ، والأمراء ، وحكام الدول ، التي طفت على سطح الخلافة العباسية .

وكان نفوذ السلاجقة قوياً نافذاً ، فقد كان ظهورهم فترة متميزة في التاريخ الإسلامي ، إذ أنه أدى إلى تلاشي هيبة الخلافة^(١) ، بحيث أصبح الخليفة صورة جوفاء ، وألعوبة في أيدي الولاة ، وصار لا يملك حرية التصرف حتى في شئونه الخاصة ، وظل وضع الخلفاء على هذا النحو من الضعف ، إلى أن زالت الدولة العباسية على يد المغول .

وكثيراً ما كان النزاع يَشُبُّ بين الخلفاء وسلاطين السلاجقة ، ويؤدي إلى قيام حروب بين الطرفين . ففي عام ٥٢٩ هـ ، شبت نيران الحرب بين المسترشد بالله العباسي ، والسلطان مسعود السلجوقي ، وانتهت بهزيمة الخليفة وأسرته ، وبقائه حبساً في مراغة ، إلى أن هجم عليه جماعة من الاسماعيليين قتلوه ومثلوا به^(٢) . وبويع ابنه الراشد بالخلافة ، فتوجه مسعود إلى بغداد ، حيث تجدد النزاع بين مسعود والراشد ، وسواء أكان سبب النزاع مطالبة مسعود للراشد بضريبة

(١) Lane-Poole : Mohammadan Dynasties, p. 139.

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٥٦ — ٣٥٧ ، البنداري : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ١٧٤ — ١٧٨ ، مجمل القصص والتواريخ (مجهول المؤلف) ص ٤٥٣ — ٤٥٤ ، حمد الله مستوفى قزويني : تاريخ كزنده ، ص ٤٦٥ .
٤ — نظام

كبيرة^(١) ، أم رغبة الراشد فى الأخذ بثأر أبيه^(٢) ، فإن الحرب قامت فعلاً بين الطرفين ، وحاصر مسعود بغداد خمسين يوماً ، بينما أمر الخليفة بحذف اسم السلطان السلجوقى من الخطبة ، ولكن الدائرة دارت عليه فى النهاية ، فاضطر إلى الفرار إلى الموصل ثم هرب منها إلى مراغة ، ودخل مسعود بغداد ، وعين المقتنى خليفةً ، وأصبحت فى يده كل أمور الدولة . ثم توجه - بعد ذلك - لقتال الخليفة ، فهزمه فى مراغة ، ولكن الخليفة هرب إلى اصفهان ، حيث قتله الاسماعيليون^(٣) .

وهكذا نرى كيف تدخل السلاجقة فى شئون الدولة العباسية وسيطروا على خلفائها ، وكيف سعى المسترشد والراشد إلى حتفهما ، حينما ناصبا السلطان السلجوقى العدا .

وقد ظل مسعود صاحب الحكمة العليا ، إلى أن توفى ، فى عام ٥٤٧ هـ ، فاتهمز الخليفة المقتنى فرصة وفاته ليتنافس الصعداء ، وحاول أن يستعيد استقلاله المألوف ، ولكن الحرب لم تلبث أن قامت بينه وبين السلطان محمد فى عام ٥٥١ هـ ، فقد رفض المقتنى ذكر اسم محمد فى الخطبة ، فتقدم إلى بغداد وحاصرها ، ولكن أهلها استماتوا فى الدفاع عنها ، كما ثارت الاضطرابات فى آذربيجان ، فاضطر محمد إلى رفع الحصار - كما مر - وبذلك زال الخطر السلجوقى عن بغداد ، واتصر الخليفة العباسى ، وكان أول من حكم مستقلاً عن سيطرة سلاطين السلاجقة منذ عهد المنتصر^(٤) .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ، ص ١٧ ، الجنبى : تاريخه (الباب الثامن عشر) .

(٢) صدر الدين الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٠٨ ، ابن النظام الحسينى : العراصة ، ص ١١٩-١٢١ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٣) المراجع السابقة ، ونفس الصفحات المذكورة .

(٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٦٣ .

غير أن روح الغدر لم تلبث أن سيطرت على أبناء المقتدى ، فلم يكده يشرف على الموت - في عام ٥٥٥ هـ - ويعين ابنه المستنجد خليفة له ، حتى ادعى ابنه الأصغر أبو علي الخلافة ، فانقسم الناس قسمين ، وثار الاضطرابات في بغداد ، وحينئذ دبرت والدته «أبي» على هذا مكيدة لقتل المستنجد ، ولكنه علم بما دبر له في الخفاء ، فاحتاط للأمر ، ففشلت الحيلة ، وسجن أبا علي وأمه ، وتولى الخلافة أحد عشر هاما^(١) .

كما سيطرت روح الغدر على الأمراء وكبار رجال الدولة ، فقد حدثنا التاريخ أنه بعد موت المستنجد في عام ٥٦٦ هـ ، خلفه ابنه المستضيء بالله . ولكن أمير أمرائه قطب الدين قياز اغتصب السلطة منه ، وتصرف في كافة أمور الدولة ، ثم أراد - في عام ٥٧٠ هـ - القبض على الوزير رشيد الدين العطار ، الذي لجأ إلى الخليفة ، وحينئذ أمر قياز بنهب بيت الوزير ، بل ذهب به اعتداده بسلطته إلى السير - على رأس العامة - إلى قصر الخليفة محاولاً القبض على العطار ، وسمع الخليفة صياح العامة فأطل عليهم وصاح فيهم : «أيها الناس : لقد تجاوز قياز حده ، فأمواله - الآن - لكم ، ودمه لنا» فلما سمع العامة كلام الخليفة هاجوا ، وتحولوا إلى بيت قياز ، الذي فرّ إلى الموصل ، ليتجنب غضبهم ، ولكنه هلك في الطريق من شدة الحرارة والمعش^(٢) .

وقد توفي المستضيء بالله في عام ٥٧٥ هـ ، خلفه ابنه الناصر لدين الله ، غير أن الاضطرابات كثرت وانتشرت في الممالك الإسلامية ، فكانت الحروب لانحمد حتى تشمل بين أفراد البيت السلجوقي ، وبين السلاجقة والأتابكة ، وبين الأتابكة والكرج ، وبين السلاجقة وملوك خوارزم - كما مر - وكان الخليفة الناصر يشترك في بعضها أحياناً ، فيؤيد خصماً على خصم ، فقد رأينا كيف أيد

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٢) خواند أمير : دستور الوزراء ، ص ٩٤ - ٩٥ .

قرل أرسلان ضد السلطان السلجوقي ، ومكّنه من الانتصار عليه ، وقد امتدت خلافته إلى أن شهدت سقوط الأتابكة ، وبدء هجوم المغول ، فإن النقود التي حفظت لنا عن عصره تدل على أنه كان حياً إلى عام ٦٢١ هـ ^(١) ، ويكاد يكون من الثابت أنه توفي في عام ٦٢٢ هـ ^(٢).

وهكذا نرى أن معسكر العباسيين السني كان مزعزعا مضطربا ، لأن الخلفاء كانوا يمثلون - في أغلب الأحيان - دوراً ثانوياً في توجيه الحوادث في القرن السادس الهجري ، ولكنهم كانوا قوة روحية ، لها أثرها في حياة الناس ، فقد كانوا سنيين ، تلتف حولهم قلوب أهل السنة ، في جميع أقطار العالم الإسلامي ، ويحاول الولاة أن يحصلوا على تفويض منهم بالخلافة ، فكانت شخصيتهم الروحية أقوى بكثير جداً من شخصيتهم السياسية .

وقد كان نظامي سنّياً ، فن الطبيعي أن يُشيد بأهل السنة ، وأن يتعلق قلبه بالعباسيين ، وأن يكثر - في منظوماته - من ذكر أئمة أهل السنة والإشادة بفضلهم ^(٣) .

٢ - اسماعيلية في إيران :

وإذا تركنا المعسكر السني ، إلى المعسكر المناهض له من الناحية المذهبية ، فإننا نجد - في إيران - ممثلاً في الاسماعيليين الذين كانوا - في ذلك الوقت - في أوج قوتهم ونشاطهم ، وكانوا يلعبون دوراً خطيراً ، أثر في حياة الناس تأثيراً ملحوظاً .

(١) Lane-Poole : Catalogue of Arabie Coins at Cairo, p. 104.

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٧٦ ، حافظ أبو زبدة التواريخ ،

ص ٢٢٢ ب ، ابن الوردي : تاريخه ، ص ١٧٤ .

(٣) سأحدث عن هذا شيء من التفصيل فيما بعد ، في أثناء الحديث عن مذهب

نظامي الديني .

وقد أخذت قوة الاسماعيليين تظهر وتزداد في عصر ملكشاه السلجوقي ،
 ثم تمكن زعيمهم حسن الصباح ، من الاستيلاء على قلعة الموت - في عام ٥٤٨٣ -
 وجعلها مقراً لطائفته ، وانضم كثير من الناس إليهم ، فقويت بذلك شوكتهم ،
 ولم يلبثوا أن تمكنوا من فتح كثير من قلاع خراسان ، كما فتحوا أكثر قلاع
 قهستان ، فأصبحوا معسكراً قوياً يُحْشَى خطره ، ويستطيع أن يوجّه سير الحوادث ،
 خصوصاً في القرن السادس الهجري .

وقد وصل الاسماعيليون نسبهم بحمفر الصادق ، الامام السادس من أئمة
 الشيعة ، غير أنهم - فيما يبدو - تَصَرَّفُوا في العقيدة ، فزادوا ونقصوا في أحكام
 الإسلام ، حتى أبطلوها جميعاً ^(١) ، مما جعل خصومهم يسمونهم الملاحدة لما أحدثوه
 في أصول الدين من تحوير غيرّها بل ألغائها ^(٢) .

وقد اعتبر الاسماعيليون كل من يقف في سبيل نشر مذهبهم كافراً يجب
 قتله ، فسفكوا - لذلك - كثيراً من الدماء ، وتَسَبَّبُوا في قتل عدد غير قليل من
 الخلفاء والقضاة والوزراء ، وحاولوا قتل كل من يخالفهم في الرأي ، حتى أحدثوا
 الرعب في قلوب الناس ، وكانوا مصدر قلق فكري لهم .

ومهما يكن من شيء ، فقد تظاهر حسن الصباح - في أول أمره - بالورع
 والتقوى والتمسك بمبادئ الدين ، وحاول أن يستفيد من المنازعات التي سادت
 بين أفراد البيت السلجوقي ، في توطيد دعائم معسكره حتى صار قوياً مرهوب
 الجانب ، ثم أخذ ينفذ آراءه في إبادة سفك دماء المخالفين ، والاستيلاء على
 أموالهم ، بعد وفاة ملكشاه ، فزاد نشاط الاسماعيلية في عهد بركيارق ، وعمد ،

(١) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٩ ، البيضاوى : نظام التواريخ ، ص ٨٣ ، السكريم
 الأفرائى : مسامرة الأخيار ، ص ٤٧ - ٤٨ .

وسنجر، وكان أشد ما يكون في العصر الذي عاش فيه نظامي .

وقد جعل حسن الصباح ولاية عهده لوزيره بزرگ أمید ، الذي خلفه بعد موته في عام ٥١٨ هـ ، فعزى مبادئه ، ولم يستطع السلطان سنجر القضاء عليه ، بل إنه اضطر إلى التنازل له عن بعض حقوقه في الري ، وطبرستان ، وقزوین ، فعظمت قوته ، واتسع نفوذه ^(١) ، وهو الذي تسبب في قتل الخليفة العباسي المسترشد بالله .

وتوفي بزرگ أمید ، في عام ٥٣٢ هـ ، فخلفه ابنه محمد ، وكان مخلصاً لمثل سابقه ، فأمر بقتل عدد كبير من الحكام والأشراف قتل في عهده الخليفة الراشد ، كما قتل قاضي قهستان ، وقيل داود بن السلطان محمود الساجوق غيلة في تبريز ^(٢) .

وقتل الاسماعيليون في عهده « جوهر » حاكم الري ، فخلفه عباس ، وكان أحد مماليكه ، وقيل إنه اجتهد في قتلهم حتى أهلك عدداً كبيراً منهم ، وإنه بنى من رءوسهم مناراً أذن عليه المؤذنون ^(٣) .

وكان الاسماعيليون يفتبطلون بقتل الخلفاء والولاة ، حتى روى أنهم احتفلوا أسبوعاً بمقتل الخليفة الراشد ^(٤) .

وتوفي محمد بن بزرگ أمید في عام ٥٥٥ هـ ، فخلفه ابنه الحسن الذي كان أعلى مرتبة من أبيه في التعصب ، فأول أحكام الإسلام وأطلق للناس العنان ، يفعلون ما يشاءون ، وصنف كتباً كثيرة تتعلق بمذهبهم ، كانت مملوءة بالخرافات ، والألفاظ المعسولة ، وادعى أنه كان لا ينطق عن الهوى ، وإنما هو وحى يوحى إليه ،

(١) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٥ .

(٢) البندارى : مختصر تواريخ آل ساجوق ، ص ١٩٥ ، صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١١٤ .

(٣) البندارى : مختصر تواريخ آل ساجوق ، ص ١٩٢ .

(٤) Darab : Makhzanol Asrar , p. 85.

فراق قوله فى أعين العامة ، واستطاع أن ينشر مبادئه بينهم ، فادعى أن التكليف الشرعية قد رُفِعت عن الناس . فرفع عنهم الصوم ، وأباح لهم الخمر لأنها كالماء لا ضرر من شربها ، كما أباح لهم الزنا ، مادام برضا طرفين يسود بينهما الحب . وقد انتشرت هذه التعاليم فى سيستان ، وقهستان ، قوى أسر الاسماعيليين فى عهده إلى أن توفى فى عام ٥٦١ هـ ^(١) ، خلفه ابنه محمد الذى لم يكتف بتعاليم والده ، بل أسبغ على نفسه صفات الألوهية ، فكان إذا أرسل إلى ملك رسالة تحدث عن نفسه بقوله : « الخالق الرحمن القادر » ^(٢) . وأرسل رسله إلى كل مكان فى العالم الإسلامى لقتل الحكام والأشراف ، الذين وقفوا حجرة عثرة فى سبيل نشر المبادئ الاسماعيلية ^(٣) ، فقتل الكثير .

وقد ساعده على تنفيذ سياسته ضعف الدولتين العباسية والسلجوقية ، وطول مدة حكمه الذى امتد إلى عام ٦٠٧ هـ ، وقيل إن ابنه كان مخالفاً لأرائه وتعاليمه الدينية ، فدمس له السم ليتخلص منه ^(٤) .

وقد اتهم الاسماعيليون فى عهده بقتل قزل أرسلان أتابك آذر بيجان ^(٥) ، كما قتلوا مسعود بن على وزير خوارزمشاه ، فى عام ٥٩٦ هـ ^(٦) .

وهكذا نلاحظ أن نشاط هذه الطائفة قد ازدادت خطورته فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى .

وتعتبر هذه الفترة أمم فترة فى حياة نظامى ، فقد نظم فى خلالها جميع منظوماته ، واتصل بكثير من الحوادث عن قرب ، ولاشك أنهم كانوا مصدر فزع ورجب

(١) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٦—٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٥) حمد الله مستوفى قزوینی : تاریخ گزیده ، ص ٤٧٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ١٠٤ ، ابن الوردى : تاريخه ج ٢ ، ص ٧٩ .

له ولغيره من السنين ، وربما أثر هذا الرعب في تصرفاته ، وقد ظهر كرهه لهم حينما حذر بهرا مشاء حاكم أرزنجان ، منهم ، فقال : « إن راية اسحق عالية بفضلها ، وعدوه - إن وُجد - اسماعيلي » ^(١) .

وقد انهار معسكر الاسماعيليين على يد هولاء كوكو القولى ، الذى أمر بتحطيم جميع قلاعهم - وخصوصا الموت وميمون در - كما أمر باستئصال شأقتهم ^(٢) . وكان ذلك فى عام ٦٥٤ هـ ، كما ضبطه الكريم الأقسراى بيتين ، ترجمتهما : « لما أصبحت سنة العرب أربعا وخمسين وستائة - قام خورشاه ملك الاسماعيليين ، من على عرشه ، فى فجر يوم الأحد الموافق غرة ذى القعدة ، ووقف ذليلاً بين يدي هولاء كوكو » ^(٣) .

ومهما يكن من شئ فإن معسكر الاسماعيليين كان يُشيع الرعب ، ويساعد على الاضطراب .

ولعلنا أدركنا بعد استعراض مختلف المعسكرات ، التى تتصل بموضوع دراستنا أن الأحوال السياسية فى عصر نظامى كانت قلقة غير مستقرة ، تبعث على الخوف والتشتت وبلبلة الأفكار ، مما جعل حياة الناس مضطربة مهددة ؛ فأشاع فيهم النفاق ، وحُبب بعضهم فى العزلة والانزواء .

ونكتفى بهذا القدر ، فى الناحية السياسية ، لنعرض للنواحي الأخرى من اجتماعية ، وفنية ، ودينية ، ونرى مبلغ تأثيرها بالأحوال السائدة فى ذلك العصر .

(١) هذه ترجمة قوله نظامى فى مخزن الأسرار ، ص ٣٣ :

رايت اسحق أزوعا ليست ضدش اكرهست مماعيليت

(٢) الهبانسكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٨ - ٢٣١ .

(٣) ذكر الكريم الأقسراى هذين البيتين فى مسامرة الأخيار ، ص ٤٧-٤٨ وما :

سال عرب چوششصد و پنجاچار سال يكشنبه بود غره ذى قمده بامداد

خورشاه پادشاه مماعيليان زتخت برخاست پيش تخت هولاء كوكو بايستاد

الفصل الرابع

النظام الاجتماعي والفني والديني في عصر نظامي

١ — النظام الاجتماعي :

امتاز القرن السادس الهجري بكثرة ما حدث فيه من التغيرات ، نتيجة لقيام بعض الدول وسقوط البعض الآخر ، وقد رأينا كيف اشتد أوار الحروب بين هذه الدول ، بلا انقطاع تقريباً . وطبيعي أن هذه الحالة كانت لها آثارها في حياة الناس الاجتماعية ، فقد جعلتها متقلبة غير مستقرة .

كما كانت لسيطرة العنصر السلجوقي ، على إيران والعراق وما جاورها من الأقطار الإسلامية ، آثار واضحة في الحياة الاجتماعية ، فقد كان السلاجقة عنصراً جديداً ، يخالف السامانيين في أنهم لم يألفوا حياة المدن والاستقرار من قبل^(١) . وكان سلاطين السلاجقة الأولين غير مثقفين ، مما جعلهم في احتياج إلى كثير من الموظفين ليستعملوهم في المهام المختلفة^(٢) ، فبرزت بذلك طبقة الموظفين وازداد نفوذ بعض أفرادها تبعاً لأهمية مناصبهم ، أو لصلتهم بالسلطان السلجوقي . وكانت علاقة السلاطين بالجيوش معقدة للغاية ، فقد أدت سيطرة السلاجقة إلى وفود عدة قبائل — من عنصرهم — إلى إيران وغيرها من الممالك الإسلامية ، واضطرب السلاطين — أحياناً — إلى إعطاء أفراد هذه القبائل مرتبات مثل الجنود . ولكنها كثيراً ما كانت مصدر فتنة وقلق ، خصوصاً في الوقت الذي

(١) نظامي عروضي ممرقندي : چهار مقاله ، ص ٢٣ — ٢٤ ، بهار : سبك

شناسی ج ٢ ص ٢٤٥ — ٢٤٦

(٢) برتلس : نظامي شاعر آذربيجان العظيم ، ص ١٣ .

كان السلاطين يحرمون أفرادها من مرتباتهم^(١) ، فكانت القبائل تساعد على ازدياد الحالة سوءاً واضطراباً .

ومن الظواهر الاجتماعية الجديدة بالملاحظة - في ذلك العصر - ظهور أهمية المدن ، وازدياد تلك الأهمية بمرور الزمن ، حتى صارت لبعض المدن شخصية واضحة مستقلة لها مقوماتها ومميزاتها ، كمشروان ، وتبريز ، ومراغة ، كما ظهرت أهمية الثغور ، كآرزنجان وكنجه وما شابههما ، لأن هذه الثغور كانت تؤدي واجباً دينياً مقدساً ، هو صد أعداء الإسلام ، من الكرج والروم ، عن الديار الإسلامية مما أضفى عليها وعلى حكامها أهمية كبيرة ، وجعل ولاية الثغور موضع تقدير المسلمين ومدح الشعراء والكتّاب .

وقد تبع هذا ظهور عدة طبقات في كل مدينة ، كالعظماء ، والأشراف ، والتجار ، والعمال ، والصناع ، والفقراء ، وقد كثرت طبقة الصناع في بعض المدن ، وكانت الصناعات تتناسب مع كل مدينة .

ويبدو أن الصوفية قد وجدوا مرتعاً خصباً بين طبقات العمال والصناع والفقراء ، فنشروا تعاليمهم بينهم ، وضموا الكثيرين منهم إلى صفوفهم^(٢) . وكانت إحدى فرق الصوفية ، وهي فرقة « الأخية » ، تستعمل السلاح كوسيلة لأخذ حقها ، وإصلاح المجتمع ، مما جعلها أكثر تشبهاً مع نفسية سكان الثغور ، فانضم كثير منهم تحت لوائها^(٣) .

وطبيعي أن هذه الحالة قد جعلت طبقة الصوفية تظفر باحترام الناس والحكام ، فارتفع شأن رجالها ، وعظم تأثيرهم في حياة الناس .

(١) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ١٤ .

(٢) للرجع السابق : ص ١٥ .

(٣) سيأتى الحديث عن فرقة الأخية فيما بعد لأن نظامى كان في أغلب الظن

متصلاً بهم .

وكان لانتشار تعاليم الصوفية أثر في إنماء الشعور بحب الوحدة والائتواء ، بسبب حالة القلق التي سادت حياة الناس ، لجهلهم لا يطمئنون لبعضهم البعض ، فشاع الشك وعدم الاخلاص وانعدمت المثل الأخلاقية القويمة ^(١) . وهكذا أثرت الناحية السياسية في حياة الناس الاجتماعية ، وكيفية حسب مقتضياتها .

٢ - الناحية الفنية :

وأقصد بالفن - هنا - الفن بمعناه الواسع ، الذي يشمل الأدب ، والنقش ، والتصوير ، والصناعة والمعمار ، وما شابه ذلك . والملاحظ أن الفن قد راج في ذلك العصر ، رواجاً واضحاً ؛ فقد ارتقى فن النقش ، والتصوير ، والصناعة ، والمعمار ، في العصر السلجوقي ، لأن السلاجقة كانوا يعشقون الفنون الجميلة ويرعونها ، وقد امتد تأثيرهم ، في هذه الناحية ، إلى عصر المغول ^(٢) .

وقد كان لبداءة السلاجقة أثر في رواج الفنون ، فقد شغفوا بالمباني الفخمة ، والنقوش الجميلة ، واللوحات المزخرفة ، التي كانت ترضى ذوقهم وتسد حاجتهم النفسية . ويبدو أنهم كانوا قد تعلموا - قبل فتحهم لإيران - فن الصناعة والمعمار من المغزنيين ، وكان سلاطين السلاجقة أنفسهم يحمون للفنون ويشوقون عليها ^(٣) ، فبقيت روائع الفن الإيراني منذ عهد السلاجقة ، ويعتقد كثير من العلماء أن الفن الإسلامي ، قد وصل إلى أعلى درجاته في عهدهم ، وأن الآثار الباقية ، منذ ذلك العهد ، قليلة النظير في تاريخ الفن الإيراني ^(٤) .

(١) سأتناول هذه المسألة بشيء من التفصيل في أثناء الحديث عن الناحية الدينية

(٢) كريستى ويلسن : تاريخ صنایع ایران (ترجمه فریار) ، ص ١٤٢ .

(٣) M. S. Dimand ; A Handbook of Mohammadan Art, p. 173.

(٤) كريستى ويلسن : تاريخ صنایع ایران ، ص ١٤٢ .

ولم يظل الفن حياً مقروناً بالعشق والابتكار فى داخل إيران وحدها ، بل بسطت فتوح السلاجقة أصول الفن الإيرانى إلى سواحل البحر الأبيض وشمال إفريقيا ، مما جعل آثار الفنون الإيرانية تُرى فى مصر ، وسورية ، بعد ذلك بعدة قرون^(١) .

وقد امتاز الفن عامة بميله إلى حب التفنن والتنصنع ؛ فوضحت هذه الظاهرة فى شعر نظامى ، كما أخذ كثيراً من استعاراته من الفنون الجميلة . أما الناحية الأدبية ؛ فقد ظهر فيها لون جديد من ألوان الأدب ، يمكن أن نسميه أدب المدينة .

فالملاحظ أن الآداب ، فى القرون التى سبقت ذلك العصر ، كانت تنقسم إلى قسمين :

١ - الأدب المكتوب ، أو أدب الطبقات الحاكمة .

٢ - الأدب الشفوى^(٢) ، أو أدب الشعب .

ثم ظهر نوع جديد ، هو أدب المدينة ، أنتجته ظاهرة جديدة ، هى ظهور المدينة ككيئة مستقلة لما خصائصها ، وكان هذا النوع قوياً فى القرن السادس الهجرى . وقد تنبه القدماء أنفسهم إلى هذه الظاهرة ، فقسّموا الآداب بحسب المدن ، فعوفى فى لهاب الألباب - مثلاً - قد قسم الشعراء بحسب المدن والأقاليم . فذكر نظامى ضمن شعراء قم ، وهذا هو عين ما فعله لطفلى بيك فى آنشكده .

وقد اتخذت آداب المدن صورة واضحة مميزة فى عصر نظامى ، لأن حكام المدن اجتهدوا فى جمع الشعراء والكتاب حولهم ، حتى يظفروا بمدحهم والتفنى بفضائلهم .

(١) كريستى ويلسن : تاريخ صنایع ایران ، ص ١٤٣ .

(٢) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ١٦ .

ولكن آداب المدن كانت تحت تأثير آداب البلاط ، فكان شعراء المدن وكتابتها يستعملون نفس الأسلوب - الذى يُستعمل فى مدح السلاطين - فى مدح حكام المدن ، بنفس الطريقة تقريباً ، غير أن شخصية المدينة ، وما فيها من عادات وتقاليد ، كانت تظهر فى آثارهم بين الحين والحين ^(١) .

وأكبر الظن أن الآداب السلطانية قد بقيت - فى العصر السلجوقى - دون تغيير كبير ، بينما شاعت اللغة الفارسية فى الهند وآسيا الصغرى ، ولكن السلاجقة لم يهجروا لغتهم ، بل كانوا يستعملونها فى مجالسهم الخاصة ، ومع ذلك فقد ظلت الفارسية من علامات الطبقة الحاكمة ، وظهرت أهميتها فى بلاد كانت فيها آداب قومية كهبلاد الأرمن وبلاد الكرج ، فظهرت آثارها فى تلك الآداب ^(٢) .

ويبدو أن شعر البلاط قد راج فى شروان رواجاً كبيراً ، فقد حرص حكام شروان على جمع الشعراء حولهم للإشادة بذكورهم ، حتى يشتهروا عن طريقهم ، وكان أبو العلاء الكنجوى يعتبر رئيس الشعراء الذين أحاطوا بمنو جهرتهم بآبته اخستان من بعده ^(٣) .

ولعل مما يؤسف له ، أن ديوان أبى العلاء ليس بين أيدينا ، وإنما توجد نماذج من شعره فى كتب التذكار ، ويبدو أنه كان يتمتع بمكانة عظيمة فى ذلك البلاط .

غير أن حياة شعراء البلاط لم تكن خالية من المشكلات فقد اتهم أبو العلاء بأنه أعطى معلومات عن البلاط لأعداء شروان ، وفقد بذلك عطف البلاط ، ولم يُجدِّد دفاعه عن نفسه شيئاً ، فأخذ يتحدث عن ضياع الحقيقة وانعدام الوفاء ، فى وقت كان فيه فى الخامسة والخمسين من عمره ، وهكذا يبدو أن شعراء

(١) لن أسرف فى ذكر الأمثلة والشواهد مكتفياً بما ورد فى شعر نظامى مما سيرد ذكره .

(٢) برتلىس : نظامى شاعر آذربيجان ، ص ١٦ - ١٧ .

(٣) أمين رازى : هفت إقليم ، ص ٥٢١ .

البلاط كثيراً ما كانوا يقومون بأدوار سياسية .

وقد أثّرت روح العصر في إبراز ظاهرة هجاء التلاميذ لأساتذتهم ، والوشاية بهم ، فرأينا الخاقاني تلميذ أبي الملاء يهجو أستاذه ويشي به في البلاط ، ويتهمه بأن له علاقات بالاسماعيليين ، حتى يجد لنفسه طريقاً في البلاط . وقد آل أمر الخاقاني نفسه إلى السجن فأثّر في مجرى حياته ، بعد ذلك ، تأثيراً كبيراً .^(١) كما كان فلسكى الشرواني موضع هجوم أمير الدين اخسيكتي وأديب صابر ، وانتهى أمره بالسجن أيضاً ، وقد روى أنه خرج من السجن هيكلاً عظيماً فأدّى هذا إلى مرضه وسرعة وفاته^(٢) .

ولعل ما حدث للخاباني وفلسكى الشرواني كان له أثره في نفس نظامي ، فكان كثيراً ما يشير إلى خطورة خدمة البلاط كما سيأتي .

وكان للأتابكة شعراء وكُتّاب ، ومن أهم شعرائهم مجير الدين البيلقاني ، غير أن شعره ضائع ، فلا نستطيع تقدير درجته الشعرية تقديرًا دقيقاً ، وإن كان أمير خسرو الدهلوي يُفضّله على الخاقاني ، ويعتبره أشعر منه^(٣) .

وقد كان مجير الدين يشعر بما في حياة البلاط من كذب وزيف ونفاق ، ويعتقد أن الإنسان يجب أن يكون كالعود يعطى سكرًا في حياته ، ويُسَدَّرُ نِعمًا حلواً بعد وفاته .

وكانت القصيدة هي النموذج الشعري لشعراء البلاط ويعتبر أنوري وخاباني من أبدع شعراء هذا الفن^(٤) .

(١) أمين رازی : هفت إقليم ، ص ١٥١٠ ، ب .

(٢) المرجع السابق : ص ٥١٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٢٥ ، ب ؛ ويقول محمد باقر إصفهاني في روضات الجنات ، ص ٧٨ ، إنه كان تلميذ خاقاني ونظامي .

(٤) لا أجد ضرورة للاسراف في ذكر الأمثلة ، لأنني أتناول الناحية الأدبية ، كوسيلة تساعد على فهم نظامي وشعره وتكفي معرفة الاتجاهات الأدبية بصفة عامة مختصرة ، ويعتبر شعر نظامي ، الذي سيرد الحديث عنه ، أوضح شاهد على روح عصره .

وشعر البلاط إن وصف بشيء، فإنما يوصف بأنه الشعر الذى تختفى فيه شخصية الشاعر إلى حد كبير، لتظهر شخصية المدحوح واضحة جلية .

أما الأدب كصناعة ؛ فقد امتاز بما امتاز به الفن عامة ، فى ذلك العصر ، من ميل إلى التفنن ، فالشاعر أو الفائز كان لا يكتفى بصب أفكاره فى قوالب جميلة من الألفاظ ، بل كان يحاول أن يرسم على هذه القوالب من النقوش والزخارف ما يجعل منظرها رائعاً بديعاً ، فامتلاً الأدب بالحسنات اللفظية والتشبيهات والاستعارات والسكنايات وماشابهها ، وراقت هذه الأشياء فى أعين الناس فأكثر الشعراء والسكتاب منها ، وطغت على بعض الأسماء ، فجعلت فهمها صعباً مما سأتحدث عنه ، فى أثناء الحديث عن مزايا فن نظامى .

وقد تأثرت الناحية الأدبية بالناحية الدينية ، فلعرض لهذه الناحية الأخيرة لنرى مبلغ تأثيرها فى سابقتها .

٣ — الناحية الدينية :

تأثرت الحياة الدينية ، فى القرن السادس الهجرى ، بما ساد الحياة السياسية من اضطراب وتشتت ومنازعات ، فكان من أهم ظواهرها شيوعُ التعصب والانحرافات ، وكثرة النزاع بين الفرق الإسلامية المختلفة ، وعداوة أهل العلم بعضهم لبعض الآخر ، وغلبة الجفاف على المباحث العلمية والفلسفية ، واستخدام العلم والفلسفة أداة للمجادلات المذهبية ، وجعل المباحث العلمية محدودة داخل نطاق الإحساسات المذهبية .^(١)

وكانت هذه الأوضاع سبباً فى انحراف العلم عن محوره الحقيقى ، الذى هو البحث عن حقائق الأشياء ، فشاع ضيق النظر ، وأصبحت الحكمة والفلسفة خادمتين للمجادلات أصحاب المذاهب ومفاظراتهم .

(١) قاسم غنى : تاريخ تصوف در إسلام ، ص ٤٦٤ .

وقد بدأت هذه الظواهر تتضح في القرن الخامس الهجري ، حتى ثار الفزالي - في أواخر ذلك القرن - في وجه الفلاسفة ، وأخذ في تسفيه أحلامهم وتكفيرهم في كتابه « تهافت الفلاسفة »^(١) . كما ذكر القفطي أن معاصري عمر الخيام تناولوه بالقدح في دينه ، حتى ترك نيشاپور وذهب إلى الحج ، وكان - بعد رجوعه من مكة - يخفي أسرارهم ويتظاهر برعاية ظواهر الشرع^(٢) . وعلى هذا الأساس يحسن أن نلّم بهذه الأشياء بصورة مختصرة منذ القرن الخامس الهجري ، قبل أن نعرضها في صورتها في القرن السادس ، لأن جذورها تمتد إلى ذلك القرن .

أهل من الأشياء الجديرة بالملاحظة - في القرن الخامس - رواج سوق الأشاعرة ، وكثرة الحروب بين أهل السنة والشيعة ، فقد فتح كل فريق منهم مدارس ، ورتّب مجالس للدرس . وكان هدف كل منهم رواج المذهب الذي يتبّمه ، والانتصار على أعدائه .

وقد كثرت الفرق الإسلامية ، وحاولت كل فرقة تخريب مدارس الفرقة الأخرى ، وكانت تعتبر ذلك العمل قربي إلى الله ، كما حاول كل فريق أن يسفك دماء مخالفيه ، حتى يظهر بالمشوبة من الله .

وقد اشتد النزاع المذهبي بين الشيعة ، والسنة ، والأشاعرة ، والمعتزلة ، والاسماعيلية ، كما ظهر النزاع بين مذاهب أهل السنة المختلفة ، وخصوصاً بين الشافعية ، والحنفية ، وكان النزاع بين هذه المذاهب المختلفة يتطور إلى درجة الحرب أحياناً^(٣) .

وقد ذكر ابن الأثير - في حوادث عام ٤٠٧ هـ - شيئاً عن قتل الشيعة

(١) الفزالي : تهافت الفلاسفة ، ص ٣ - ٤ .

(٢) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) قاسم غني : تاريخ تصوف در إسلام ، ص ٤٦٨ .

إفريقية ، كما أشار - في حوادث عام ٤٠٨ هـ - إلى النزاع بين أهل السنة وأهل
 محلة الكرخ الشيعة ، ثم تحدث عن النزاع بين السنة والشيعة ، وتخريب السنين
 منازل الشيعة وأبنيتهم حتى قبور كاطمين ، وذلك في حوادث عام ٤٣٣ هـ ، وذكر
 مثل هذا النزاع في حوادث عام ٤٤٤ هـ ، وقال إنه امتد إلى عام ٤٤٥ هـ . مما
 يدل على أن الاضطراب السياسى قد حالفه اضطراب دينى ، ونزاع مستمر بين
 الفرق الإسلامية ، وأصحاب المذاهب المختلفة ، وقد ساعد هذا بدوره على بلبلة
 الأفكار وتفرق المسلمين ، وغلبة موجة التعصب ، التى بلغت أقصى قوتها فى
 القرن السادس الهجرى المتصل ببعثنا .

ولكن فرقة واحدة بقيت بعيدة عن التعصب إلى حد ما ، ألا وهى فرقة
 الصوفية ، فقد كان الصوفية يمتازون بسلامة الفكر والعفة والأخلاق المحمودة ،
 كما كان أفق تفكيرهم أوسع بكثير من غيرهم من المتعصبين ، فأكسبهم هذا
 حُبَّ كثير من الناس وأخذ نفوذهم يزداد ويقوى ، وبدأ يظهر فى الأدب منذ
 القرن الخامس ، ثم ازداد حتى أصبح له نوع من الشمول فى القرن السادس ،
 واستمر بعد ذلك فى القرنين السابع والثامن ، حتى كدنا لا نجد شاعراً غير معنى
 باصطلاحات التصوف والعرفان .

ويمكن أن نحس بهذا الأثر إذ قارناً بين أدب القرن الرابع مثلاً ، وأدب
 القرون التالية ، وخصوصاً القرن السادس ، فقد كان أدب القرن الرابع خالياً من
 الصنعة والتكلف سهل الفهم ، كما كان خالياً - تقريباً - من المعانى المجازية
 والاستعارات والكنايات الإشرافية والصوفية ، ومن شطحات هؤلاء ، فى حين أنه
 امتلأ بهذه الأشياء منذ القرن الخامس ، فأبعدته عن فهم جمهور العوام ،
 وبعض الخواص ، وقد ازداد نفوذ التصوف فى الشعر ، حتى أصبحت نغمة جزء
 كبير منه مستمدة من التصوف .

وقد يبدو هذا طبيعياً ؛ لأن التصوف مذهب والشعر لسان القلب^(١) .
ومن المقرر أنه ليس للعقل والاستدلال طريق إلى فضاء العشق والشوق ،
الذى يسبح فيه خيال الصوفي ، فواضح - إذاً - أن اللغة التى تستطيع أن تترجم
عن هذا هى لغة العشق والإحساسات أى الشعر ، ويرى البعض أن صياغة
الشعر ممزوجة بالافكار الصوفية هى التى أعطته رونقاً ، وكانت سبباً فى إنتاج أجمل
الأشعار الفارسية^(٢) .

وقد كان الصوفية موضع احترام الناس والأمراء والسلاطين ، لبعدهم عن
المجادلات المذهبية . فقد روى أن السلطان محمود الغزنوى زار الشيخ أبا الحسن
الخرقانى عند توجهه إلى الرى^(٣) . كما روى أن السلطان طغرل السلجوق ذهب
لرؤية بابا طاهر العريان فى همدان^(٤) . وما ذلك إلا لأن الصوفية كانوا يصغون
تعاليمهم بالصبغة الدينية ، ويزهدون فى الدنيا ، وحطامها الزائل ، ويطعمون عن
مصاحبة الملوك والأمراء وأصحاب الجاه والسلطان ، راضين بالزهد والقناعة . كما
كانوا لا يتدخلون فى النزاع بين الفرق المختلفة مستعملين سياسة السلام مع الجميع^(٥) .
وقد اشتد النزاع بين الفرق فى القرن السادس ، وأذكت نيرانه الحروب
الصليبية ، وضعف مركز الخلافة الإسلامية ، وتشكيل حكومات شبه مستقلة ،
ونزاع أمراء الإيالات المختلفة بعضهم مع البعض الآخر ، مما أدى إلى خراب
الممالك الإسلامية فى النهاية ، وانقراض الخلافة على يد المغول فى القرن السابع
المجرى . وقد أدى كل هذا إلى انعدام المثل الأخلاقية .

(١) قاسم غنى : تاريخ تصوف در اسلام ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧٢ .

(٣) السمعاني : الأنساب (نسب الخرقانى) ، ص ١٩٥ ؛ العطار : تذكرة الأولياء ،

نعمة دوم ، ص ١٥٩ - ٢٠٠ ؛ غلام سرور : خزينة الأصفياء ، ص ٥٢٤ - ٥٢٦ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٥) قاسم غنى : تاريخ تصوف ، ص ٤٧٣ - ٤٧٥ .

وقد استفاد الصوفية من هذه الأوضاع ، فبثّوا تعاليمهم الدينية ، التي تهدف إلى تهذيب النفوس ، فأصبح الغرض من البحث العلمى - فى القرن السادس - هو الوصول إلى السعادة الأخروية ، وكان شعار المتعلم « أول العلم معرفة الجبار وآخره تفويض الأمر إليه ^(١) » .

وقد أشاع النزاع بين الفرق المتعصبَ وضيقَ النظر بصورة واضحة غالبية ، فالكتب والأشعار التي حُفِظَتْ لنا عن هذا القرن ، تدلُّ على أن كُتَّابَه وشعراء كانوا - بصفة عامة - متأثرين بما شاع فى عصرهم ، فكان النظار بالفضل مصحوباً بالغرور النفسى ، إلى غير ذلك من مظاهر ضيق النظر ، واضحاً فى آثارهم .

كما كانت لنفوذ العلوم الدينية ، وشيوع المباحث المذهبية ، ومعرفة شعراء الإيرانيين وكتّابهم باللغة العربية وآدابها ، أثرٌ واضح فى محاولة تقليد اللغة العربية ، ومحاكاة فنونها .

وقد تجلّت هذه الظاهرة فى القرن السادس أكثر مما سبقه من القرون ، فإن شعراء القرن الرابع وكُتَّابَه لم يكن لهم نفس التعمق ، الذى لاحظناه فى القرن السادس ، رغم معرفتهم التامة باللغة العربية ، وتأثرهم بالفكر العربى .

ومن خصائص هذا القرن - أيضاً - الغلو والمبالغة فى الموضوعات المذهبية ، كحمد الله والثناء عليه ، ومدح الرسول وأصحابه ، وذكر المعراج ووصف البراق . نلاحظ ذلك فى أشعار نظامى ، وخاقانى ، وجمال الدين بن عبد الرزاق ؛ ونضرب مثلاً بنظامى ، فقد استغرق ذِكرُ هذه الأشياء أكثر من ثلاثين صفحة من منظومته الأولى « مخزن الأسرار » أى مايقرب من سدسها .

كما أدّى اضطراب الأوضاع فى الممالك الإسلامية إلى تَرَلُّل الروح المعنوية ، وخوف الناس ، وتوقعهم الموت أو الأسر ، مما أدّى إلى فساد الأخلاق وانعدام

الفضائل كما ذكرنا ، فأصبحنا نجد أغلب شعراء ذلك القرن يُكثِّرون من الحديث عن انعدام المروءة ، وضياع الوفاء ، وانقلاب الأوضاع ، وإبدال الأمانة بالخيانة ، والحجة بالعداوة ، والإنسانية بالجفاء ، وتحذير العلماء ، وابتلاء الفضلاء ، ويزمّون الاختلاط ، ويدعون إلى الوحدة والانزواء .

فهذا عبد الواسع الجبلى - مثلاً - يقول : « تُسَخِّجُ الوفاء ، وانعدمت المروءة ، ولم يبق منها إلا الاسم ، كالعقواء والكيمياء ، لقد صارت الأمانة خيانة ، والذكاء سفهاً ، والصداقة عداوة ، والإنسانية جفاء ، وانمكست آداب الخلق جميعها ، بسبب هذا للعالم البخيل ، والفلك عديم الوفاء ، فكل عاقل قد امتنعن فاتحى زاوية ، وكل فاضل قد صار مبتلى بداهية ^(١) » .

وكان من علامات ضيق النظر ، اشتغال الشعراء والكتاب - غالباً - بالمسائل الشخصية التافهة ، لا بالمسائل العامة العظيمة . فعفى الشعراء بالجزئيات وشغفوا بذمّ طريقة مخالفهم ، وصرفوا أوقاتهم وتفكيرهم في الهجاء والقدح ، وراج بين الشعراء مدح النفس ، وإظهار الفضل ، والعلم ، والفرور ، والمفاخرة ، وأمثال هذه الأشياء مقرونة بالشكوى من بقاء قدر الشاعر مجهولاً ، وشغلت هذه المسائل جزءاً كبيراً من أشعار الشعراء في ذلك العصر .

فهذا نظامى يقول في الفخر : « إننى - بفضيلة المعانى - ملائك الملوك الفضل ، فقد أحاطت شهرتى بالآفاق كإحاطة السماء ؛ فصوت شعرى العالى هو ناقوس

(١) هذه ترجمة قول عبد الواسع الجبلى :

منسوخ شد مروت ومعدوم شد وفا وزهر دو نام ماندجو سيمرغ وكيما
شد راستى خيانت وشد زيركى سفه شد دوستى عداوت وشد مردمى جفا
كشته است بارگونه همه رسمهاى خلق زين عالم نهره وگردون بى وفا
هر عاقل بزاوية مانده ممتحن هر فاضلى بداهيه كشته مبتلا
(قاسم غنى : تاريخ تصوف ، ص ٤٨٧)

صیتی الرنآن، وقلی یغزو العالم وكأنه علم فاتح، وقد ضارعت عظمی عظمة الملك
کیقباد، وجاوز نفوذی عنان السماء، فأنا مؤید الکلام فی عالم الفصاحة،
ماطرق أحد غیری باب السعادة، إن مکاتباتی تُشرف ابن مقلة، ونظمی یُحیر
ابن هانی، فانظر إلی أشعاری إذا أردت أن تعرف لغة مضر، وأی عجب أن
تری حدیثاً عذباً من فصیح لسان مثلی ۱۹.. أنا - والله - فخور بهذا الفن، لأنه
لم یکن هناك نظم بهذه اللطافة، وشعر بهذه الفصاحة. فشعری كالصدف الحر،
وكالجوهر النقی؛ غیر أنی معذب - لیلاً ونهاراً - من فاسق، إنه حاسدی، وهو
غیر شریف. ولسوف یُهزَمَ وینسحب، كالنجم الیمانی^(۱).

وهذا خاقانی الشروانی یقول: «لیس الملك الکلام ملکٌ أفضل منی،
فقد سلمت الفصاحة - فی العالم - عنانها لی، فأنا روح القدس لمريم المعانی
المذراء، وأنا ملک عالم المعانی^(۲)».

(۱) هذه ترجمة قول نظامی:

ملك الملوك فضلم بفضليت معاني	ز می وزمان کرفته بمشال آسمانی
نفس بلند صوتم جرس بلند صیتی	قلم جهان نوردم علم جهان ستانی
سرهمتم رسیدہ بکلاه کیقبادی	برحشتم گذشته زپرندجوزجانی
بولایت سخن در که مؤید الکلام	زده کسی بجزمین در صاحب القرانی
بمکاتبات نغم شرف آرد ابن مقلة	ز مغالطات نظم غلط افتد ابن هانی
بلسان مضر خواهی بلسان من نظر کن	چه عجب حدیث شیرین زچنین رطب لسانی
متفاخرم بدین فن بخدا وچون نباشد	نکته بدین لطیفی سخن بدین روانی
چو صدف حلال خوارم چو گهر حلال زاده	ز حرام زاده هم شب وروز درزیانی
ولد الزنا است حاسد منم آنکه اختر من	ولد الزنا کش آمد چو ستاره یمانی

(نظامی: گنجینه گنجوی، ص ۱۷۴ - ۱۷۹)

(۲) هذه ترجمة قول خاقانی:

نیست إقليم سخن را بهتر از من پادشا در جهان هم این سخن را می مسلم شدم را
مريم بکر معانی را منم روح القدس عالم ذکر معانی را منم فرمان روا
(قاسم غنی: تاریخ تصوف، ص ۴۸۹)

كما أوجدت روح العصر شيئاً من السأم ، فالناس إلى شيء من الصلح . وكان شيوخ الصوفية ، ومن يحذو حذوهم من الشعراء ، يحاولون القيام بهذه المهمة ، لبُغْدِهم عن التمسب والجفاف ، فوُجِدَت الدعوة إلى الصلح والإصلاح بين « أهل الحال » ومذهب « العشق والمحبة » وطريقة « الصلح والصفاء » وعقيدة « وحدة الوجود » من رجال الصوفية ، وبين الشعراء كسنائي والطار من شعراء الصوفية ، وعند نظامي السكنجوي الذي كان يميل إلى مذهبهم ؛ فسكانوا دعاة إصلاح وصفاء ، وعدل ووفاء . وقد وصلت هذه الدعوة إلى أسمى درجاتها في القرن السابع الهجري بفضل جلال الدين الرومي .

وهكذا وجدنا الصوفية وأمثالهم ، عاملاً مطلقاً في ذلك الجو المُلْتَمِّ بالأحداث المختلفة والتيارات المتعارضة ، ورغم أنهم كانوا يمنحون في أبحاثهم إلى التعليقات الفلسفية ، ويتناولون المسائل المتصلة بالفلسفة وعلم النفس ، كالمباحث المتعلقة بحقيقة الله والعالم ، والمعرفة ، وعلة الخلق ، وربط الحوادث بالقديم ، ووحدة الوجود ، والروح والبدن ، والعالم الصغير ، والعالم الكبير ، وأمثالها ، إلا أنهم لم ينسوا طريقتهم التي تتمتع على الذوق ، والمكاشفة ، والوجد ، والحال ، والوجدان ، والشعور . فلم يكن عجبياً - إذأ - أن يرد التصوف باب الأدب فيجعله حراً طليقاً مثله ، حتى أصبحنا نجد الشعر الذي نشأ في كنف السلاطين ، وتأثر بهم ، قوة وضعفاً ، يصير حراً ، محط القيود ، بعد أن اصطبح بصبغة الصوفية ، فظهرت بذلك روائع من الشعر ، وأصبح الشعراء من غير الصوفية يطرقون الموضوعات غير الصوفية ، فيحرصون على تلوينها بلون التصوف .

وهرع كثير من الناس إلى حظيرة التصوف بعد أن رأوا جور الزمان وقسوته وقد تجلّى هذا بصورة أوضح في القرن السابع الهجري ، حينما اشتد هجوم المغول ، فقد كثرت مجالس الصوفية ، وأقبل الناس عليها ، وكان يذهب إليها ناس لم يكونوا صوفية ، وإنما كانوا أصحاب قلوب وذوق ، قرؤوا من جور الزمان إلى ساعة في

حبة الصوفية بقلب فارغ^(١). فظهر - في ذلك القرن - بعض كبار الصوفية ، من أمثال محي الدين بن العربي ، وجلال الدين الرومي ، وسعدي الشيرازي ، الذين وصلوا إلى درجة النضج والكمال .

وقد ظهرت الاصطلاحات الصوفية في أشعار نظامي كصدي لروح عصره ، ونتيجة لتأثير الناحية الدينية في الأدب ؛ ذلك التأثير الذي سوف يساعدنا - إلى حد كبير - على فهم شعره .

ونكتفي بهذه الإمامة البسيرة بعصر نظامي من نواحيه السياسية ، والاجتماعية ، والفنية ، والدينية . وسنحاول أن نرى أثرها - مجتمعة - في الشاعر ، فلا شك أنه - كغيره من أبناء عصره - قد تأثر بما كان في ذلك العصر من عوامل وموجهات في نشأته ، وتعليمه ، ومذهبه في الحياة ، فتفاعل معها سلبياً أو إيجابياً ، وظهر أثرها واضحاً في شعره .

فلنترك هذه البيئة العامة لنلم بيئة الشاعر الخاصة ، ونتحسس ما فيها من مؤثرات وموجهات ، ثم نرى مدى تعاونها ، مع البيئة للعامة ، في التأثير في نفس الشاعر وشعره .

(١) قاسم غني : تاريخ تصوف ، ص ٥٠١ .

الباب الثاني

بيئة نظامي الخاصة

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

البيئة الجغرافية

١ - تَهْدِيرُ الْبَيْتَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ الَّتِي وَلَدَ فِيهَا نَظَامِي :

يَجْدُرُ بِي ، أَنْ أَحَدِّدُ بَيْتَةَ الشَّاعِرِ الْجُغْرَافِيَّةِ ، قَبْلَ التَّحَدُّثِ عَنْهَا ، فَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا ؛ فَقِيلَ إِنَّهَا كَنْجَه ، كَمَا قِيلَ إِنَّهَا قَم^(١) .
وَأَرْجِعُ أَنْ نَظَامِي وُلِدَ فِي كَنْجَه وَعَاشَ فِيهَا إِلَى أَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، ثُمَّ دُفِنَ بِهَا ،
وَأَنَّ وَالِدَهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ قَم ، فَاصِلُ الشَّاعِرِ قَمِي ، وَلَكِنَّ الْبَيْتَةَ الْجُغْرَافِيَّةَ الَّتِي
نَشَأَ فِيهَا ، هِيَ كَنْجَه .

وَمَا يَرْجِعُ أَنَّهُ وُلِدَ فِي كَنْجَه ، مَا رَوَى مِنْ أَنَّ وَالِدَهُ هَاجَرَ مِنْ قَم ، لِأَنَّهُ
كَانَ - فَمَا يَبْدُو - سَنِيًّا ، بَيْنَمَا كَانَ أَهْلُ قَم مِنْ غِلَاةِ الشَّيْعَةِ^(٢) ، ثُمَّ نَزَلَ فِي

(١) ذَكَرَ أَمِينُ رَازِي فِي هَفْتِ إِقْلِيمِ ، (الإقْلِيمُ الرَّابِعُ) ؛ وَرَضَا قَلِيحَانُ
هَدَايَتِ ، فِي كِتَابِيهِ : جَمْعُ الْفَصَحَاءِ ، ص ٦٣٧ ، وَرِيَاضُ الْعَارِفِينَ ، ص ١٤٩ ؛
وَابْنُ بَوَسْفٍ شِيرَازِي فِي فَهْرَسْتِ كِتَابْخَانَتِهِ مَدْرَسَهُ عَلَى سَبْهَسَلَارِ ، جُلْدُ دُومِ ،
حَاشِيهِ ص ٥٢٤ . أَنَّ نَظَامِي لَمْ يُولَدْ فِي كَنْجَه ، وَإِنَّمَا وَلَدَ فِي مَدِينَةِ قَم ، أَوْ فِي
تَفْرِيشِ ، أَوْ فِي فَرَاهَانَ مِنْ تَوَابِعِ قَم ، ثُمَّ رَحَلَ وَالِدُهُ إِلَى كَنْجَه حَيْثُ قَضَى أَغْلَبَ
حَيَاتِهِ فِيهَا ، وَاشْتَهَرَ بِهَا ، وَمَا دَامَ الَّذِي يَعْنِينَا هُوَ تَحْدِيدُ بَيْتَةِ الشَّاعِرِ الْجُغْرَافِيَّةِ ،
فَإِنَّ هَذَا لَوْ صَحَّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَيْتَةَ كَنْجَه ، هِيَ الَّتِي أَثَرَتْ فِي نَظَامِي أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا ،
لِأَنَّهُ عَاشَ فِيهَا أَغْلَبَ حَيَاتِهِ ، فَهِيَ الْجَدِيرُ بِالْمَدْرَاسَةِ .

(٢) ذَكَرَ الْقَزْوِينِي فِي آثَارِ الْبِلَادِ ، ص ٢٩٧ . أَنَّ أَهْلَ قَم كَانُوا يَخَالُونَ فِي
التَّشْيِيعِ ، ثُمَّ أُرِدَ قِصَّةُ تَبَيِّنِ تَعْصِبِهِمْ فَقَالَ : « حَكَى أَنَّهُ أَتَاهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَالْأَسَى
وَقَالَ لَهُمْ : بَلِّغْنِي لَشِدَّةِ بَغْضِكُمْ مَهَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسْمُونَ أَوْلَادَكُمْ
بِأَسْمَائِهِمْ ، فَإِنَّ لَمْ تَأْتُونِي مِنْكُمْ مِنْ اسْمِهِ عَمَرٌ وَكُنِيْتُهُ أَبُو بَكْرٍ لَأَقْطَعَنَّ بِكُمْ ، فَدَارُوا فِي

کنجه ، دار الإمارة فی إقليم آران ، وتزوج من الأكراد^(١) ، وظل مُقيماً فی
کنجه حيث ولد نظامی من أم كردية^(٢).

وقد أشار الشاعر إلى إقامته فی کنجه ، مبيناً أن أصله من قم ، فقال :
« ولو أني مضیع - کالدر - فی بحر کنجه ، إلا أني من مدينة قم ، فی إقليم
قهمستان ، فقد اشتهرتُ بأنني من قرية « تا » بتفرش التابعة لقم^(٣) ». ولكن
هذين البيتين غير موجودين فی النسخ القديمة^(٤).

جميع المدينة وفتشوا ، ثم أتوا بواحد أفرع ، كربه اللقاء ، موج الأعضاء ، وكان
أبوه غريباً ساکن قم ، فكناه أبا بكر . فلما رآه الوالي غضب وشمتمهم . وقال :
إنما كنتيموه أبا بكر لأنه سمج ، وهذا دليل على بغضكم لصحابة رسول الله . فقال
بعض الظرفاء منهم : أيها الأمير اصنع ماشئت ، فإن قرية قم وهواها لا تأتي بصورة
أبي بكر أحسن من هذا . فضحك الوالي وعفا عنهم .

(١) كان الكرد منتشرين حول کنجه حيث كانت أسرة الشداديين الكردية
تُحكم کنجه حتى عام ١٤٦٨ هـ ؛ ولا يزال الكرد موجودين فی کنجه إلى وقتنا هذا

كما يقرر مينورسكي فی مقاله التي كتبها في : Bulletin of the school of
Oriental and African Studies, vol. XII, part 2., 1948, p. 442.

(٢) لطفلي يک : آتشکده ، ص ٢٤٢ ؛ عبد النبي قزويني : ميخانه ، ص ١٠ .

(٣) نظامی : إقبالنامه ، ص ٢٩ . وهي ترجمة قوله :

چو در کرچه در بحر کنجه کم ولی از قهمستان شهر قم
بتفرش دهی هست تا نام او نظامی از آنجا شده ناجو
ویروی البيت الأول رواية أخرى هي :

چو در کرچه در بحر کنجه کم ولی از فراهان شهر قم
وهی لا تغير ، فيما يهدف إليه الشاعر ، شيئاً .

(٤) دستگردی : مقدمه « کنجینه » کنجوي ، ص ١١٢ ؛ برتلي : نظامی شاعر
آذربيجان العظيم ص ٣٦ ، حيث يقول إن نسخة « اسکندرنامه » الخطية
الموجودة فی باريس لا تحتوی على هذين البيتين ، رغم أنها مؤرخة بعام ٧٦٣ هـ .
وهي تعتبر أقدم نسخة خطية لهذه المنظومة .

كما ذكر أن أصله من العراق العجمي ، فقال : « عقدت كنجبه تلايبي ، مع أن كنز العراق من نصيبي . ولقد نادى الدنيا بصوت مرتفع : أيها الغلام أي كنجبه تكون ، وأي نظامي ؟ !... »^(١) .

فهو يستنكر أن يكون أصله من كنجبه ، ويؤكد أنه من العراق العجمي ، ولكنه مضطر إلى الإقامة في كنجبه .

وطبيعي أن يمدح نظامي العراق ، ويشيد بفضله ، فنجدته يقول : « إن صوتاً عراقياً قد جاوز الفلك ، معلناً رفعة شأن العراق »^(٢) .

ويقول أيضاً : « ليكن العراق سعيداً ، فإن صوت فضله قد صار عالياً »^(٣) . وهذا يؤيد مارجحته من أن الشاعر كان قى الأصل^(٤) ، ولكنه لا يدلّ دلالة قاطعة على أنه وُلِدَ في تلك الناحية ، ولا ينفي أن يكون قد وُلِدَ في كنجبه وأقام فيها ، لأنه يشكو من شدة تعلقها به .

ومهما يكن من شيء ؛ فإن الشيء الثابت الذي لم يَرْتَقِ إليه شك ، هو أن نظامي قد عاش في كنجبه أغلب سنى حياته ، ولم يفارقها إلّا في القليل النادر ، وأنه ظلّ بها إلى آخر لحظة من عمره . ولذلك فإن كنجبه قد أثرت - بما فيها

(١) نظامي : مخزن الأسرار ، ص ١٨٥ . وهي ترجمة قول الشاعر :
كنجه كره کرده کرییان من بی کرمی کنج عراق آن من
بانک برآورد جهان کای غلام کنجبه کدام است ونظامی کدام ؟ !

(٢) نظامي : خسرو وشيرين ، ص ٣٦١ . حيث يقول :
عراقی وار بانک از چرخ بگذاشت بآهنگ عراق این بانک برداشت
(٣) نظامي : شرفنامه ، ص ٥٣ . حيث يقول :

عراق دل افروز با دارچند که آواز فضل از او شد بلند
(٤) هذا ما ميل إليه قزويني في ميخانه ، ص ٩ ؛ وواله داغستاني في رياض الشعراء ، ص ٤٨٠ ؛ وشبلى النعماني في شعر المعجم ج ١ ، ص ٢١٦ ، وشمس الدين سامي في قاموس الأعلام (باللغة التركية) ج ٦ ، ٤٥٨٩ .

من عوامل - في توجيه الشاعر أكثر من غيرها ، فهي التي تهمننا في بحثنا ، وتتصل بدراستنا .

٢ - كنج و ما في بيتها من عوامل :

يبدو أن كنج كانت من المدن الكبيرة ، في إقليم أران^(١) ؛ فقد أصبحت عاصمة هذا الإقليم ، بعد ضم حلال برّدة^(٢) ، وصارت عاصمة الدولة الشدادية ، التي حكمت من عام ٣٤٠ هـ إلى أن أزالها ملكشاه في عام ٤٦٨ هـ ، ثم أسند أمر كنج إلى محمد ابن ملكشاه . كما كانت دار الإمارة في عهد قراقرم أمير آذربيجان^(٣) .

وهمنا أن نعرف شيئاً عن كنج في القرن السادس الهجري ، الذي عاش نظامي فيه .

وقد حدثنا التاريخ ، أنه في عام ٥٣٣ هـ^(٤) ، أو ٥٣٤ هـ^(٥) ، أُصِيبَت كنج بزلزال شديدة^(٦) ، خَسَفَتْ بها وبأعمالها ، فباد من أهلها عدد كبير^(٧) ،

(١) عربت كلمة كنج فصارَت جنزة وقد وصفها ياقوت في معجم البلدان ، ج ٣ ، ٤ ، ص ١٥ ، من الجزء الثالث ، فقال : « إنها أعظم مدينة بين شروان وآذربيجان ، وهي التي يسميها العامة كنج ، وبينها وبين بردة ستة عشر فرسخاً . خرج منها جماعة من أهل العلم » .

The Encyclopaedia of Islam. vol. 2. Art. Gandja (٢)

(٣) برتلس : نظامي شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٤ .

(٤) البنداري : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ١٩٠ ، صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوق ، ص ١١٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ، ص ٥١ .

(٦) يبدو أن الزلازل كانت كثيرة الوقوع في كنج ، مما جعل نظامي يشير إليها في أشعاره ، كما سيأتي .

(٧) يقول البنداري إنه باد من أهلها ثلثمائة ألف ، بينما يذكر ابن الأثير أنه هلك منها مائة وثلثون ألفاً .

وأن ديمتريوس ، مالك الكرج ، قد استفاد من هذه السكارثة ، فأغار عليها وحمل بابها . غير أن قراسنقر لم يلبث أن بنى المدينة من جديد ، فاستعادت جمالها القديم ^(١) .

ولما توفي قراسنقر أصبح جاولى الجاندار حاكماً على أران وأذربيجان ، غير أن كنجيه لم تلبث أن أصبحت تحت حكم ايلدكز وأبنائه ، أتابكة آذربيجان ، وصارت من المدن الجميلة في غرب آسيا ، حتى وجدنا ابن الأثير يسميها أم بلاد أران ^(٢) .

وقد كانت كنجيه - فضلاً عن ذلك - ذات موقع جغرافي مهم ، من الناحية الحربية ، إذ كانت من النفور الإسلامية المواجهه للكرج ، وطبيعى أن هذا الموقع قد أضفى عليها أهمية « استراتيجية » كبيرة ، فكانت - دائماً - عرضة لغارات هؤلاء الكرج السكفار في نظر أهلها ^(٣) .

وقد استتبع هذا أن تكون كنجيه من المدن الحصينة ، حتى نستطيع الوقوف في وجه الأعداء ، وأن يُمجّد أهلها البطولة ، ويمارسوا الأسلحة ، ويميلوا إلى الحرب ^(٤) .

وكان أهل كنجيه كثيراً عددهم ، قوية شوكتهم ، كما كانت عندهم شجاعة عظيمة ، من طول ممارستهم للحرب مع الكرج ^(٥) .
وقد زاد في حماسهم نفاذهم إلى الحرب على أنها واجب ديني مقدس ، وجهاد في سبيل الله .

(١) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٥١ .

(٣) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٧٦ ، حمد الله مستوفى قزويني : نزهة

القلوب ، ص ١٦٠ .

وكانوا - إلى جانب ذلك - أهل السنة والجماعة ، وأهل صلاح وخير وديانة^(١). وكان عندهم تمسك بمذهبهم السني ، حتى إنهم كانوا لا يتركون أحداً يسكن بلدهم ، إن لم يكن على مذهبهم واعتقادهم ، حتى لا يشوش عليهم مذهبهم واعتقادهم^(٢).

وإذا تركنا هذه الناحية . إلى الناحية المناخية ، فإننا نجد لها ملائمة لخلق جو من الحياة المستقرة المتحضرة ، فقد كان هواؤها منعشاً ، وماؤها عذبة^(٣) . وكان بها نهر يسمى قردقاس ؛ كان مجيئه من ناحية ولاية الكرج ، وكان يجري ستة أشهر ، كما كانت فيها قناة ينزل إليها من طريقين ، أحدهما يُعرف بباب القبرة ، والآخر يعرف بباب البردعة^(٤) .

وكانت - على مرحلة منها - قلعة هرك تحوطها رياض ، ومياه ، وأشجار ، ويرق نسيمها في الصيف ، فيعصدها أهل كنجها ، حيث كان لكل أهل بيت فيها موضع حتى تُسكّر سُرور الحر ، ولأعيان كنجها بها دور حسنة^(٥) . وكانت القلعة على نهر يقال له دروران ، ينزل من جبل يقال له مُرا ، يعلوه الضباب ، وهو شامخ جداً^(٦) .

وطبيعي أن وجود الماء ، وملاءمة الجو ، قد ساعدا على كثرة الخيرات ، ووفرة الغلات بها^(٧) . فكان فيها فواكه كثيرة^(٨) كاللوز^(٩) ، كما وُجد بها

(١) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) زين العابدين شرواني : بستان السياحة ، ص ٤٨١ .

(٤) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٥) نفس المرجع والصفحة .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

(٧) نفس المرجع والصفحة .

(٨) حمد الله مستوفي قزويني : نزهة القلوب ، ص ١٦٠ .

(٩) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٥١ . حيث يقول : « ليس في جميع الدنيا

إلا بها ، وهي شبيهة بالتوت الشامى إلا أنها مدورة تنفع في أمراض الكبد » .

شجر التوت ، الذى ساعد على تربية دود القز ، وعمل الإبريسم^(١) ، فأصبح لأهلها يد باسطة فى هذه الصناعة^(٢) ، وأصبح يُجلب منها إلى سائر البلاد الإبريسم الجيد ، والأطلس ، والثياب التى يقال لها الكنجى ، والمعجم يسمونها القطنى ، والعائم الخبز ونحوها^(٣) .

وقد ساعد رواج الصناعة ، على رواج التجارة ، فكثُر فى كنفه الصناع والتجار^(٤) . وكانت تصدر المصنوعات إلى بلاد الكرج وما جاورها ، فيستمر هذا فرصة اتصال أهلها بالشعوب غير المسلمة ، والاستفادة مما عدها ؛ من حضارة ، وعلوم ، ومعارف^(٥) .

وقد ساعد وجود المذهب السنى ، وميل الأهالى إلى التمسك بالدين ، ووجود طبقات متعددة ، كالزراع ، والصناع ، والعمال ، والتجار ، على تهيئة تربية صالحة لتعاليم الصوفية ؛ فانتشر شيوخ الصوفية بين الناس ، وقاموا بإرشادهم وهدايتهم ، عن طريق تعليمهم أصول دينهم .

وقد اشتهر نظامى بأنه كان من مریدى أخى فرج الزينجاني ، أحد شيوخهم^(٦) .

(١) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٢) وردت فى أشعار نظامى تشبيهات واستعارات كثيرة استمدت صورها من صناعة الحرير ، مما يدل على رواج هذه الصناعة إلى درجة أثرت فى الشعراء ، وجعلتهم يستمدون من صورها فى أشعارهم .

(٣) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٤) برتلىس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٤ .

(٥) كان نظامى كثيراً ما يذكر أنه استعمل المراجع غير العربية والفارسية فلعلة استفاد من موقع كنفه الجغرافى ، واتصالها بالشعوب غير المسلمة ، فأحاط بما عندهم من مراجع ، أو استفاد من علماء تلك الشعوب ولو عن طريق المشافهة .

(٦) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ ، لطيفلى بيك : آتشكده ، ص ٢٤٢ .

ورغم أن معلوماتنا عن أخى فرج هذا ليست كثيرة^(١) ، إلا أنه يبدو أن كلمة « أخى » تشير إلى مذهب معين ، كان منتشرًا بين القوم .

وقد ذكر ابن بطوطة شيئًا عن « الأخية الفتيان » فقال : إن واحداً من أخى ، وإنهم بجميع البلاد التركمانية الرومية ؛ في كل بلد ، ومدينة ، وقرية ، وإنه لا يوجد في الدنيا أشد احتفالاً بالفرقاء من الناس مثلهم ، ولا أسرع منهم إلى إطعام الطعام ، وقضاء الحوائج ، والضرب على أيدى الظلمة ، وقتل الشرطة ، ومن لحق بهم من أهل الشر . وإنهم كانوا يعملون ويكتسبون ، ويشتررون الأشياء ، ثم يحملونها إلى زواياهم ، ليكرموا الغرباء ، ويضيفوهم ، حتى يفادروا المدينة ؛ ثم ذكر أنه كان لهم لباس خاص ، يهمناء منه أن كل واحد منهم كان يشدُّ - إلى وسطه - سكيناً في طول ذراعين^(٢) .

ويبدو من وصف ابن بطوطة ، أنهم كانوا جماعة خاصة ، وكانوا يهدفون إلى تقديم المساعدة للآخرين ، ضد الحكام الظالمين ، كما كانوا نزاعين إلى إصلاح الحكام بالقوة ، إذا احتاج الأمر إليها .

وقد تكون هؤلاء الأخية الفتيان - الذين وصفهم ابن بطوطة ، وكانوا منتشرين ، في عصره ، في آسيا الصغرى - صلةً بالأخية ، الذين انتشروا في كنفه في عصر نظامي ، وكان منهم أخى فرج الزنجاني الذي كان الشاعر أحد مريديه .

وما يجعلنا نرجح هذا ، أن نرة الفتوة ، التي كان الأخية يمجّدونها ، تشبه

(١) ذكر أمين رازي في هفت إقليم ، ص ٤٨١ ب . شيئاً عن أخى فرج الزنجاني ، ولكنه لم يزد على قوله « إنه كان مرید الشيخ أبي العباس النهاوندى ، وإنه توفي في عام ٥٥٧ هـ ، وأن قبره في زنجان » . وقد ذكر جنيد شيرازي اسمه في شد الإزار ، ص ٢٤٢ .

(٢) ابن بطوطة : رحلته ، ج ١ ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

نصرة القوة التي مال إليها أهل كنجبه ، فراجت بينهم ، مما يحبطنا لا نستبعد أن مذهبا كهذا يمكن أن ينتشر في كنجبه .

وإن القارئ لشعر نظامي ليحس بتمجيده للقوة ، وتأييده لنصرة الفتوة ، فهو يقول مثلا : « لماذا تعرض نفسك للاهففات ؟ ولماذا ترضى بكل جفاء ؟ كن قويا شامخا كالجليل ، وقابل لين العالم بالخشونة ؛ لأنك لو نسجت الحرير ، أو كنت كالسوسن ، فإنك سوف تشرب الماء العكر ، حتى من الأرض الصافية ، فالذلة لا تؤدّي إلى تقليل الاضطهاد ، وتحمل الجور يرث الذل ، فكن كالشوك حربته فوق كتفه ، حتى تستطيع أن تضم مجموعة الورد إلى صدرك ، فإن الظلم والاضطهاد يقصمان ظهر القوى ، ويتسببان في القضاء على الإنسان »^(۱) .

فهذه الدعوة إلى عدم الرضا بالظلم ، ودفعه بالقوة ، والحث على التسليح ، تشبه ما كان يهدف إليه « الأخية الفتية » ، الذين ذكرهم ابن بطوطة بعد نظامي بقرنين تقريبا . ونصيحة الشاعر بأن يكون الإنسان شاكيا السلاح ، تشبه تسلّح الأخية ، لتنفيذ أغراضهم بالقوة إذا دعت الحاجة إلى استعمالها .

ولقد ظلت القوة طابع أهل كنجبه ، حتى إن النول حينما هاجوا كنجبه ، في عام ۶۱۸ هـ ، لم يستطيعوا التغلب على حصونها القوية كما أثبت أهلها شجاعتهم في حروب كثيرة ضد الكرج . واستطاعوا - في عام ۶۲۲ هـ - أن يثوروا ضد الدولة

(۱) نظامي : لیلی و مجنون ، ص ۵۳ - ۵۴ . وهي ترجمة قوله :

کردن چه نهی بهر قنای	راضی چه شوی بهر جفای
چو کوه بلندبشتی کن	بازم جهان درشتی کن
چو سوسن اگر حریر بافی	دردی خوری از زمین صافی
خواری خلل دروئی آرد	بیدادکشی زبونی آرد
میباش چو خار حربه بردوش	تاخرمن گل کشی در آغوش
نیروشکن است حیف و بیداد	از حیف بمیرد آدمیزاد

الخورزمية ، ويقضوا على نفوذها في كنجبه ، بعد أن كانت المدينة قد خضعت لتلك الدولة^(١) .

وقد مال أهل كنجبه إلى النشاط ، وحب العمل ، وعدم الإخلاد إلى الكسل ، وهذا يشبه إلى حد كبير ما كان الأخية يبدعون إليه ، ويطبقونه هم في أنفسهم . وكان نظامى - كما سيأتى - كثير التحدث عن وجوب العمل ، وضرورة كسب القوت بالجهد والسكفاءة .

بقى أن نذكر أنه قد قضى على كنجبه - نهائياً - في عام ٦٣٢ هـ ، حينما استولى المغول عليها وأحرقوها ، كما ضُمَّت إلى روسيا في عام ١٨٠٤ م . ولا يزال قبر نظامى قريباً منها ، حيث يبعد كيلومترين أو ثلاثة عنها^(٢) .

وفي مكان كنجبه القديمة ، وعلى بعد ثلاثة كيلومترات غرباً ، بُنيت مدينة جديدة ، سُميت اليزايتبول ، التى هى الآن كيروف آباد^(٣) .

وهكذا نجد أن بيئة كنجبه الجغرافية كانت زاخرة بكثير من العوامل الموجبة .

وفي جو كنجبه هذه ، وُلد نظامى ونشأ ، وأمضى مدة عمره إلى أن قضى نحبه ، فلا بد أنه تأثر بكل ما فى بيئته الجغرافية من عوامل ؛ فى نشأته ، وتعليمه ، ونظراته إلى الحياة ، وفى رسم مُثله المُلبى ، وقد ظهر هذا الأثر مُصَوِّراً فى شعره .

* * *

وندع البيئة الجغرافية ، لنلم بالبيئة العائلية ، ونرى ما فيها من عوامل ، تفاعل الشاعر معها ، إلى جانب تفاعله مع عوامل بيئته الجغرافية .

(١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) ، خواند أمير : حبيب السير ، ص ١١٧ ، أمير يحيى قزوینی : لب التواريخ (الفصل التاسع) .

(٢) اسكندر بيك تركمانى : تاريخ عالم آراى عباسى ، ص ٤٩٨ .

(٣) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٥ .

الفصل الثاني

البيئة العائلية

إذا ما أردنا أن نتناول بيئة نظامي العائلية بشيء من الدرس ، لنكتشف ما فيها من عوامل وموجهات ، نجد أن معلوماتنا عنها تقصر عن الوصول إلى مثل هذا الهدف ، لأن المصادر المختلفة لا تكاد تذكر شيئاً بشئ غلة ، أو يسد رمقا ، لمن يريد أن يتناول هذه الناحية بالبحث والتحصيل ، كما أن الشاعر نفسه لم يشر - فيما نظمه من شعر - إلى هذه الناحية إلا بإشارات عابرة ، في مواضع قليلة ، لا تكفي لإعطاء صورة واضحة .

وقد يكون السبب في ذلك ، أن عائلة الشاعر لم تكن كنجوية الأصل ، وإنما كانت نازحة ، فلم تكن - فيما يبدو - كبيرة العدد .
وأنا أعرض إشارات الشاعر ، لنرى ما قد يمكن استنباطه منها .

أشار نظامي إلى والده ، يوسف بن زكي بن مؤيد ، إشارة ترجح أنه توفى منذ وقت ، ليس بالقصير ؛ لأن الشاعر حاول أن ينسى الحزن ويتركه ، مما يدل على أن الوفاة لم تكن حديثة ، فهو يقول : « إذا كان أبي ، يوسف بن زكي بن مؤيد ، قد مات بسنة الجد ، فاذا أصنع أنا مع حكم للقضاء ١٢ ... إنه القضاء العادل ، وليس جوراً ، فكيف أتألم ١٢ ... أي أب بقي منذ آدم ، حتى أطالب بدم أبي من العالم ١٢ ... إنني حينما نظرت إلى الآباء الراحلين ، قطعت عرق الأبوة من قلبي » (١) .

(١) نظامي : ليلى ومجنون ، ص ٤٨ - ٤٩ . وهي ترجمة قوله :

کر شد پدرم بسنت جسد یوسف بسر زکی مؤید =

وهو لا یزید علی ذلك شیئاً ، فلا یشیر إلی عمل والده ، أو المسکنة التی کان یحتملها فی المجتمع فی ذلك الوقت . . .

غیر أننا نکاد نحس بمسکنة والده من إشارته إلی والدته ، علی أنها كانت بنت أحد رؤساء السکرد ، حیثما یقول متحسراً علی وفاتها : « لقد توفیت والدتی ، رئیسة السکرد ، ولكن حنان الأمومة ما زال ماثلاً أمام عینی ، فن أدعوه لنهضتی بکثرة العویل ، حتی یعیدها إلیّ بالبکاء ۱۹ ... إن النعم أكثر من أن یُحتمل ، فهو کالماء الفرق ، أعلی من قامة الإنسان ، فکأنس الغم منعمة تکفی لأن أشرب منها ألف جرعة ، ولا وسیلة لملاج هذا الحزن ، وهذا الألم المفرط إلا محاولة النسیان ^(۱) » .

وهذه الإشارة إلی والدته علی أنها بنت أحد رؤساء السکرد ، إن دلت علی شیء فإنما تدل علی أنها كانت من عائلة محترمة ، کاتدل علی أن والده کان ذا مسکنة ، حتی استطاع أن یصاهر أحد رؤساء السکرد .

ولم یدکر نظامی من أفراد عائلة والده أحداً غیر والده .

أما عائلة والدته ، فذکر من أفرادها - غیر والدته - خاله السید « عمر » ، وصور حزنه علی وفاته فی قوله : « لقد كانت وفاة خالی - السید عمر - وبالآ علیّ

= بادور بداورى چه کوشم دوراست نه جورچون خروشم
باقی پدر چه ماند از آدم تاخون پدر خواهم ز عالم ۱۹
چون در پدران رفته دیدم عرق پدری زدل بریدم
(۱) نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۴۹ . وهی ترجمة قوله :

گر مادر من رئیسۀ کرد مادر صفتا نه پیش من مرد
از لابه گری کراکنم یاد تاپیش من آردش بفریاد
غم بیشتر از قیاس خوردست گردابه فزون ز قد مردست
زان بیشتر است کاس این درد کازا بهزار دم توان خورد
با این غم و درد بی کناره داروی فرامشیست چاره

فقد صُحَّ صوتی من كثرة العویل ، وأصبحت أخشى أنا الموت ، فإن شدة جزمی قد تقوده إلى «^(۱)» .

وهذه الإشارة إلى خاله ، وتلقيبه بلقب « السيد » تؤيد مارجحناء من أن عائلة والدته كانت رفيعة الشأن ، كما تدل على مكانة خاله في قومه . وهي ترجح — أيضاً — أن أفراد عائلة والدته ، كانوا على مذهب أهل السنة ، والدليل على ذلك تسمية خاله باسم حمر ، لأن هذا الاسم لا يمكن أن يوجد بين الشيعة . وهذا يرجح بالتالي أن عائلة نظامی كانت سنية المذهب ، وإلا ما صاهرت أسرة سنية .

وإذا استعرضنا من صاهرم نظامی نفسه ، نستشف من الأسرة التي كونها هوشيناً ، قد يساعدنا على فهم بيئته العائلية ، فإننا لانكاد نجد — فيما قاله — شيئاً يلقى ضوءاً كاشفاً على هذه الناحية ، فنظامی قد تزوج ثلاث مرات ، وأشار إلى زوجاته الثلاث ، ولكنه لم يذكر إلا أن زوجته ماتت ، فُحَرِّمَ بفقدائها شريكاً مخلصاً ، ومؤنساً ملهماً جميلاً .

وكانت أولى زوجاته قبقاقية تدعى « آفاق » أرسلها إليه حاكم دربند ، ويبدو أنها كانت جارية أهديت إليه ، مما جعله لا يتحدث عن حبسها ونسبها ، ويكتفي بالإشارة إلى جهالها وشدة تعلقه بها .

ويظهر أنه أحب هذه الزوجة حباً عنيفاً سيطر على قلبه ، وملك عليه حواسه ، ونطق به في شعره ، فنجد — في أول منظومة « خسرو وشيرين » — قد تحدث حديثاً مطناً عن العشق^(۲) ، فقال : « ليس للفلك محراب غير العشق ،

(۱) نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۵۰ . حيث يقول :

گر خواجه عمر که خال من بود خالی شدنش وبال من بود
از تلخ گوارى نواله ام در نای گلو شکست ناله ام
میرسم از این کبود زنجیر کافان کنم اوشود گلوگیر

(۲) نظامی : خسرو وشيرين ، ص ۳۳ - ۳۵ .

ولیس للعالم حیاة إلا فی أرض العشق . . . فالإنسان الذی خلا قلبه من للعشق ذلیل؛ وهو میت ولو كانت فی جسمه مائة روح» (۱) .

ثم ختم حدیثه بالإشارة إلى عشقه هو لآفاق فقال : « لما رأیتُ نفسی فاقد الحیاة - بدون العشق - بعثُ قلباً لأشترى روحاً ، وملأتُ الدنیا بفرامی ، فأمتُ العقل ، لأتعلق بقصة للعشق ، وأدیتُ للعالم صلاة العشق» (۲) .

وقد توفیتُ هذه الزوجة فی ریعان شبابه ، ففجع الشاعر بوفاتها حتی إنه أثبت هذه الوفاة فی منظومته « خسرو شیرین » ، فذكرها بعد إشارته إلى وفاة شیرین معشوقة خسرو ، التي كانت أشبه معشوقته فی جاهلها وفتنتها ؛ فقال فی حسرة وألم : « إنه من فرط العبرة ، بمثل هذه القصة ، أیَحْیَلُ إلیک أنک تقرأ خرافة ، تجب فیها إسالة الدموع المرة علی شیرین ، لأنها كانت قصيرة العمر ، كالوردة التي عصفت بها الراح فی يوم نضارتها ، لقد كانت جمیلة كمعشوقتی القبجاقیة حتی لُیَحْیَلُ للإنسان أنها نفسها كانت کآفاقی ، التي كانت فتاة میمونة ، عاقلة ، أرسلها إلى حاکم در بند» (۳) .

(۱) نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۳۳ . حیث یقول :

فلک جز عشق محرابی ندارد جهان بی خاک عشق آبی ندارد

کسی کز عشق خالی شد فسر دست کُرش صدجان بود بی عشق مردست
(۲) المرجع السابق ، ص ۳۵ . إذ یقول :

چو من بی عشق خود راجان ندیدم دلی بفروختم جانی خریدم
ز عشق آفاق را پردود کردم خرد را دیده خواب آلود کردم
کمر یستم بعشق این داستان را صلاهی عشق در دادم جهان را
(۳) المرجع السابق ، ص ۴۲۹ - ۴۳۰ . حیث یقول :

توکز عبرت بدین داستان مانی چه پنداری مگر افسانه خوانی
در این افسانه شرطست اشک راندن گلابی تلخ بر شیرین فشاندن
بحکم آنکه آن حکم زندگانی چو گل برباد شد روز جوانی
سبک رو چون بت قبجاقی من بود گمان افتاد خود کآفاق من بود
همایون پیکری نفزو خردمند فرستاده بمن دارای در بند

ویظهر أن هذه الزوجة قد توفيت في عام ۵۸۱ هـ ، حينما كان الشاعر على وشك الفراغ من نظم « خسرو وشرین » ، وأنها هي التي رُزِقَ منها ابنه الوحيد « محمد » .

وقد تزوج الشاعر - بعد وفاتها - زوجة ثانية توفيت في أثناء نظم « لیلی و مجنون » في عام ۵۸۴ هـ ، فتزوج زوجة ثالثة توفيت ، في عام ۵۹۹ هـ ، في أثناء نظم « اقبالنامه » ، ويبدو أن الشاعر قد تعلق بها لأنه يعبر عن وفاتها بقوله : « فلما جعلتُ ميني مصدرًا للنور ، أبعثتها عينُ السوء عن ناظري ، فسرقتها الموت ، حتى اسكأنها لم تعش أبداً ، فإذا أقول إلا أن أدعو أن يرضى الله عنها ، نظير ما لقيتُ على يديها من سعادة ^(۱) » .

وقد أشار نظامي إلى زوجاته الثلاث متعجباً من حظه ؛ فهو لا يكاد يحمي قصة قديمة ، حتى يُقدِّم عروساً قرباناً ، فقال : « إن لي - من النظم - طالماً عجيباً ، فكيف أحیی القصص القديمة ؟! في ذلك العيد الذي ينبغي أن أقدم فيه الحلوى ، أقدم عروساً جميلةً قرباناً ، فبينما كنتُ أصنع حلوى « شیرین » أفرغتُ الدار من صانعة الحلوى ، وحينما أنشأتُ سوراً حول كنز « لیلی و مجنون » نثرتُ هناك جوهرأ آخر ، والآن وقد انتهى العرس ، أودع إلى رضوان عروساً أخرى ، ولا أدري كيف أنظم قصة الروم والروس وأنا أحمل حزن ثلاث عرائس ؟ ! إن الأفضل ألا أستحضر الحزن القديم ، وأن أطيبَ وفقى بهذه القصة ^(۲) » .

(۱) نظامي : اقبالنامه ، ص ۶۰ - ۶۱ . إذ يقول :

چو چشم مرا چشمه نور کرد ز چشم منش چشم بد دور کرد
رباینده چرخ آنچنانش ربود که گفتی که تابود هرگز نبود
بخشنودی کان مرا بود ازاو چگویم خدا باد خشنود ازاو
(۲) مرا طالعی طرفه هست از سخن که چون نوکنم داستان کهن
در آن عید کان شکر افشان کنم عروسی شکر خنده قربان کنم =

فنظامي - رغم أنه تزوج ثلاث مرات - لم يذكر شيئاً يتعلق بنسب إحدى زوجاته أو حسبها ، وإنما تناول ناحية الجلال في الزوجة ، وأظهر الأسف على وفاتها .

وقد توفيت زوجاته جميعهن قبل وفاته ؛ ويبدو أنهن توفين في ميعة العبا ، وريمان الشباب ، لأن الشاعر قد عبّر عن كل واحدة منهن بكلمة عروس .

وإذا تركنا زوجات الشاعر إلى ابنه محمد ، فإننا لانجد في إشاراته إليه ما يدل دلالة واضحة على نوع التربية التي ترباها ، كما لانجد فيها شيئاً يكشف عن مكانة الشاعر وعائلته ، والعوامل التي كانت موجودة في بيئته العائلية ، وأثرها في توجيه التربية ، فرغم أن الشاعر قد أشار إلى ابنه في مواضع كثيرة، إلا أنه كان يتحدث بلسان الأب الناصح الذي يزجى النصيح لابنه ، بين حين وآخر .

وقد خاطب الشاعر ابنه - لأول مرة - حينما كان الابن في السابعة من عمره ، فقال : « تَطَلَّعْ إِذَا السَّبْعُ سَنَوَاتٍ ، يَا قِرَّةَ الْعَيْنِ إِلَى مَقَامِكَ فِي قَابِ قَوْسَيْنِ ^(١) ، أَنَا رَبِّيتُكَ ، وَاللَّهِ هُوَ الَّذِي مَنَحَ الرِّزْقَ ، فَلْيَكُنْ اسْمُ اللَّهِ - لَا اسْمِي - هُوَ الَّذِي يَرَعَاكَ . اضْحَكْ فِي مَرَحَلَةِ الطُّفُولَةِ هَذِهِ بِسُرُورٍ ، كَمَا ضَحَكْنَا نَحْنُ بَعْضُ الْوَقْتِ ، خَيْمًا بِصِيرِ هَلَالِكَ بَدْرًا ، سَيُضِيءُ جِوَاهِرُ النُّجُومِ . لَا تَشْتَغَلْ بِالْعُلُومِ

==	چو حلواى شیرین همی ساختم	زحلواکری خانه پرداختم
	چو برگنج لیلی کشیدم حصار	دگر کوهری کردم آنجا نثار
	کنون نیز چون شد عروسی بسر	برضوان سپردم عروسی دگر
	ندانم که باداغ چندین عروس	چگونه کنم قصه روم و روس
	به ار نارم اندوه پیشینه پیش	بدینداستان خوش کنم وقت خویش
		(نظامی : اقبالنامه ، ص ٦١)

(١) الشاعر هنا يقتبس من قول الله تعالى في سورة النجم آية ٨ - ٩ : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » .

الثافية ، بل اشتغل بالعالم الإلهي في صورة تجمل الفضلاء يقولون : ما أعقل ابن نظامي ^(١) .

ثم نصح ابنه - للمرة الثانية - في « ليلي ومجنون » حينما كان الابن في الرابعة عشرة من عمره ، فقال له : « ياذا الأربعة عشر عاماً . . ياقرة العين . . يا من وصلت إلى درجة تستطيع أن تتعلم فيها علوم السكونين ... حينما كنت في السابعة من عمرك ، كنت كالوردة التي تزهو في الرياض . والآن وقد بلغت الرابعة عشرة ، صرت كالمرور ، فرفعت رأسك إلى السماء فلا تجلس غافلاً ، فليس - الآن - وقت للعب ، بل وقت العمل والرفعة . فاطلب العلم ، وحاول الرفعة ، حتى يشاهدوا ازدياد فضلك يوماً بعد يوم ، إن وقت الصغر هو وقت تحصيل العلم ، لأن الشجر المسمى يخلو من الثمر ، وسوف لا تستفيد من أنك ابني في المقام الذي يتطلب العظمة ، فككن كالأسد قوياً بنفسك ، وكن - بنفسك - فاضلاً ، وإذا طلبت الجاه فتمسك بالسبب ، وعامل خلق الله بالأدب ، ولا تغفل عن ذكر الله ، وأنت تفعل شيئاً ، واعمل بشوق ، حتى لا تنفل في عملك . إنك إذا تمسكت - يا بُني - بهذه النصيحة ، فسوف تقوى بنصح أبيك . ورغم أني ألح فيك طموح السيادة ، وأستشف منك آداب الفصاحة ، إلا أنني أنصحك ألا تتورط في فن الشعر ، لأن أحسنه أكذبه ، فلا تطلب الرفعة عن طريق هذا الفن ، لأنها خُتِمَت بنظامي ، ولو أن مرتبة الشعر عالية ، إلا أنني أنصحك أن تطلب العلم المفيد ،

(١) بين اي هفت ساه قره العين مقام خويشتن درقاب قوسين

منت پروردم وروزی خداداد نه برتو نام من نام خدا باد

درین دور هلالی شاد می خند که خندیدیم ماهم روزکی چند

چو بدر انجمن گردد هلالت برافروزند انجم را جمالت

قلم درکش بحر فی کان هوائیست علم برکش بملی کان خدائیست

بناموسی که گوید عقل نامی زهی فررانه فرزند نظامی

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ٤٣٠)

مُحَاوَل - فی هذه الدنيا - أن تعرف نفسك ، وأن تتعلم تشريح باطنك ، فإن ذلك هو العلم الذي يضئ الخاطر ، فاللهي قد قال (العلم علان . علم الأديان ، وعلم الأبدان) ففي هذين العلمين رائحة الطيب ، وصاحبها إما فقيه ، وإما طبيب فكن طبيباً بذكاء عيسى ، لا طبيباً قاتلاً للناس ، وكن فقيهاً يدخر الطاعة ، لا فقيهاً محتالاً ، فإذا صرت كليهما عَظُمْتَ ، وأصبحت محترماً أمام الجميع ، فتصير ذا عهدين ، وتصبح ذا مـدين . ومُحَاوَل أن تعرف معنى كل صحيفة تقرؤها معرفة تامة ، لأنك حينما تبلغ السكّال في العلم ، سوف تصبح حسن الذكر عند الجميع ، وإذا اشتغلت في عمل ، لمُحَاوَل التخصص فيه ، ولو كان حقيراً ، فلأن تكون حائك سروج ماهر ، فإن ذلك أفضل من أن تكون صانع قلنسوات غير متخصص . وإن القول مني والعمل منك ، ولا يليق أن تجلس بدون عمل ^(۱).

(۱) ای چارده سال قرة العین بالغ نظر علوم کونین
آزوز که هفت ساله بودی چون گل بچمن حواله بودی
واکنون که بچارده رسیدی چون سرور اوج سرکشیدی
غافل منشین نه وقت بازیست وقت هنراست وسرفرازیست
دانش طلب و بزرگی آموز تا به نگرند روزت از روز
نام ونسبت بخرد سالی است نسل از شجر بزرگ خالی است
جائیکه بزرگ بایدت بود فرزندی من نداشت سود
چون شیر بخود سپه شکن باش فرزند خصال خویشان باش
دولت طلبی سبب نگه دار باخلق خدا ادب نگه دار
آنجا که فسانه سگالی از ترس خدا مباش خالی
آن شغل طلب زروی حالت کز کرده نباشدت خجالت
کردل دهی ای پسر بدین پند از پند بدر شوی برومند
کرچه سر سروریت بینم وآیین سخنوریت بینم
در شعر میبچ و در فن او چون اکذب اوست احسن او
زین فن مطلب بلند نامی کان ختم شد است بر نظامی
نظم ارچه بمرتبت بلند است آن علم طلب که سودمند است =

ونظامی - فی نصحه - یبدو فی صورة الوالد المحب الذی ینصح ابنه الحسان والمطف ، ویمحاول أن یرسم له طریق السیر فی الحیاة ، ویوجهه الوجهة الصالحة الّتی یعتقد أنّها ترفعه عند الله والناس .

وهو یری أن اسمی هدف یجب أن یسعی ابنه إلیه ، ویمحاول أن یدرکه ، هو أن یمیر طیبیا وفقهیا فی وقت واحد ، ولا ندری ما إذا كانت هذه التریة هی الّتی كانت تفضلها عائلته عامة ، أم أن هذا کان رأى نظامی الشخصی ... ومهما یکن من شیء ؛ فإن الشاعر لم یزد شیئا علی النصیح الطبیعی ، الذی یوجّه کل والد إلی ابنه فی أول درجات النضج ، مدفوعا بعاطفة الأبوة ، فکل والد یتمنی أن یمکن ابنه مجددا مستقیما ، وأن یصل إلی اسمی درجات العلم والرفعة .

وقد ظلّ ابن نظامی حیّا حتی نظم الشاعر منظومته الأخيرة « إقبالنامه » وكان شابا فی ذلک الوقت ، فقد أشار نظامی إلی أنه قد أرسل « إقبالنامه » مع ابنه

= در جدول این خط قیاسی میکوش بخویشتم شناسی
تشریح نهاد خود بیاموز کاین معرفتی است خاطر افروز
پیغمبر گفت علم علمان علم الأبدان وعلم الأبدان
در ناف دو علم بوی طیب است وآن هردو فقیه یا طیب است
میاش طیب عیسوی هشی امانه طیب آدمی کش
میاش فقیه طاعت اندوز امانه فقیه حیات آموز
گر هردو شوی بلند کردی پیش همه ارچند کردی
صاحب طرفین عهد باشی صاحب طرف دومهد باشی
میکوش بهرورق که خوانی کان دانش را تمام دانی
در علم چوتو تمام کردی نزد همه نیکنام کردی
بالان کری بغایت خود بهتر زکلاه دوزی بد
گفتن زمن از تو کار بستن بی کار نمیتوان نشستن

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۴۵ - ۴۷)

إلى أتابك الموصل عز الدين مسعود ، وذلك في عام ٦٠٧ هـ . فقال : « خرجت جوهرتان من بحري ، أضاء بريقهما وجهي ، نالت إحداها عصمة مريم ، وأشرق على الثانية نور عيسى ، فهذه - في الحسن - كالبدر المنير ، وتلك - في الإشراق - كالشمس بلا نظير ، فأنا أرسل - إلى باب الملك - عبدین هندین ، اسم أحدهما مقبل ، واسم الآخر إقبال^(١) ، لأن الصندوق يحفظ الياقوت ، والعروس المحبوبة المدللة تحسن أن يكون أخوها هو حاجبها »^(٢) .

ويبدو أن هذا الابن قد توفي بعد ذلك بقليل ، في أواخر عام ٦٠٧ هـ ، أو في أوائل عام ٦٠٨ هـ ، أي قبل وفاة أبيه الذي توفي في عام ٦٠٨ هـ ، كما سيأتي . فقد وردت قطعة شعر رثي نظامي فيها ابنه ، وقد بلغ الحزن والجزع به كل مبلغ^(٣) . ومن يدرى ؟ ! لعل وفاة ابنه كانت من الأسباب التي ساعدت على تحطيم الشاعر ، فتوفي في نفس العام .

وهكذا لانجد في إشارات الشاعر إلى ابنه إلا النصيح والثناء .

(١) ظن شبلي نعماني في كتابه شعر العجم ، ج ١ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ . أن لنظامي بنتاً ، وأن الشاعر أرسلها مع أخيها إلى عز الدين مسعود ، وكان اسمها «إقبال» واستدل على هذا بما ورد من قول الشاعر . ويبدو أن المقصود من «إقبال» هنا هو «إقبالنامه» إحدى أجزاء قصة الاسكندر ، لا بنت نظامي كما توهم شبلي .

(٢) دوگوهر برآمد ز دریاى من فروزنده از رویشان راى من
يکى عصمت مريمى يافتسه يکى نور عيسى براو تافتسه
بخوبى شد اين يك چو بدر منير چو شمس آن بروشن دلى بي نظير
بنوبتگه شه دو هندوى نام يکى مقبل وديگر اقبال نام
فرستاده ام هر دورا نزد شاه كه ياقوت را درج دارد نگاه
عروسى كه بامهر مادر بود به ارپرده دارش برادر بود
(نظامى : إقبالنامه ، ص ٢٨٥)

(٣) عوفى : لباب الألباب ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .

ورغم أن العوامل الموجهة التي في بيئة نظامى العائلية ليست واضحة المعالم تمام
الوضوح ، إلا أنه يبدو أن عائلته لم تكن فقيرة معدمة ، وإلا ما استطاع والده
أن يرتبط برباط المصاهرة ، مع أسرة كردية محترمة ، وما تمكن نظامى من
الانقطاع سنوات عديدة لتلقى العلوم المختلفة ، ومن البقاء وقتاً طويلاً في كنفه ،
يرسل مدائحهم إلى الولاة ، ويقدم منظوماته لهم ، دون أن يحاول التردد عليهم ،
وكان لا يصل إليه عطاء في أغلب الأحيان ، ومع ذلك فقد كان يدعو إلى
الاعتكاف ، وإلى أن السلامة في البعد عن الحكام ، ويشيد باعتكافه هو ،
وعزوفه عن خدمتهم ، مما يرجح أن الشاعر لم يكن محتاجاً ، بل كان عنده مال ، إن
لم يكن وفيراً فقد كان كافياً - على كل حال - لسد حاجته ، ودفع العوز عنه ،
والأخذ بيده بسيداً عن ذلّ الاحتياج ، وقيد الفاقة .

* * *

والآن وقد ألمنا بالعوامل التي في عصر للشاعر وبيئته ، نُمَرِّفُ بالشاعر
نفسه ، لنلحس مدى تأثير هذه العوامل مجتمعة ، في الشاعر ، وشعره .



أصل هذه الصورة محفوظ في مكتبة ليننجراد
وقد رسمت لنظامي بيد أحد الرسامين المهرة القدماء .
(منظومة ليلي و بجنون نشر دستگردى بين ص ٢٤ و ٢٥)

البُجَاءُ الثَّالِثُ

التعريف بنظامي

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

اسم الشاعر ولقبه وكنيته وتخلصه وتاريخ ولادته

كان اسم الشاعر إلياس^(١)، ولقبه نظام الدين^(٢)، وكانت كنيته أبا محمد؛ فهو نظام الدين أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكي بن مؤيد الكنجوي^(٣)، وكان تخلصه الشعري «نظامي».

(١) يذكر ابن يوسف شيرازی في فهرست کتابخانه مدرسه عالی سپهسالار ج ٢، حاشیه ص ٥٢٤. أن اسم الشاعر: «ویس» ويستدل على ذلك بيت لنظامي، يقول إنه موجود في النسخ القديمة، وهو قول نظامي:

یارب تو مرا که ویس نامم در عشق محمدی تمام
ولیکن البیت ورد فی «للی و مجنون» التي نشرها دستگردی، ص ٣٥. هكذا:

یارب تو مرا کاویس نامم در عشق محمدی تمام
وقد فسر دستگردی هذا البيت، في مقدمة كنجيته كنجوي (ص و).
فقال: ان الشاعر لم يقصد أن اسمه كان «ویس» وإنما كان يقصد أنه أصبح في عشقه
لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم کاویس القرني، وأصبح جديراً بأن يطلق عليه
اسم «أویس».

ويبدو أن هذا التفسير صحيح، لأن الشاعر صرح باسمه على أنه إلياس. واتخذ
من مطابقة مجموع حروف هذا الاسم - بحساب الجمل - لأسماء الله تعالى دليلاً على
حفظه من صروف الدهر ولم يشر إلى «ویس» ولو كان اسمه كذلك لصرح به في
هذه المناسبة؛ مما يجعلني أرجح أن اسم الشاعر كان «إلياس» وليس «ویس».
(٢) هذا هو الرَّائِج، ولكن حاجي خليفة يذكر لقب الشاعر في كشف
الظنون، ج ٢، ص ١٦٣٨. على أنه جمال الدين.

(٣) يذكر دولتشاه في تذكرة الشعراء، ص ١٢٨. اسم والده نظامي على أنه
«أبو يوسف» ولكن الشاعر صرح بأن اسم والده «يوسف».

وقد صرّح الشاعر باسمه وتخلصه في منظومته « ليلي ومجنون » فقال : « إذا
خطوتَ خطوة في طريق نظامي ، فإنك ترى واحداً وألفاً ؛ أما كلمة إلياس فإنه
إذا أَسْقَطَ من مجموعها مجموع (ألف وباء) ، صار مجموع حروفها تسعاً وتسعين^(١) ،
فالواحد والألف حصني ، والتسع والتسعون سلاحاً تجملني خلواً من المتاعب ، وآمناً
من المشتات^(٢) » .

كما أشار الشاعر إلى كنيته بذكر ابنه محمد ، وصرح باسم والده وجده فيما
سبق ؛ أما تخلصه بنظامي ، فقد تردد مرات كثيرة في كل منظومة .



وإذا ما تركنا هذا إلى تاريخ ولادته ، فإننا لا نجد - فيما نظمه الشاعر -
ذكراً صريحاً لهذا التاريخ ، وقد أدى هذا إلى اختلاف الذين تَمَرَّضُوا لدراسة
نظامي في تحديد تاريخ ولادته اختلافاً شديداً ، يربو على الثلاثين عاماً .
ولعل السبب في ذلك أنهم حاولوا استنباط تاريخ ولادته من تاريخ وفاته ، الذي
بلغ اختلافهم في تحديده إلى ما يزيد على ثلاثين عاماً كذلك .
وقد كادوا يجمعون على أن نظامي تُوُفِّيَ في منتصف الرابعة والستين من عمره ،

(١) الشاعر هنا يذكر مجموع الحروف التي تتكون منها كلمتا نظامي وإلياس
مع إسقاط مجموع (ا ، ب) من مجموع إلياس وذلك بطريقة حساب الجمل
المعروفة ، ليجعل مجموع حروف اسمه مساوياً لمجموع أسماء الله الحسنى ، ويتخذ منها
نوياً من التيمن والبركة .

(٢) در خط نظامی ار نهی کام یعنی عدد هزار ویکنام
وإلياس کالف بری زلامش هم ما - نود و نه است نامش
زینگونه هزارویک حصارم با صد کم یک سلیح دارم
هم فارغم از کشیدن رنج هم ایمنم از بریدن رنج
(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ٤٤)

مستشهدین بما ورد فی آخر منظومه « اسکندر نامه » من ابیات بدو آنها من نظم شاعر آخر . وهذه الأبیات تصف اللحظات الأخيرة من حياة الشاعر ، وقد أثبتنا المتحل بعد ذکر موت الحکماء السبعة فی قصة الإسکندر ، قال : « حينما تمت هذه القصة ، عزم نظامی - أيضاً - علی الرحیل ، ولم یبض علی هذا وقت طویل ، فقد طویبت صحائف تاریخ عمره ، وكان یزید ستة أشهر علی ثلاثة وستین عامًا حينما دَقَّ الطبول إیذانًا بالرحیل ، ثم ذکر أحوال الحکماء السابقین ونام کما نام الحکماء ، وقد أخبر رفاقه - فی وقت الرحیل - حينًا عن الطريق ، وحينًا عن الدلیل ؛ ثم ضحك وقال : إن الفئار قد اُملئ فی رحته ، فأبعدوا عنا متاعبکم ، فأتیم وهذه الدنيا ، ونحن والجنة ؛ وفی أثناء هذا الحديث أخذہ النعاس ، حتی أُیخِلَ إلیک أنه لم یَعِشْ أبدًا » ^(۱) .

وعلی هذا الأساس استنبطوا تاریخ ولادته من تاریخ وفاته ، فیؤخذ مما ذکره دولتشاه أن للشاعر وُلِدَ فی عام ۵۱۳ هـ ^(۲) ، وما ذکره لطفعلی بیگ

(۱) نظامی چو این داستان هد تمام
 نه بس روزگاری بر این برگذشت
 که تاریخ عمرش ورق در نوهشت
 فزون بودشش مه زششت و سه سال
 چو حال حکیمانه پیشینه گفت
 حکیمان بختشد و او نیر خفت
 رفیقان خود را بگماه رحیل
 که از راه خبرداد و گاه از دلیل
 بختدید و گفتا که آمرزگار
 بآمرزشم کرد امیدوار
 زما زحمت خویش دارید دور
 شما و این سرا ماودار السرور
 درین گفتگو بد که خوابش ربود
 تو گفتی که بیدارش خود نبود
 (نظامی : اقبالنامه ، ص ۲۷۹ - ۲۸۰)

(۲) دولتشاه : تذکرة الشعراء ، ص ۱۳۱ . فقد ذکر تاریخ وفاة الشاعر علی أنه ۵۷۶ هـ ، وقد واقفه فی هذا حاجی خلیفه فی کشف الظنون : ج ۱ ، ص ۸۷۱ .

أنه وُلِدَ في عام ٥٢٣ هـ^(١) ، وما أثبتته خواندامير أنه وُلِدَ قبل عام ٥٣٢ هـ^(٢) . كما يستفاد مما ذكره رضا قليخان أن الشاعر وُلِدَ في عام ٥٣٣ هـ^(٣) ، وما قرَّره صاحب « جهان آرا » أنه ولد في عام ٥٣٤ هـ^(٤) ، وما نقله صاحب « صبح صادق » أنه ولد في عام ٥٣٨ هـ^(٥) ، وما ذكره تقي كاشي أنه ولد في عام ٥٤٣ هـ^(٦) .

هذا عدا تواريخ أخرى استنبطها من تعرضوا لدراسة الشاعر^(٧) . وإن

(١) لطفعل ييك : آنشكده ، ص ٢٤٢ . فقد ذكر تاريخ وفاته على أنه

٥٨٩ هـ .

(٢) خواند أمير : حبيب السير ، ص ١١٢ . فقد ذكر أن الشاعر كان معاصراً للسلطان طغرل السلجوقي ، وأنه أتم إسكندرنامه في عام ٥٩٢ هـ ، وكان عمره قد تجاوز الستين .

(٣) رضا قليخان : مجمع الفصحاء ، ص ٦٣٧ . ورياض العارفين ، ص ١٤٩ . كما أورد هذا حاجي خليفة في كشف الظنون : ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٤) هذا يبدو مما نقله ريو في فهرست المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطاني ، ص ٥٦٤ . نقلاً عن جهان آرا ، ورقة ١١١ ، فقد ذكر أن الشاعر توفي في عام ٥٩٧ هـ .

(٥) تربيت : دانشمندان آذربيجان ، ص ٢٨٤ . نقلاً عن « نتائج الأفكار » و « صبح صادق » ، حيث ورد أنه توفي في عام ٦٠٢ هـ ، وقد ورد في حبيب السير ، حاشية ، ص ١١٢ . أن صاحب « نتائج الأفكار » ينقل عن « صبح صادق » أن نظامي قد أتم إسكندرنامه في عام ٥٩٧ هـ ، وعاش بعدها خمس سنوات ، وتوفي في عام ٦٠٢ هـ ، وهو نفس ما ذكره معصومعلي شاه في طرائق الحقائق ، ص ٢٧٩ . (٦) مولوى أغا على أحمد على : هفت آسمان ، ص ٢٩ . نقلاً عن تقي كاشي الذي ذكر - في تذكركه - أن الشاعر توفي في عام ٦٠٦ هـ .

(٧) من الذين تعرضوا لضبط تاريخ ولادة الشاعر دستگردى في مقدمة كنجينه كنجوى ، ص ١١٢ ، ولم يقطع برأى ، وإنما حصر تاريخ ولادته بين ٥٣٤ و ٥٤٠ هـ ، أما باخر في كتابه « حياة نظامي وآثاره » (بالألمانية) ص ٦ ، وبراون =

كانت بعض المصادر المهمة لم تشر إلى هذه المسألة من قريب أو بعيد^(١) .
وهكذا يجد الباحث نفسه تأثراً في بحر متلاطم الأمواج ، من الأقوال المختلفة
التي لا يتفق أكثرها مع إشارات الشاعر نفسه إلى سنه ، في مواضع مختلفة من
منظوماته ، كما لا يتفق مع تواريخ إتمام هذه المنظومات ، ومن قدّمت لم من
الولاء الذين حدّد التاريخ سنى حكمهم .

وأرجح أن نظامي وُلِدَ في عام ٥٣٩ هـ ؛ لأن إشارات الشاعر إلى سنه في
مناسبات مختلفة تجعلنا نرجح هذا التاريخ .

فقد ذكر الشاعر في « إسكندرنامه » أنه بلغ الستين من عمره ، فقال :

== في كتابه : تاريخ إيران الأدبي (بالانجليزية) ج ٢ ص ٤٠٠ - ٤٠١ ، وبرتلس
في كتابه : نظامي شاعر آذربيجان العظيم (بالروسية) ص ٢٦ ، فقد رجحوا أن
الشاعر ولد في عام ٥٣٥ هـ ؛ وأما داراب - في مقدمته لترجمة مخزن الأسرار إلى
الانجليزية - فقد حاول إثبات أن الشاعر ولد في عام ٥٤٠ هـ ، وأن هذا التاريخ
هو الصحيح دون غيره ، بينما رجح ابن يوسف شيرازي في فهرست كتابخانه
مدرسه عالی سبهار ، ج ٢ ص ٥٢٤ . أنه ولد في عام ٥٤٧ هـ .

(١) كنا نطمح في الحصول على معلومات دقيقة عن تاريخ ولادة الشاعر ووفاته
وكل ما يتعلق به من عوفى في « باب الألباب » ، والقزويني في « آثار البلاد » وما
من المصادر الأساسية في هذه الناحية ، ولكننا لم نظفر بشيء ، فلم يذكر عوفى في
باب الألباب ، ج ٢ ، ص ٣٩٦-٣٩٧ . قليلاً أو كثيراً يتعلق بهذه المسألة ، بل إنه
ذكر منظومات الشاعر متفرقة غير مرتبة ، وأغفل ذكر « هفت يسكر » ؛ أما
القزويني في آثار البلاد ، ص ٣٥١ . فقد ذكر أن الشاعر توفي بقراب عام ٥٩٠ هـ ،
الشيء الذي يثبت التحقيق خلافه ، ولم يشر إلى منظومات الشاعر على أنها مجموعة
وإنما ذكرها على غير ترتيب ، وأغفل منها « إسكندرنامه » .

ولعل عدم جمع منظومات الشاعر بعد وفاته بزمان قصير ، وبقائها متفرقة هو
السبب في كل هذه الاختلافات ، كما أن هجوم النول وما أعقبه من اختلال في أحوال
المالك الإسلامية عامة ، وفي إيران خاصة ، قد يكون من الأسباب التي جعلت أبناء
الشعراء تعمي هذه التعمية الشديدة .

« لم يتغير حالى رغم أن عمرى قد بلغ الستين ^(۱) » .

ويبدو أن للشاعر قد أتمَّ هذا الجزء من منظومته فى عام ۵۹۹ هـ ، لأنه قال بعد ذلك بقليل : « إن الدنيا فى اليوم للعائس من شهر إيار لتسمة وتسمين عاماً بعد الخمسائة ^(۲) » .

فإذا كان الشاعر فى عام ۵۹۹ هـ فى الستين من عمره ، فإن هذا يرجح أنه ولد فى عام ۵۳۹ هـ .

كما ذكر نظامى فى منظومته الأولى « مخزن الأسرار » أنه تجاوز الأربعين فقال : « إن صديقاً يلزمك الآن ، فلا تخدع نفسك ، ولا تقرأ الآن دروس سن الأربعين » ^(۳) .

ويبدو أن للشاعر قد أتمَّ « مخزن الأسرار » فى عام ۵۸۱ هـ ، لأنه دعا الرسول إلى الاستيقاظ بعد أن نام خمسمائة وسبعين عاماً ليُصلِّحَ فساد العصر فقال : « كفى نوم سبعين وخمسمائة عاماً ؛ أسرع إلى مجلسنا لأن اليوم قد تقدم » ^(۴) .

(۱) بشصت آمد اندازه سال من نکشت از خود اندازه حال من

(نظامى : اقبالنامه ، ص ۲۹۰)

(۲) جهان را بردهم روز بود از ایار نود نه گذشته زیانصد شمار

(المرجع السابق ، ص ۲۹۲)

وقد روى بنفس الرواية فى خمسة نظامى طبع كلكتة ص ۱۹۰ ، ريو : فهرست المخطوطات الفارسية فى المتحف البريطانى (بالإنجليزية) مخطوطة

Add. 16, 782. foll. 117.

(۳) یار کنون بایدت افسون خوان درس چهل سالگی اکنون خوان

(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ۴۹)

(۴) پانصد وهفتاد بس آیام خواب روز بلنداست بمجلس شتاب

(المرجع السابق ، ص ۲۷)

وقد روى هذا البيت رواية ثانية تغيرت فيها كلمة سبعين « هفتاد » إلى خمسين =

وقد توفي الرسول في عام ١١ هـ ، مما يدل على أن هذا النظم كان في عام ٥٨١ هـ ، أى في الوقت الذى كان الشاعر فيه قد تجاوز الأربعين من عمره ، كما ذكر هو ؛ وهذا يؤيد مارجنتاه من أن نظامى ولد في عام ٥٣٩ هـ ، ويطمئنا إلى أن هذا التاريخ هو أقرب التواريخ إلى الحقيقة .

* * *

وندع هذا لتحدث عن نشأة الشاعر .

-

= « بنجاه » كما روى رواية ثالثة تغيرت فيها الكلمة نفسها إلى ثمانين « هشتاد » ولكن الرواية الأولى ، التى سبقت ، هى الأصح لأننا لو قبلنا الثانية فإن تاريخ إتمام « مخزن الأسرار » يكون ٥٦١ هـ ، كما أننا لو قبلنا الثالثة ، فإن هذا التاريخ يصير ٥٩١ هـ ، وكلا التاريخين يتناقض مع تاريخ إتمام منظوماته الأخرى التى تلت « مخزن الأسرار » كما يتناقض مع إشارات الشاعر إلى سنه .

الفصل الثاني

نشأة نظامي

نستطيع أن نلمس من أشعار نظامي ، أنه نشأ نشأة دينية ، متأثراً بوسط كنبه الذي عاش فيه ، فقد قرّر هو أنه كان متديناً منذ شبابه فقال : « لم أقف - منذ شبابي - على باب أحد غيرك لقربي منك ^(١) » .

ولذلك وجدناه في « مخزن الأسرار » أولى منظوماته ، كثير التحدث عن التفكير والمراقبة ، والانقطاع للعبادة ، كما وجدناه تزامناً إلى ما يقوم به المتصوفة من الجلوس جلسة تفكير ، في حالة مراقبة ، فهو بصور انحناه ، ووضع رأسه على ركبتيه ، كلامة للتفكير ، وحينئذ تنكشف له الأسرار ، فينظر بعين القلب ويدرك الحقائق ، وذلك في قوله : « وضعتُ رأسي فوق ركبتى ، وأشرق وجهي بنور الله ، فصارتُ مرآة القلب فوق الركبة ، فطرحت مرآة النظر ، ونظرت في مرآة القلب ، لأرى من أى أنواع التجلى يأتي الفيض الإلهي » ^(٢) .

نم بين أن الزاهد حين يضع رأسه فوق ركبتيه ، ويتفكر ، تتجلى أمامه الحقائق بالتدرج ، حتى يحيط بالعالمين ، فهو يحطّ روحه ثم يبنها على

(١) چون جهد جوانی از بر تو بر در کس ز فتم از در تو

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۵)

(٢) فرق بزیر قدم انداختم و ز سر زانو قدمی ساختم

گشته ز بس روشنی روی من آینه دل سر زانوی من

منکه باین آینه پرداختم آینه دیده در انداختم

تا ز کدام آینه تابی رسد باز کدام آتشم آبی رسد

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۳۲)

أساس جديد قَوِيّ ، يستطيع أن يُسَخَّر به الفلك ، فقال : « حينها يجعل الزاهد ركبته مسنداً للرأس ويصبح جسمه كالحلقة ، يسبح قلبه في المألن ، وفي أثناء هذه الجلسة يُخَطِّمُ روحه ، ثم يبينها من جديد ، وحينذاك يستطيع أن يسخر للفلك ، وأن يحنى ثمار التعبد أضعافاً مضاعفة » ^(١) .

فنظامي يتحدث بطريقة المتصوفة وأسلوبهم منذ بداية أشعاره ، مما يُرَجِّح تغلغل التدبُّن في قلبه ، وأنه نشأ مُحِبّاً للعبادة والتقوى .

ويبدو أن نظامي كان إذا جلس للتفكير ، أمتع في الجلوس حتى يصل إلى الحقيقة ، غير أن طريقه كان وعراً ، ولذلك فإنه يعتقد أن أحداً غيره لا يستطيع سلوك هذا الطريق ، فيقول : « كثيراً ما مكثت رأسي فوق ركبتي ، حتى أتهدي إلى الطريق ، وقد قطعت المرحلة عن طريق اليقين . فاسلك نفس الطريق الذي سلكته (فهو الطريق الوحيد إلى الحقيقة) . ولـسـكنك لست أهلاً لهذا الطريق ، فاحترس ، واترك أسر نظامي لنظامي » ^(٢) .

وقد وصف الشاعر لنا خلوتين جلس فيهما تحت رعاية القلب ، في حالة تفكير ومراقبة ، حتى انجلت الحقائق أمامه ، وشعر بالسعادة تغمره ، وبلذة

(١) چون سر زانو قدم دل کند در دوجہان دست حمایل کند
آید فرقتش بسلام قدم حلقہ صفت پای و سر آرد بہم
درخم این حلقہ کہ چستش کند جان شکند باز درشتش کند
کامی از آن حلقہ زانو قرار حلقہ نہد گوش فلک را ہزار
کامی بدین حلقہ فیروز رنگت مہرہ یکی دہ بدر آرد ز چنگت
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٤٢ - ٤٣)

(٢) بسکہ سرم بر سر زانو نشست تا سر این رشتہ بیامد بدست
این سفر از راه یقین رفتہ ام راہ چنین رو کہ چنین رفتہ ام
محرم این رہ تونہ زینہار کار نظامی بنظامی گذار
(المرجع السابق ، ص ٦٢)

ما سکت علیہ حواسہ ^(۱) وَاخذ یصف المراحل الّتی مرَّ بها ، ففی أول الجلسة جرّده القلب من کل شیء فَنَسى العالم وما فیہ ، وتفرّغ بکلّیتہ للعبادة والتفکر وهو یُصوّر ذلك فی قوله : « حینما بدأت العبادة جرّدت رائفی من العالم ، فصرت متصلاً بحبلہ ، وازددت تعلقاً به حتی وصلت العبادة إلى اسمی درجاتها ، وانقطعت عن العالم وما فیہ ^(۲) » .

ثم سيطر القلب علی نظامی فأصبح رائدہ ، وقائد طریقہ ، وشریکاً لہ فی غمہ ، ومشفقاً علیہ فی شئونہ ، رغم أنہ کان یلاحظ منہ تقصیراً . وفی ذلك یقول الشاعر : « لقد کان القلب متعلقاً بنا فی هذه الحالة ولو أنه لیس إلہاً ، إلا أنه کان ربّ شئوننا ، فهو قائد طریق فی العالمین ، وإلا ما شارکنی الغم ، ورغم أنہ لم یُشاهد منی استعداداً کبیراً ، إلا أنه لم یُزِعْ عَن شفقته ^(۳) » .

وقد استقر نظامی فی هذه الحالة ، یرتقی من منزلة إلى منزلة أرفع ، حتی وصل إلى درجة الکشف ، فأدرك الحقیقة ، وصار مقرباً .

ویدو من إشارات الشاعر أنه قضی سنین عديدة من عمرہ ، فی عبادة الله علی هذا النحو ، فهو یتحدث فی منظومته الثانية « خسرو وشیرین » عن انزوانہ ،

(۱) نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۵۳ - ۷۰ .

(۲) رایش من چون ادب آغاز کرد از کرہ نہ فلکم باز کرد
 کرچه کرہ در گرهش بود جای برنگرفت از سراین رشته پای
 تا سراین رشته بجائی رسید کان کرہ از رشته بخواهد برید
 (المرجع السابق ، ص ۵۳)

(۳) خواجہ مع القصہ کہ در بند ماست

کرچه خدا نیست خداوند ماست
 شحنة راه دوجہان منست گرنہ چرا درغم جان منست
 کرچه بسی ساز ندارد زمن شفقت خود باز ندارد زمن
 (نفس المرجع والصفحة)

وكيف أن حديثه كان متصلاً بالسما يهتك حجب السكواكب ، ولم يكن له صديق غير الله ، فيقول : « في تلك المدة التي انزويت فيها ، كنت قد وصلت الحديث بالسما ، فأحياناً كنتُ أقطع أبراج السكواكب ، وأحياناً كنت أهلك ستر الملائكة ، وكان لي صديق واحد هو الله ، عرفته بروحي ، وتغائيتُ في عبادته بكل جوارحي ^(١) » .

وكان يتعبد بطريقة خاصة ، هي أن يعتكف أربعين يوماً ^(٢) ينقطع فيها عن الناس . وقد تعبد بهذه الطريقة خمسين مرة ، في مدة أربعين عاماً ، وفي ذلك يقول : « لا تضع أصابعك على الورق الملوث ^(٣) بعد أن اعتكفت خمسين مرة في أربعين عاماً » ^(٤) .

نم أكد أنه لم يترك العبادة حتى آخر حياته ، فقال في آخر منظوماته « إسكندرنامه » مخاطباً ربه : « إنك في الليل وفي النهار ؛ في المساء وفي الصباح ، مقدمٌ في ذاكرتي على كل شيء ، فحينما أحاول النوم في الليل ، أجدُ في تسبيحك أولاً ، وحينما أستيقظ من النوم في منتصف الليل أذكرك وأذرف الدموع ؛ فإذا ما أصبح الصباح ، سلكتُ طريقى إليك ؛ وأنت ملجئ طول

(١) در آن مدت که در راسته بودم سخن با آسمان پیوسته بودم
 گهی برج کواکب می بریدم گهی ستر ملایک می دریدم
 یگانه دوستی بودم خدای بصد دل کرده باجان آشنائی
 (نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۳۵)

(٢) كانت هذه الطريقة تسمى « چله » أي الأربعينية . وهي أن يظل العابد معتكفاً أربعين يوماً يتعبد ويتفكر ، فلا يخرج ، ولا يتصل بأحد .
 (٣) يقصد بالورقة الملوثة قصة « خسرو و شیرین » فهو يردع نفسه عن نظم قصة عشق بعد أن تعبد كل هذه الأوقات الطويلة .

(٤) پس از پنجاه چله در چهل سال مزین پنجه در این حرف ورق مال
 (نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۳۶)

اليوم حتى المساء ، لأننى أطلب منك المعونة ليلاً ونهاراً ، فلا تخزنى فى هذه الدنيا ، كما أرجو أيها الإله العادل ، أن أصير - بعد الاحتياج - غنياً ، فأى معبود يُعبد - عن طريق العبودية - مثلك ؟ ... ! إننى أرجو أن يُخلد اسمى فى الدنيا ، وتُفقر ذنوبى فى الآخرة » ^(۱) .

وقد جعله - هذا يخشى الله ، ويسأله الفقران والرحمة . فيخاطبه قائلاً :
« عاملنى باطنك ، ولا تعاملنى بعدلك » ^(۲) .

ولذلك ؛ فقد حاول الشاعر الاستفادة من وقته ، فلم يضيعه عبثاً ، بل قضاء فى تحصيل العلوم المختلفة ، فنشأ محباً للعلم والدراسة ، وقد تجلّى هذا فى شعره ، وقرر هو أنه لم يَمِ ليلة قبل أن يفتح باباً من أبواب العلم والمعرفة ، فقال : « لم أقطع العمر باللعب ، فقد كان لى عمل آخر غير الطعام والنوم ، ولم أنم ليلة - على فراشى - مسروراً ، قبل أن أفتح - فى تلك الليلة - باباً من أبواب الحكمة » ^(۳) .

(۱) شب وروز درشام ودر بامداد تو بر يادى از هرچه دارم بيا
چو اول شب آهنك خواب آورم بتسبيح نامت شتاب آورم
چو در نيمشب سر برارم ز خواب ترا خوانم وريزم از ديده آب
وگر بامدادست رام بتست همه روز تا شب پنام بتست
چو خوام ز تو روز و شب ياوري مكن شر مسارم در اين داوري
چنان دارم اى داور كار ساز كزين با نيازان شوم بى نياز
پرستنده كز ره بسدكى كند چون توئى را پر ستندكى
درين عالم آباد گردد بگنج در آن عالم آزاد گردد زرنج
(نظامى : شرفنامه ، ص ۷)

(۲) بفضل خویش کن فضل مرا يار بعدل خود مكن با فعل من كار
(نظامى : خسرو و شیرين ، ص ۹)

(۳) پيازی نبردم جهان را بسر كه شفى دگر بود جز خواب و خور
نختم شى شاد بر بسترى كه نگشادم آتش زدانش درى
(نظامى : شرفنامه ، ص ۴۷)

وقد جعله هذا يطلع على علوم كثيرة مختلفة ، ولكنها جميعها لم تُصَرِّفه عن هدفه الأسمى ، وهو عبادة الله ، بل كانت تزيد إيماناً بقدرة الله وعظمته ، وبأن الله ربُّ كل شيء ، فيزداد تعلقاً به وقرباً منه ، فهو يقول : « لقد قرأتُ كل دقائق النجوم ، والعلوم الخفية ، وفُتِّشت عن السرى كل ورقة اطلمت عليها فلما وجدتُك محوَّت الأوراق ، فقد رأيتُ الجميع يولون وجوههم نحو الله ، ورأيتُك أنت رب الجميع » (۱) .

وقد أثرت هذه النشأة الدينية في الشاعر ، وفي شعره ، فجعلته لا يعتقد في التنجيم - رغم أنه درس علم النجوم - مما نلسه في قوله : « كيف يأتي الخير والشر من النجم ، وهو نفسه عاجز عن الخير والشر ؟ ! ... فلو كان النجم يهب السعادة ، لكان كيقهادر من نسل منجم ! ... أي منجم استطاع أن يحصل - بتنجيمه - على كنز ؟ ! ... إنك قد تملأ - دون وساطة النجوم - كنزاً لمن لا يعرف عدد النجوم وهل هي سبعة أم خمسة ! ... » (۲) .

والشاعر وإن كان قد أكثر من الحديث عن الخمر ، إلا أنه لم يقصد بها الخمر المادية ، وإنما قصد بها الخمر المعنوية ، التي كان يشمر بلذتها من عبادة الله ، ونسيان النفس ، حينما يكون ساقيه وعد الله ، وصبوحه الفناء فيه . فقد أقسم بالله أنه لم يَكُوِّث شفتيه بالخمر مدة حياته فقال : « لا تعتقد أيها الخضر المبارك

(۱) هرچه هست از دقیقه های نجوم بایکایک نهفته های علوم

خواندم و سر هر ورق جسم چون ترا یافتم ورق شستم

همه را روی در خدا دیدم در خدا بر همه ترا دیدم

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۵)

(۲) بدونیک از ستاره چون آید که خود از نیک و بد زبون آید

گر ستاره سعادتی دادی قیباد از منجمی زادی

کیست از مردم ستاره شناس که بکنجینه ره برد بقیاس

تو دهی بی میانجی آنرا کنج که نداند ستاره هفت از پنج

(المرجع السابق ، ص ۴)

أن قصدي من الشراب الخمر ، إنني قصدت - بتلك الخمر - النيبوبة ، وزينتُ
 المحفل بتلك النيبوبة ، لأن لي ساقياً من وعد الله ، وصباحاً من الخلوات ،
 وشراباً من النيبوبة ؛ وإلا فقسماً بالله أنني - منذ وُجِدْتُ - لم أَلُوثُ شفتي
 بالخمر ؛ وليجعل الله لكل حلال حراماً عليّ إذا كان حلق قد لُوث بالخمر ^(۱) .
 كما جعلت هذه للنشأة الدينية الشاهر يتحنّف في شعره ، فيتغنّى بالفضيلة ،
 ويُفضّل الشعر الذي لا يتعارض مع الشرع ، والذي يُصوّر أسمى الأهداف
 الدنيوية ويُجذّبيها ، فهو يقول : « إذا لم يجعلك الشرع مشهوراً فلا تُرشح نفسك
 للشعر ، لأن الشرع يحمل الشعر يصل بك إلى سدرة المنتهى ، ويمدحك حكومة
 ملك المعاني ، فيصل شعرك عن طريق الشرع إلى مكان ، يصل ظلك فيه إلى
 الجوزاء » ^(۲) .

ولذلك ؛ فقد أحدثت محاولته نظم بعض قصص المشق نزاعاً شديداً بين عقله
 الظاهر ، وعقله الباطن ؛ أو بينه كإنسان ذي عاطفة تتذوق العشق والجمال ،
 وكرجل عابد متديّن يعتبر حديث المشق لغواً يصرفه عن عبادة الله ، إن لم يفسد
 عليه هذه العبادة .

(۱) نپنداری ای خضر پیروز پی که از می مرا هست مقصود می
 بدان ییخودی مجلس آراستم
 مرا ساقی از وعده ایزدیت صبوح از خرابی می از ییخودیت
 وگرنه بیزدان که تابوده ام بمی دامن لب نبالوده ام
 گر از می ندیم هرگز آلوده کام حلال خدایت بر من حرام
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۳۸)

(۲) تانکند شرع تورا نامدار نامزد شعر مشو زینهار
 شعر تورا سدره نشانی دهد سلطنت ملک معانی دهد
 شعر تو از شرع بدانجار سد کز کورت سایه بجوزا رسد
 (نظامی : هزن الأسرار ، ص ۴۴)

وقد صور الشاعر هذا النزاع في صورة عاتب عتب عليه حينما شرع في نظم قصة « خسرو شیرین » ؛ فأخذ يذكره باعتكافه الطويل المتكرر ، ويلومه على محاولته إحياء رسوم الزردشتيين ، وفي هذا يقول الشاعر : « دخل المليم بالسّر ، في حالة عتاب ، فلامني لوماً شديداً (قائلًا) : أحسنت يا ملكاً في عالم المعاني ، ويا عاهلاً في ملك الكلام ... لا تضع أصابعك على هذا الورق الملوّث ، بعد أن اعتسكفت خمسين مرة في أربعين عاماً ؛ ولا تُفطر بمظلم جيفة بعد هذا الصوم الذي قمتَ به ، اطرح من يدك خداع المشركين ، ولا تنظم الأباطيل كما فعل الزردشتيون ... انظم في توحيد الله ، فإن لك شهرة (في هذا الميدان) ... لماذا تمهي رسوم المجوس ؟ ... إن العرفاء يعدّون قلبك ميتاً ، ولو أن الزردشتيين يعتبرونه حيّاً » (۱).

وهكذا نرجح أن نظامي نشأ نشأة دينية ، وأن هذه النشأة أثرت فيه وفي شعره تأثيراً كبيراً ، وحاولت أن توجه وجهات معينة في نظم الشعر ، وقد ظل تدبّنه ملازماً له طوال حياته .

ونترك هذا للنعرض ثقافته وألوانها المختلفة .

(۱) در آمد سر گرفته	عتابی سخت	با من در گرفته
که احسنت ای جهاندار معانی	که در ملک سخن صاحبقرانی	
پس از پنجاه چله در چهل سال	مزن پنجه در این حرف ورق مال	
درین روزه چو هسقی پای برجای	بمردار استخوانی روزه مگشای	

فربت پرستان بفکن آزمشت فسون خوانی مکن چون زند زردشت

در توحید زن کاوازه داری	چرا رسم مغان راتازه داری
سخندانان دسترا مرده داند	اگر چه زند خوانان زنده خوانند

(نظامی : خسرو شیرین ، ص ۳۶)

الفصل الثالث

ثقافة نظامي

يبدو من أعمار نظامي أنه كان ذا ثقافة واسعة ، فكان مُلمّاً بالعلوم الرائجة في عصره ؛ من دينية وغير دينية .

أما ثقافة الشاعر الدينية ، فإن شعره يدلّ على أنها كانت واسعة شملت دراسة القرآن والحديث ، والإمام بما في كتب السيرة .

فهو يشير إلى قصة الحجر الذي ألقى على الرسول صلى الله عليه وسلم فكسر إحدى أسنانه ، فيقول : « إن جوهره لم يجرح قلب الحجر ، فلم كسر الحجر جوهره »^(١) .

ويذكر قصص الأنبياء ويتخذها وسيلة لتقرير أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان خاتمهم وأفضلهم ، وأنه لولاه ما خلق الله الأفلاك .

وهو يبدأ بقصة نوح وما حدث من طوفان ، فيقول : « لقد وصل نوح الظمآن إلى ماء الحياة ، ولكنه أخطأ عين الماء فحدث الطوفان »^(٢) .

ويشير إلى قصة إبراهيم ، وما قبل من أنه زلّ لحكمة ثلاث مرات ،^(٣)

(١) كوهراًو چون دل سنكى نغست سنك چراكوهر أورا شكست

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٢١)

(٢) نوح كه لب تشنه بهيوان رسيد چشمه غلط كرد وبطوفان رسيد

(المرجع السابق ، ص ٢٩)

(٣) يقال إن إبراهيم قد زلّ لحكمة ثلاث مرات ؛ الأولى حينما نظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم وقد ورد ذكرها في سورة الصافات ، آية ٨٨-٨٩ (فظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم) . والثانية لما رأى الشمس بازغة فقال هذا ربي وقد جاء ذكرها في سورة الأنعام ، آية ٧٨ (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر) والثالثة حينما سأله عن حطم الأصنام فقال: (بل فله كبيرم هذا فاسألوه إن كانوا ينطقون) سورة الأنبياء ، آية ٣ - ٦ .

فیقول : « لما أکثر إبراهيم النظر ، اختلف به الرأي فزل وسط الطريق ، فی ثلاثة مواضع » ^(۱) .

ویذکر داود وقیثارته مستعملاً اصطلاحات موسیقیة ، فیقول : « لما أصبح صدر داود ضيقاً صاغ له لحناً يناسبه » ^(۲) .

وبشیر إلى قصة يوسف وإلقائه فی البئر ، فیقول : « لم یر يوسف فی البئر شیئاً غیر الحبل والدلو » ^(۳) .

کما یبشیر إلى قصة الخضر وعثوره علی ماء الحیاة فی قوله : « لوی الخضر عنانه بعد هذا السفر الشاق ، فابتل ذیله ، فصر علی عین الماء » ^(۴) .

وبشیر إلى قصة موسى ورغبته فی رؤیة الله ، فیقول : « لم یستفد موسى شیئاً من طلبه رؤیة الله ، فخر صعقاً » ^(۵) بسبب قوله : رب أرنی أنظر إلیک » ^(۶) .

(۱) مهد براهم چو رای او فتاد نیم زه آمد دوسه جای اوفتاد

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۲۹)

(۲) چون دل داود نفس تنگ داشت در خور این زبر ، بم آهنگ داشت

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) يوسف از آن چاه عیانی ندید جز رسن ودلو نشانی ندید

(للمرجع السابق ، ص ۳۰)

(۴) خضر عنان زین سفر خشک تافت دامن خود ترشده چشمه یافت

(نفس المرجع والصفحة)

(۵) ورد ذکر هذه القصة فی سورة الأعراف ، آیه ۱۴۳ « قال رب أرنی أنظر

إلیک قال لن ترانی ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانی ، فلما تجلی

ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ، فلما أفاق قال سبحانک تبت إلیک وأنا أول

المؤمنین » .

(۶) ضمن نظامی هذا المعنی فی قوله ، فی مخزن الأسرار ، ص ۳۰ :

موسی از این جام تهی دید دست شیشه بگهیایه أرنی شکست

ويذكر قصة المسيح ومجيئه إلى الدنيا بدون والد ، مما أثار التهم حول والدته ^(١) ، فيقول : « لقد جاء المسيح بهذه الطريقة (دون والد) فكان بذلك مصدر تهمة لوالدته ^(٢) » .

ويحتم بأن الرسول هو خانم الأنبياء الذي من أجله خلُق كل شيء ، فيقول مخاطباً الرسول : « لقد كُنْتُ للسبب في خلق الفلك ، فقد أَلْفَيْتَ ظلك عليه . وأنت خانم النبيين ، فقد خُتِمَ كتابهم باسمك ، كما انتهت - بزمانك - خطبة النبوة ^(٣) » .

وكان نظامي إلى جانب معرفته قصص الأنبياء - مُلماً بالتاريخ الفارسي القديم ؛ وإن نظمه لقصص « خسرو وشيرين » و « بهرام گور » لأ كبير دليل على ذلك . هذا فضلاً عن ذكره أسماء كثير من ملوك الفرس القدماء ، وبعض الوقائع التي حدثت في مصورهم .

أما اطلاع الشاعر على الفلسفة فيتضح من ذكره آراء الفلاسفة ، ومناقشته لها ، وإظهار رأيه هو ، في كثير من الأحيان .

فقد أورد - في قصة الإسكندر - آراء الحكماء السبعة في أصل العالم ، واخلق الأول ، فقال إن « أرسطو » يرى أنه « الحركة » ؛ بينما يرى « تهاlesi » أنه « المادة الأصلية » ؛ ويعتقد « بكتيناس » أنه « الأرض » فهي الطلسم الأول ؛ ويرى « سقراط »

(١) يشير إلى ماورد في سورة مريم آية ٣٨ « ياأخت هرون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا » وهي التي تورد الاتهام .

(٢) عزم مسيحهانه بدین دانه بود کو زدرون تهمی خانه بود
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٣٠)

(٣) هم تو فلک طرح در انداختی سایه بر این کار بر انداختی
مهر شد این نامه بعنوان تو ختم شد این خطبه بدوران تو
(نفس المرجع والصفحة)

آنه «السحاب» ؛ ویمیل «فورفوربوس» إلى أنه «المادة التي تحولت من فیض الله» ؛ وبعطی «هرمس» وصف العالم ، ثم يقول : « إنه ليس معلوماً لديه كيف خُلِقَ » ؛ ویری «أفلاطون» : أن الله خلق « مواد متفرقة » ، لأنه لو كانت هناك مادة أصلية لكانت أزلية . وینغم الإسكندر بقوله : « إن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُقبلَ كحقیقة هو أن العالم قد خُلِقَ ، وأن الله موجود ، وأنه واحد قادر » ^(۱) .

وقد ذكر نظامی رأیه - بعد إيراد هذه الآراء ، وهو أن أول شيء خلقه الله هو « العقل » ، ثم افتخر بأن الخضر نصحه بالأيذکر رأى الفلاسفة ، مادام يستطيع إظهار فلسفته . فقال : « خلق الله العقل أولاً ، وأيقظ العين بنوره ... وقد جاءني الهاتف المسمى الخضر ، مخترقاً القبة الخضراء ، فأوصل إلى السلام ، وجلس بعد السلام إلى جواری ، وملاً رأسی كلاماً ، ثم قال لی بصوت لطیف : لا تسند هذه الكلمات الدقيقة إلى السنة الفلاسفة ، فانت أعرف بالسر منذ الأصل ، فلماذا تُسند الكلام إلى الفلاسفة ، وتدع الكلام اللطیف لتلك العظام النخرة ۱۹ ... لاتأكل خبزك على مائدة الآخرين ، وضع هذا التمر اللذيذ فوق مائدتك أنت ^(۲) » .

(۱) نظامی : إقبالنامه ، ص ۱۲۰ - ۱۳۱ .

(۲) نخستین خردرا پدیدار کرد ز نور خودش دیده بیدار کرد

هانا کاین هاتف خضر نام درود رسانید و بعد از درود
 که خاراشکافت و خضر خرام بکاخ من آمد ز گنبد فرود
 دماغ مرا بر سخن صکرد کرم سخن گفت با من با آواز نرم
 که چندین سخنهای خلوت سگال حوالت مکن بر زبانهای لال
 تو میخاری این سرورا بیخ و بن بر آن فیلسوفان چه بندی سخن
 چراست باید سخنهای تمیز بر آن استخوانهای پوسیده مغز
 بخوان کسان بر مخور نان خویش شکینه نه بر سر خوان خویش

(نظامی : إقبالنامه ، ص ۱۳۲ - ۱۳۳)

كما كان للشاعر إلمام كافٍ بعلم التنجيم ، فقد ذكر مصطلحات هذا العلم ، في مواضع كثيرة من شعره ، فذكر أولاً الجسطى الذى وضعه بطليموس^(١) .

كما أشار إلى الأسطورة القديمة القائلة بأن الأرض يحملها حوت ، فذكر سمكتين إحداهما فى أعلى - وهى النجم الذى فى بحر الحوت - وأخرى فى أسفل^(٢) .

ثم قال إن شعره روحانى ، لأنه مرتبط ببرج الميزان ، وكل من يرتبط بهذا البرج يكون روحانياً ؛ كما قرّر أن السحر الحلال قد أصبح قوته فطنى سحره على سحر هاروت ، ولذا فهو حى بالشعر ، وهو سحره^(٣) .

وأخذ يشير إلى الكواكب والنجوم ، فى كل منظومة من منظوماته ، ويحاول أن يحكمّمها فى بعض الأشياء ، كما سيأتى .

ويبدو أن الشاعر كان مُلمّاً بعلم الهندسة ، فقد ذكر اصطلاحات هذا العلم فى مناسبات مختلفة . فهو يقول : « لقد أصبحت مقيداً فى المدينة كالنقطة فى الدائرة^(٤) » .

وهو يستعمل الهندسة فى بيان كيفية خلق العالم ، مبتدئاً بالنقطة فيقول : « كان الألف هو أول حركة صدرت عن تلك النقطة التى اختلفت كتاباتها ،

(١) يبدو هذا فى مدح نظامى لبهرامشاه ، حيث يقول فى غزن الأسرار ، ص ٣٢ :

خضر سكندر منش چشمه راى قطب رصد بند مجسطى كشای

(٢) كوش دوماهی زبر وزیر تو شد صدف گوهر شمیر تو

(الرجع السابق ، ص ٣٤)

(٣) زهره ابن منطقه میزانیست لا جر مش منطق روحانیست

سحر حلام سحرى قوت شد نسخ کن نسخه هاروت شد

شكل نظامی که خیال منست جانور از سحر حلال منست

(الرجع السابق ، ص ٤٦)

(٤) من که درین دایره دهر بند چون گره نقطه شدم شهر بند

(الرجع السابق ، ص ٣٢)

فلما رسم الفرجار معه خطاً آخر ، تكون من الخطين شكلاً بسيطاً ، فإذا أحاطت ثلاثة خطوط بشيء كوّنت شكلاً آخر ؛ فاخلط أحياناً قائم وأحياناً منبسط ، وقد صيّرت الخطوط الثلاثة الجسم قائماً . وبهذا الترتيب نستطيع أن نعرف العالم من البداية إلى النهاية ^(۱) .

كما يبدو أن الشاعر قد قرأ شيئاً من كتب الطب ، فهو لا يفتأ يذكر الاصطلاحات الطبية ، والأدوية المختلفة ، ويشير إلى العناصر الأربعة ، في مناسبات متعددة ؛ فهو - مثلاً - يصور شمول الظلام بأن الليل قد مرض من كثرة التفكير ، حزناً على فراق الشمس ، فاحتاج إلى دواء مُسهِّل ، وكان هذا الدواء من التراب ، فالتهم الليل الأرض ، فصار التراب منعماً له ، وبذلك عمّ الظلام السكون ، وفي ذلك يقول : « لقد صنع الليل المفكر - من شدة حزنه - معجوناً مسهلاً من التراب ، فصار التراب له كنفس المسيح ^(۲) » ، فأطلقاً نيران حزنه وصرخه ، وامتزجت الشربة بالمريض ، فساد الظلام جميع الأرجاء ^(۳) .

وكان نظامي - فضلاً عن هذا كله - متصلاً بالحياة اليومية ، ملأ بما كان

(۱) أزان نقطه كه خطی مختلف بود نخستین جنبشی کامد آف بود
بدان خط چو ندگر خط بست پرکار بسیطی زان دوی آمد پدیدار
سه خط چون کرد بر مرکز محیطی بحسم آماده شد شکل بسیطی
خطاست آنکه بسیط آنگاه اجسام که ابعاد ثلثش کرده اندام
توان دانست عالم را بغایت بدین ترتیب از اول تا نهایت
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۴۱۱)

(۲) المقصود بنفس المسيح « قم یاذن الله » .

(۳) از پی سودای شب اندیشه ناک ساخته معجون مفرج زخاک
خاک شده باد مسیحای او آب زده آتش سودای او
شربت ورنجور بهم ساخته خانه سودا شده پرداخته
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۴۷)

عند القيام من عادات ، ورسوم ، وتقاليد اجتماعية ، فهو حينما يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رحمة للعالمين ، يصور ذلك في صورة تدل على إلامه ببعض الألعاب الرياضية ، وكيفية أدائها ؛ فيذكر لعبة الكرة التي تسمى « البولو » فيقول « لقد صنعوا كرة القبول منذ الأزل ، ووضعوها في وسط ميدان القلب ، فتقدم آدم للاعب الجديد ، ليأخذ الكرة ؛ بمضربه وجري حصانه خلف الهدف ، ولكن الكرة سقطت بعيداً عن الهدف فتحنى جانباً ^(١) » .

كما ذكر الكرة وما يتعلق بها ؛ من مضرب ، وميدان لعب ، حينما دعا الرسول إلى الاستيقاظ لإصلاح الدنيا ، فقال : « قم ، وتصرف أحسن من الفلك لأنه لا يصنع شيئاً ، فاعمل أنت عملاً مصلحاً ، فخط سحر الفلك ميدان عملك ، وكرة الأرض في ثنايا مضربك ^(٢) » .

كما أشار إلى بعض التقاليد التي اتبعت في عصره ، فذكر تقليداً اتبعته قبائل الترك ، هو وضع علامة تشبه الهلال فوق خيامهم ، فقال في وصف الياسمين : « إن الياسمين التركي قد ارتفع في الهضبة حتى أوصل هلال خيمته إلى الثريا ، بينما جاء الورد إلى معبد الأسرار ، كما بدأ هندي ^(٣) جاء إلى الصلاة » ^(٤) .

(١) كوی قبولی ز ازل ساختند در صف میدان دل انداختند

آدم نوزخه درآمد پیش تابرد آنکوی بچوگان خویش

بارکیش چون عقب خوشه رفت کوی فروماند و فراکوشه رفت

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٢٩)

(٢) خیزوبه از چرخ مداری بکن او نکند کار توکاری بکن

خط فلك خطه میدان تست کوی زمین درخ چوگان تست

(المرجع السابق ، ص ٣٠)

(٣) يشبه الياسمين بالترك في البياض ، كما يشبه الورد بالهندود في الحمرة .

(٤) ترك ممن خيمه بصحرا زده ماهجه خيمه بثر يا زده

لا به باتشكه راز آمده چون مغ هندو بها ز آمده

(المرجع السابق ، ص ٥٦)

وشبه صعوبة نظم الشعر بطريقته هو ، بصناعة الحبل الذى تكون أجزاؤه موزعة بين الظم ، واليدين ، وأصابع القدم ، فقال : « أيها الفلك . متى يخلصون هذه المقد المحكمة من يدك ۱؟ ... لقد انتقل العمل من اليد إلى أصابع القدم ، فاحلل هذه المقد من صناعة الكلام ^(۱) » .

كما أشار إلى عادة بيع الماء بالخبز ، فقال يننى على الشعراء يبيعهم الشعر - وهو ثمرة القلب - رخيصاً : « إن ثمرة القلب يجب أن يبيعوها غالية ، فتى تصهر ماء حتى يبيعوها بالخبز ۱؟ ... ^(۲) » .

والملاحظ أننا نحس بهذه الثقافة الواسعة المتنوعة ، وإلمامه بالعلوم الشائنة فى عصره ، ومعرفته بعادات العصر وتقاليد من منظومته الأولى « مخزن الأسرار » ؛ مما يرجح أنه قضى وقتاً طويلاً منقطعاً للدراسة والتحصيل إلى جانب تعبدية .

وقد قرّر هو أنه كان يعمى فى البحث والتقصى ، ويتحمل المشاق فى سبيل الوصول إلى الحقيقة العلمية ، فذكر فى « هفت پيكر » أنه تكلف جهداً كبيراً ، فى جمع المادة المتصلة بالموضوع ، فبحث فى الكتب القديمة المبعثرة فى أنحاء العالم المختلفة ، من عربية وفارسية ، كما استفاد من المرقّ منها ، ثم درس ما جمعه واختار منه ما يلائم موضوعه . فقال : « لقد اجتهدت فى هذه المنظومة ، أن تكون جملاً من نوع غريب ، فبحثت فى الكتب القديمة النادرة التى كانت مبعثرة فى أرجاء العالم ، من عربية وفارسية ، من نسخ البخارى والطبرى ، ومن النسخ الممزقة الأخرى التى وجدتها ملوأة بالمعلومات القيمة ،

(۱) أى فلك از دست تو چون رسته اند این گره هاى كه كمر بسته اند

كارشد از دست بانگشت پاى این گره از كار سخن واكشای

(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ۴۳)

(۲) میوه دلرا كه بجای دهند كى بود آبی كه بنای دهند

(نفس المرجع والصفحة)

وقد جمعت كل ورقة وقعت في يدي في حقيية ، واطلمت عليها ، حتى هضمتها ، ثم اخترت ماراتي منها ^(۱) .

كما أنه حينما أراد نظم قصة الإسكندر ، وجد الطريق وهرأ أمامه ، فقد كانت المادة مبثورة ، غير موجودة في كتاب واحد ، لحاول الاستفادة من السكتب المختلفة ، كما استفاد من المراجع اليهودية والنصرانية واليهودية ، فاختار أحسن ما فيها عن طريق الترجمة من لغة إلى لغة ، ثم نظم ما وجده صحيحاً منها ؛ وفي ذلك يقول : « حينما أردت نظم هذه القصة ، كان الطريق وهرأ ، والمادة كثيرة ، فلم أر آثار ذلك الملك المتجول مجموعة في سجل واحد ، بل كانت المادة كالسكنوز ، مبثورة في كل نسخة ، فأخذت مادة من كل نسخة ، وصببته في قالب جميل من الشعر ، فضلاً عن استفادتي من للتواريخ اليهودية والنصرانية واليهودية الحديثة . وقد حاولت أن أختار من كل مادة أحسنها ، ومن كل كتاب خير ما فيه ، ثم أحطت بمادتي كالسكنز ، لأصوغ من تلك الجواهر جوهرة كلية نفيسة ، فترجمت من لغة إلى أخرى ، لأن الإلمام بما في لغة واحدة لا يكفي ، فن يعرف لغة واحدة لن يكون قادراً على النقد ؛ ثم عرضت - على مسرح الشعر - كل ما وجدته صحيحاً من تلك النفائس ^(۲) » .

-
- (۱) جهد کردم که در چنین ترکیب
 بازجستم ز نامه های نهان
 زان نسخهای که تازیست و دری
 در سواد بخاری و طبری
 وز دگر نسخها پراکنده
 هر دری در دینی آکنده
 هر ورق کاو فتاد در دستم
 همه را در خریطه بستم
 چون از آن جمله در سواد قلم
 گشته سر جمله ام گزیده بهم
 (نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۷)

- (۲) چو میکردم این داستان بسیج
 سخن راست رو بود ورم پیچ پیچ
 اثرهای آن شاه آفاق کرد
 ندیدم نگاریده در یک نوردد =

و هذا يدل على أن الشاعر قد استفاد من قرب كنجها من البيئات غير المسلمة ، فاطلع على ماعند أهلها ، من علم ومعرفة .

ورغم أن ماأورده نظامی عن الإسكندر لا يتفق كله مع الحقيقة الفارسية ، إلا أنه يدل على مابذله الشاعر ، من جهد وعناء ، في الإطلاع والبحث ، ومحاولة الإلمام بكل شيء مهما كلفه ذلك من تعب ووقت ، وانقطاع للدراسة والتحصيل . هذا بالإضافة إلا إنه كان ينظم قصة ، تمزج فيها الحقائق بالأساطير .

وأغلب الظن أن الإلمام بهذه العلوم المختلفة التي انعكست صور منها في شعره ، كان نتيجة لإتقانه اللغتين العربية والفارسية ، فقد اجتهد المسلمون - في العصر العباسي - في أن ينقلوا كتب العلم ، من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية مما جعل هذه اللغة ضرورية لطلاب العلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وكان الشعراء والكتاب العرب منهم والفرس يعرفون - في ذلك العصر - اللسانين العربي والفارسي غالباً ، حتى سُمي كثير منهم « أصحاب اللسانين » مما يرجع إتيان نظامی للفتن مما ، وقد أثبتت اقتباسات الشاعر من القرآن والحديث والحكم والأمثال العربية ، إحاطته الكاملة باللغة العربية ، وهي التي هيأت له توسيع ثقافته ، وجعلها مختلفة الألوان .



وندع هذا الحديث عن ثقافة نظامی ، لنلم بأخلاقه ومذهبه في الحياة .

==	سخنها که چون گنج آکنده بود	بهر نسخی در پراکنده بود
	زهر نسخه برداشتم مایه ها	برو بستم از نظم پیرایه ها
	زیادت ز تاریخهای نوی	یهودی و نصرانی و یهودی
	گزیده زهر مایه تغز او	زهر پوست برداختم مغز او
	زبان در زبان گنج برداختم	از آن جمله سر جمله ساختم
	زهریک زبان هر که آ که بود	ز بانش ز ییغاره کوته بود
	در آن پرده کز راستی یاقتم	سخن را سر زلف بر تاقتم

(نظامی : شرفنامه ، ص ۶۹)

الفصل الرابع

أهلوى نظامى ومنهجه فى الحياة

١ - أهلوى نظامى :

كان نظامى - كما يبدو من شعره - ذا خلق قويم ، ونفس نبيلة ، متسامحة حتى مع أعدائه ، الذين كانوا يحسدونه ؛ فقد وجدناه يدعو لمن يحسده ، فيقول : « لمسكن لمن يحسد نظامى ، نفس بلا تأوه ، وعين بلا دموع » ^(١) .

كما أن الشاعر لم يخرج فى قصصه عن حدود الفضيلة ، فصور - فى منظوماته - الطهر والعفاف ، ورعاية الفضيلة ؛ مما جعل لها نفعة واحدة .

وكان فى رثائه لزوجاته مثالا للزوج الخالص الحب ، الذى ينظر إلى زوجته نظرتة إلى الشريكة الخالصة ، والمشوقة للمهمة ؛ فرغم أنه تزوج ثلاث مرات ، إلا أنه لم يجمع بين زوجتين فى وقت واحد ، بل إنه كان من أنصار الافتراق بوحدة ؛ وهو ينصح بذلك فيقول : « تكفيك زوجة واحدة فقط ، لأن الرجل الذى له قرينات كثيرات ، يعتبر وحيداً ، إذ أنه يفقد حبهن » ^(٢) .

ويرى أن يفنى كل من الزوجين فى حب الآخر . لأن هذا له أثر مفيد فى الأبناء ، فيقول : « لقد صار الزمان مختلف الألوان ، لأن له سبعة آباء وأربع

(١) كسى كو بر نظامى ميردرشك نفسى بى آم بيند ديدى بى اشك

(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٤٦)

(٢) يكى جفت ترابى بود كه بسياركسى مرد بيكسى بود

(نظامى : إقبالنامه ، ص ٥٩)

أمهات^(۱)، فإذا أردت أن يكون لابنك لون واحد ، فاتخذ مع أمه في قلب واحد^(۲) .

وقد لاحظنا - في أثناء نصح نظامي لابنه - أنه كان يبدو في صورة الوالد المحب ، الذي يمنح ابنه الحنان والمطف ، وينصحه محاولاً أن يطرد عنه اليأس والحزن ، ويخلق فيه المرح والأمل ، ويغرس في قلبه الإيمان بالله والتوكل عليه ، ويرسم له طريق السهر في الحياة ، ويلقنه درساً في الأخلاق الفاضلة ، وفي كيفية معاملة الناس ، ويشجعه على كسب رزقه بالعمل الشريف ، وينصحه إذا عمل عملاً أن يتقنه ، ويدعوه إلى الاعتصام بعمزة النفس ، والسكرامة .

ولقد كان هذا صدى لما في نفس الشاعر من عمزة نفس ، نلمسها في قوله مهبباً بالإنسان أن يترك الذلة والتزلف : « إلى متى تغدّل مثل الثلج المذاب ، ومثل الفأر الميت في الماء ۱۹^(۳) ... » .

ويدعوه إلى ترك خدمة الملوك فيقول : أترك خدمة الملوك ، فالخدمة تذهب السكرامة ، وتجنب صحبة الملوك كتجنب القطنة الجافة للنار الحارقة ، فإن البعید عن تلك النار آمن ، وإن تكن مملوءة بالنور^(۴) .

(۱) يبدو أن الشاعر يقصد بقوله « سبعة آباء » السكواكب السبعة ، ويقول « أربع أمهات » العناصر الأربعة .

(۲) أز آن مختلف رنگ شد روزگار که دارد پدر هفت و مادر چهار
چو يك رنگ خواهی که باشد پسر چو دل باش يك مادر يك پدر
(نظامی : إقبالنامه ، ص ۵۹)

(۳) تاجند چو بخ فسرده بودن در آب چو موش مرده بودن
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۵۲)

(۴) بگذار معاش پادشاهی کآوارگی آورد سپاهی
از محبت پادشاه به پرهیز چون پنبه خشك از آتش تیز
زان آتش اگرچه بر نوراست آمن بود آن کسیکه دورست
(المرجع السابق ، ص ۵۴)

وهو لذلك يقرّر أنه لا يجيد خدمة الملوك فيقول : « لا أجيد خدمة الملوك ، ولا أعرف السجود إلا لله » (۱) .

وهكذا أثرت النشأة الدينية في أخلاق نظامي ، فظل محافظاً على تدينه وأخلاقه الفاضلة بعد اتصاله بالولاة ، فلم تغيرها الأحوال المختلفة ؛ وقد لازمه الدين والخلق طوال حياته ، فأثّرنا إلى حد كبير - فيما انتهجه من مذهب في الحياة .

* * *

۲ - مذهب نظامي في الحياة :

إن الشيء الذي لا شك فيه ، هو أن نظامي كان من الناحية الدينية سقي المذهب ، فهو يطنّب - في كل منظومة من منظوماته - في مدح الرسول والخلفاء الراشدين ، فيقول مثلاً : « حينما أكمل بناء الشرع من جوانبه الأربعة ، صار منيعاً إلى الأبد » (۲) .

ويؤكد هذا المعنى ويوضحه في قوله : « كان « الصديق » إماماً بصدقه ، وقد جاوز قدرُ الفاروق « عمر » الفرّادين ، وكان الشيخ الخجول التقى « عثمان » زميلاً لأسد الله « علي » ، وقد كان الأربعة من معدن واحد ، كريمان شرب من ماء واحد ، فصار ملك الدين موطداً بفضل هؤلاء الخلفاء الأربعة ، كالبيت الذي يهياً بأركان الأربعة » (۳) .

(۱) نداتم کرد خدمتہای شاہی مکر لخلق سجود صبحگاہی

(نظامی : خسرو و عیرین ، ص ۲۴)

(۲) سرای شرع راجون چار حدیست بنابر چار دیوار ابدیست

(المرجع السابق ، ص ۱۱)

(۳) صديق بصدق پیشوا بود فاروق ز فرق هم جدا بود

وان پیر حیائی خدا ترس باشیر خدای بود همدرس

هر چار زیک نوردد بودند ریحمان یک آبخورد بودند

زین چار خلیفه ملک شد راست خانه به چهار حد مییاست

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۱)

نم يقول : « ليس في تقوام شك ولا ريب ، وليس - في هؤلاء الأربعة -
أحد^(۱) معيّا »^(۲) .

ولا تكاد منظومة من منظومات الشاعر تخلو من مثل هذا المديح . وقد
أثبت حبه للخلفاء الراشدين جميعاً ، في قوله : « إذا كان قلبي عامراً بحب علي ،
فلست أخلو من حب عمر ، كما أحب أبا بكر وعثمان ، فهما كالشمع والمصباح اللذين
بضئتان طريق الشرع^(۳) » .

ومادام الشاعر سنياً ، فن الطبيعي أن يوافق الأشاعرة في تفكيرهم ، وقد

(۱) حاول بعض غلاة الشيعة أن يتخذوا من هذا البيت دليلاً على تشيع نظامي .
وقد قال دستگردی في مقدمة گنجینه گنجوی ، ص ۷ « إن هذا البيت إذا كان
من نظم الشاعر فإنه يثبت تشيعه لأنه ترجمة للعبارة التي وردت في محاضرات الراغب
الإصفهانی ، وهي : « مر ابن المعدل يقوم فسلم عليهم ، فلم يجيبوه ، فقال لهم لعلكم
تظنون ما يقال في من الرفض . إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من نقص واحداً
منهم فهو كافر وامرأته طالق . قال بعض من كانوا معه من شيعة : ويحك ماهذه
البيان .. قال : أردت بقولي من نقص واحداً منهم علي بن أبي طالب وحده » وم
يعتبرون مقصود الشاعر هنا يشبه مقصود ابن المعدل وهو أن علياً فقط هو التقي
الذي لا شك في تقواه . وحاول دستگردی أن يجد مخرجاً من هذا المأزق ،
فرجح أن البيت ليس من نظم الشاعر وقال إنه غير موجود في النسخ القديمة .

وأرى أن مقصود الشاعر واضح لا لبس فيه ، فهو يمدح الخلفاء الأربعة دون
تميز أو ترجيح ، ويؤكد أنهم جميعاً نفاة لا شك في تقوامهم ، وأنهم جميعاً منزهون
عن العيوب ، ولكن يبدو أن الشيعة قد حاولوا أن يتخذوا هذا البيت دليلاً على
تشيع نظامي . وقد ظهرت هذه المحاولة حتى في الكتب التأخرية مثل : القرية
إلى تصانيف الشيعة لأقا بزرك الطهرانی ، ص ۲۵۶ .

(۲) در پاکیشان نه شك نه ريب زبن چهار يسكي نداشت عبي

(نظامي : ليلي مجنون ، ص ۱۱)

(۳) بمهر علی گرچه محکم یم ز عشق عمر نیز خالی نیم

مهدون در این مفر روشن دماغ أبو بكر شمعت وعثمان چراغ

(نظامي : شرفنامه ، ص ۲۴-۲۵)

كانت سوقهم رأیحة فی عصره ، فلعل الشاعر قد تأثر بهم ، لأننا نجد یوافقهم فی بعض المسائل المذهبية ، ویخالف المعتزلة . فهو یوافق الأشاعرة فی القول بإمكان رؤية الله بالعين المجردة ، أى بعین الرأس ، مع التنزیه عن الزمان والمكان ؛ وهو - فی وصف المعراج - یميل إلى أن الرسول قد رأى الله بعین الظاهر ، فیقول : « إن القول المستحسن هو أن الرسول رأى الله منزهاً عن الصورة والمكان ، لأن الله یرى ، فیجب ألا تُحجب رؤيته عن العین ، وقد عَمِيَ من لم یقل بالرؤية .. وقد رآه النبی بعین الرأس لابعین القلب ؛ ولكن الرؤية - فی تلك الليلة - كانت منزهاً عن الزمان والمكان ، فكل من شاهد قد وجد طریقاً من جهة لیست مكانیة ^(۱) » .

وهو یكرر هذا المعنى ، مؤكداً أن الرسول رأى الله ، وسمع كلامه ، فیقول : « كان الله - فی وقت الرؤية - منزهاً عن المكان ، فقد نصب العرش فی مكان خاص ، بعيداً عن السكونین ، ودنا الرسول فكان قاب قوسین ، فكان یری حضرة ذی الجلال ، ویدرك سر كلام الحق ^(۲) » .

وقد وافق نظامی الأشاعرة فی قولهم بأن الإنسان مجبور فی كل أعماله ؛ من

(۱) مطلقاً از آنجا که پسندید نیست
دیدنش از دیده نباید نهفت
دید پیغمبر نه بعشمی دگر
دیدن آن پرده مکانی نبود
هر که در آن پرده نظر گاه یافت
از جهت بی جهت راه یافت
(نظامی : غزن الأسرار ، ص ۲۰)

(۲) بازار جهت بهم شکستی
خرگاه برون زده ز سکونین
هم حضرة ذو الجلال دیدی
هم سر کلام حق هندی
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۵)

خیر و شر ، فلا اختیار له فبا فعل ، فقال : « إني أعش في هذه الدنيا ويدي ممسكة بقبضة الفلك » (۱) .

وقرر أنه سواء أكان خيراً أم شراً ، فإن ذلك قضاء عليه لا اختيار له فيه ؛ فقال : « لقد عَجَنْتَ طينتي - التي أوجدتها من التراب - بالطيب والخبيث ، فإذا كانت نفسي خيرة أو شريرة ، فإن قصاءك هو الذي كتب هذا لي » (۲) . وردّ هذه النعمات في مواضع كثيرة من منظوماته .

وقد لاحظنا أن نشأة الشاعر الدينية جعلته يؤثر العزلة ، ويتخذ الاعتكاف - للتفكير والعبادة - مذهباً له في الحياة ، مُقلِّداً - في ذلك - المتصوفة ، وأنه أكثر من الاعتكاف حتى ظن السكثريون (۳) أن الشاعر عاش طيلة حياته في عزلة وانزواء ، فلم يحاول الاتصال بحكام عصره ، أو التردد على بلاطهم مادحاً ، منزلاً ، طامعاً في العطاء ؛ بل لقد بالغوا في وصف عزله إلى درجة أنهم رووا أن الحكام التمسوا القرب منه ، للتبرك به ، والتشرف بالوجود في حضرته . وم - في ذلك - يشبهونه بشيوخ الصوفية (۴) .

- (۱) پای فرو رفته بدین خاک در با فلکم دست بفتراک در
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۳۲)
(۲) سرشت مرا کافریدی ز خاک سرشته تو کردی بنایک و پاک
اگر نیکنم و گر بدم در سرشت قضای تو این نقشه در من نبشت
(نظامی : شرفنامه ، ص ۱۲)

(۳) دولتشاه : تذکرة الشعراء ، ص ۱۲۸ ؛ القزوينی : آثار البلاد ، ص ۳۸۵ ؛ جامی : نفحات الأنس ، ص ۵۴۷ ، واله داغستانی : ریاض الشعراء ، ص ۸۴ ؛ راضی تبریزی : زينة التواريخ (الورقة التي قبل الأخيرة) ؛ عليشير نوائی : مجالس النفائس ، ص ۳۵۲ ؛ عبد النبي قزوينی : میخانه ، ص ۱۰ ؛ میر تقی کاشی : خلاصة الأفكار ، ۱۴۶ ، ۱ ؛ أمین رازی : هفت إقليم (الإقليم السابع) .

(۴) یروی دولتشاه فی تذکرة الشعراء ، ص ۱۲۸ - ۱۲۹ . أن الأتابک قزل أرسلان زار نظامی لیتحنه ، فمرف الشاعر ذلك ، فأظهر له کرامة من عالم الغیب ، فرآه یجلس علی عرش مرصع بالجواهر ، وقد أحاط به مائة ألف من الخدم والجنود =

أما نزوع الشاعر إلى الزهد والاعتكاف ، فقد قَسَرَتْهُ لَنَا نشأته الدينية التي تحدثنا عنها ، في عصر كله حروب ومنازعات تُحِبُّبُ الناس في الاعتكاف ؛ ولا يعني هذا أن الشاعر كان صوفياً .

ونحن نرجح أن نظامي لم يكن صوفياً ، بل كان ميّالاً إلى الخلوة والتعبّد ، فلم يكن مقيداً بما يقتيد به الصوفية - عادة - من اجتماع ، وخرقة ، وغناء . كما نرجح أن هذا الميل قد فرضته عليه الظروف التي أحاطت به ، فإنا كان الشاعر ليجانح في الاتصال بالحكام وأعيانهم لو أن أحداً قر به إليه ، بل إنه كشاعر ، كان يمتنى ذلك حتى يذيع شعره ، وينشر ذكره ب تلك الوسيلة التي لم يكن أمام الشعراء غيرها .
ونحن نحس من مدح الشاعر للولاة والحكام أنه حاول ذلك ، فقدم لهم

= والغلمان والحجاب والندماء، فهت الأتابك، وتقدم لتقبيل قدم الشيخ ، وحينذاك خرج نظامي من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ؛ فرأى الأتابك شيخاً مسنّاً يجلس على باب غار ، وأمامه مصحف ، ودواة ، وقلم ، ومسبحة ، وعصا ، وبضع أوراق ؛ فقبل الأتابك يده بتواضع ، وصار يعتقد فيه اعتقاداً كبيراً منذ ذلك الوقت .
وقد روى هذه القصة - أيضاً - لودي في مرآة الخيال ، ص ٣٤ - ٣٥ - وأغا على أحمد على في هفت آسمان ، ص ٢٧ ؛ ولطعملي بيك في آنشكده ، ٢٤٢ ، ومير حسين سنهلي في تذكرته ، ص ٣٤٣ .

وقد شاعت بين المستشرقين فكرة أن نظامي شاعر صوفي كما يبدو من مقالة أمكشكي التي كتبها عن « مخزن الأسرار » ضمن « عدة مقالات حول نظامي » باللغة الروسية ، ص ٩٥ . نقلا عن كريمسكي في كتابه « تاريخ آداب إيران وفلسفة الدراويش » .

أما القصة التي سبق ذكرها فقد اعتدنا أن نسمع أمثالها - حول الأشخاص الذين يمتازون بصفات بارزة ، من حرية وعقلية ودينية . فهو لاء الأبطال كل في ناحيته ، يكونون مجالا خصباً لأن تروى حولهم مثل هذه القصص التي تبالغ في تجسيم ما عندهم من تلك الصفات البارزة ، وهي قصص يلعب الخيال فيها دوراً كبيراً .

منظوماته ، وأسرف في مدحهم ، ولكنهم لم يلتفتوا إليه ، ولم يفكر أغلبهم في دعوته ، لانشغالهم عنه بالحروب والمنازعات .

والشاعر يقرر أنه لم يجد من يقدره ، فيقول : « لاني أعيش في ظلام دامس دون مصباح يُضي لي الطريق ، كبلبل لا يجد حديقه يأوي إليها ، رغم أني مزجت دم كبدي بالكلام ، فأججت نار الشعر بدم الكبد »^(١) .

وهو يدعو نفسه إلى السكوت لأن الدنيا لا تسمع ، فيقول : « اسكت يا نظامي واختم هذه المقالة ، فاذا تقول لدنيا تضع القطن في الأذن »^(٢) .

ويبدو أنه كان يرسل مدائح إلى الولاة ، فهو حينما يمدح بهرامشاه يُبين أن هذا ليس أول مديح فيقول : « لقد كان قصدي أن أجدد - في هذين الشهرين - العهد بخدمة الملك »^(٣) .

كما يبدو أن الشاعر كان يظهر عدم رغبته في الذهاب إلى حضرة الولاة ، إذا لم يدع ، أما إذا دُعِيَ فإنه كان يلبي فرحاً مسروراً ، ويكفي أن نصور فرحه حين دعاه قزل أرسلان ، فإنه لم يتباطأ لحظة واحدة ، ولم يتعلل بحبه للعزلة ، بل غمرته موجة من الفرح عبر عنها في قوله : « قَفَزْتُ من مكاني لأذهب إلى خدمة الملك ، وسَمْتُ الدابة و الصعراء مسرعاً ، وطفقت أرقص في الجبال والصعاري ، وكنتُ أسابق الحر الوحشية في العدو ، وأسبق الطير و الطبران ، ولم أشبع من الرقص طول الطريق ، وكانت الدابة التي تحتي أ كثر مني رقصاً ، وقد قطعتُ

(١) من بچین شب که چراغی نداشت بلبل آن روضه که باغی نداشت

خون جگر با سخن آییختم آتش از آب جگر انگیختم

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٤٨)

(٢) نظامی بس کن این گفتار خاموش چه کوئی باجهان پنه در گوش

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ٤٢٩)

(٣) بود بسیجم که در این یکدوماه تازه کنم عهد زمین بوس شاه

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٣٨)

الطريق ساجداً لله شاكرًا ، وكنت أمضى كالفرجار ، أدور حول الطريق ،
فكنت أسمع الدعاء لذلك في كل منزل نزلت فيه ، وفي كل مرحلة قطعتها ،
وكنت أنا أدعونه - في كل مرحلة - دعاء جديداً ، كما كنت أشكره بالقرب من
كل عين شربت منها ماء جديداً ، وكان نسيم الدولة يأتي من كل جبل ونهر
لتحيتي ، بفضل لطف الملك . وكانت رائحة حمله ، تفوح مسكية من كل شبر
وطيته قدماي ، فلما أرحت نفسي من غناء السفر ، قبلت الأرض بين يدي
الملك^(۱) .

وهكذا نجد أن الشاعر وإن كان قد عاش في عزلة وانزواء ، وأظهر ميله إلى
الاعتكاف ، وتمجيده له ، وأكثر من الحديث عن عزلته ، في صورة توحى بأنه
قد اتخذ العزلة مذهباً له في الحياة ، إلا أنه لم يكن عازفاً عن الاتصال بالحكام ،
غير أن عدم دعوة أغلبهم له هي التي حالت دون خروجه من كنفه ، وخلقت
في نفسه هذا الميل إلى الانزواء ، وهذا التمجيد له ، كما أوجدت كثرة الحديث
عن الظلم وعدم التقدير .

(۱) بعزمت خدمت شه جسم از جای
برون راندم سوی صحرا شتابان
ز کوران تک ربودم در دویدن
ز رقص ره نمیشد طبع سیرم
همه ره سجده میردم قلم وار
بهر منزل کز آن ره میبریدم
بهر چشمی که آبی تازه خوردم
نسیم دولت از هرکوه ورودی
زمشکین بوی آن حضرت بهر گام
چو بر خود رنج ره کوتاه کردم
زمین بوس بساط شاه کردم

در آوردم بیشت بارگی پای
گرفته رقص درکوه و بیابان
گرو بردم زمرغان در پریدن
زمن رقاص تر مرکب بزیرم
بتسارک راه میرقم چو پرکار
دعای دولت شه میشنیدم
بشکرشه دعای تازه کردم
زلطف شاه میدادم درودی
زمین در زیر من چون عنبر خام
زمین بوس بساط شاه کردم

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۴۵۰ - ۴۵۱)

وَمَا يَرْجِعُ أَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ يَتَّصِلُ بِالْوَلَاةِ وَرَعَايَاهُمْ ؛ أَنَّهُ نَفْسَهُ قَرَّرَ أَنَّهُ اخْتَارَ قِصَّةَ « خَسْرُو وَشِيرِينَ » لَتَرْوِجَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِتَحْوِزَ إِعْجَابَ الْوَلَاةِ ، لِأَنَّهَا مِنْ الْمَوْضُوعَاتِ الْمَحْبُوبَةِ إِلَى أَنْفُسِ النَّاسِ جَمِيعًا ، فَانْتَشَارَهَا يُؤَدِّي ، إِلَى ذِيُوعِ شَهْرَتِهِ وَالْوَصُولِ بِاسْمِهِ إِلَى دَرَجَةِ الْخُلُودِ الَّتِي كَانَ يَشْتَدُّهَا . وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ فِي تَبْرِيرِ نَظْمِهِ لِهَذِهِ الْقِصَّةِ : « لِمَاذَا أَتَعَبْتُ نَفْسِي فِي قِصَّةِ الْعَشَقِ ، وَعِنْدِي كَنْزٌ كَمَا خَزَنَ الْأَسْرَارُ ؟ ! » .

لأنه ليس هناك فرد في العالم اليوم لا يميل إلى مثل هذه القصص ^(۱) .

فالواقع أن الظروف هي التي شجعت نظامي على العزلة ، أما الشاعر نفسه فلم يكن عازفًا عن الناس ، أو عن الاتصال بالحكام .

* * *

ونحنم تعریفنا بالشاعر ، بذكر ما يتعلق بوفاته ومدفنه .

(۱) مرا چون مخزن الأسرار گنجی چه باید در هوس پیمود رنجی
ولیکن در جهان امروز کس نیست که اورا در هوس نامه هوس نیست
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۳۲)

الفصل الخامس

وفاة نظامى ومرفه

أرجح أن نظامى توفى فى عام ٦٠٨ هـ^(١) . فقد كان - فيما يبدو - حياً فى عام ٦٠٧ هـ ، حينما قدّم « خردنامه وإقبالنامه » للامير عز الدين مسعود ، حاكم الموصل ، الذى ولى أمرها فى ذلك العام^(٢) .
وقد أطنب الشاعر فى مدح هذا الحاكم ، وتبين أنه حاكم الموصل ، فقال :
« إله حاكم الموصل بالحكمة والروية ، وهو ملك الملوك بالرجولة »^(٣)

(١) سبقت الإشارة إلى اختلاف المراجع فى تحديد تاريخ وفاة نظامى اختلافاً كبيراً ، يربو على الثلاثين عاماً ، يمكن حصره فى المدة ما بين ٥٧٦ هـ و ٦١١ هـ .
وقد ناقشت هذه المسألة فى أثناء محاولة تحديد تاريخ ولادة الشاعر ، وسرى أن الدلائل الموجودة فى شعر نظامى ترجح أنه توفى بعد عام ٦٠٧ هـ ، وأن أغلب التواريخ التى ذكرت ليس صحيحاً .

(٢) يذكر الحافظ أبو عبد الله الذهبى . فى تاريخ الإسلام الذهبى ، ص ٨٤ ، وأبو الفدا ، فى تاريخه ، ص ١١٩ ، وابن الوردي ، فى تاريخه ، ص ١٢٨ ، وابن العماد الحنبلى ، فى شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٢٤ . أن القاهر عز الدين مسعود قد حلف أياه أرسلان شاه - الذى توفى فى عام ٦٠٧ هـ - فى حكم الموصل وأنه كان فى السادسة عشرة من عمره . ويضيف ابن العماد الحنبلى أن القاهر كان مشهوراً بالملاحة والعدل والسباحة . ويذكر ابن يوسف شيرازى فى فهرست كتابخانه مدرسه على سبيلار ، جلد دوم ، ص ٥٣٠ أن وزيره عماد خوى كان يعرف بنظام الملك الثانى .

(٣) طرف دار موصل بفرزاسكى قدر خار شاعان بمردانسكرى
(نظمى : إقبالنامه ، ص ٣٠)

وقد صرح الشاعر باسمه ، ووصفه بالخلية والبطولة ، فقال : « إنه قائد الأبطال
والغزاة ، الملك عز الدين القاهر ، ذو العرش والتاج ، إن شعاره في الدولة كشعار
طغرل تكين ، وهو أبو الفتح مسعود بن نور الدين » ^(١) .

وقد ورد هذا المديح في أكثر من نسخة خطية قديمة ^(٢) . مما يرجح أنه
من نظم الشاعر ، وأن المدوح هو حاكم الموصل ، القاهر عز الدين مسعود بن
نور الدين أرسلان .

ومما يؤيد ذلك أن الشاعر مدح وزيره عماد الدين خوفي ، وبين أنه - في
حسن تدبيره - أفضل من نظام الملك ، وزير ملكشاه الساجوق المشهور ، فقال :
« إنه وزير أحسن - في التدبير - من نظام الملك ، وقد اشتهر بلقب (كفى الكفاة)
ولما كان الملك مساوياً في العظمة للملكشاه ، فإنه يجب أن يكون نظام الملك الثاني
وزيراً له » ^(٣) .

وقد أشار نظامي إلى موت نور الدين أرسلان والد هذا الحاكم ، فقال :
« مادام الملك أرسلان ^(٤) قد توفي ، وتوسد التراب ، فإنه لا يمكن نظم الشعر ؛

(١) سر سرفرازان وگردنکشان ملك عز دين قاهر شاه نشان
بطغراي دولت چو طغرل تكين أبو الفتح مسعود بن نوردين
ورد هذا المدح في مخطوطة Add. 276. B كاذكريو ، في فهرست المخطوطات
الفارسية بالمتحف البريطاني ، ج ٢ ص ٥٦٨ .

(٢) نفس المرجع والصفحة فقد وردت الأبيات في مخطوطة Add. 16 780. Fol.
214 ومخطوطة Add. 46613. Fol. 267. B

(٣) وزيري بتدبير بيش از نظام باكني الكفائي برآورده نام
چوشه چون ملكشه بود دستگیر نظام دوم بايد اورا وزير
(نظامي : إقبالنامه ، ص ٢٨٢)

(٤) ظن داراب في مقدمة ترجمته « لخزن الأسرار » إلى الانجليزية ، ص ٥٦ .
أن المقصود من أرسلانشاه هو قزل أرسلان الذي توفي في عام ٥٨٧ هـ ، وتمجب
من رثاء الشاعر له بعد مضي وقت طويل ورجح أن الأبيات نظمت في تاريخ =

الهم إلا إذا ساعدتني دولة الملك، فأوحت إلى بقول جديد»^(۱).

فهذه القرائن ترجع أن الشاعر توفي بعد عام ۶۰۷ هـ.

أما الأبيات المنتحلة التي وردت في آخر «إقبالنامه»، والتي تفيد أن الشاعر توفي بعد إتمامه نظم قصة الاسكندر، وأنه كان - في ذلك الوقت - يزيد ستة أشهر على ثلاثة وستين عاماً، كما مرّ، فيبدو أنها تدل على عمر الشاعر حينما أتم القسم الأخير من «اسكندرنامه»، أي أنه أتم هذا القسم في عام ۶۰۳ هـ.

وعما يساعدنا على ترجيح أن «اسكندرنامه» تمت بعد عام ۶۰۰ هـ، أن الشاعر وصف زلزلاً حدث في ذلك العام، وشمل مصر، والشام، والجزيرة، والروم، وصقلية، وقبرص، والعراق، كما ذكر ابن الوردي^(۲)، ويبدو أنه شمل كنفجه التي كانت الزلازل تحدث فيها من وقت لآخر.

وقد صوّر الشاعر هذا الزلزال في صورة تشبه ما ذكره ابن الوردي فقال: «لقد مرّ في ذلك الزلزال السماء، فطمست المدن تحت الأرض، وقد وقع في الجبل والصحراء بدرجة جملة الغبار يتجاوز عنان السماء، فصارت الأرض مضطربة مثل السماء، تتأرجح من لعب الدهر»^(۳).

== سابق وأن المنظومة قدمت لنصرة الدين أبي بكر أتابك آذربيجان، لا لعزيز الدين مسعود، ولكن الأبيات صريحة في أن المقصود هو نور الدين أرسلان أبو عز الدين مسعود، أتابك الموصل، الذي ذكر اسمه قبل ذلك.

(۱) چوشاه آرسلان رفت ودر خاک خفت

سخن چون توان در چنین حال گفت

مگر دولت شه کند یاری در آرد بمن تازه گفتاری

(نظامی: إقبالنامه، ص ۱۲)

(۲) ابن الوردي: تاريخه، ص ۱۲۲.

(۳) از آن زلزله کآسمان را درید شد آن شهرها در زمین ناپدید

چنان لرزه افتاد در کوه و دشت که گرد از گریبان گردون گذشت

زمین گشت چون آسمان بی قرار معلق زن از بازی روزگار

(نظامی: إقبالنامه، ص ۳۲)

وبعد أن صور الشاعر البلاد التي شملها الزلزال صور شدته و كنفه في قوله : « لم يصدر عن جماعات النساء ، والرجال ، والشبان ، والشيب - بسبب هذا الزلزال - إلا صوت نفي الموت »^(١) .

ويبدو أن الزلزال حدث في أثناء نظم القصة ، وكان شديداً إلى درجة أثرت في الشاعر ، وجعلته يُثَبِّتُهُ في ثنايا المنظومة . وبديهي أن وصف الزلزال كان بعد وقوعه ، في عام ٦٠٠ هـ .

وعلى هذا لا يبدو بعيداً أن « اسكندرنامه » تمت في عام ٦٠٣ هـ ، غير أنه نظراً لاضطراب الأحوال ، لم يستطع الشاعر تقديم باقي القصة لنصرة الدين أبي بكر ، أتاك آذر بيجان في ذلك الوقت ، كما قدم القسم الأول منها ، فانتظر حتى تسنح الفرص .

وقد سحنت له فرصة - في عام ٦٠٧ هـ - حينما تولى القاهر عز الدين مسعود أمر الموصل ، فَوَلَّى وجهه شطر الموصل لعله يجد في الحاكم الجديد نصيراً ومشجعاً ، فقدم المنظومة له ، وأرسلها مع ابنه الشاب ، الذي توفي بعد ذلك بقليل .

أما المدة التي تقع بين ٦٠٣ هـ و ٦٠٧ هـ ، فقد عمت فيها أبناء الشاعر ، لكبر سنه ، وضعفه ، وانزوائه .

وقد ورد أن الشاعر عاش خمس سنوات بعد إتمامه قصة الإسكندر^(٢) في عام ٦٠٣ هـ ؛ مما يرجح أنه توفي في عام ٦٠٨ هـ ، أي بعد أن أدرك حكم القاهر عز الدين مسعود ، حاكم الموصل .

ولعل موت ابنه في وقت كان هو فيه شيخاً مخطئاً قد أثر في الشاعر ، فتوفي بعده بقليل ، في نفس العام .

(١) زچندان زن و مرد و برنا ویر برون نامد آوازه جز نغیر

(نظامی : إقبالنامه ، ص ٣٣) .

(٢) خواند امیر : حبیب السیر ، حاشیه ، ص ١١٢ . نقلاً عن صبح صادق ، وقد

سبق ذكره .

ومهما يكن من شيء ؛ فإن نظامى لم يمّت قبل عام ٦٠٨ هـ ، أى أنه توفى فى التاسعة والستين من عمره .

أما الحديث عن الموت والاستعداد للرحيل بعد إتمام « اسكندر نامه » — الذى كان سبباً فيما نجده من اختلافات ؛ فى تحديد وفاة الشاعر ، وولادته ، ومدة عمره — فالعله كان صدى لكبر سنّ الشاعر ، وضعف جسمه ، وقد كرّره فى مناسبات كثيرة ، كان فيها أقلّ هرمًا وأصغر سنًا ، فكان يقول إن جسمه قد ضعف ، وأصبح فى حاجة إلى الراحة التى يقصد بها الموت ^(١) .

* * *

وقد توفى نظامى فى كنجبه ودفن بها ، وكانت له مقبرة ظلت قائمة بضع سنوات بعد إلحاق كنجبه بروسيا ^(٢) ، ثم تهدّمت ؛ وتم بناؤها مرة أخرى

(١) تحدث الشاعر عن الموت ، ورغبته فيه ، فى « ليلى ومجنون » ص ٧ - ٨ ، و « هفت پیکر » ، ص ٤ - ٥ ، و « شرفنامه » ، ص ٣٢ - ٣٨ .

(٢) ممن رأوا مقبرة نظامى رأى العين حاج فرهاد ميرزاى معتمد الدولة ، كايذكر فى كتابه هداية السبيل ، ص ٢٠ . وكان سفره فى عام ١٢٩٢ هـ -- ١٨٨٣ م ، وقد خربت المقبرة بعد ذلك بالتدريج حتى أصبحت فى صورة كومة من التراب ، وكانت قرب مدينة كنجبه القديمة ، وعلى بعد فرسخ من كنجبه الحالية ، وقد نشر بارنولد مقالاً بالروسية تحت عنوان « قبر نظامى » ونشر معه صورتين لبقايا المقبرة ، كما أشار إليها اسكندر منشى تركانى ، فى تاريخه « عالم آراى عباسى » ، ص ٩٨ وما بعدها ، على أنها بقرب كنجبه . وقد ورد فى كتاب « سفرنامه ناصر الدين شاه قاجار » أنها قرب اليزابيتبول وهو الاسم الذى سميت به كنجبه بعد انضمامها إلى روسيا ، كما ذكر أنها كانت خربة جداً فى عام ١٨٧٣ م ، وهذا يشبه ما ذكره باكيخانوف ، فى « گلستان إرم » بالروسية ، ص ١٦٥ .

وقد أعطى شليكن ، فى كتابه « آثار الفن المعماري فى عهد نظامى » ، بالروسية ، ص ٤٩ - ٥٠ . وصفاً لهذه المقبرة وما تم فيها من ترميمات إلى أن تهدمت نهائياً . وفى عام ١٩٢٣م تكونت هيئة من علماء كنجبه عرفت باسم « جماعة نظامى » . وقد استطاع أعضاءؤها — بعد الحفر والتنقيب — أن يخرجوا مابقى من عظام =

في عام ١٩٤٠ م ، في نفس المكان الذي كانت فيه المقبرة القديمة ، أى بالقرب من مدينة كنجبه القديمة ، ثم دُفِنَتْ فيها عظام الشاعر بصفة نهائية ^(١) .



والآن وقد لمسنا مافي عصر نظامي من تيارات موجهة ، وما في بيئته من عوامل مؤثرة ، وعرفنا به ، على ضوء هذه المؤثرات ، نستطيع أن ندرس شعره ، الذي كان ثمرة لهذه الأشياء جميعها ، فقد انمكست فيه أضواؤها . فكان تعبيراً عنها .

وقد خصصنا لذلك الكتاب الثاني من هذا البحث ، حيث ندرس شعر الشاعر دراسة نقدية مقارنة ، محاولين أن نجسم منزلة نظامي بين شعراء الفارسية ، وأن نبرز مزايا فيه الشعرى .

== الشاعر ، ثم أعادوا دفنه في مدينة كير وفاباد في قبر تحوطه حديقة ، وهذه المدينة تبعد فرسخين عن كنجبه القديمة ، كما يبدو مما ذكره دستكردي ، في مقدمة كنجينه كنجوى ، ص ٢٠ . نقلا عن مقالة ترجمها حلخالي ، عن جريدة « ينكى فكر » التركية عددى ٢٥٦ - ٢٥٧ لسنة ١٩٢٣ م

وظلت عظام الشاعر في هذه المقبرة إلى أن تم بناء مقبرته الجديدة ، فنقلت إليها . ونشر دستكردي صورة للقبعة الجديدة في مقدمة كنجينه كنجوى ، ص ل . وقد كتب عليها بالتركية :

Segh Nisami Gencali, Ilyas Yusuf Oglu «Nisamaddin» T. Tev. 535 vef. 599

وترجمة هذه العبارة « الشيخ نظامي الكنجوى إلياس بن يوسف (نظام الدين) ولادته ٥٣٥ ، وفاته ٥٩٩ هـ ، وقد ضبطت تاريخي ولادته ووفاته فيما سبق ، وناقشت الأموال الخلفة التي وردت فيها .

(١) كتاب جمية آذربيجان القديمة (بالروسية) ، مقالة سيسيوف ، ص ١-٢٧ .

الكتاب الثاني

شعر نظم — امی

- ١ — منظومه مخزبه الأسرار
- ٢ — د فسر و وشیرین
- ٣ — د لیلی و مجنونه
- ٤ — د هفت پیکر
- ٥ — د اسکندرنامه
- ٦ — دیوانه نظامی
- ٧ — فن نظامی

تمهيد

خلف نظامي خمس منظومات ، يقرب مجموع أبياتها من ثلاثين ألف بيت من الشعر ، ألا وهي : « مخزن الأسرار » و « خسرو وشيرين » و « ليلي ومجنون » و « هفت بيكر » و « اسكندر نامه » . كما خلف ديوان شعر بقي منه ألفا بيت تقريباً ^(١) .

وقد نظم الشاعر منظوماته الخمس بطريقة المثنوى ، مما يجعل من الضروري التعريف بهذا الفن ، قبل دراسة المنظومات نفسها .

١ - فن المثنوى :

يُعتبر فن « المثنوى » من الفنون التي اخترعها العجم ، وقد أخذها العرب عنهم وسموه « المزدوج » كما أخذوا فن « الرُبَّاعي » الذي يُسمى « الدَّو بيت » ^(٢) . وقد عرّف « المثنوى » بأنه اشعر الذي يُدبِّي على أبيات مستقلة مُتَّفَعة ، وسمي المثنوى لأنه تلزم قافيتان لكل بيت ^(٣) ؛ أي أنه الشعر الذي يُقَفَّى فيه

(١) لم تحفظ النسخ الخطية الموجودة من ديوان نظامي أكثر من ألفي بيت ، بينما يقول دولتشاه في تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ . إنه كان يبلغ عشرين ألف بيت .
(٢) مولوى آغا على أحمد على : هفت آسمان ، ص ٤ . نقلا عن صاحب الميزان الوافي .

(٣) هذا تعريف شمس الدين محمد بن قيس الرازي في كتابه المعجم في معايير أشعار العجم ، ص ٣٠٨ . وهو يتفق مع التعريفات التي وردت في غيره من الكتب ونضرب مثلاً بما نقله مولوى آغا على ، في هفت آسمان ، ص ٤ . عن صاحب الميزان الوافي الذي يقول : « إن المثنوى عند العجم هو الأبيات التي تتفق في الوزن ، ويوافق كل مصراع منها المصراع الآخر ، المحاذي له ، في القافية » ، كما نقل تعريف صاحب « بدائع الأفكار » وهو « المثنوى في اللغة أن يقولوا شيئاً يكون منسوباً إلى مثنى أي اثنين اثنين ، وفي الاصطلاح الشعري أن يكون كل مصراع منه مستلزماً قافية وبذلك تكون لكل بيت قافيتان ، ويسمونه - أيضاً - المزدوج » .

معمرًا كل بيت ، ويكون البيت مستقلاً - من حيث القافية - عن البيت الذى يسبقه أو يليه .

وقد أكثر شعراء الفارسية من نظم « المثنوى » فى سبعة أوزان : اثنين من المزج ، واثنين من الرمل المسدس ، وواحد من السريع ، وواحد من الخفيف المسدس ، وواحد من المقارب المثنى^(١) ؛ ولم ينظموا « المثنوى » فى الأبحر الكبيرة مثل الرجز التام ، والمزج التام ، وأمثالها^(٢) .

وقد اختار الفرس هذا الفن لنظم المنظومات الحماسية والغنائية ، ويبدو أنهم فعلوا ذلك ليفروا من قيود القافية الموحدة ، فى منظومات طويلة قد تصل إلى آلاف الأبيات ، مما يجعل وجود قافية موحدة شيئاً يكاد يكون مستحيلاً . فالشاعر الذى ينظم بطريقة « المثنوى » حر غير مقيد بوحدة القافية ، لأن كل بيت يعتبر قائماً بذاته ، من حيث القافية .

وقد سبب هذا سهولة وبسراً ؛ فأصبح هذا الفن يصلح لوصف مناظر الطبيعة ، وتصوير الإحساسات المتنوعة ، كما يصلح لكتابة القصص والوقائع التاريخية ، وتصوير جوانب الحياة من فردية واجتماعية ، لأن الشاعر لا يكون مقيداً بعدد معين من الأبيات تفرضه عليه القافية الموحدة ، بل يكون حراً طليقاً ينظم أى عدد من الأبيات يشاء ؛ وهكذا وجدنا المثنويات المطولة التى بلغ عدد الواحدة منها آلافاً من الأبيات ، فصارت المنظومة أشبه شئ بالكتاب العلمى حسن التأليف .

ويمكن تقسيم المثنويات إلى الأقسام التالية .

١ - الحماسية أو التاريخية ، مثل « شاهنامه » للفردوسى ، و « اسكندرنامه »

لنظامى .

(١) مولوى آغا على : هفت آسمان ، ص ٥ . نقلاً عن صاحب الميزان الوافى ، وعن جمع الصنائع ، وهفت قلزم ، ودرىای لطافت ، وغزن الفوائد .

(٢) مولوى آغا على : هفت آسمان ، ص ٥ . نقلاً عن صاحب كشف الاصطلاحات .

٢ - الغرامية ، مثل « خسرو وشيرين » لنظامى .

٣ - القصصية ، مثل « هفت بيكر » لنظامى ؛ و « هشت بهشت » لأمير خسرو الدهلوى .

٤ - الأخلاقية ، مثل « حديقة الحقائق » لسنائى ؛ و « مخزن الأسرار » لنظامى .

٥ - التصوفية الفلسفية ، مثل « مثنوى مولانا جلال الدين الرومى » ؛ و « جام جم » لأوحدى المرافى ^(١) .

وقد اشتهر كل بحر من الأبحر التى نُظِمَ فيها « المثنوى » بصلاحيته لبعض الموضوعات .

فبحر المزج مناسب لإظهار الألفة والمعاشقة ، وقد نُظِمَت منظومتا « خسرو وشيرين » و « لىلى ومجنون » لنظامى فى هذا البحر ، لأن فيه سبعين ووتداً ، فهو يعطى شيئاً من الأمن ، مما جعل الأهازيج من أملح الغناء ^(٢) .

وبحر المتقارب يصلح للموضوعات الحاسية ، بسبب تقارب أوتاده وأسبابه مما جعل نغماته تشبه صوت الشجمان ودق الطبول ، ورنين الأسنة ، وهو لذلك مناسب لتحريك أعصاب الجنود .

وبحر الرمل يلائم حالات الفرح والحزن ^(٣) ، بينما يصلح بحر الخفيف لحالات الرقص والحركات الخفيفة ؛ بسبب قصر مقاطعه ^(٤) .

(١) شبلى نعمانى : شعر العجم ، ج ٤ ، ص ١٧٥ .

(٢) تربيت : مقاله عن « مثنوى ومثنوى كويان » ، مجله مهر ، سال پنجم ، مردادماه ١٣١٦ ، ص ٢٢٧ .

(٣) من المثنويات التى نظمت فى بحر الرمل « مصباح رشيدى » فى التجرد والتصفوف

(٤) من المثنويات التى نظمت فى بحر الخفيف « هفت بيكر » لنظامى .

أما بحر السريع فيناسب وصف الإحساسات القلبية^(١)؛ وذلك بسبب كثرة أسبابه ، وقلة أوتاده ، مما يعطى سرعة وسهولة لنغمة الأبيات^(٢) .

وقد نُظِمَتْ مثنويات عديدة قبل منظومات نظامى . نذكر منها « وابق وعذراء » للعنصرى ، و« شاهنامه » و« يوسف وزليخا » للفردوسى ، و« ويس ورامين » لفخر الدين الكركانى ، و« حديقة الحقائق » لسنائى ، و« مصباح رشيدى » لرشيد الدين الطواط ، و« تحفة العرقين » للحاقانى .

ثم جاء نظامى فنظم خمسة التى سبق ذكرها ، وهى تسمى أحياناً « السكنوز الخمسة »^(٣) .

وقد وُصِفَ نظامى بأنه إمام فن المثنوى ، لأنه قُلِّدَ كثيراً ، كما قيل : إن الصنعة والإحكام والدقة فى الفن القصصى قد انتهت إليه^(٤) ؛ غير أننا لا نستطيع أن نَقْبِضَ مكانة الشاعر بين شعراء هذا الفن إلا إذا انتهينا أولاً من دراسة منظوماته دراسة نقدية مقارنة ، يحسن أن تسبقها معرفة النسخ الخطية الموجودة منها ، وترتيبها فى النظم .

* * *

٢ - النسخ الخطية الموجودة من خمسة نظامى :

لعل من الأشياء التى تساعد على دراسة شعر نظامى ، وجود نص منظوماته الخمس فى كثير من النسخ الخطية ، فضلاً عن أنه طُبِعَ مرات عديدة . وقد تَسَكَّلَتُ كتب الفهارس بذكر النسخ الخطية الموجودة من الخمسة ،

-
- (١) من المثنويات التى نظمت فى بحر السريع « مخزن الأسرار » لنظامى .
 (٢) تربيت : مقالة « مثنوى ومثنوى كويان » مجله مهر ، سال پنجم ، مرداد ماه ١٣١٩ ، ص ٢٢٧ .

(٣) هذه ترجمة للتسمية الفارسية « پنج كنج » .

(٤) عبد الوهاب عزام : ما كتبه متعلقاً بالأدب الفارسى فى كتاب : قصة الأدب فى العالم ج ١ ، ص ٤٤٥ .

ووصفها ، وإيراد الأبيات الأولى من كل منظومة ، هذا عدا الأبيات التي تشير إلى تاريخ إتمام كل منها ، ومدح من قدمت له .

والملاحظ أن كل نسخة من النسخ الخطية تشتمل - غالباً - على منظومات الشاعر الخمس ، مما يدل على أنها - كلها - قد جُمِعَتْ في مجلد واحد ، وظلت كذلك إلى أن انفصلت أخيراً ، فَطُبِعَتْ كل منظومة منها على حدة .

ومما يجدر ذكره أن هذه النسخ الخطية كثيرة منتشرة في مكتبات الشرق ^(١) والغرب ^(٢) ، وإن كان أغلبها قد كُتِبَ في تواريخ متأخرة .

(١) ابن يوسف شيرازي : فهرست كتابخانه مجلس شورای ملی ، جلد سوم ، وفهرست كتابخانه مدرسه عالی سپهسالار ، جلد دوم (ما ذكر فيهما خاصاً بخمسة نظاي) . كما توجد نسخ خطية في مكتبة ملك ب طهران (الفهرست غير مطبوع) .

Abdul Muqtadir : Cat. of Arabic and Persian Manuscripts in the oriental public library at Bankipore pp. 48 - 57;

Radawi and Saheb : Cat. of Persian Manuscripts in the Buhar library p. 223 - 226;

A. Sprenger: A Cat. of Arabic, Persian, and Hindustani Manuscripts of the library of King Oudh, 519- 523.

Browne : A Cat. of Persian Mss, in the library of the (٢) University of Cambridge, pp. 303-307 ;

Rieu: a) Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. pp. 564 - 577; b) Supplement to the Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. , pp. 153 - 155;

H, Ethé : Cat. of the Persian Mss. in the Library of the India Office, pp. 595 - 599;

Victor Rosen : Les Manuscrits Persans de L, Institut des Langues Orientales, pp. 171 - 173 ;

Blochet: Bibliothèque Nationale Cat. de Manuscrits Persans Tome Troisième pp. 52 - 99;

Jackson and Yohannan : A Cat. of Persian Mss. (Cochran Collection) pp. 49 - 58.

وإذا استعرضنا النسخ الخطية الموجودة نلاحظ أنها قد كُتِبَتْ في القرن التاسع الهجري ، أو بعد ذلك في خلال القرون الثلاثة التالية ، حتى القرن الثاني عشر ، مما يرجح أن منظومات الشاعر بقيت مبعثرة بعد وفاته أكثر من قرنين من الزمان ، قبل أن تتناولها أيدي النساخ بالجمع والنسخ .

غير أننا نجد دستكردي يقرر أنه اعتمد - في نشره للمنظومات الخمس - على ثلاثين نسخة خطية مكتوبة فيما بين القرنين السابع والحادي عشر الهجريين ^(١) ، مما يشعر بأنه كان يمتلك - في مكتبته الخاصة - أقدم النسخ الخطية الموجودة من نص الخمسة ، غير أنه - كما ذكرت - لم يصف أية نسخة من النسخ التي اعتمد عليها ، وكان عليه أن يعرف بها كما فعل أصحاب كتب الفهارس . وتوجد نسخة خطية في دار الكتب المصرية ^(٢) مخطوطة بقلم فارسي ، أولها محلى بالذهب ، وهي تقع في ٣٥٠ ورقة ، في كل صفحة منها ٢١ سطراً ، طولها ٣٢ سم ، وعرضها ٢٠ سم ، ولكن تاريخ كتابتها غير مذكور ، فلا ندري في أي قرن كُتِبَتْ .

وقد وصف ريو كثيراً من النسخ الموجودة بالمتحف البريطاني بلندن ، وهي نسخ كُتِبَ بعضها في القرن التاسع الهجري ، وبعضها الآخر في القرنين العاشر والحادي عشر ، كما اشتمل بعضها على منظومة واحدة مثل مخطوطة Add, 19500 ، ومخطوطة Add, 23458 ، فإنهما تحتويان على « مخزن الأسرار » فقط .

أما النسخ التي كُتِبَتْ في القرن التاسع ، فقد ذكر ريو اثنتين منها في الفهرست ، وهما : مخطوطة Add, 7729 ، وقد وصفها بأنها مكتوبة بالخط النسخ الفارسي الصغير ، وعدد أوراقها ٣١٦ ورقة ، طولها ٧ر٥ ، وعرضها ٥ بوصات ،

(١) يذكر دستكردي هذا في مقدمة « مخزن الأسرار » وفي خاتمة « خبرو وشيرين » ، ص ٤٦٠ . ويكرره في كل منظومة .

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٠ أدب فارسي .

كتب في كل صفحة منها ٢٢ سطراً ، طول كل سطر ٣٥ بوصة ؛ وقد تمت كتابتها في شوال من عام ٨٠٢ هـ .

ثم نسخة Add, 25900 وعدد أوراقها ٣١٦ ورقة . طولها ٧٥ بوصة وعرضها ٧٥ بوصة وعرضها ٤٧٥ بوصة ، تحتوي كل صفحة منها على ٢٥ سطراً ، طول كل سطر ٣٦٢٥ بوصة .

كما ذكر ريو اثنتين في ملحق الفهرست وهما : مخطوطة Or, 2834 ، وعدد أوراقها ٣٧٤ ورقة ، طولها ١٠٢٥ بوصة ، وعرضها ٦٢٥ بوصة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ١٩ سطراً ، طول كل سطر أربع بوصات ، وقد تمت كتابتها في عام ٨٩٥ هـ .

ومخطوطة Or, 2931 وعدد أوراقها ٥٠٤ ورقة طولها تسع بوصات وعرضها ست بوصات ، وقد كتب في صفحة ٢١ سطراً ، طول كل سطر ٢٥ بوصة . كما ذكر مولوى عبد المقتدر نسخة خطية تحت رقم No. 37 كتبت في القرن التاسع ؛ عدد أوراقها ٣٣٧ ورقة طولها ٦٥ بوصة وعرضها ٥٧٥ بوصة ، وفي كل صفحة منها ٢١ سطراً ^(١) .

وذكر « إته » مخطوطة تمت كتابتها في عام ٨٩٤ هـ ^(٢) .

وهذه هي أقدم النسخ الخطية التي بين أيدي الباحثين ؛ وإن كنت قد أعدت في هذا البحث ، على « خمسة نظامي » التي نشرها دستكردي متفرقة ، لأن النص الذي نشره يعتبر من أصح النصوص المنشورة ؛ فقد قارن - فيما يبدو - بين نصوص نسخ خطية كثيرة قبل أن ينشر النص الذي بين أيدينا .

M. Abdul Muqtadir : Cat. of the Arabic and Persian Mss. (١)
in the Oriental public library at Bankipore, pp. 48 - 58.

H. Ethé : Cat. of the Persian Mss. in the library of the (٢)
India Office, vol. I, pp. 595 - 597.

کما انی حَقَّقْتُ رَویةَ بعضِ الأبیاتِ المتعلقةِ بتاريخِ إتمامِ نظمِ کلِّ منظومةٍ ، والأبیاتِ التي ساعدتْ فی إثباتِ ما یَعلَقُ بولادةِ الشاعرِ ووفاته ، فقارنتُ بینِ رَویاتِ النسخِ الخطیةِ المختلفةِ ، ورَجَّحْتُ رَویةَ منها معتمدًا علی بعضِ القرائنِ للتاریخِیةِ ، أو علی الأدلةِ الموجودةِ فی شعرِ الشاعرِ .

* * *

۳ - ترتیبِ مضمونِ نظامی :

بقی أن نعرفَ ترتیبَ منظوماتِ الشاعرِ لبنی دراستنا علی أساسه ، والمُرجَّحُ أن نظامی قد نظم « مخزن الأسرار » أولاً ، ثم « خسرو و شیرین » ، ثم « لیلی و مجنون » ، ثم « هفت پیگر » ، ثم « اسکندرنامه » .

فقد مرَّح هو بهذا الترتیب ، فی قوله : « انجُمْتُ نحو « مخزن الأسرار » أولاً ، فلم أتباطأ فی ذلك العمل ، وأسلْتُ منه الشهد ، ثم مزجتُه « شیرین و خسرو » ، ونصَّبْتُ - بعد ذلك - الخیمة فی الفضاء ، وطرقتُ بابَ عشقِ « لیلی و مجنون » فلما انتهیت من هذه القصة ، أسرعتُ نحو « هفت پیگر » ، والآن ، وعلی بساطِ الفصاحة ، أدقُّ طبولَ حظِّ « الاسکندر » ^(۱) .

وهذا الترتیب هو الذي أثبتَّته النسخُ الخطیةُ الموجودةُ بین أيدينا ، واتفقَ علیه أغلبُ الباحثین ^(۲) ، مما لا یدعُ مجالاً للشك فيه .

(۱) سوی مخزن آوردم اول بسیج که سستی نکرد در آن کارهیج
وزو چرب و شیرینی انگیختم بشیرین و خسرو در آمیختم
واز آنجا سرا پرده بیرون زدم در عشق لیلی و مجنون زدم
وزین قصه چون باز پرداختم سوی هفت پیگر فرس تاختم
کنون بر بساط سخن پروری زخم کوس اقبال اسکندری
(نظامی : شرفنامه ، ص ۷۸ - ۷۹)

(۲) ذکر باخر فی کتابه : حیاتِ نظامی و آثاره (بالألمانیة) ، ص ۶ - ۷ . أن =

ونكتفى بهذا التمهيد لندرس منظومات الشاعر حسب ترتيبها في النظم ،
فنبداً « بمخزن الأسرار » .

« اسكندرنامه » هي المنظومة الرابعة للشاعر ، وأن « هفت بيكر » هي الخامسة ،
واستشهد بأبيات وردت في آخر « شرفنامه » ، ص ٥٢٨ . ينصح الشاعر فيها ابنه
ويصرح بأنه قد بلغ السابعة عشرة من عمره فيقول :
وزين هدفه خصل آوريدن بدست شده هدفه ساله بدینسان كه هست
وقال باخر : إن ابن نظامی كان في الرابعة عشرة من عمره في أثناء نظم « لیلی
ومجنون » التي رجع أنها تمت في عام ٥٨٤ هـ ، مما يدل على أن « اسكندرنامه » تمت
في عام ٥٨٧ هـ .

وقد قلده في ذلك براون في كتابه تاريخ إيران الأدبي (بالانجليزية) ج ٢ ،
ص ٤٠٠ . بينما بين دستگردی أن الأبيات ملحقة فذكرها في الحاشية ، لأنها غير
موجودة في النسخ القديمة .

وأغلب الظن أن تلك الأبيات التي نصح الشاعر فيها ابنه قد نظمت مستقلة
غير مرتبطة بمنظومة معينة ، فإن توجيه النصح من أب شاعر كنظامی لابنه لا يتقيد
بمنظومة بالذات ، وإنما يوجه من حين لآخر ، ويكرر في مختلف المناسبات ، ومن
الجاز أن الأبيات أضيفت إلى المنظومة ، فألحقها النساخ بها دون أن تكون جزءاً
منها . وبما يرجع ذلك ماورد في شعر الشاعر نفسه ، وفي « شرفنامه » نفسها ،
من أن المنظومة قد تمت في عام ٥٩٧ هـ ، ثم تقديم « خردنامه وإقبالنامه » أي باقي
« اسكندرنامه » لعز الدين مسعود أتابك الموصل الذي بدأ حكمه في عام ٦٠٧ هـ .
هكذا فضلاً عن إضافة الأبيات التي تصور أيام الشاعر الأخيرة إلى « اسكندرنامه »
بما يرجع أنها آخر منظومات الشاعر ؛ وأن « هفت بيكر » ليست آخر المنظومات
كما قرر باخر ، وقلده براون .

البَنايِبُ الْأَوَّلُ

منظومة مخزن الأسرار

الفصل الأول

دراسة مول منظومة مخزن الأسرار

نُظِمَت منظومة « مخزن الأسرار » في بحر السريع ، وهي تقع في ٢٢٦٠ بيت من الشعر .

وهي أولى منظومات الشاعر^(١) ، وأرجح أنه أتمها في عام ٥٨١ هـ ، ثم قدمها لغفر الدين بهرامشاه بن داود ، حاكم أرزنجان .

وقد اختلف الباحثون في تاريخ إتمام هذه المنظومة اختلافاً يصل إلى ثلاثين عاماً ؛ فقرر ريو^(٢) أن إحدى النسخ الخطية تحتوى على بيتين ، يثبت نظامي فيها أنه أكل المنظومة في عام ٥٥٩ هـ ، فيقول : « إن الحقيقة بالحساب الدقيق هي أن المنظومة قد تمت في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ، تسعة وخمسين وخمسمائة عام مضت منذ الهجرة إلى وقتنا هذا^(٣) » .

(١) ليس معنى أن « مخزن الأسرار » أولى منظومات الشاعر أنه لم يكن ينظم شعراً قبلها ، فلا بد أن الشاعر كانت له محاولات شعرية كثيرة قبل أن يقدم على نظم منظومة مطولة أربت على ألفي بيت ؛ ولعل ديوانه الذي صرح بأنه قد جمعه في عام ٥٨٤ هـ ، هو ثمرة تلك المحاولات الشعرية التي قام بها في وقت شبابه ، لأن الملاحظ أن الشعراء العظام الذين أقدموا على نظم منظومات مطولة مثل الفردوسي ، وسنائي ، ونظامي وأمثالهم لم يشرعوا في مثل هذا العمل قبل سن الأربعين - غالباً - حينما يكون الشاعر قد تكامل ، فأتم تحصيل العلوم المختلفة واستكمل تجاربه في الحياة ، كما تكون ملكته الشعرية قد نضجت نضوجاً تاماً يؤهله للقيام بعمل كهذا .

Rieu: Cat. of Perian Mss. in the Brit. Mus. vol. 2. p. 565. (٢)

(٣) بود حقيقت بشمار درست بیست و چهارم ذریع نخست

از که هجرت تا این زمان بانصد و پنجاه و نه افزون بر آن

(نقل ريو هذين البيتين عن مخطوطة Or. 1216, Fol. 31. بالمتحف البريطاني)

وهذا التاريخ لا يمكن أن يكون صحيحاً ، فقد كان الشاعر - في ذلك الوقت - في العشرين من عمره ، بينما صرح هو - في مخزن الأسرار - بأنه قد جاوز الأربعين . كما أن المعلومات التي تبدو في ثنايا المنظومة تجعلنا نستبعد إمكان تحصيل مثلها في سن العشرين .

ورجح باخر^(١) - وتابعه براون^(٢) - أن المنظومة قد اكملت في عام ٥٦٩ هـ ، وأنها قدمت لايلدكز أتابك آذربيجان ، وأن الذي ذكره الشاعر ليس شخصاً آخر غير ايلدكز .

وهذا خطأ فاحش ، لأن الشاعر صرح بأن مدوحه يحكم في آسيا الصغرى ، فقال : « نَظِمْتُ منظومتان^(٣) من أجل حاكين ، وقدمت كل منهما لحاكم اسم بهرامشاه ، استخرجت الأولى الذهب من منجم قديم ، بينما استخرجت الثانية الدر من بحر جديد ، وقد رفعت الأولى علم الغزنوى ، بينما مهّرت الثانية بحتم الروم^(٤) » .

(١) Bacher: Nizamis Leben und Werke p. 16 .

(٢) Browne: A. Literary History of Persia, vol. II. p 400.

(٣) يقصد نظامى بقوله هذا منظومتى « حديقة الحقائق » لسنانى التى قدمت للسلطان بهرامشاه بن مسعود الغزنوى ، ومنظومته « مخزن الأسرار » التى قدمها لبهرامشاه بن داود حاكم أرنجان .

(٤) نامه دو آمدزدو ناموسكاه هردو مسجل بدو بهرامشاه
آن زرى از كان كهن ريخته وين درى از بحر نوانكيخته
آن بدر آورده ز غزنى علم وين زده برسكه روى رقم
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٣٧)

وقد أخطأ باخر فى ترجمة كلمة « نامه » فترجمها على أنها بمعنى « خطاب » وزعم أن نظامى رفض عرض أميرين أرسل كل منهما إليه خطاباً ، وكلمة « نامه » هنا بمعنى « كتاب » أو « منظومة » وليست بمعنى خطاب كما توهم باخر .

فهذا يرجح أن نظامی قصد بمدحه بهرامشاه الرومی حاکم آرزنجان ، لا ایلدکز حاکم آذر بیجان ؛ مما یُبَيِّن أن التاريخ الذى رجَّحه باخر غیر صحیح لأن الشاعر کان - فى عام ۵۶۱ هـ - فى الثانية والعشرين من عمره ، بينما ذکر باخر نفسه أن الشاعر کان فى سن الأربعین ، فى أثناء نظم « مخزن الأسرار »^(۱).

وقد ذکر باخر - أيضا - أن مخطوطة درسدن تثبت أن منظومة « مخزن الأسرار » قد تمت فى عام ۵۵۲ هـ ، وَرَدَّ هو هذا النایخ ، ویدیهى أنه غیر صحیح فقد کان الشاعر - فى ذلك الوقت - فى الثالثة عشرة من عمره .

ونشر دستگردى - فى آخر مخزن الأسرار - آیياتاً قرر أنها ملحقة ؛ وهى تشير إلى تاریخ إتمام هذه المنظومة حيث يقول الشاعر : « حَلَق طائر القلم بهيماً عن الكتاب ، ثم نشر جناحيه عليه ، وأحى رأسه ونثر الدر ، وختم « مخزن الأسرار » ، وكانت الحقيقة بالحساب الدقيق أن المنظومة تمت فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول .. وقد مضى اثنان وسبعون وخمسة مائة عام ، منذ الهجرة إلى وقتنا هذا »^(۲).

وهذا التاريخ ليس دقيقاً - فى أغلب الظن - لأنه لا يتلاءم مع إشارة الشاعر إلى أنه قد جاوز الأربعين .

كما أن هناك نسخة خطية تثبت أن المنظومة تمت فى عام ۵۸۲ هـ ، حيث

(۱) Bacher: Nizamis Leben und Werke, p. 12-13 .

(۲) مرغ قلم نامه پرواز کرد بر سر قرطاس دوبر باز کرد
پای ز سر کرد وز لب درفشاند مخزن اسرار پیاپان رساند
بود حقیقت بشمار درست بیست و چهارم ز ربيع نخست
از که هجرت تا این زمان بانصد وهفتاد و دو فزون بر آن

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۸۵)

يقول الشاعر: « قد مضى اثنان وثمانون وخمسمائة عام منذ الهجرة إلى وقتنا هذا ^(١) » .
وقد رجح ريو أن منظومة « مخزن الأسرار » لم تتم قبل عام ٥٧٥ هـ .
بكثير؛ بينما رجح دستكردي ^(٢) أنها تمت في عام ٥٧٢ هـ ؛ ومال برتلس ^(٣)
إلى أنها تمت في الفترة ما بين ٥٧٢ و ٥٧٥ هـ .
وهذه التواريخ كلها ليست دقيقة ، لأن الشاعر صرح بما يفيد أن المنظومة
تمت في عام ٥٨١ هـ ، فقال إنه قد مضى سبعون وخمسمائة عام منذ وفاة
الرسول ^(٤) .

و نحن نعلم أن الرسول قد توفى في عام ١١ هـ ، مما يرجح أن المنظومة تمت
في عام ٥٨١ هـ ، وأن هذا التاريخ هو أقرب التواريخ إلى الصحة .
ويبدو أن الذى أوقع الباحثين في هذا الاضطراب هو أنهم اعتمدوا على
البيت ^(٥) الذى يُنسبُ تاريخ إتمام المنظومات ، دون مراعاة القرائن الأخرى ،
كإشارة الشاعر إلى سنه في أثناء نظمها ، أو المدة التى مضت على وفاة الرسول
صلى الله عليه وسلم .

(١) أز كه هجرت تا این زمان یانصد وهشتاد ودوفزون برآن
(Rieu : Cat. of Persian Mss. in the Brit. Mus. vol. 2. p. 566.)

(٢) دستكردي : مقدمة كنجينه كنجوى ، ص ٤٤ .

(٣) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظیم ، ص ٣٩ .

(٤) یانصد وهشتاد بیس ایام خواب روز بلندست بمجلس شتاب
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٢٧ . وقد سبق ذكر هذا البيت وترجمته)

(٥) لعل السبب في اختلاف روايات هذا البيت هو عدم وجود فرق من ناحية
الوزن الشعرى بين خمسين « پنجاه » وسبعين « هفتاد » وثمانين « هشتاد » كما
لا يوجد فرق بين اثنين « دو » وواحد « يك » وتسعة « نه » فلو وضعت كلمة
مكان الأخرى لا يحدث تغيير في الوزن ، ولعل رواية البيت إن كان من نظم
الشاعر هي :

از كه هجرت تا این زمان یانصد وهشتاد و يك فزون برآن

وقد قدم الشاعر منظومته إلى حاكم أرزنجان وأسرف في مدحه كما سر ،
ثم بين أن عمله جديد مبتكر ، وليس تقليداً ، حتى يقدره الحاكم حق قدره .

ويبدو أن الشاعر كان معجباً بعمله ؛ ولذلك نجده يقدم منظومته وهو
واثق من أنها ستقبل وتقدر ، فيقول مخاطباً الحاكم : « إنني أضع على مائدتك هذا
الطعام الشهى من الشعر ، قبل أن تمسه يد شخص آخر ، فإذا وجدته لذيذاً
كلّ هنيئاً ، وإلا . . فليصح الله طعمه من فك ^(١) » .

كما يبدو أن المنظومة قد حازت إعجاب بهرامشاه ، فأثاب الشاعر بسخاء
فقد روى أنه أرسل إليه جائزة ثمينة هي عبارة عن خمسة آلاف دينار ، وخمسة
أحصنة مسرجة ، وثوباً من الوبر ، وخمسة بقال ، وملابس فاخرة مرصعة بالجواهر ،
على يد رسول لائق ^(٢) .

ولكن الشاعر لم يُشير إلى شيء من هذا في « مخزن الأسرار » ، أو في
منظوماته الأخرى .



ومهما يكن من شيء ؛ فإننا لا نستطيع أن نحكم على منظومة « مخزن
الأسرار » وقدرها حق قدرها ، ونذكر مبلغ صدق الشاعر ، قبل أن ندرسها
دراسة مقارنة ، فنكتفي بهذه الدراسة حول المنظومة ، لنأخذ في دراسة
المنظومة نفسها .

(١) خوان ترا این دو نواله سخن دست نکردست برودست کن
کز نمکش هست بخور نوش باد ورنه زیاد تو فراموش باد
(نظامی مخزن الأسرار ، ص ۳۷)

(٢) ابن البيي : مختصر سلجوق نامه ، ص ۲۱-۲۲ .

الفصل الثاني

مخزبات مخزن الأسرار

تشتمل منظومة « مخزن الأسرار » على مقدمة طويلة تستغرق أكثر من ثلث الكتاب - تحدثت نظائى فيها عن موضوعات مختلفة - تتلوها عشرون مقالة تعالج جميعها المسائل الأخلاقية ، وتمتبر كل مقالة أساساً لقصة تتلوها مؤكدةً الغرض الذى تهدف إليه المقالة فى شئ من الشرح والتوضيح .

أما المقدمة ؛ فقد تحدثت الشاعر فيها عن حمد الله ، والثناء عليه ، وابتدأ منظومه باسم الله ، فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، مفتاح باب كنز الحكيم ، فاسم الله فاتحة الفكرة وخاتمة القول ، فليكن به للهدى والختام ، فالله موجود قبل جميع الكائنات ، وهو أكثر بقاء من جميع الخالدين ^(١) » .

ثم صور قدرة الله ، وبين أن جميع المخلوقات مدينة بوجودها لفضل الله وعظمته ؛ وخاطبه بقوله : « يا من خُلِقْتُ جميعُ الكائنات بفضل قدرتك ، وقوى الإنسان الضعيف بقوتك ^(٢) » .

وأخذ يتوسل إليه طالباً العفو والمغفرة ، فقال : « اصفح عن الذنب فلنا

(١) بسم الله الرحمن الرحيم هست كليلد در كنج حكيم

فاتحه فكورت وختم سخن نام خدايست براو ختم كن

بيش وجود همه آيندگان بيش بقاى همه پايندگان

(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٢)

(٢) اى همه هستى ز تو پيدا شده خاك ضعيف از تو توانا شده

(الرجع السابق ، ص ٧)

معترفون بالتقصير ، وهَيَّئْ لَنَا طريق التوبة فنحن ملقَّبون بـ «بَابِك» ^(١) .
وانتقل الشاعر إلى مدح الرسول ، فخطابه بقوله : « كُنْتُ نَبِيًّا حِينَمَا بَدَأُ
الخلق الأول ^(٢) » ، ثُمَّ خُتِمَتِ النبوة بِكَ ^(٣) » .
ثم ذكر معراج الرسول ^(٤) ، وأطُوبَ في مدحه في أربعة نعوت ^(٥) ، انتقل
بعدها إلى مدح بهرامشاه ^(٦) ، وبيان فضل كتابة ^(٧) ، وأتبع ذلك بالحديث عن
فضل الكلام ، وترجيح الشعر على النثر ^(٨) ، وختم المقدمة بالحديث عن حالات
المراقبة تحت رعاية القلب ، في خلوتين كانت لهما ثمراتهما ^(٩) .
ثم تآتى بعد ذلك عشرون مقالة ، ترمى جميعها إلى هدف واحد تقريباً ،
هو تمجيد العدل ، وذم الظلم ، والدعوة إلى أن يسود الإنصاف والوفاء بين الناس
في دنيا فانية خداعة ، سوف تنقضى سريعاً ، ولا يبقى للإنسان إلا ما قدمت يداها ،
عَمَّا سَتَتَبَيَّنُهُ بَعْدَ عَرْضِ المقالات العشرين وقصصها ، فانهرضها في شيء
من الاختصار .

* * *

- (١) درگذر از جرم که خواننده ایم چاره ما کن که پناهنده ایم
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١١)
- (٢) يشير الشاعر إلى الحديث القائل « كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ » .
- (٣) كُنْتُ نَبِيًّا چو علم پیش برد ختم نبوت بمحمد سپرد
(المرجع السابق ، ص ١٠٢)
- (٤) المرجع السابق ، ص ١٤-٢٠
- (٥) المرجع السابق ، ص ٢١-٣٢
- (٦) المرجع السابق ، ص ٣٢-٣٦ . وقد سبق ذكر صور منه .
- (٧) المرجع السابق ، ص ٣٦-٣٩ . وقد سبقت الإشارة إليه .
- (٨) المرجع السابق ، ص ٣٩-٤٦ .
- (٩) المرجع السابق ، ص ٤٦-٧٠ . وقد سبقت الإشارة إليهما .

۱ - المقالة الأولى

في خلق آدم

خصص نظامي المقالة الأولى للحديث عن خلق آدم ، فقال إنه لم يكن هناك إنسان - قبله - يعبد الله ، ويسبح بحمده ^(١) ؛ فهو أبو البشر ، وأول مَنْ فُتِحَ باب الوجود ، وأسبق البشر إلى تعمير الأرض ، بينما كان الجن يسكنونها قبله ^(٢) .
ثم بين أن آدم خلق ليكون خليفة في الأرض ، وأنه قد عمى ربه في الجنة ، ثم تاب ، وهبط منها إلى الأرض ليعمرها ^(٣) .

وأخذ الشاعر يعدّد مزايا آدم مستشهداً بالآية الكريمة « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » ^(٤) وبالحديث القدسي « خُفِرَتْ طِينَةُ آدَمَ بِيَدَيَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » ^(٥) .
واتخذ ذلك وسيلة للحديث عن صفات الإنسان ، فقال : « إنه كدر نسبة للجسم المخلوق من الطين ، ونقى بفضل الروح الطاهرة ، ومَحَكٌّ لأنه موضع

(١) أول كائن عشق برسقى نبود در عدم آوازه هسقى نبود

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٧١)

(٢) مقبلى أز كنم عدم ساز كرد سوى وجود آمده ودر باز كرد

باز پسین طفل پری زادگان پیشترین بشری زادگان

(المرجع السابق ، ص ٧١)

ولعل الشاعر يشير بذلك إلى الآية الكريمة « والجان خالقناه من قبل من فار السموم » سورة الحجر ، آية ٢٧ .

(٣) آن بخلاف علم آراسته چون علم افتاده وبرخاسته

(نفس المرجع والصفحة)

(٤) سورة البقرة ، آية ٣١ .

(٥) علم آدم صفت پاک او خمر طینه شرف خاك او

(نظامي : مخزن الأسرار ص ٧١)

الابتلاء بالثواب والعقاب ، وَذَهَبَ لِأَنَّ اللَّهَ أَحْسَنَ تَصْوِيرِهِ ، وصراف لأنه يُمَيِّزُ بين الخير والشر ^(١) .

ثم شرح الشاعر كيف عصى آدم ربه فتوى ؛ فقد أمره ربه ألا يقرب هو وزوجته شجرة معينة ، ولكنهما أكلتا منها ، فهبطا من الجنة إلى الأرض ليعمرها ، وقد أجل ذلك في قوله : « لما أُغْرِمَ آدم بشجرة الشجرة ، ترك الجنة وسكن هذه الأرض ، فبذر فيها بذور الوفاء ، ونشر العدل ، ثم أورثنا إياها » ^(٢) .

وختم نظامي هذه المقالة بدعوة الإنسان إلى ترك الظلم ، والتوكل على الله ، وفعل الخير دائماً ، وترك المعاصي ، واتباع أوامر الله ، فقال : « نَحْرُ أُوامر الله ، واعمل بها ، واعترف بخطئك » ^(٣) .

ثم أورد « قصة ملك يائس ظفر بالمغفرة » ... وهي أن ملكاً عادلاً رأى آخر ظالماً - في الحلم - فسأله عما فعل الله به - بعد موته - نتيجة لما اقترفه من جور واستبداد ، فأجاب الظالم بأنه لم يجد - بعد وفاته - من يعتمد عليه من الكائنات ، ليتوسط له عند ربه ، أو يهديه سواء السبيل ، « فلم تكن هناك شفقة - في قلب أحد نحوه ، ولم يوجد شخص يستطيع أن - يُحْسِنَ الظنَّ به » ^(٤) فارتعش

(١) آن بگهر هم کدر و هم صبی هم محک و هم زر و هم صیری
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٧١)

(٢) جون زې دانه هوسناک شد مقطع این مزرعه خاک شد

.....

تخم وفادر ز می عدل کشت و قفی این مزرعه برمانوشت
(الرجع السابق ، ص ٧٤)

(٣) نیکی او بین و بران کارکن بر بدی خویشان اقرار کن
(الرجع السابق ، ص ٧٦)

(٤) در دل کس شفقتی از من نبود هیچکسی را بکرم ظن نبود
(نفس للرجع والصفحة)

کالاصصاف ، وخجل ، واستولى اليأس على قلبه ، ونفض يده من الاعتماد على الناس ، وتوكل على الله ، وخطابه بقوله : « أنا المسكين الذى أصبحت خجلاً منك ، فاصفح عني ، واغفر ذنبي ، رغم أني لم أتبع أوامرك . . . لا ترّدني عن بابك كما ردّني الجميع ، فإما أن ترحمني ، وتصرف في أمري تصرفاً يخالف تصرف الناس ، وإما أن تؤدّبني فتلقني في الدار » ^(۱) . ثم قال الظالم : « فلما رأى الله خجلي وندي ، ساعدني ؛ وصادف دعائي فيض كرمه ، فغفر ذنبي ، وأقذني » ^(۲) . وقد علّق الشاعر على ذلك بقوله إن كل كلمة تنبث عن الشعور بالندم ، والرغبة في التوبة ، يتقبلها الله ، وينقذ صاحبها يوم القيامة .

ثم دعا إلى ترك الظلم ، وأورد ماقاله الظالم نفسه ، بأن من يفعل مثقال ذرة شراً يره يوم الحساب ، وأنه اختار هذا المسلك طيلة حياته ، فلم يورثه إلا امتلاء ميزانه بالسيئات ، فيجب أن يقلع الإنسان عن الظلم لأنه ضعيف ، وحىّ بنفس واحد ، ونصح الإنسان بفعل الخير دائماً ، وبيّن له ثمرة ذلك في قوله : « قدم كل ماتملكه في هذه الدنيا ، وانزع الطمع من نفسك ، وافعل الخير ما استطعت ، حتى تصير خالياً من الذنوب ، في يوم القيامة الذي هو أهم الأيام » ^(۳) .

(۱) کی من مسکین بتودر شرمسار از خجلان در گذر و در گذار
گرچه ز فرمان تو بگذشته ام رد مکم کز همه ردگشته ام
یا ادب من بشراری بکن یا بخلاف همه کاری بکن
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۷۷)

(۲) چون خجلم دید زیاری رسان یاری من کرد کسی بیکسان
فیض کرم راستخم در گرفت بار من افکند و مرا برگرفت
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) هرچه در این پرده ستانی بده خود مستان تابتوانی بده
تا بود آروز که باشد بهی گردنت آزاد و دهانت تهی
(نفس المرجع والصفحة)

وختم نصحه قائلا : « لا يكن مال اليتيم في رقبك ، ولا تحمل وزر المجاز ،
واترك هذه الدنيا القانية للوثة ، وخذ زاد طريقك كالغرباء ، أو اعتزل العالم ،
كنظامي ^(۱) » .

وهكذا ختم الشاعر المقالة والقصة بترديد الدعوة إلى ترك الظلم ، واتباع
العدل ، والتزود من الدنيا بالعمل الصالح ، الذي يفيد يوم القيامة .

* * *

۲ - المقالة الثانية

في العدل ورعاية الإنصاف

خاطب الشاعر - في أول المقالة الثانية - الإنسان بأنه أفضل مخلوقات الله ،
وأكرمها ، لأن كل مافي الوجود مُسَخَّرٌ له ، فقال : « إن الشمس التي تنقذُ نارا ،
تُسَرُّ حينما تبصر وجهك ، وإن القمر إذا دَقَّ فصار هلالاً كشعرك ، يبتسم إذا
رأى طلعتك ^(۲) » .

ونصح الإنسان بالتفاؤل ، قائلا . « انظر إلى العالم بتفاؤل لأنك لستَ ضعيفاً ،
ولا تحمل همّاً ، لأنك لست عبداً للعالم ، وكن متواضعاً مع الجميع ، ولا تعتمد
على أحد ^(۳) » .

(۱) وام یتیمان نبود دامننت بارکش پیره زنان کردنت

باز هل این فرش کهن بوده را طرح کن این دامن آلوده را

یاچو غریبان پی ره توشه گیر یاچو نظامی ز جهان گوشه گیر

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۷۸)

(۲) سینۀ خورشید که پر آتشست روی تو می بیند از آن دلخوشست

مه که شود کاسته چون موی تو خنده زند چون نگرد روی تو

(المرجع السابق ، ص ۷۹)

(۳) عالم خوش خور که زکس کم نه غصه مخور بنده عالم نه

با همه چون خاک زمین پست باش وز همه چون باد تعی دست باش

(نفس المرجع والصفحة)

ثم تحسر الشاعر على بُعد الناس عن دينهم ، فقال : « أين الدين ١؟ .. أين الديانة ١؟ .. أين نحن وأين الأمانة ١؟... » ^(١) .

ودعا إلى العدل والإحسان ، لأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها : « إن الله الذي يهبك زاد الطريق ، يتقبل منك الحسنة الواحدة ، ويعطيك عشرة » ^(٢) . ثم انتقل إلى الدعوة إلى ترك الظلم فقال : « إن الملك لا يوجد بالظلم ، وإنما يمكن أن يوجد بالعدل والإنصاف » ^(٣) .

وخطب الإنسان بقوله : « إن المملكة تخلد بعدلك ، وإن الأمور تستقر بإنصافك » ^(٤) .

ثم أورد « قصة نوشيروان مع وزيره » وهي أن الملك نوشيروان خرج للصيد ومعه وزيره وحاشيته ولكنه ضل الطريق ، وابتعد عن حاشيته ، ولم يبق معه إلا وزيره .

ثم أبصرا طائرين - من البوم - يتحدثان ، فسأل الملك وزيره عما يقوله كل طائر للآخر ، فأجاب الوزير بأن حديثهما يدور حول مصاهرة ، توشتك أن تتم بينهما ، فطائر منهما يريد أن يتزوج ابنة الطائر الآخر ، الذي يطلب منه المهر قرية خربة ، فيجيبه الأول بأنه مادم الملك في هذه الصورة فإنه يستطيع أن يقدم له ألف قرية خربة .

(١) كو خبر دين وديانت كجاست ما بكجائيم وأمانت كجاست ١؟ ..

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٧٩)

(٢) آنكه ترا توشه ره ميدهد از تويكي خواهد وده ميدهد

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) رسم ستم نيست جهان يافتن ملك يانصاف توان يافتن

(المرجع السابق ، ص ٨١)

(٤) مملكت از عدل توهود پايدار كارتو از عدل تو كيرد قرار

(نفس المرجع والصفحة)

ثم یصور تأثر أنوشیروان فی قوله . « لقد عض - من الظلم - إصبع الندم ، وقال : انظر کیف وصلت أنباء الظلم إلى الطیور ، انظر کیف أحلت - بظلمی - البوم علی الآدمیین ؛ ویلی من غافل محب للدنیا ؟ .. یکفی هذا القدر الذی اقترفته یدای کم أخذت أموال الآخرين بالقوة ، غافلا عن الموت ووحدة القبر ! ... إلى متى أمد یدى بالظلم ؟ .. انظر کیف أظلم نفسی ! ... إن الله قد أعطانی الملك حتی لا أفعل مالا یحسن عمله .. لقد غطى الله رأسی بالذهب ، ولكنی أفعل الأشياء الّتی لم یأمر بها ، فلماذا أشوه اسمی بالظلم ؟ .. أظلم ... ویلی ! ... إننی لا أظلم إلا نفسی ^(۱) . »

وقد تحول نوشیروان منذ تلك اللحظة من ظالم إلى عادل : « فلم یکد یصل إلى معسکره حتی عم عدله أنحاء المملکة ^(۲) »

* * *

(۱) زین ستم انگشت بدن دان گزید
جور نگر کز جهت خاکیان
ای من غافل شده دنیا پرست
مال کسان چند ستانم بزور
تاکی وکی دست درازی کنم
ملك بدان داد مرا کردگار
من که مسم را بزرانده اند
نام خود از ظلم چرا بدکنم
گفت ستم بین که بمرغان رسید
جفند نشانم بدل ماکیان
بس که زخم برسر این کار دست
غافل از مردن و فردای گور
باسر خود بین که چه بازی کنم
تا نکنم آنچه نیاید بکار
میکنم آنها را که نقرموده اند
ظلم کنم وای که برخود کنم
(غزون الأسرار ، ص ۸۳)

(۲) چونکه بلشکر که ورایت رسید
بوی نوازش بولایت رسید
(الرجع السابق ، ص ۸۴)

۳ - مقاله الثالثة

في حوادث العالم

يتحدث نظامي - في المقالة الثالثة - عن الدنيا ، فيقول : « إن الدنيا لم تنهيه ، رغم أنه قد مضت سنون كثيرة من عمرها ، فما زالت الأرض هي الخصم القوي ، ومازال الفلك ظالماً قاطعاً للرقاب ^(۱) » .

ويعصور غدر الدنيا فيقول : « من يمتنى صداقة الدنيا ؟ .. لِمَنْ أوفت حتى تني لنا ؟ ... لقد صار تراباً كل من عاش على التراب ، فكيف يدرك الإنسان ، ماتخبئه الدنيا ؟ .. ^(۲) » .

ثم يقرر أن الإنسان لا يسلم من حوادث الزمان ؛ فيقول : « ليس الإنسان خالياً من هموم الحوادث ، وليس آمناً منها في البركان أم في البحر ^(۳) » .

وهو - لذلك - يدعو الإنسان إلى ترك الغفلة بعد أن وصل إلى مرتبة البلوغ والتعقل ، فيقول : « الغفلة جملة قبل مرتبة التعقل ، فما أجمل الغفلة في ذلك الوقت ! ... أما إذا بلغ نظر العقل غايته ، فإن دولة السرور تنتهي ، وتصبح الغفلة ضرباً من الجنون ، وليست من الحكمة في شيء ^(۴) » .

(۱) سال جهان گرچه بسی درگذشت از سرمویش سرموئی نگشت

خاك همان خصم قوی گردنست چرخ همان ظالم گردن زنست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۸۵)

(۲) صحبت گیتی که تمنا کند با که وفا کرد که با ما کند

خاك شد آن كس كه برخاك زیست خاك چه داند كه درین خاك چيست

(المرجع السابق ، ص ۸۶)

(۳) آدمی از حادثه بی غم نیند بر تر و برخشك مسلم نیند

(المرجع السابق ، ص ۸۷)

(۴) پیشتر از مرتبه عاقلی غفلت خوش بود خوشا غافل =

نم یدعو إلى الوفاء ، فيقول : « ما أساس الأدب ؟ بذر الوفاء . . . وما حق الوفاء ؟ رعايته . . . إن الزارع الذي يتعهد هذه البذرة ، سوف يأكل من ثمرها يوماً ما ^(۱) » .

ويتبع المقالة بقصة « سليمان والفلاح » وهي أن سليمان توجه مرة إلى الصحراء ، فوجد فلاحاً قد بذر الحب في رقعة من تلك الصحراء الفسيحة ، فنبئت من كل حبة سنبلة .

وقد تأثر سليمان لرؤية الفلاح ، فلم تكن لديه آلات لحث الصحراء ، أو ماء لسقي الأرض حتى تنبت النبات ، فنصحته ألا يتمب نفسه في الزراعة وهو غير مستعد لها ، فلن يستطيع أن يحصد شيئاً من تلك المزرعة المحرقة .

وقد أجاب الزارع الفقير بأنه فارغ القلب مما يتعلق بهذه الأرض ، فهو لا يفكر في أمر الماء ، وما عليه إلا أن يبذر الحب ، وعلى الله الإنبات ، وقال إنه يأكل من عرق جبينه قائماً بما قسم الله له ، وفسر ذلك بقوله : « إننى لأحلّم ملك أو ولاية ، وتكفينى هذه السنابل مادمت حياً ، وهذا هو الذى يُبشّرُنّى بأن الله سوف يعطينى عن كل حبة سبعائة حبة » ^(۲) .

ثم قال : « إن مرتبة الإنسان في الدنيا على حسب قدره فيها ، فيجب على

= چون نظر عقل بغایت رسید دولت شادی بنهایت رسید

غافل بودن نه زفر زانگیست غافل از جمله دیو انگیست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۸۷)

(۱) تخم ادب چیست ؟ وفا کاشتن حق وفا چیست ؟ نگه داشتن

برزگر آن دانه که می پرورد آید روزی که ازو بر خورد

(المرجع السابق ، ص ۸۸)

(۲) نیست غم ملک و ولایت مرا تا منم این دانه کفایت مرا

آنکه بشارت بخودم میدهد دانه یکی هفتصدم میدهد

(المرجع السابق ، ص ۹۰)

المشتغل بالأمور أن يكون صبوراً ، فلا يضجر سريعاً ^(۱) .

وختم الشاعر بقوله عن نفسه : « لا أطمع في العظمة قبل الوصول إلى مرتبة النضج ، ولذلك فإنَّ تحمُّلَ المشاقِّ قد أصبح من عادات نظامي ^(۲) » .

* * *

٤ - المقالة الرابعة

في رعاية الرعية

يذم الشاعر - في أول المقالة الرابعة - الإنسان الذي يتجرّد عن المروءة ، ويفترّ بملك لا يفي لأحد ، وبعمر يفنى ، ويشير إلى مافعله رابعة العدوية ، فقد قصت ذوايبتها ، ومزّقت ثيابها لتصنع حبلاً تستعين به في إخراج قدر من الماء من بئر ، لتسقى كلباً عطشاً ، ويدعو الشاعر مثل هذا الإنسان إلى الخجل من مثل هذه المرأة ، لأنه أقل منها مروءة وشهامة ، وينصحه قائلاً : « لا بد للعقل من الفضل ، وليس هناك أفضل من العدل ^(۳) » .

ثم يقول تبعاً لذلك : « لا يجب أن يظهر الإنسان إلا الجوهر الطيب ، فإنه المعدن الذي يمكن أن يستفيد منه لأن الظلم غير مأمون العواقب ، فالظالم يريق ماء وجهه ، ودماء الآخرين ^(۴) » .

(۱) هست در این دایره لاجورد مرتبه مرد بمقدار مرد

دولتی باید صاحب درنگ کز قدری ناز نیاید بتنگ

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۹۰)

(۲) ناز نسگویم که زخامی بود نازکشی کار نظامی بود

(المرجع السابق ، ص ۹۱)

(۳) کردن عقل از هنر آزاد نیست هیچ هنر خو بر ازداد نیست

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) جز کهر نیک نباید نمود سود توان کرد بدین مایه سود

نیست مبارک ستم انگیزان آید خود و خون کسان ریختن

(المرجع السابق ، ص ۹۲)

و یکرّر النصّح بالتزام العدل ، فبقول : « اغْدِلْ واخْذَرْ قِیام الناس فی نصف اللیل للتظلم ، ولا تحقر قِیامهم ، لأن له آثاره ، إذا أصاب دعاؤهم المهدف ^(۱) » .

وهو لذلك یخاطب قائلا : « أبعِدْ سهم الظلم عن طریقهم ، حتى لاتصیبك سهام دعاؤهم فی وقت السحر ؛ فإن العدل أساس الملك ، والتعلق بالدنیا هو سبب الظلم ، فكل من یعدل فی هذه الدنیا یُعَمِّرْ آخرته ^(۲) » .

ثم یورد « قصة المعجوز والسلطان سنجر » وهی أن معجوزاً شکت إلى السلطان سنجر ظلم رجاله ، وأخذت تُبَيِّنُ له عاقبة ظلمه ، فقد أدى إلى خراب المملكة وتخطیمها .

ثم خاطبته قائلة : « إنك عبد وتدعی الملك ، استَـمـلكا لأنك تُخَرَّبُ ، إن الملك هو الذی یُنْظِمُ الدولة ، ویرعى الرعية ، حتى یطیع الجميع أمره ، ویضعوا حبه فی قلوبهم وأفئدتهم ^(۳) » .

(۱) داد کنی از همت مردم بترس نیمشب از تیر تظلم بترس
 همت از آنجا که نظرها کند خوار مدارش که اثرها کند
 (نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۹۲)

(۲) تیغ ستم دور کنی از راهشان تا نخوری تیر سحرگاهشان
 دادگری شرط جهاندار است شرط جهان بین که ستمکار است
 هر که درین خانه شبی داد کرد خانه فردای خود آباد کرد
 (نفس المرجع والصفحة)

(۳) بنده ودعوی شاهی کنی شاه نه چونکه تباهی کنی
 شاه که ترتیب ولایت کند حکم رعیت برعایت کند
 تا همه سر بر خط فرمان کنند دوستیش در دل وجان نهند
 (المرجع السابق ، ص ۹۴)

وهی - لذلك - تنصحه بقولها : « ارفع يدك عن ظلم الفقراء حتى لا تصيبك سهام دعائهم ^(۱) » .

ثم تقول له : « اعلم أنك ملك ، بأن تقلع عن الظلم ، وتأسو جراح المصابين ^(۲) » .

وهكذا يحتم الشاعر المقالة والقصة مُردداً نفس النغبات التي تدعوا إلى مراعاة العدل والوفاء ، وتجنب الظلم ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا .

* * *

۵ - المقالة الخامسة

في وصف الهرم

يتحدث نظامی - في المقالة الخامسة - عن الهرم ، فيظهر الحزن على نغماته ، حينما يقرر أن الشباب قد تولى بأيامه الجميلة ؛ فيقول : « الشباب حلوا رغم أنه كالنار المشبوبة ، أما الهرم فر المذاق ^(۳) » .

ثم يقول : « إن عهد الشباب قد انتهى فلا تَمَنَّ ، وقد جاء الایل . . . وهذا هو السحر ، فلا تَنَمَّ ^(۴) » .

ويُتَبَّع ذلك بالحث على العمل قائلاً : « كل التراب ولا تأكل خبز البخلاء » .

(۱) دست بدار از سر بیچارگان تا نخوری یاسج غمخوارگان
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۹۴)

(۲) شاه بدانی که جفا کم کنی کر دیگران ریش تومرم کنی
(المرجع السابق ، ص ۹۶)

(۳) گرچه جوانی همه خود آتشست پیری تلخست وجوانی خوشست
(المرجع السابق ، ص ۹۸)

(۴) عهد جوانی بسر آمد مخسب شب شد واینک سحر آمد مخسب
(نفس المرجع والصفحة)

لست ذليلاً ، فلا تتحمل ثمانية الأذلاء ^(١) . »

ثم يورد « قصة صانع آجر مُسِنَّ » وهي أن شيخاً كان يعيش في الشام ، ويكسب قوته من صناعة الآجر ، وكان الناس يستعملون آجره في بناء الخودم ، مُتَّبِعِينَ به ، ومعتقدين أن ذنوبهم سوف تغفر ، مهما كانت هذه الذنوب كثيرة .

وذات يوم جاءه شاب ، وأخذ ينتقد عمله ، ويقول له إن صناعة الآجر مذلة ، وينصحه بترك هذا العمل ، لأن رزقه سيصل إليه بدونه ، فضلاً عن أنه شيخ كبير ، فيجب أن يترك هذا العمل للشباب .

وقد أجابه الشيخ راحياً إياه أن يترك الفضول والجرأة ، ثم قال له : « إنني أُنْخِذُ هذه الحرفة ، حتى لا أمد يدي - أمامك - لسؤال يوماً ما ^(٢) . »

ونصحه بالإقلاع عن الانتقاد ، فتأثر الشاب اللائم من كلام الشيخ ، وانصرف باكياً من فرط التأثر .

ثم دعا الشاعر نفسه إلى ترك الدنيا والعمل للآخر فقال : « يا نظامي ! إلى متى تطرق باب الدنيا ؟ ... استيقظ ، واطرق - إذا طَرَقَتْ - باب الدين ^(٣) . »

* * *

(١) خاك خور و نان بخيلان مخور خاك نه زخم ذليلان مخور

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ١٠٠)

(٢) دست بدین پیشه کشیدم که هست تا نکشم پیش تو بکروز دست

(المرجع السابق ، ص ١٠١)

(٣) چند نظامی در دینی زنی خیز و در دین زن اگر میزنی

(نفس المرجع والصفحة)

٦ - المقالة السادسة

في الاعتبار بالموجودات

ينظر الشاعر - في المقالة السادسة - إلى الكون نظرة فيها تأمل واعتبار ، ويقرر أن كل مافي السموات والأرض قد سُخِّرَ لخدمة الإنسان ، فهو أكرم المخلوقات عند الله ، وهو الموجود الذي لا يستغنى العالم عنه ، ولذلك فهو يخاطبه بقوله : « ليس للعالم ساكن مثلك ، إن طيور الأرض ترزق بالحب من أجلك ^(١) » . وينصحه باتباع القلب حتى يرتفع شأنه ، فيقول : « اتبع القلب حتى تصير ساطناً ، فتسيطر على العقل والعقل والروح ^(٢) » .

ويدعوه إلى تحمل العناء متعبداً حتى يصل إلى بر السلامة ، فيقول : « تحمل العناء في الليل البهيم ، فكما كثر التعب زادت العناية الإلهية ، فإن كل من وصل - من أهل الوفاء - إلى منزلة ، قد وصل إليها عن طريق العناء ، لأن نزول البلاء عافية للأنبياء ، فالبلاء هو الذي يجلب لك العافية ^(٣) » .

ثم يورد قصة « كلب وصياد وثعلب » وهي أنه كان يوجد صياد حاد البصر ، خبير بمسالك الصحراء ، وكان له كلب قوى ، سريع العدو ، يعاونه في الصيد ، ويلازمه في السفر ، وقد أفاد منه كثيراً ، فأحبه حباً شديداً ، وكان السكلب

(١) نیست جهانرا چوتو همخانه مرغ زمینرا زتو به دانه
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٠٢)

(٢) بنده دل باش که سلطان شوی خواجه عقل و ملک جان شوی
(المرجع السابق ، ص ١٠٣)

(٣) بار عناکش بشب قیرگون هرچه عنایش عنایت فزون
ز أهل وفا هرکه بجائی رسید بیشتر از راه عنائی رسید
نزل بلا عافیت انبیاست و آنچه ترا عافیت آید بلاست

(المرجع السابق ، ص ١٠٤)

مخلصاً في خدمة سيده ، فكان يحرسه إذا نام ، ويساعده على كسب قوته في أثناء النهار .

وذات يوم ضاع الكلب ، فحزن الصياد على فقدته حزناً شديداً ، ثم استعان بالصبر ، فصبر صبراً جميلاً ، ولكن ثعلباً جاءه ساخراً وقال له : كيف تصبر ؟! . لقد كان كلبك يُعتَبَر كل شيء بالنسبة إليك ، فحياتك متوقفة على وجوده . ثم تهكّم عليه قائلاً : إن عندك من صيده ما يكفيك شهرين ، فقم وكلّ فقد استرحت من دهن أعضائنا ، فلن تأكل ثعلباً سميناً بعد الآن ، فلم تحزن ؟! .. فأجابه الصياد بقوله : إن الليالي حبالى بالأحداث ، وإن الغم والسرور لا يخلدان في هذه الدنيا ، وإن العز والذل ، والأنيب والأفلاك ، والراحة والحنة ، تدور جميعها في عجلة واحدة . إن قلبي سعيد بهذا الغم ، لأن مجيء الغم دليل على أن في إثره سروراً ، لأن بعد العسر يسراً ، حقيقة أن كلبى قد ضاع ، ولكنى واثق من أنه سوف يعود لى بصيد مثلك .

وبينما كان الصياد مسترسلاً في حديثه ، ثار غبار من بعيد ، ثم ظهر الكلب المفقود ، ودار حول صاحبه ، ثم قال : « لقد رجعت متأخراً بعض الوقت ؛ ولكن يجب أن يعلم الثعلب أنني عدتُ قوياً كالأسد .

ثم ينصح الشاعر فيقول : « إن كل من يصطنع اليقين في عمله ، تكون السعادة خاتمة له ، فابحث عن طريق اليقين في كل قصد ، فليس هناك طريق أفضل منه فلو ثبتت قدمك على طريق اليقين ، فإنك تستطيع أن تأتي بالمعجزات ؛ فتخرج الغبار من البحر ، والماء من النار ^(١) » .

(١) هرکه یقینش یارادت کشد خاتم کارش بسعادت کشد
 راه یقین جوی زهر حاصلی نیست مبارکتر ازین منزلی
 گر قدمت شد یقین استوار گرد زدریا نم از آتش برآر
 (نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٠٧)

ثم يقول : « إن أهل اليقين طائفة أخرى ، فهم الرأس ونحن القدم ^(۱) » .
ويدعو إلى عدم التفكير في أمر الرزق لأنه مقسوم منذ الأزل ، فيقول :
« حينما خلق الله صورتنا قسم لنا الرزق منذ الأزل ، وقد أرسل رزقك معك ،
فكل في الدنيا ، مامنحه الله إياك ، فهما تعب إنسان في طلب الرزق ، فإنه لن
يأكل أكثر من نصيبه للمقسوم » ^(۲) .

وختم الشاعر نصيحته بقوله : « حاول أن تعتقد أن الرزق والجاه لا يزيدان
بكثرة التعب والجهد ، فإن سمعك يجب أن يحالفه توفيق الله ، حتى تصبح عزيزاً ،
غنياً عن العالم كله » ^(۳) .

* * *

۷ - المنانة السابعة

في فضل الإنسان على الحيوانات

يكبر نظامي - في المقالة السابعة - الحديث عن فضل الإنسان ، وتسخير
مافي الوجود لخدمته ، لأن قدر الإنسان أسمى مما يتصور الإنسان نفسه ، ثم ينصحه
بأن يكون شريفاً في أعماله ، فيقول : « كن - كالطائر الميمون - شريف العمل ..

(۱) أهل يقين طائفه ديگرند ما همه پائيم گر ايشان سرند

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ۱۰۷)

(۲) صورت ما را كه عمل ساختند قسمت روزی بأجل ساختند

روزی از آنجاست فرستاده اند آن خوری اینجا كه تراداده اند

گرچه در این راه بسی جهد كرد بیشتر از روزی خود كس نفورد

(المرجع السابق ، ص ۱۰۸)

(۳) جهد بدین كن كه براینست عهد روزی ودولت نفزاید بجهد

تا شوی از جمله عالم عزیز جهد تو میباید وتوفیق نیز

(نفس المرجع والصفحة)

كُلَّ قَلِيلًا ، وَتَكَلَّمَ قَلِيلًا ، وَأَقَلَّ الْأَذَى » ^(١) .

وَيَدْعُو إِلَى تَطَهُّرِ الْجِسْمِ ، فَيَقُولُ : « أَجْمَلُ جِسْمِكَ أَكْثَرُ طَهَارَةٍ مِنْ دُرُوحِكَ ، بَأَنْ تَعْتَكِفَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا » ^(٢) .

ثُمَّ يَنْصَحُ بِالرِّيَاضَةِ الرُّوحِيَّةِ - عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ - فَيَقُولُ : « إِنْ قَدَّرَ الْقَلْبُ ، وَمَنْزَلَةُ الرُّوحِ لَا يُمْكِنُ الْحَصُولُ عَلَيْهِمَا إِلَّا بِالرِّيَاضَةِ ، فَأَضِيفْ إِلَى الطَّبَائِعِ صِفَاءَ الرِّيَاضَةِ ، وَاسْتَخْرِجْ بِالرِّيَاضَةِ خَيْرَ مَا فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، حَتَّى تَصِلَ عَنْ طَرِيقِهَا إِلَى تَكْوِينِ شَخْصٍ مُهَذَّبٍ مِنْ شَخْصِكَ الَّذِي لَيْسَ شَيْئًا » ^(٣) .

ثُمَّ يورد قصة « أَفْرِيدُونُ وَالْفَزَالِ » وَهِيَ أَنَّ أَفْرِيدُونُ خَرَجَ يَوْمًا لِلتَّنَزُّهِ مَعَ بَعْضِ رِجَالِهِ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى مَرْعَى لِلصَّيْدِ ، فَرَأَى غَزَالًا صَغِيرًا ، أَحْبَبَهُ جِوَالَهُ ، وَتَنَاسَقَ أَعْضَائِهِ ، فَأَغْرِمَ بِهِ ، وَعَدَلَ عَنْ صَيْدِهِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ اسْتَعَدَّ لِذَلِكَ وَهَكَذَا نَجَّى الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ مِنَ الْقَتْلِ وَعَاشَ حَرًّا طَلِيقًا .

وَيُتَّبِعُ الشَّاعِرُ ذَلِكَ بِالنَّصْحِ بِأَنْ يَتَرَفَّعَ الْإِنْسَانُ عَنِ الصِّغَائِرِ ، وَيَتَطَلَّعَ إِلَى الْمُثَلِّ لِلْعُلْيَا ، فَيَقُولُ : إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ الصَّيْدَ ، فَيَجِبُ أَنْ يَصِيدَ شَيْئًا عَظِيمًا ، حَتَّى يَسْمُوَ ، وَيَشْتَهَرَ بِهَذَا الصَّيْدِ .

وَيَخْتِمُ نَصْحَهُ بِقَوْلِهِ : « إِنْ مَسَاعِدَةُ النَّاسِ أَسَاسُ الرَّجُولَةِ ، وَشَرَفُ

(١) چون تو همتی شرف کار باش کم خور و کم گوی و کم آزار باش

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٠٩)

(٢) جست پاکتر از جان کنی چونکه چهل روز بزدان کنی

(المرجع السابق ، ص ١١٠)

(٣) قدر دل و پایه جان یافتن جز ریاضت تنوان یافتن

سیم ریاضت بطبایع سپار زر طبیعت ریاضت برآر

تا ز ریاضت بمقامی رسی کت بکسی در کشد این ناکسی

(نفس المرجع والصفحة)

الإنسانية ، فليس في نظر الحكماء أفضل من المساعدة ، فحافظ على الوفاء ، وحاول ألا تنقضه » ^(۱) .

* * *

۸ — المقالة الثامنة

في بيان الخلق

يتحدث الشاعر - في هذه المقالة - عن كيفية خلق العالم ، فيقول : « قبل أن تضع قدمك في هذا الطريق ، كان العالم مملوفاً بالشكر ، وكانت الأيام والليالي غير حبالي بالأحداث » ^(۲) .

فلما خُلِقَ الإنسان امتلأ العالم بالمتاعب والذنوب ، ولذلك فهو يخاطبه بقوله : « يامن أصبح كل ماعل الأرض في تعب بسببك ، إن مكانك يحسن أن يكون تحت الأرض ، مثل السكيز » ^(۳) .

وينهى على الإنسان ، لأنه يُضَيِّع وقته في اللهو والتمتع ، فيقول له : « لاجرم أنك في الدنيا أسير المطبخ ، وستكون يوم القيامة علفاً لجهنم » ^(۴) .

(۱) صورت خدمت صفت مرد میست خدمت کردن شرف آدمیست

نیست بر مردم صاحب نظر خدمتی از عهد پسندیده تر

دست وفا در کر عهد کن تانشوی عهد شکن جهد کن

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۱۳)

(۲) تا تو درین ره نهادی قدم شکر بس داشت وجود از عدم

فارغ از آبستنی روز وشب نامیه عنین وطبیعت عزب

(المرجع السابق ، ص ۱۱۴)

(۳) ای ز تو بالای زمین زیر رنج جای تو هم زیر زمین به چو گنج

(المرجع السابق ، ص ۱۱۶)

(۴) لاجرم اینجا دغل مطبخی روز قیامت علف دوزخی

(المرجع السابق ، ص ۱۱۸)

ثم يقول : « لو عاش شخص بالطعام كثيراً ، عاش كل من يأكل أكثر عمراً أطول . فإن الطعام يُعطل عقلك عن العمل المنتج ، ولكن الحرص هو الذى يدفعك إلى التكالب عليه ، وإني أخشى أن يروق الطعام فى نظرك ، فيلغى عقلك ، فتصير أسير شهواتك ^(١) » .

ثم يورد قصة « بائع فاكهة وتغلب » وهى أن بائع فاكهة كان يسكن البين وكان يستعمل ثعلباً صغيراً لحراسة دكانه ، وكان الثعلب ذكياً يحفظ متاع سيده ، ويرعاه جيداً ، حتى تغلب عليه نшал ، فأنامه ، ثم سرق المتاع .

وعلق الشاعر على هذا بقوله : « إن كل من يسلم نفسه للنوم فى هذا الطريق سوف يفقد كل شيء فى الحياة ^(٢) » .

* * *

٩ - المقالة التاسعة

فى ترك المثلونات الدينيوية

يذكر الشاعر الإنسان - فى هذه المقالة - بقصر عمره ، وسرعة انقضائه ، وينصحه بأن يتزود لآخرفته ، وأن يرسل هذا الزاد أمامه ، حتى ينفعه إذا ما وصل ، ويضرب المثل بالنحل والمل - فى بعد النظر - ويدعو الإنسان إلى ادخار قوت

(١) گر بخورش بیش کسی زیستی هرکه بسی خورد بسی زیستی

.....

عقل تو باخورد چه بازار داشت حرص ترا برسر اینکار داشت

.....

ترسم از این پیشه که پیشت کنند رنگ پذیرنده خوشت کند

(نفس المرجع والصفحة)

(٢) هرکه در این راه کند خوابگاه یا سرش از دست رود یا کلاه

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۱۹)

غده مثل هذه الحشرات ، فيقول : « إن الإنسان الغافل إذا لم يكن أعمى ، فإنه ليس أقل من هذا النمل ، وذلك النحل ^(۱) » .

ثم يقول : « إن كل المخلوقات - غير الإنسان - بعيدة النظر ، تدّخر زادها وما ينفعها في مستقبلها ، فيجب أن يتفكر الإنسان في عاقبته ، لأن عاقبة هذا التفكر كبير مفيدة . « فنحن وإن كنّا قد خلُقنا من تراب إلا أننا جواهر لأننا أصحاب قلوب ^(۲) » .

وينصح بأن يتفكر الإنسان في السر من خلقه قائلا : « انظر في أى طريق يقع منزلك ، وفكر في مجيئك إلى هذه الدنيا ، وفي ذهابك منها ، وما السر في مجيئك ؟ وما الحكمة في ذهابك ؟ ^(۳) » .

و يشير إلى أن الإنسان كان - قبل هبوطه إلى الأرض - في عالم جميل ، ثم هبط إلى الأرض ، ولن يدوم عليها كثيراً ، بل إن حاله في تغيّر وتبدّل ، ويجب أن يلحق بالعالم العلوى مرة أخرى ، فيجب أن يتبع نصيحة أبيه آدم ، فيترك الدنيا والآثام ، ويعمل للأخرة ، ويتفكر في حقيقة ، فيحمل عباءة . « فنحن قد خلُقنا للعمل ، لا للقيام والقال ^(۴) » .

ثم يقول : « إن الإنسان يجب ألا يسر بالحيء إلى الدنيا لأنه يعرف أن في

(۱) آدمی غافل اگر کورنیست کمتر از آن نحل و از آن مورنیست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۱۹)

(۲) ماكه ز صاحب خبران دليم گوهریم ارچه زكان گليم

(المرجع السابق ، ص ۱۲۰)

(۳) منزل خود بین که کدامست راه ولمدن ورقین از این جایگاه

ز آمدن این سمرت رای چیست باز شدن حکمت از اینجای چیست ؟

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) مازنی رنج پدید آمدیم نز جهت گفت وشید آمدیم

(المرجع السابق ، ص ۱۲۲)

إثر الحجىء الرحيل منها ، وليس هناك شيء فى المجرىء أو الرحيل ، وسأتى اليوم الذى نعود فيه إلى الحياة مرة أخرى فى الآخرة . « فركب العبور الوحيد فى هذه الهادية هو الدين ؛ فهو الوسيلة الوحيدة للنجاة ^(۱) » .

وينصح بعد ذلك قائلا : « اطلب المغفرة وعلى الله القبول ، ولا تسلم كل شيء للقدر ^(۲) » .

ثم يذكر « قصة زاهد نقض توبته » فيقول إنه كان يوجد زاهد معتكف للتعبد ، وكان يندب حظه العائر ، فقد أصبح أسير العبادة والتسبيح ، فسرفت القبله كل أوقاته ، وصار من سكان بيت الدراويش ، فلا علاقة له بهذه الدنيا الحقيرة ، رغم أنه لم يستفد من هذا المسلك شيئاً ، وهو يعزو سلوكه هذا الطريق إلى القضاء ، فهو الذى جعله زاهداً .

ولكن قلبه يجيبه بأنه لا يجب أن يكمل كل شيء للقضاء لأنه ، وألفاً مثله لا يساوون أمام القضاء حبة شعير ، ثم ينصحه بأن يحاول غسل ذنوبه ، دون تعلل بالأعذار ، فلا يحاول ارتكاب المعاصى فى أثناء حياته فى هذه الدنيا ، ويبيّن له طريق النجاة فى قوله : « اهجر نومك قبل أن يُنميك الموت ، وتزود قليلاً من هذه الدنيا الفانية ، فليس جميلاً أن تنام حياً وميتاً ^(۳) » .

* * *

(۱) مركب این بادیه دینست وبس چاره این کار همین است وبس

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۲۳)

(۲) عذر زخود دار وقبول از خدای جمله ز تسلیم قدر درمیای

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) تا نبرد خوابت ازو گوشه کن اندکی از بهر عدم توشه کن

خوش نبود دیده بخوناب در زنده ومرده یك خواب در

(المرجع السابق ، ص ۱۲۴)

١٠ - المفارقة العاشرة

في ظهور آخر الزمان

يستمر الشاعر - في هذه المقالة - في الحديث عن تبدل الأرض والأفلاك ، وعدم بقائها على حال واحد ، وأن الساعة ستقوم « فتزأزل طبقات الأرض زلزالا شديداً ، لأن زلزلة الساعة شيء عظيم ^(١) » وحينذاك تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وتذك الأرض دكا ، وتطوى السماء كطلى السجل للكتب ، وبذلك « تستريح الأرض والسماء من متاعبنا ، وتطمأن من ذنوبنا ، ويسكن الفلك ، فلا يسمى لخدمتنا ، فتأمن الأرض مكرنا ^(٢) » .

ثم يخاطب الشاعر الإنسان الذى أرقى الأرض بأفعله السيئة ، فيدعوه إلى ترك متاع الدنيا ، وتطهير النفس ، لأن الأحداث سريعا ما تحدث ، ولن يستطيع أى إنسان أن ينجو من الموت ، فيجب أن يعترف الإنسان بعجزه ، وهو لذلك ينصحه بقوله : « إنك واقف على رأس شعرة ، فلا تتمدك بها ، وحاول أن تخرج من الدنيا كما تخرج الشعرة من العجين ^(٣) » .

ثم يبين الشاعر عيوب العالم ، فيقرر أن كل شيء فى الدنيا ناقص معيب ؛ فالشمس شرارة من جهنم ، والقمر قاصر لأنه يعتمد على الشمس ، والسحاب

(١) در طبقات زمى افكندہ بيم زلزلة الساعة شيء عظيم
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٢٤)

(٢) رسته شود هر دوسر از دردم پاك شود هر دوره از كردما
هم فلك از شغل تو ساكن شود هم زمن از مكرتو آين شود
(المرجع السابق ، ص ١٢٥)

(٣) برسر موئى سر موئى مكير ورنه برون آى چوموى از خمير
(المرجع السابق ، ص ١٢٧)

يعتمد على بخار الماء . ويُجَلِّلُ العيوب في قوله : « العالم مملوء بالعيوب ،
واسكنك لا تنظر إلى عيوبه مطلقاً ^(۱) » .

وينصح أن يشتغل الإنسان بعيوبه عن عيوب الناس ، وأن ينظر إلى
محاسن الناس فقط ، وأن يترفع عن تقصّي عيوبهم ، فيقول : « ارفع عينك عن
عيوب الآخرين ، وفشّ في نفسك ، واعرف عيوبك ، ففي كل شيء فضل
وعيب ، فترفع عن النظر إلى العيوب ، حتى تصير فاضلاً ^(۲) » .

ثم يورد « قصة عيسى » ، وهي أن عيسى كان يمر في سوق فأبصر كلباً ميتاً
مُلْقَى في الطريق ، وقد التفت حوله جمع من الناس ، فأخذ كل منهم يذكر عيباً
من عيوبه ، فقال واحد منهم : إن رائحته تسبب صداع الرأس ، وقال الثاني :
إنه يسبب عَمَى العين ومرض القلب ، وكان كل من يتحدث منهم ينقده
الكلب ، فلما وصل عيسى إليهم ، نصحهم بعدم ذكر العيوب ، والنظر إلى
المحاسن فقط ، وتعيديها ، فلا ينبغي أن يضحك الإنسان من مصيبة الآخرين ،
ونصح قائلاً : « لا تفش عن عيوب الآخرين ، ولا تُعَدِّدْ محاسنك ، بل تأمل
في نفسك ^(۳) » .

ثم قرّر أن الأفلاك التسعة حجب لعيوب الإنسان ، وكل ما في الدنيا لفتنته ،
وسوف يغني جميعه .

(۱) خانه پر عیب شد اینکارگاه خود نکنی هیچ بعیش نگاه

(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۲۸)

(۲) دیده ز عیب دیگران کن فراز صورت خود بین و درو عیب ساز

در همه چیز هنر و عیب هست عیب مبین تاهنر آری بدست

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) عیب کسان منکر و احسان خویش دیده فروکن بگریبان خویش

(المرجع السابق، ص ۱۲۹)

وقد صَوَّرَ ذلك في قوله : « كل ما في الدنيا من قديم إلى حديث ، لن يساوى - حينما يفنى - شعيرتين ، فلا تَحْمِلْ هَمَّ الدنيا ، واستيقظ أيها السيد ، وإذا حملته ، فدع نصيب نظامي ^(۱) » .

* * *

۱۱ - المقالة الحادية عشرة

في غدر الدنيا

يبدأ نظامي هذه المقالة بقوله : « اسْتَيْقِظْ وَاطْوِ بِسَاطَ الْفَلَكَ ، فليس هناك وفاء في هذه الدنيا ^(۲) » .

ثم يتحدث عن غدر الدنيا ، فيقول : « لَا تَتَوَقَّعْ أَنْ تَصِلَ إِلَى هَدَفِكَ بِحَبْكٍ لِلدُّنْيَا ، وَلَا تَبْحَثْ عَنْ خِصْلَةِ الْإِنصَافِ بَيْنَ خِصَالِهَا ، فَلَيْمَ تُعَرِّضْ مَتَاعَكَ لِهَذَا الْمَوْجِ الْعَاقِبِ ؟ .. ^(۳) » .

وَيُحَدِّثُ من غدر الدنيا فَيُبَيِّنُ أن كنز الوفاء والأمان ليس موجوداً في هذه الأرض ، فالدنيا لا تُدَلِّلُ الْإِنْسَانَ أَبَداً ، فيجب أن يسحب يده من مصاحبتها ، والاعتماد عليها ، فليس على مائدة الدنيا شيء ، اللهم إلا كؤوس ملوثة ، فكل من يعتمد عليها تكون عاقبه الخسارة ، فهي بریق زائف ، وسراب

(۱) جمله دنیا ز کهن تابندو چون گذرندست نیرزد دوجو

انده دنیا مخور ای خواجه خیز ورتو خوری بخش نظامی بریز

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۳۰)

(۲) خیر و بساط فلسکی در نورد زانکه وفا نیست درین تخته نرد

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) نقش مراد از در وصلش مجوی خصلت انصاف ز خصلش مجوی

پای درین بحر نهادن که چه ۱۱ بار درین موج گشادن که چه ۱۱

(نفس المرجع والصفحة)

خادع ، وهى تنثر الإنسان فيتملق بها ، فيعيش مفتوناً بها ، حتى يصيبه نوم الغفلة والاضطراب ، ولذلك فالشاعر ينصح قارئاً « اجعل الآخرة دار مقامك ، واهجر هذه الدار الخربة ^(۱) » .

ويرى أنه يجب أن يترك الإنسان الدنيا ويبيعها لأنه لم يستفد شيئاً من علاقتها بها ، فينبغى أن يهملها حتى يعيش سعيداً ، وأن يُجهز زاد الآخرة ، فيقول : « إن طريقك طويل ، ومنزلك بعيد ، فجهز زاد الطريق ، ومثونة المنزل ^(۲) » .

وهو يعتقد أن الدنيا دار الشياطين ، لأنها تمتص عصارة الكبد من كل مَنْ يتعلق بها ، فيتحول قلبه دماً ، فلن تستطيع قافلة القلب أن تسير في هذا الطريق الذى يُذيب القلب ... فأقِ للدنيا المملوءة بالغم .

ولذلك يكرّر الدعوة إلى تركها ، ويُحذّر من الانسكاب عليها ، فيقول : « إن كل من يتسبع هواه فى هذه الدنيا ، تُحرق كبده ، ويصير مهموماً دائماً ^(۳) » .

ويدلل على رأيه بقوله : « ماذا تفعل بهذه الوردة النابتة من جهنم ، استيقظ وانرك جهنم ، وتوجه إلى الجنة ، فإن الدهر يعقبك ، ويمسك بيدك ، ويحاول أن يضلّك ، وهكذا حتى تموت ، فتكون عاقبتك وخيمة ، كغيرك من الناس ، وما دمت ستعود إلى التراب مرة أخرى ، فحاول أن تعبر الدنيا بسلام ، ولا تحاول أن تحفر حفرة لأحد ، فكثيراً ما طحنت الدنيا غيرك تحت قدمها ، فقد فنى كل

(۱) خلوت خود ساز عدم خانه را باز گذار این ده ویرانه را

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۳۱)

(۲) راه تو دور آمد ومنزل دراز برگه ره وتوشه منزل بساز

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) هرکه درین بادیه با طبع ساخت چونجگرافسرد وچوزهه گداخت

(المرجع السابق ، ص ۱۳۲)

من عليها ، دون أن يصلوا إلى أهدافهم ، فلا تتعلق بهذه الدنيا التي محصولها الشوك ، ولا تحاول الإقامة في مكان ليس مُحَصَّصاً لإقامتك ... إنه مكان مخيف ، فإذا تفعل فيه !؟ . . . إن الدنيا منزل فاني ، فلا تتوقع بقاءها ، وقد بانقت خريف عمرها ، فلا تنتظر ربيعها ^(۱) .

ثم يورد قصة « عابد صاحب نظر » وهي أن عابداً سرّاً على حديقة يانعة فراها مكاناً مزيّناً خلافاً ، ولكنه أدرك بقطنته أنها تقوم على الكذب والخداع ، لأن المملكة - التي هي فيها - يسودها الظلم ، وأحسّ بأن أزهار الحديقة ملوثة بالدماء ، وأنها ترتعش خوفاً على نفسها ، وأن الأشجار تهتز من الفساد والجور ؛ وأيقن أنها سوف تتبدل سريعاً ، وتصبح خاوية على عروشها ، وأن دولة الظلم سوف تزول قريباً .

ثم سرّ العابد على هذه الروضة بعد بضعة أشهر ، فرأى نواح الغربان مكان البلبل والروض ، ورأى جهنم مكان الجنة ، وأدرك أن المملكة قد خربت ، فذهبت الخضرة ، وأصبحت الزهور كومة تراب . « فنظر العابد إليها نظرة عابرة ،

(۱) تاچکنی این گل دوزخ سرشت	خیز و بده دوزخ و بستان بهشت
تا شود این هیکل خاکی غبار	پای بپایت سپرد روزگار
عاقبت چونکه بمردم کند	دست بدستت زمیان گم کند
چونکه سوی خاک بود بازگشت	بر سر این خاک چه باید گذشت
زیر کف پای کسی را مسای	کوچو تو سودست بسی زیر پای
کس بجهان در زجهان جان نبرد	هیچکس این رقعہ پایان نبرد
پای منه بر سر این خارخیز	خویشتن از خارنگه دارخیز
آنچه مقام تو نباشد مقیم	بیمگهی شد چه کنی جای بیم
منزل فانیت قرارش مبین	باد خزانیت بهارش مبین

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۳۲ - ۱۳۳)

وسخر منها واعتبر ، وبكى على حاله ^(۱) . وقال إن كل من عليها فإن ، فكل من خرج من التراب سوف يعود إليه في النهاية ، فليست أمامه وسيلة غير التمسك والاعتكاف ، وهكذا « نظر العابد بعين البصيرة فعرف ربه ، وأدرك قدر نفسه ^(۲) » ثم ينصح بأن يحاول كل إنسان أن يعرف هذه الحقيقة ، فيدرك قدره نفسه ، ويعرف ربه ، لأن المسلم إذا كان خالياً من الفيض ، يصبح كالجوسي . ويرى أن الإنسان يجب ألا يكون أقل من ذلك العابد ، وأن يترك الدنيا فلا يتعلق بها ، وألا يتكبر ويفتر ، وأن يستيقظ ويتعبد ، ويعمل للآخرة . ويحتم نصيحته بقوله : « اجتهد حتى تنجو من العبودية ، وتخلص — كنظامي — من أسر الشهوات ^(۳) » .

* * *

۱۲ — المفات الثانية عشرة

في وداع الدنيا

يكرر الشاعر — في هذه المقالة — دعوته إلى أن يستيقظ الإنسان ، ويودع الدنيا ليهيئ لنفسه حياة أسعد في الآخرة ، وأن يخشع ويبكى ، حتى يتعرض قلبه لفيض الله ، لأن الإنسان أعجز من أن يحافظ على شعرة واحدة ، فليس أمامه غير طريق العدم ، ولذلك فهو يخاطبه بقوله : « ما دُمْتَ لا تستطيع أن تحفظ شعرة واحدة ، فليس أمامك غير طريق العدم ، فقد تولى الأصدقاء والظرفاء ...

(۱) پیر در آن تیزروان بنگریست بر همه خنديد و بخود برگریست

(نظامی : مخزن الأسرار، ص ۱۳۴)

(۲) چون نظر از بینش توفیق ساخت عارف خود گشت و خدارا شناخت

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) کوش کرین خواجه غلامی رهی یاچو نظامی ز نظامی رهی

(المرجع السابق ، ص ۱۳۴)

مع من تجلس وقد تولى الرفقاء ۱۹ . . . إن الطبع يميل إلى الملاطفة ، ولكن كيف تكون الملاطفة مع الوحدة والانفراد ۱۹ . . . فالأجدر أن يبحث الإنسان الطاهر عن صديق مماثل له في هذه الدنيا المظلمة ، ويجب أن تنشر عليك قبل أن تذهب من الدنيا ، وأن تُخَفَّفَ من أحوالك ، حتى تصل إلى الجنة سريعاً .^(۱)

ثم ينصح بالعمل الآخرة ، لأن الدنيا عديمة الفائدة ، وأن يحاول ألا يكون هدفاً لفلک الدوار ، حتى لا يصب عليه قذائفه ، ويرى أن الوسيلة الوحيدة هي خروج الإنسان عن دائرته الضيقة ، والبحث عن طريق النجاة ، وهو يرشد إلى هذا الطريق في قوله : « لا تحاول أن تقوم بأى عمل قبل أن تستعد . وتُذَبِّتَ قدمك في الطريق المؤدية إليه ، وقبل أن تُؤمِّنَ طريق رجوعك ، فإن معرفة الطريق تحفظ من الزلل^(۲) » .

ويدهو الإنسان إلى أن يهَيَّءَ لنفسه فرصة النجاة دائماً ، وإن كان لا يستطيع النجاة من قبضة القضاء ؛ وهو - لذلك - يُنَبِّهُ الإنسان إلى ترك الغفلة ، والعمل للآخرة ؛ فيقول مخاطباً إياه : « خذْ زادك من الدين ، لأن الإقامة في الدنيا

(۱) چونکه ترا محرم یکموی نیست جز بعدم رای زدن روی نیست
 طبع نوازان و ظریفان شدند با که نشینی که حریفان شدند
 گرچه بسی طبع لطیفی کند باتن تنها که حریفی کند
 به که بجوید دل پرهیزناک روشنی آب درین تیره خاک
 تا نرسد تفرقه راه پیش تفرقه کن حاصل معلوم خویش
 رخت رها کن که گران روکی کز سبکی زود بمنزل رسی
 (نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۳۵)

(۲) تانگهی جای قدم استوار پای منه در طاب هیچکار
 در همه کاری که گرائی نخست رخنه بیرون شدنش کن درست
 شرط بشود دیده بره داشتن خویشان از چاه نگهداشتن
 (المرجع السابق ، ص ۱۳۶)

قصيرة ، واحمل معك الماء لأن الطريق جاف ^(١) . ويكرر الحديث عن ضرورة تخليص النفس من هموم الدنيا ومتاعها ، والانتفاع بئصنع المارفين . ثم يورد قصة « حكميين متنازعين » وهى أن حكميين متساويين فى درجة العلم تناقشا فى مسائل الحسكة ، واحتدمت المناقشة بينهما ، دون أن يصلا إلى شىء ، فقد تمسك كل منهما بقوله ، وسفّه رأى صاحبه ، وحاول أن يستأثر لنفسه بالفضل ، وبصبح وحيد وهره فى العلم ؛ ولما بلغ النمصب للرأى مبلانه ، حاولا أن يحسما النزاع عن طريق التحدى ، فتحدى كل منهما صاحبه أن يشرب شربة السم التى يقدمها له ، دون أن يتأثر بالسم . فتركا النزاع ، وخرجا فى منتصف الليل عازمين على الرحيل ، لينفذ كل منهما تحديه ، حتى يتبين أيهما أقوى من صاحبه ، وأقدر على تحمل شربة الآخر ، فيصير مُلاك الحسكة من نصيبه ؛ فأعدّ أولهما شربة سم من صدا الحجارة السوداء ، وقدمها لصاحبه ، فشربها ثم شرب شيئاً ضد السم فنجوا من الموت . أما الثانى فقطف وردة من روضة ، وقرأ عليها سحراً ، ثم قدمها لصاحبه فكانت أ كثر تأثيراً من السم ، فقد خشى منافسه من الوردة ، وغلب عليه الخوف فمات . « فبينما أخرج الأول السم من جسمه بالعلاج ، مات الثانى بوردة من الوهم ^(٢) » .

ويماق الشاعر على القصة بقوله : « إن كل وردة ملونة فى الحديقة قطرة من دم قلب الإنسان ، وحديقة للدهر التى أنت ربيعها ، دار غم أنت نقوشها ^(٣) » .

(١) توشه زدين بر كه عمارت كمست آب ز چشم آر كه ره بى نمست

(نظامى مخزن الأسرار ، ص ١٣٧)

(٢) آن علاج از تن خود زهر برد وآن بيكى گل ز توهم ببرد

(المرجع السابق ، ص ١٣٩)

(٣) هر گل رنگين كه بياغ زميست قطره از خون دل آدميست

باغ زمانه كه بهارش توئى خانه غم دان كه ننگارش توئى

(نفس المرجع والصفحة)

نم يكرر النصيح بترك الدنيا وأوهامها ، وعدم التمسك بها لأنها فانية ، فحوادث الدهر تحرق كبد الإنسان ، وتلميه حتى يفنى عمره ، فيجب عليه أن يتفكر ويبكى ، حتى تكون عاقبته النجاة ، فيثقل ميزانه يوم القيامة . كما يكرر أن الوسيلة الوحيدة هي التمسك بالدين ، فيقول : « إن الدين هو الذى يَقْوَى ساعدك ، وَيُرْجِّعُ كفة ميزانك ، فليس هناك رجل فاضل حر ، ارتبط بالدنيا ولم يذق همها ، فإذا كانت لك أطماع فى الدنيا ، فخذها لك وأعط الدين لنظامى ^(١) » .

* * *

١٣ - المفازة الثالثة عشرة

فى ذم العالم

يبدأ الشاعر هذه المقالة بزم العالم ؛ فيقول : « انظر إلى هرم العالم وضيقه ، حتى لا تخدع بلون شبابه ^(٢) » .

وهو يعتقد أن الظاهر الذى يراه الإنسان جميلاً يخفى وراءه حقيقة محزنة ، فَيُخَيِّلُ للإنسان أنه وردة قد يكون ناراً ، وما يراه قبلة ، قد يكون صليباً ، وهكذا . فلا ينبغي أن يخدع الإنسان بالظواهر ، بل عليه أن يستعد ويحجز نفسه للآخرة لأنه لن يحمل معه إلا ما أعدده ، وكل شيء سيفنى بعد ذلك ، وسيستحيل الإنسان

(١) دين كه قوى دارد بازوت را راست كند عدل ترازوت را
هیچ هنریشه آزاد مرد در غم دنیا غم دنیا نخورد
چونكه بدنیاست تنهاترا دين بنظامی ده ودنیا ترا
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٤١)

(٢) پیری عالم فکر و تنگیش تا نفریبی بچوان رنگیش
(نفس المرجع والصفحة)

تراباً ، فيجب أن يتجرد من الدنيا ، فلا يعبدها ، والشاعر ينصح قائلا : « احقر الذهب ، فضع عليه قدمك ، ولا تَمُدَّ إليه يدك ، حتى لا تصير عابداً للذهب ، كتهلك من الناس ، فإن الذهب الذي لا يهيم سبيل النجاة في الآخرة ، يكون هو والزرنيخ سواء ^(١) » .

وهو يرى أن الملوك - الذين يحصلون على الذهب بقوة الحديد - كالحدادين ، وأن عاقبتهم ستكون وخيمة ، فإن قارون لما كثر ذهبه اختال ، فكان ذلك سبباً في هلاكه ؛ وهو - لذلك - يقول : « ولو أن مَنَحَ الذهب جميل كمنح الحياة ، إلا أن عدم أخذه ظلماً أفضل من ذلك الإعطاء ^(٢) » .

وينصح بأن يترك الإنسان الحرص وهو يريد الذهب ، وأن يعطيه عن طيب خاطر ، حتى يُسَكِّنَ روحه ، ويهب نفسه السعادة .

ويحتم المقالة بالدعوة إلى ترك حب الذهب ، لأنه خداع ، يقود إلى التهلكة ، وإن بدا براقاً جميلاً .

ثم يورد قصة « حاج وصوفى » وهى أن رجلاً عزم على الحج ، وكان معه مبلغ من المال يزيد على حاجته ، ففكر فى إيداعه لدى رجل صوفى مشهور بالزهد والورع والتقوى ، ثم توجه إلى الرجل وأودع عنده ماله واثقاً فى أمانته ، ومطمئناً إلى أنه سيرد إليه ماله عقب رجوعه من الحج ؛ وسافر الرجل إلى الحجاز ، ولما رجع الحجاج ، توجه إلى الصوفى أن ينفق المال ، فأنفق فى الطعام ، ولم يَبْقَ منه شيئاً . ولما رجع الحاج ، توجه إلى الصوفى ، وطلب منه نقوده ، فأخبره بأن نفسه -

(١) پای کرم بر سر زر نه نه دست تا نخواند چو کل زر پرست

زر که بر او سکه مقصود نیست آن زر وزرنيخ بنسبت يکيست

(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٤٢)

(٢) دادن زر گر همه جان دادنت ناستدن بهتر از آن دادنت

(المرجع السابق ، ص ١٤٣)

...موت له إنفاق الدنانير الذهبية ، فأنفقها ، وهكذا أغرى ذهبه قلبه حتى حطمه ، وأظهر الصوفى الندم ، وطلب المذرة حتى عفا الحاج عنه ، ونصحه بأن يتعفف فلا يمد يده إلى أموال الناس .

ولكن الحاج قرّر أن الأمانة قد انعدمت من هذه الدنيا ، مما عبر عنه الشاعر ؛ في قوله : « لا يوجد قلب قط خال من الحرص والحسد ، كالا يوجد شخص أمين على وجه هذه الأرض ^(١) » .

وذم الدنيا في قوله : « الدنيا دار عيب ، فاغنم منها زادك ، وتمسك بالدين ، واعتزلها جانباً ^(٢) » .

وهو يعتقد أن الطمع والحرص هما سبب البلاء ، ولذلك فقد ختم القصة بالدعوة إلى تجنب الطمع وتطهير النفس .

* * *

١٤ - المقالة الرابعة عشرة

في ذم الغفلة

يعود الشاعر - في هذه المقالة - إلى مخاطبة الإنسان الغافل الذى يفرح بالطعام والشراب كالحیوانات ، دون تفكير في عظمة الوجود والخلق ، ويقرر أن الغفلة لاتصدر عن العارفين ، فيقول : « يأتي العمل من العارفين بالله ، أما الغافلون فلا يحملون هم الدنيا ^(٣) » .

(١) هیچ دل از حرص و حسد پاک نیست معتمدی بر سرائین خاک نیست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٤٦)

(٢) منزل عسیبست هنر توشه رو دامن دین کیر و فرا کوشه رو

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) از پی صاحب خبرانت کار بی خبرانرا چه غم از روزگار

(الرجع السابق ، ص ١٤٧)

ثم ينصح قائلا : « لماذا تنام ۱؟ .. تهيأ للعمل ، وأدِّه بإتقان .. لماذا تنام ثلثا وقد وقفوا لك بالمرصاد ۱؟ .. إن العارفين لم يفعلوا كما فعلت^(۱) » .

ويدعو إلى أن يفكر الإنسان في غده ، ويعتبر بعجزه ، فينبه عقله ، ويُبده للعمل ، فلولا امتياز الإنسان بشرف العقل لأصبح كالحیوانات ، فيجب أن يتبع الإنسان للمثل ، فلا يعمى أوامره ، ولا يلغيه حتى لا يصير مجنوناً ، كما ينبغى ألا يشمله ، فإن الخمر المحللة في كل مقام ، قد حُرِّمت لعدواتها للعقل ، ولأنها تذهب الكرامة ، فيجب على الإنسان العارف أن يبتعد عن شرب أى شيء حتى لا يجهل كل شيء ، وألا يتبع هواه ، وأن يبتعد عن الحانات ، وينصح الشاعر الإنسان بالتواضع ، وترك الأنانية ، والسكف عن الأذى ، فيقول : « لست شوكاً حتى ترفع رأسك للصعود ، كن كالزهر عطراً ناعماً ، ولست طفلاً ؛ فلا تركز إلى اللعب ، ولست مخلدّاً ؛ فلا تتوقع الدوام^(۲) » .

وهو يعتقد أن نهار العمر قد أوشك على الانقضاء ، فقد بعدت الشمس وأصبح الظل كثيراً ، والنور قليلاً ، فيجب أن يبتعد الإنسان عن الظل ، وأن يحاول أن يحطمه كنور الصباح ، وبذلك تطهر نفسه ، وفي ذلك يقول للشاعر : « إذا استطعت أن تُبعد الظلال عن نفسك ، فإن عيوبك ستبدد كما تبدد الظلال^(۳) » .

(۱) بر سر کار آى چرا خفته کار چنان کن که پذیرفته

مست چه خسبی که کین کرده اند کار شناسان نه چنین کرده اند

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۴۸)

(۲) خارنه کاوج گرائی کنی به که چو گل بیسر و پائی کنی

طفل نه پای بیازی مکشی عمر نه سر بدرازی مکشی

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) کرتوزخود سایه توانی برید عیب تو چون سایه شود ناپدید

(المرجع السابق ، ص ۱۴۹)

ثم يكرر دعوة الإنسان إلى التطهر ، وتزكية النفس ، وتنظيفها من أدران الذنوب ، لينقل ميزانه يوم يُحْضَرُونَ كل شيء أمامه ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ويؤكد أن الله يؤيد الحق والاستقامة ، فيقول : « أينما يرفع الحق أعلامه يتأيّد بقوة الله تعالى ^(١) » .

ويحتمّ مقاله بالدعوة إلى الاستقامة ، واتباع الحق ، حتى ينجو الإنسان من الغم ، ويحفظ من سوء .

ثم يورد قصة « ملك ظالم مع رجل صادق القول » ؛ وهي أنه كان يوجد ملك ظالم ، يضطهد الرعية كالخجاج ^(٢) ، وكان عيونونه يخبرونه بكل مافي الدولة ، فجاءه أحد جواسيسه ذات صباح ، وأخبره بأن فلاناً الشيخ قد اغتابه في الخفاء ، وصوّر ظلمه ، وسفكه للدماء ؛ فغضب الملك ، وصمم على قتله ، فأمر بإعداد النطع الذي سيقطعه عليه ، وأعد العدة لقتله ، ثم أرسل في طلبه ، فتوضأ الشيخ ، وحل كفته ، وتوجه إلى الملك فواجهه بالتهمة الموجهة إليه ، وسأله عن مبلغ سحتها ، فلم يفكر الشيخ بالتهمة ، بل قرر أنه قال أسوأ مما سمعه الملك ، لأن الشعب كله مهدّد بالفناء نتيجة لأعماله ، بعد أن خربت المملكة ، وقال إنه مرآته ، فإذا أظهرت المرآة صورة الإنسان قبيحة ، فيجب أن يصالح نفسه ، لأن يحطم المرآة .

فلما سمع الملك كلام الشيخ اتعظ به ، فأصالح نفسه ، وصار عادلاً ، والشاعر يصور ذلك في قوله : « لما تأكد الملك من صدقه ، أدرك مبلغ اعوجاج نفسه ، فقال لرجاله : دعوا حنوطه وكفته ، وقدموا له خلعتنا . وأقلع عن الغلم ، فصار ملكاً عادلاً ، عطوفاً على الرعية ^(٣) » .

(١) راستی آنجا که علم برزند یاری حق دست بهم برزند
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٥٠)

(٢) يقصد الشاعر الخجاج بن يوسف الثقفي .

(٣) چون ملك از راستیش پیش دید راستی او کثری خویش دید
گفت حنوط وگفتش بر کشید غالبه و خلعت ما در کشید
از سر یی دادگری گشت باز دادگری گشت رعیت نواز
(المرجع السابق ، ص ١٥١)

نم ينصح الشاعر ألا يخفى الإنسان صراحته عن أحد، لأن الصراحة واجبة؛
فيجب أن يكون الإنسان صريحاً - رغم أن الحق مر - لأن الله يؤيد الصريح
بروح منه ، وفي ذلك يقول الشاعر : « إذا تمسكت بالصراحة والصدق في القول
فإن الله ينصر مقالك ^(۱) » .

* * *

۱۵ - المقالة الخامسة عشرة

في ذم الحساد

يبدأ الشاعر - هذه المقالة - بقوله إن الدنيا لاتدوم على حال واحد ؛ ففي
كل لحظة يحدث شيء غريب ، فالدنيا مملوءة بالألحان الجميلة ؛ ولكن الإنسان
لا يعرف كيف يطرب منها ، وبحر الحياة مملوء بالدرر ؛ ولكنه لا يستطيع أن
ينغوص فيه ، ويستخرج الدرر منه ؛ فالتدر ليس بخملا ، ويمكن الإنسان أن يرتفع
إلى منزلة جبريل ؛ لأن فضل الله واسع ، فما عليه إلا أن يسلك طريق الله حتى
يصل إلى السعادة ؛ فإذا اجتهد في السير في هذا الطريق استطاع أن يصل إلى
منزلة أعلى ، وإلى درجة أرفع . والناس يتفاوتون في هذا ؛ فطائفة أمر من طائفة ،
ولا دخل للهرم والشباب في ذلك .

والشاعر يرى أن منزلة الإنسان تملو كلما تقدم به السن ، وأن الحساد وحدهم
هم الذين يزدادون سوءاً كلما بلغوا من العمر عتياً ؛ فالهرم منهم لا يعترف للشباب
بفضل ، لأن شهد الشاب يتحول إلى سم زعاف في فمه . « فالشيوخ لا ينصفون
الشباب إلا قليلا ، ولا يحبون بهم إلا نادراً ^(۲) » .

(۱) چون بسخن راستی آری بجای ناصر گفتار تو باشد خدای

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۵۱)

(۲) در کهن انصاف نوان کم بود پیر هواخواه جوان کم بود

(المرجع السابق ، ص ۱۵۳)

و یوضح الشاعر ذلك بقوله : « إن الورد نبات شاب مما جعل فيه الراحة ،
أما الشوك فنبات مُسِنَّ ، ففيه الجراحة ^(۱) » .

ثم یقرر أن الشيوخ كالتقویم القديم الذى لا یُسْتَعْمَل الآن ، وأن روحه
العالیه كروح یوسف ، فلن تستطيع الذئاب أن تؤذیه ، وأن جرح الشيوخ ضعیف
مهما بلغ .

وهو یصور الشباب فى قوله : « إن الشباب كله حكمة ، ولو أن فيه شیئاً من
التمور - أحياناً - یحمل الشاب یحب التفاخر ، كالورود التى تقلد الصفصاف ، أو
كالهنود الذین یدعون البیاض ؛ والكنى - رغم الشباب - أنثر الحكمة دائماً ،
وأفوق الشيوخ فى ذلك ^(۲) » .

ثم یدعو للشاعر الإنسان إلى أن یترك الفرور ، وأن یحارب هوى النفس ،
وأن یکون نصيراً للحق أینما وجد . لأن نظرة الإنسان إلى الأشياء قد تتغير بتغير
سنه ، ومبلغ نضجه ، فیحجب أن یُحَسِّن اختیار أصدقائه ، لأن « العدو للماقل خیر
من الصديق الجاهل ^(۳) » .

ثم ینصح بترك الأنانیة والحق ، والتقاط الحكمة أینما وُجِدَتْ ، ویشرح

(۱) کدل که نوآمد همه راحت دروست

خار ~~که~~ شد که جراحت دروست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۵۳)

(۲) گرچه جوانی همه فرزانه گیسست هم نه یکی شاخ زدیوانگیست

یا سمی چند که بیدی کنند دعوی هندو بسیدی کنند

منکه چوکل کنج فشانی کنم دعوی پیری بمجوانی کنم

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) دشمن دانا که بی جان بود بهتر از آن دوست که نادان بود

(المرجع السابق ، ص ۱۵۴) .

ذلك في قوله : « لا نحاول أن نعرف من أى عشب نبت القصب ، وانظر إلى حلاوته ، وإلى أين أصل ، وسأّم نفسك للفضل ، لا للدعاء الكاذب ، وكن صيداً للفضل أينما وُجد ^(۱) » .

كما ينصح بعدم الاعتراض على صنع الله ، فيقول : « احترس ، فلا تعترض على صنع الله ، حتى لا تُضرب بسوط إبليس ، فكل من لم يترف بقضاء الله وحكمه ، ستكون عاقبته البوار ^(۲) » .

نم یورد قصه «امیر شاب مع أعداء مسنين» وهى أنه كان يوجد - في مرو - أمير شاب ، معتدل القامة ، حسن الطلعة ، وكان رجال دولته مُسنين ، فاختلّفوا معه ، مما أدّى إلى اضطراب الدولة ، وفساد الأحوال ، وقلقى الأمير ، وخوفه . وذات ليلة نام الأمير مغموماً ، فجاء والده حُلماً ، ونصحه بالقضاء على رجال دولته المسنين ، حتى تستقر الأحوال ، وتستقيم له الدولة ، فيسعد بها ، وتسعد به . فلما استيقظ الأمير من نومه أمر بقتل رجال دولته المسنين ، وأحل محلهم شباباً قوياً ناهضاً ، وبذلك بنى الدولة على أساس جديد قوى .

ووافق الشاعر على قتل كل من يعيث بأمن الدولة ، ويمسك صفو استقرارها ورفاهيتها ، لأن الأغصان الجديدة لا تنبت - كما ينبى - إلا إذا قُطعت الأغصان القديمة ، فيجب أن يُطهر ماء النهر ، حتى ينبت الصفصاف رائهاً .
نم ينصح الشاعر بأن يحسن الشاب استعمال شبابه ، فيقول : « أخرج ذلك

(۱) فی منکر کز چه کیا میرسد در شکرش یمن که کجا میرسد
دل بهزده نه بدعوی پرست صید هنر باش بهرجا که هست
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۵۳)

(۲) محتسب صنع مشو زینهار تانخوری درّه إبليس وار
هرکه نه بر حکم وی إقرار کرد چرخ سرش در سر إنکار کرد
(نفس المرجع والصفحة)

السيف من غلافه لحظة ، فلما متى تغلفه يا مخالف ؟ ... إن الشباب ملك للرحمن ،
وليس من نصيب هذه الدنيا اللعانية الملوثة ، وما دام ملكاً لله فيجب أن تبذل
كل ماى وسعك ، وأن تكون فاضلاً فى كل مانفعك ^(۱) .

ويحتم بمدح الفضيلة والكرم ، فيقول : « إن عظماء الدولة الذين ظفروا بالجاه
والثروة ، قد تحمروا آخرتهم بالكرم . فإن بذرة الكرم تنبت نباتاً حسناً ، يصدر
محصوله زاداً للآخرة ^(۲) » .

* * *

۱۶ — المقالة السادسة عشرة

فى سرعة السير

يبدأ الشاعر - هذه المقالة - بدعوة الإنسان الضعيف ، إلى الإقلال من
الغرور ، فلا يدعى للعظمة وهو لا يملك أسبابها ، كما ينصحه بالكف عن الأذى ،
ويجمل ذلك فى قوله : « لَسْتُ سَيِّفاً فلماذا تتماذى فى جرح الناس ۱۹ . وَلَسْتُ
طَبِلاً ، فَلِمَ هذا المضجيج الكثير ۱۹ ... ^(۳) » .

وينصح الإنسان بالتنبه ، وعدم الانقياد للشيطان ، لأنه حى ذو عقل ، وليس

(۱) يکنفس آن تیغ بر آر از غلاف چند غلافش کنی ای بر خلاف
آن نفس از حقّه این خاک نیست این حق آن هم نفس پاک نیست
پیش همین کس همگی پیغی کش نام کرم بر همه خویغی کش
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۵۵)

(۲) دولتیان که آب ودرم یافتند دولت باقى زکرم یافتند
تخم کرم کشت سلامت بود چون برسد برك قیامت بود
(المرجع السابق ، ص ۱۵۶)

(۳) تیغ نه زخم بی اندازه چیست کوس نه اینچه آوازه چیست ۱۹
(نفس للرجع والصفحة)

میتا ، فیجب أن يكون نشیطاً له مضاء كضاء السیف ، ویمحسن أن یترك التعلق بالدنیا ، ویسلك طریق العشق الحقیقی ، حتی یفوز بعماء الله ، ویعلل ذلك بأن مَنْ قبلنا قد ذهبوا دون أن یجنوا من حبهم للدنیا شیئاً ، فیقول : « لقد عاش قبلنا ناسٌ لم یقوانوا فی طلب الجاه والثروة ، فانظر . ماذا أفادوا من ذلك الجاه ؟ لقد كانت فائدتهم مؤقتة ، فقادتهم إلى الفجوة . فاجدواها ؟ ... (۱) » .

ثم یقرر أن الإنسان سوف یعود إلى التراب مرة أخرى ، لأنه خلق منه ، وحينئذ سیمخرج بعیداً عن دائرة الجاه والثروة ، مهما طال مقامه فیها ، فیجب أن یترك الغرور حتی یستطیع أن یسرع فی السهر ، ویمكنه الوصول ، لأنه لیس طائراً ؛ فلن یتمكن من الطیر إلا إذا صار ربّانیا ، فالإنسان هو المسؤول عن تخلفه وتقصيره ، ولا ذنب للدهر فی ذلك ، مما یوضحه الشاعر فی قوله : « شربت السم . فما ذنب السم ؟ وارتكبت الجرم . فما تقصیر الدهر ؟ ... لا تُسبّ الدهر أیها الرجل اللیب ، لأنه لم یجبرنا علی شیء » (۲) .

ثم یدین أن الدهر قد حاول أن یخلق من كل منا إنساناً كاملاً ، ولكننا لم تستجب له ، فلا یجب أن نلقى الموم علیه ، لأن كل شیء یتوقف علی مبلغ قابلية الإنسان ، واستعداده للاستجابة والعمل ، وإن كان یرى أن الحظ - أيضاً - یلعب دوراً كبیراً فی إنجاح العمل ، وأن سوء الحظ قد یحمل الإنسان فی الحضيض ، كما أن حسن الحظ قد یرفع صاحبه إلى السماکین ، ولكن لا بد من العمل والجد ، فالعظمة لاتتفق مع اللعب ، ولم یصل من وصلوا إليها إلا بالسمی ، والجهد ، ومواصلة ،

(۱) پیشتر از مادگران بوده اند کز طلب جاه نیاسوده اند

حاصل این جاء بین که تا چه بود سودبد اما بزبان شد چه سود؟ ..

(نظامی : مغزن الأسرار ، ص ۱۵۷)

(۲) باده تو خوردی کنه زهر چیست جرم تو کردی خلل دهر چیست ؟

دهر نکوهی مکن ای نیک مرد دهر بجای من وتو بدنکرد

(المرجع السابق ، ص ۱۵۷)

العمل ، فيجب أن يسلك الإنسان سبيلهم ، وأن يسترشد بقلبه ، ولا يدعه مجالاً للأهواء المتباينة ، كما ينبغي عليه أن يترك الحرص لأنه يبعد القناعة ، ويقرر أن الدنيا واسعة ، ولكن فكر الإنسان ضيق ؛ ثم ينصح بأن يسخر الإنسان الدنيا بعدم التفكير فيها ، لأنها ألد أعدائه ، ويوضح ذلك بقوله : « إن كل مافي هذه الدنيا ملوء بالعيوب ؛ فلا تطلب الصداقة من العدو ، ولا تحاول أن تحصل على ماء الحياة من سم الأفعى ^(١) » .

ثم يورد قصة « طفل مجروح » وهي أن طفلاً خرج للعب مع بعض رفاقه ، وجرى فزَلَتْ قدمه ، وكُسِرَ وسط ظهره ، حتى أوشك على التلف ، فارتاع أصحابه ، وفكروا في حيلة يتخلصون بها من الحرج أمام أبيه . « فقال أكثرهم صداقة له : يجب أن ندفنه في الحفرة التي زَلَتْ فيها قدمه ، حتى لا يُكشَفَ أسرهِ ، فنخجل أمام أبيه ^(٢) » . ولكن أحدهم - وكان عدواً له - ذهب إلى والده وأخبره بما حدث لابنه ، حتى لا يُتهم هو بتدبير ما حدث .

ويحتم نظامي القصة بقوله : « إن كل من يحمل جوهر العلم قادر على تدبير جميع أموره ... فمن يستطيع أن ينتصر على الفلك ؟ .. إنه ذلك الشخص الذي يمكنه أن يضع قدمه عليه ^(٣) »

(١) در دوهتر نامه این نه دیر نیست یکی صورت معنی پذیر دوستی از دشمن معنی مجوی آب حیات ازدم آفتن مجوی (نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۵۹)

(٢) آنکه را دوسترین بود گفت درین چاهیش بیاید نهفت تانشود راز چون روز آشکار تانشویم از پدرش شرمسار (المرجع السابق ، ص ۱۵۹ - ۱۶۰)

(٣) هرکه درو جوهر دانائست بر همه چیزیش توانائست بسند فلك را که تواند کشاد آنکه بر او پاتواند نهاد (المرجع السابق ، ص ۱۶۰)

۱۷ — المقالة السابعة عشرة

فی العبادة والتجرد

يبدأ الشاعر — هذه المقالة — بلوم الإنسان ؛ لأنه يهمل نفسه ، وينسى ربه ، حتى يمرض جسمه ، وتشقى روحه ، وهو — في نفس الوقت — أناي يتباهى بنفسه وقوته ، ويظل غافلاً إلى أن تفارقه الحياة ، ثم ينصحها قائلاً : « لاتحرص على الدنيا ، ولا تطمع فيما ليس لك ، فإن قوة الدنيا وغدورها فوق طاقتك ، وإن ثقلها أكبر من أن يقوى عليه ميزانك ^(١) » .

كما ينصحها بالرياضة والقناعة ، لأن الذين حرموا كنز الحقيقة هم الذين يحرصون على الدنيا ، أما الإنسان القانع الذي يرضى بحكم القضاء ، فإن يملك — فوق رأسه — تاج الرضا والسرور ، لأن الإنسان كلما قلّ ماله قلّ حسابه ، وقلت متاعبه ؛ والشاعر يدعو إلى التجرد من الدنيا والتخفف من الأعباء ، فيقول : « إن الدنيا كالأمواج المهاكّة ، فتخفف من الأعباء حتى تنجو سريعاً . . فخلص روحك ، وألق الأحمال في الماء ^(٢) » .

ثم يكرر النصيح بعدم الشكّال على الدنيا ، ويوضح سبيل ذلك في قوله : « اعتدل في الأكل والنوم ، وفنّش عن السكّنز العظيم في الخرابات ، ولا تعشق أكل الميتة كالحدأة ، بل انفر من اللدم كالغراب ، فإذا تطهر جسمك من دماء

(١) چون خم کردون بجهان در میبچ آنچه نه آن تو بآن در میبچ
زور جهان بیش ز بازوی تست سنک وی افزون ز ترازوی تست
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۶۰)

(٢) موج هلاکست سبکتر شتاب جان پیر وبار در افکن بآب
(المرجع السابق ، ص ۱۶۱)

الغیر ، فإنك تأمن أن ينهش آكل الميتة لحك^(۱) .

والشاعر يعتقد أن كثرة الأكل تमित القلب ، وتؤثر في الأخلاق ، وتشل حركة العقل ، وهو لذلك ينصح بالتزام حد الاعتدال حتى في الضحك ؛ « لأن الضحك حينما يخرج في غير وقته ، يكون البكاء أفضل منه^(۲) » .

ويرى أن المؤمن العاقل يجب أن يكون معتدلاً ، فيكون بين الخوف والمرجاء ، ينغم من الخوف أحياناً ، ويتنسم من الرجاء أحياناً أخرى ؛ واجتماع الحزن والفرح ليس مستحيلاً ، لأن الليل يعقبه النهار دائماً ، وكل شيء زائل لا دوام له ، فيجب أن يتقبل الإنسان من الدهر حلوه ومره ، فلا يضجر ولا يثور حتى يصل إلى العظمة ، والشاعر يقرر ذلك في قوله : « يجب أن تتحمل للتعب الذي تحمله العظام ، حتى تستطيع الوصول إلى العظمة^(۳) » .

ثم يذكر قصة « شيخ ومريد » وهي أن شيخاً كان له مريدون كثيرون ، فأودع لديهم بضاعة في صورة أمانة ، فخانوها وتركوا حضرتة إلا واحداً ، فسأله الشيخ عن العلة في بقاءه ، في الوقت الذي ذهب فيه كل رفاقه ، فأجاب المريد بأنه يتبع الشيخ دون غرض ، ولذلك بقي ، أما الذين يتبعونه بقصد الاستفادة ، فإنهم يذهبون فور الحصول عليها ، فهم كالغبار ليس لهم قرار في

(۱) قدری به بی خوردی و خوابی درست

کنج بزرگی بخوابی درست

مردۀ مردارنه چون زغن زاغ شو و پای بخون در مزن

گرتن ییخون شدۀ چون نگار آئنی از زحمت مردار خوار

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۶۱)

(۲) خندۀ چو بیوقت گشاید گره گریه از آن خندۀ بیوقت به

(المرجع السابق ، ص ۱۶۳)

(۳) ناز بزرگانت بیاید کشید تا بزرگی بتوانی رسید

(المرجع السابق ، ص ۱۶۴)

مكان واحد ، وإنما تذرؤه الرياح من مكان إلى آخر ، أما الجبل فإنه يستقر في مكانه طويلاً ؛ « فنقض العهد حرفة البعيدين عن طريق الحقيقة ، وتحمّل المشاق شأن للصابرين ^(١) » .

ويحتمّ للشاعر بالنصح بالزهد ، وبأن يكون الإنسان كسليمان الذي كان زاهداً رغم ما كان عنده من الملك والجاه ، وكالشمع الذي يقنع بفتيلة واحدة تحت قباء شمعه ، رغم ما يشعه من نور ؛ ثم يتفنى بفضيلة الزهد مشيداً بزهده هو .

* * *

١٨ — المقالة الثامنة عشرة

في ذم المنافقين

يذم الشاعر — في هذه المقالة — المنافقين الذين يخالف ظاهرهم باطنهم ؛ « فهم يظهرون المحبة بأفواههم ، ويُضْمِرُونَ الحقد ، ويقابلون الإنسان بحمارة ، وأكبادهم محترقة بُضْغاً وحسداً ؛ كما يقابلونه بحموية ، وقلوبهم ميتة ^(٢) » .

وينصح بالألا يقبل الإنسان صداقتهم ، ولو على سبيل التجربة ، لأنهم يفشون سره ، كما يردد الجبل صدى الصوت ، ولأن صداقتهم لا تنتهى إلا بالعداوة .

ثم يبين أن الصداقة الحقة كالبلسم الشافي ، ويرى ضرورة تَحَلُّس الإنسان من الصداقات المصطنعة ، التي تجعل الصديق يؤذى صديقه ، كما تأكل المرة

(١) پرده دری پیشه دوران بود بارکشى کار صبوران بود

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٦٥)

(٢) مهر ، دهن در دهن آموخته کینه ، گره بر گره اندوخته

کرم ولیک از جگر افسرده تر زنده ولی آزدل خود مرده تر

(المرجع السابق ، ص ١٦٦)

اولادها . وهو لذلك يقرر أصول الصداقة في قوله : « من الصديق ؟ ... إنه الشخص الذي يحفظ السر . أما المنافقون فهم - كالدهر - يهتكون الستر ^(۱) » .
والشاعر يعتقد أن القلب هو الذي يعرف العدو من الصديق ، مما يتجلى في قوله : « إن الشخص الذي يُنْكَرُ قلبك صداقته يجب أن تعتبره عدواً ، مهما كانت صداقته ظاهرة براقه ، فالقلب - لا الجسم - هو الذي يعرف الصديق الخالص الوفي ^(۲) » .

وهو لذلك ينصح بأن يحفظ الإنسان سره في قلبه ، فيقول : « كل مافي هذا العالم يهتك السر ، فليكن قلبك حافظاً لسرك ، فإذا لم يكن على قلبك قفل ، فكيف تطالب بالأقوال على قلوب الآخرين ؟! ... » ^(۳) .
ويرى أن الإنسان يجب ألا يضيّق بسرّه ، وألا يفشيّه ، كما تفشى الكوب مافيه من الخمر ، وليس معنى هذا أن يعادى الناس أو يبتعد عنهم ، وإنما يجب أن يتصل بهم مدة حياته في الدنيا ، على أن يكون حذراً ، بحسن اختيار أصدقائه ؛ مما يوضحه الشاعر في قوله : « مادُمْتَ تعيش في هذه الدنيا ، فاجتهد في أن تحصل على صديق وافي ؛ ولا تفش إليه أسرارك ، قبل أن تمتحن جوهره ^(۴) » .

(۱) دوست کدام ؟ آنکه بود پرده دار پرده درند اینچه چون روزگار

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۶۷)

(۲) دوستی هر که ترا روشنست چون دلت انکار کند دشمنست

تن چه شناسد که ترا یار کیست دل بود آ که که وفادار کیست

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) پرده درد هر چه درین عالمست راز ترا هم دل تو محرمست

چون دل تو بند ندارد بر آن قفل چه خواهی زدل دیگران ؟!

(المرجع السابق ، ص ۱۶۷)

(۴) پای نهادی چو درین داوری کوش که همدست بدست آوری

تا نشناسی گوهر یار خویش یاوه مکن گوهر اسرار خویش

(نفس المرجع والصفحة)

ثم یورد قصه « جشید مع تابع مؤمن علی السر » ، وهی أن جشید کان له تابع یأتمنه علی أسرارہ جداً ، حتی لقد بلغت ثقته به درجة جعلته یأتمنه علی أسرار خزائنه ، مما جعل الشاب یبتمد عن کل المقر بین إلی المملک ، ویمحاول ألا یطّلع أحداً علی السر ، وأخيراً استطاعت عبوز أن تصل إلیه ، فوجدت لونه مصفرّاً مثل لونها ، وقد ذبل رغم شبابه ، ورغم معیشتہ فی النعم ، فسألته عن سر ذلك ، فأجاب بأنه یحمل فی قلبه أسرار المملک ، وأنه لا یستطیع إفشاءها ، وأن صبره علی حملها هو الذی غیّره وجعله فی هذه الصورة ، وأنه قد عودّ نفسه علی الصمت فی جمیع الأحوال ، حتی لا یفشی السر لأن حفظه للسر حفظاً لحیاته . فنصحته العبوز ألا یثق فی أحد ولو کان ظله ، وأن یكون هو رفیق نفسه ، لأن العاقل هو الذی یحفظ لسانه ، فلا یخرجه کالکلب المجنون ، فیحجب أن یحفظ الإنسان لسانه دائماً ، لأن للعیطان آذاناً نسمع الکلام وتنقله .

ثم قالت له : « کن کالماء ، وامح کل ما سمعه ، ولا تقل کل ما رآه کالمرآة ^(۱) » .

ویعلق للشاعر علی هذه القصة ناصحاً ألا یتحدث الإنسان بکل ما یراه فی اللیل من الفیوضات الإلهیة ، فاللیل مملوء بالأسرار وللدفائن ، وللعارفون لا یتحدثون مما یرون من الأسرار الإلهیة ، ویبین سر ذلك قوله : « المشق الخفی کرامة ، فإذا ظهر تبخّر وتلاشی ^(۲) » .

وهو یعتقد أن القلب وحده هو القادر علی رواية قصته ، فیؤکد ذلك فی قوله : « إن قصة القلب لا یرویها إلا لسان القلب ، فمتی استطاع الفم أن یصل

(۱) آب صفت هرچه شنیدی بشوی آینه سان آنچه ببینی مگوی

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۷۰)

(۲) عشق که در پرده کرامات شد چون بدر آمد بخرابات شد

(نفس المرجع والصفحة)

إلى هذه المرتبة؟!^(۱) .

كما يرى أن السكوت ضروري في حالة المشق ، فيقول : « إن الفصاحة - في هذه الحالة - هي أن يفقد اللسان ، والسرعة هي أن يتأني الإنسان ويتمهل^(۲) » .

ويختم بقوله : « تلك لغة القلب ، التي هي بيان القاب ، وترجمتها لا تنبسر إلا بلسان القلب^(۳) » .

* * *

١٩ — المقالة التاسعة عشرة

في استقبال الآخرة

يبدأ نظام هذه المقالة بتصوير مجلس الخلوة ، فيبين أنه مزين ، مشرق بنور الله ، وأن التجليات فيه عميمة ، والأنفاس الإلهية تعطره ، فيفوح منه أجل هبير .

ثم يدعو إلى الإسراع إلى ذلك المجلس ، والاستعداد للآخرة ، والتجرد من كل ما يعوق عن عبادة الله ، وينصح بعدم التعلق بالدنيا ؛ قائلا : « إن الدهر هو عدوك الوحيد ، فأرخ نفسك من صداقته ، فكل من تعاقبه قهره ، وجّره إلى الهلاك^(۴) » .

(۱) کی دهن این مرتبه حاصل کند قصه دل هم دهن دل کند

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۷۱)

(۲) اینست فصاحت که زبان بستگیست اینست شتابی که در آهستگیست
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) آن لغت دل که بیاف دلست ترجمش هم بزبان دلست
(نفس المرجع والصفحة)

(۴) دشمن جانست ترا روزگار خویشتن از دوستیش واکذار
یعنی که بزنجیر کیانرا کشید هر که درو دید زبانرا کشید
(نفس المرجع والصفحة)

و یوجه الخطاب إلى الإنسان الغافل ، فيقول : « يناديك الرقباء أنت
يا طالب الدنيا ، ويا تارك الدين ، أن ارجع عن باب الظالمين ، وحاول أن تلحق
بهذا المجلس المليء بالأسرار ^(۱) » .

ويقرر أن الإنسان ، الذي خدعته الدنيا فارتكب فيها المعاصي ، سوف
يُحَاسَبُ يوم القيامة حساباً عسيراً ، على كل ما فعله ، ولذلك فهو يدعو إلى الحذر
واحتقار الدنيا ، والتجرد من كل ما يتعلق بها ، حتى يصير الإنسان حراً طليقاً .
كما يرى ضرورة اعتماد الإنسان عن الأنانية لأنها أخطر شيء على المجتمع .
فيقول : « إن كل من يدعى الأنانية في هذه الدنيا ، يقطع الطريق علينا ، فهو
يسرقني ويسرقك ^(۲) » .

ويحذر من اتباع المضللين ، وينصح بأن يلوذ الإنسان بالتسبيح لهدف غارتهم ،
والأ يستصفر عدوًّا ، لأن الغفلة في ذلك بلاء عظيم ، وأن يكون بعيداً للنظر
حتى لا يهلك ، لأن النملة الصغيرة ، تنزع عين الأسد ، وأن يعد نفسه للرحيل
من الدنيا لأنها هلى وشك الفناء ، وإلا فسوف يخرج منها محترق الكبد
مطروداً ؛ ويبين أن الرحيل شرف ، ويدلل على ذلك بالليل والنهار ، فيقول :
« لو لم يكن السفر من التراب شرفاً ، لما سافر للفلك ليلاً ونهاراً ، فاستيقظ قبل
أن يُفَرَّرَ الشيطان بك ، وَتَمَسَّكَ بالدين ، واعتصم بالإيمان ^(۳) » .

(۱) باتو دنیا طلب دین گذار بانگ بر آورده رقیان بار

کز در ییاد گران باز کرد کرد سرا پرده این راز کرد

(نظامی : معجز الأسرار ، ص ۱۷۲)

(۲) هر که در این راه منی میکند بر من وتو راهزنی میکند

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) کر سفر از خاک نبودی هنر چرخ شب وروز نسکر دی سفر

تا ندرد دیو کریسانت خیز دامن دین کبر ودر ایمان گریز

(المرجع السابق ، ص ۱۷۳)

ويكرر النصيح بالتجرد عن الجميع ، وعدم الاعتماد إلا على الله ، فيقول :
« الناس جميعاً كالظل ؛ فـكن أنت كالنور ، ولا تعتمد عليهم ، ولو كانوا جميعاً
طوع أمرك ^(٣) » .

ويؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من قبضة الفلك ؛ لأنه لو قص
على الإنسان قصته ، وحده عما تم في خلال عمره ، لوجد أنه ليس شيئاً بالنسبة
إليه ، وأن عمر الإنسان لا يقاس في شيء إلى دوراته ، وأن عاقبة أمره
السكوت والنسيان .

ويرى أن يقف الإنسان نفسه لعبادة الله مدة حياته ، فيقول : « يحسن
أن تكون عاشقاً لله مدة حياتك في هذه الدنيا ^(٤) » .

ويعلّل ذلك بأنه سوف لا يُنظر إلى صورة الإنسان يوم القيامة ، بل يُنظر
إلى عمله ، فيطلق عليه اسم « خير » أو « شرير » على حسب عمله ؛ ثم ينصح
بعدم للتقلب حتى لا يقدم الإنسان يوم القيامة ، فيقول : « لا تتقلب حتى
لا تخجل - يوم الحساب - من نفسك و ربك ^(٥) » .

ثم يكرر وجوب قطع علاقة الإنسان بالدنيا للظالمية ، حتى يرتفع شأنه ، ويسيطر
على الفلك ، فيقول : « انبذ هذا الفلك الذي يحرق الكبد ، واكسر هذه
الزجاجة المليئة بالدم ، وارجم هذه اللعبة البراقة ، وانسخ هذه الكلمة ، وسخر
هذه القلعة ، وطهر ما فيها من خبث ، وضع قدمك على هذا الأبق الختال ،

(٣) اينهمه چون سایه تو چون نور باش کرمه دارى ز همه دور باش

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٧٣)

(٤) تا بجهان در نفسى ميزنى به که در عشق کسى ميزنى

(المرجع السابق ، ص ١٧٤)

(٥) قلب مشو تانشوى وقت کار هم زخود وهم زخدا شرمسار

(نفس المرجع والصفحة)

حتى تصير الملك المسيطر على هذا العالم^(۱) .

ويختم نظامى المقالة مفتخراً بنفسه ، وبأنه رب هذا الميدان ، ومشيداً بعلومه ، ورفعة منزلته .

ثم يورد قصة « هارون الرشيد والحلاق » وهى : أن الرشيد استيقظ مرة فى منتصف الليل ، وتوجه إلى الحمام مصطحباً الحلاق معه ، فطلب الحلاق منه أن يزوجه ابنته قائلاً : « يامن تأكدت من مهارتى ، خصص اليوم لمصاهرتى ، واعلن نبأ الزواج ، واجعل ابنتك خطيبة لى^(۲) » .

ففى طبع الخليفة ، ولما سمعته لاذ بالحياء ، ظاناً أن حرارة الحمام ، ورهبة الموقف ، قد أثرتا فى الحلاق ، فغاب عن نفسه وتكلم هذا المراء ، ولما سمعته جربه فى ليلة أخرى ، فوجد منه نفس الشيء ، وكرر هذا عدة مرات ، فلم يغير الرجل أسلوبه ؛ فقص الخليفة القصة على الوزير ، وطلب منه أن يدبر وسيلة لزجر الحلاق ، بعد أن ترك الأدب معه ، وتناول عليه .

فقال الوزير : إن أمر الحلاق أنفه من أن يشغل بال الخليفة ، وإنه يعطل ما يحدث بأن الحلاق يضع قدمه على كنز ، مما يجعله مغروراً ، وأشار على الخليفة ، بأن يغير مكان الحلاق فى الحمام ، حتى يتغير موضع قدمه ، فإذا أقبل الحلاق عن عادته عفا عنه ، وإلا ضرب عنقه .

(۱) بانگک بر این دور جگر تاب زن سنگک بر این شیشه خوناب زن
رجم کن این لعبت شگرف را در قلم نسخ کش این حرف را
دست بر این قلعه قلمی بر آر پای در این ابلق ختلى در آر
تا فلك از منبر نه خرکمی بر تو کند خطبه شاهنشهی
(نظامى مخزن الأسرار ، ص ۱۷۴ - ۱۷۵)

(۲) کای شده آگاه ز استادیم خاص کن این روز بدامادیم
خطبه تزویج براکنده کن دختر خود نامزد بنسده کن
(المرجع السابق ، ص ۱۷۵ - ۱۷۶)

وقبل الخليفة ما أشار الوزير به ، وَغَيَّرَ موضع جلوسه في الحمام ، فلما تغير وضع قدم الحلاق ، امتقع لونه ، وأصبح قليل الكلام مؤدِّباً ، يتَّبَع ما ينبغي عليه كحلاق ، ثم أمر الخليفة بأن يحفروا تحت الموضع الأول لقدم الحلاق ، ففعلوا ، فوجدوا كنزاً زاخراً .

ويعلق نظامي على هذه القصة بقوله : « إن كل من يضع قدمه على كنز ، ينثر الجواهر إذا تحدث ، وكنز نظامي المحطم للطلمس ينحصر في صدر صاف ، وقلب مشرق ^(۱) » .

* * *

۲۰ - المقالة العشرون

في وقاحة أبناء العصر

يبدأ الشاعر هذه المقالة بقوله : « لِمَ ظَلَلْنَا تَاهِينَ في هذه الدنيا رغم أننا قد أهملنا أنفسنا ؟! ^(۲) » .

ثم يعلل هذا بأن حب الدنيا - وهي تراب - قد جعل الإنسان في الخسوف - كالتراب - ويبين أن العمر قد ولى ، ومع ذلك فالتاس متأخرون عن القافلة ، وقد جُنَّ الملائكان من كثرة ما سجلاه من الأعمال السيئة ، كما تولى نور القلب وإشراق الصدر ، وانعدمت البركة ، وأوشك صبح القيامة على الطلوع ، ولكن يبدو أنه سيكون أسود من كثرة ذنوب البشر ، وهكذا ذهب السرور ، وضاع هدف العمر .

(۱) هرکه قدم بر سر کنجی نهاد چون بسخن آمد کنجی گشاد

کنج نظامی که طلسم افکنست : سینه صافی و دل روشنست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۷۸)

(۲) ما که بخود دست برافشانده ایم بر سر خاکی چرا فرومانده ایم ؟!

(نفس المرجع والصفحة)

وینصح بأن يحاول الإنسان أن يطهر روحه ، وينجو بها سالمة ، فيتعبد بها عن شرك الدنيا ، ويرى أن يستعمل الإنسان مهارته في هذا ؛ ثم يدعوهُ إلى الوفاء ، فيقول : « حاول أن تكون ذا وفاء ، فلا تعبد شهواتك ، بل كن ربّانياً ^(۱) » .

كما يرى أن يطيع الإنسان قلبه ، لأنه مصدر الوفاء ، ولأن وفاءه دائم ، وأن يقدر الإنسان ما عند غيره من الفضل ، ويشيد به ، حتى لا يضيع جوهر للفضل من هذه الدنيا ؛ وهو لذلك يقول : « إن الفضل إذا وُجد في الناس ، ولم تستحسنه ضاع جوهره ، أما إذا استحسنته فإنه يتخذ شكلاً آخر ، فيتضاغف ، ويثمر ^(۲) » .

ثم يبين الفرق بين الفضلاء وغيرهم ، فيقول : « إن الفضلاء يرفعون الفضل - بأرواحهم - إذا رأوه في مكان ما ، لأن الأرض لا تطهر بشير الفضل ، ولكنه ليس موجوداً في الدنيا اليوم ، فلورفع الفضل - الآن - رأسه فإن الرذيلة تضع يدها عليه لتخفيه ، والناس يذلون الفاضل حتى يقضوا على فضله ^(۳) » .

ويصور إيذاء الناس للفضلاء ، فيقول : « إنهم يسخرون من الرياضة

(۱) جهد بر آن کن که وفارا شوی خود نپرسی وخدارا شوی

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۷۹)

(۲) گر هنری در تن مردم بود چون نپسندی گهری کم بود

گر بپسندیش دگر سان شود چشمه آن آب دوچندان شود

(المرجع السابق ، ص ۱۸۰)

(۳) مردم پرورده بجان پرورند گر هنری در طرفی بنسگرند

خاک زمین جز بهنر پاک نیست و این هنر امروز درین خاک نیست

گر هنری سر زمین برزند بی هنری دست بدان در زند

کار هنرمند بجان آورند تا هنرش را بزبان آورند

(نفس المرجع والصفحة)

الفكرية، ويعتبرون الفـكر نوعاً من الجنون، والـسكر سفهاً، والوفاء بلهاً، فيستخرون من السخى، وينددون بالفصيح، وقد نقشوا وفاءهم على الثلج فهو صريع الذوبان، وهم ميالون إلى الشر بطبيعتهم، فإذا نعم قوم براحة، أكل الحسد قلوبهم، وإذا أصابهم إحسان من إنسان، انقلبوا حرباً عليه^(١).

ويواصل الشاعر تصويره للحساد؛ فيبين أنهم يظهرون الجفاء للفضلاء، ولا يبحثون إلا عن عيوبهم، رغم ندرة الفضلاء، وقلة الفضل في عصره.

ويبدو أن الشاعر كان له بضعة حساد، يقتلون من شأنه - رغم ما فيهم من عيوب - فهم يحسدونه لخلوهم من الفضل، وهو يشرح كيفية إيذائهم في قوله: «إنهم بصيرون دخاناً إذا وصلوا إلى أنف، ويتحولون إلى ريح إذا وصلوا إلى مصباح... فتأمل حال الدنيا... من رؤساؤها اليوم؟... ومن المشهورون فيها؟... ومن المرشحون للرئاسة والشهرة؟... إن هؤلاء النفر الأوغاد، يسبون إلى بلادهم، ويحاولون أن يحطموني كما يحطمون عهودهم؛ ولكن كالبدر في السماء، فلن يستطيعوا القضاء عليّ، لأنني أتكامل باستمرار، ولو أن سرورهم يزداد كلما أصابني مكروه، إلا أنهم لن يتمكنوا من النيل مني، لأنني أقوى منهم^(٢)».

(١) گر نفسی مرهم راحت بود بدل این قوم جراحت بود
گر زلی شربت شیرین چشند دست بشیرینه برویش کشند
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۸۰)

(٢) دود شوند آر بدماغی رسند باد شوند آر بچراغی رسند
حال جهان بین که سرانش که اند نامزد و نامورانش که اند؟
این دوسه بدنام کهن مهد خویش می شکندم همه چون عهد خویش
من بصفت چون مه گردون شوم نشکنم آر بشکنم افزون شوم
رنج گرفتم زحد افزون برند با فلك این رقه بسر چون برند
(المرجع السابق، ص ۱۸۱)

نم ینادی الخضر أن يحضر بعلمه ليتغلب عليهم ، ويطلب من نوح أن يدعو عليهم ليهلكوا ، ويتمنى أن ينسأهم قلبه الساخط ، وأن يكون إهماله لم أكثر من إساءتهم التي لاحد لها ؛ وهو يعتقد أن ضجيجهم دليل على خلوم من الفضل ؛ لأن الصدف يحدث صوتاً إذا كانت فيه درة واحدة ، أما إذا امتلأ دراً فإنه لا يحدث صوتاً ، كما أن الجرة تُحدث صوتاً إذا كان نصفها ماء ، أما إذا امتلأت ماءً فإنه لا يصوت ، وهو لذلك ينصح بقوله : « إذا امتلأت علماً فاصمت ، واستمع كثيراً دون أن تتكلم ^(۱) » .

نم یورد قصه « بلبل وصقر » وهی أن بلبلآ تحدث مع صقر فی فصل الربیع بینما كانت الزهور متفتحة ، والجو عطراً ، فقال له : « أنت أكثر للطیور صمتاً ، فلم حُزّت قصب السبق بین الطیور ؟ ! . إنك لم تغن لحناً عذباً منذ جئت إلى هذه الدنيا ، ومع ذلك فنزلت قصور السلاطین ، وطعامك قلب الطیور ؛ وأنا أستطيع أن أغنی مائة لحن جميل فی بسر وسرعة ، فلم صار طعامی دیدان الصید ، ومنزلی فوق الأشواك ۱۴ ^(۲) . . . »

« فأجابه الصقر : استمع إلى يجب أن تتعظ بصمتی ، فتكون صامتاً مثلی ، فأنا أعمل كثيراً ، وأتكلم قليلاً ، أما أنت فعاشق للدنيا ، تتكلم كثيراً ، ولا تعمل

(۱) کر بری از دانش خاموش باش ترک زبان گوی وهمه خاموش باش
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۸۲)

(۲) کز همه مرغان تو خاموش ساز گوی چرا برده آخر پیاز
تا تولب بسته کشادی نفس یک سخن نغز نگفتی بکس
منزل تو دستگه سنجری طعمه تو سینه کبک دری
منکه یک چشم زد از کان غیب صد کهر نغز بر آرم زجیب
طعمه من کرم شکاری چراست خانه من بر سر خاری چراست ۱۴
(المرجع السابق ، ص ۱۸۲)

شیئا ، وانا مشغول بالصید دائماً ، وهو یوصلنی إلى قلب الطیر وید الملك^(۱) ،
أما أنت فجارح اللسان ، فكل الیدیان واجلس على الشوك . والسلام عليك^(۲) .
ویتهمك الشاعر من الذین یكثرون الضجیج رغبة فی الشهرة ولذلك فهو یحتم
بقوله : « لا ترفع صوت النظم عالياً ، حتی لا تصیر - كنظامی - أسیر المیدنة^(۳) » .

* * *

ثم تأتی بعد ذلك خاتمة المنظومة فیقول الشاعر : « أیها الكاتب . صبحك
الله بالخیر ، فقد انتهت هذه المنظومة بعد أن صور شعری المعانی فی صور
زاهیه جمیلة كالطائوس ، ولو أنني قتُ بمثل صغیر ، إلا أنه كان شاقاً صعباً ؛ لأن
مادته كانت نادرة قليلة ، ولولا مساعدة الحظ إیای ما وقفتُ حتی فی القیام بهذا
القدر ، وطالما راودنی الإحساس بأننی أخطأت ، لأنی قت بنظم هذه المنظومة^(۴) » .

(۱) یشیر الشاعر إلى عادة كانت مستعملة فی وقت الصید ، فقد كان الناس یضعون
الصقر فوق ید الملك ، ثم یطلقونه كعلامة لبء الصید .

(۲) باز بدو گفت همه گوش باش خامشیم بنگر وخاموش باش
منكه شدم كار شناس اندكى صد كنم وباز نگویم يكی
روكه تویی شیفته روزگار زانكه يكی نكفی وكوئی هزار
منكه همه معنیم این صیدگاه سینۀ كبكم دهـد و دست شاه
چون توهمه زخم زبانی تمام كرم خور وخار نشین والسلام
(المرجع السابق ، ص ۱۸۲ - ۱۸۳)

(۳) بر مكش آوازه نظم بلند تاچو نظامی نشوی شهر بند
(المرجع السابق ، ص ۱۸۳)

(۴) صبحك الله صباح ای دبیر کاین نظم از چرخ فزونی کند
چون قلم از دست شدم دستگیر با قلمم بوقلمونی کند
زین همه آلداس كه بگداختم كز لكی از بهر ملك ساختم
كآهن شمشیرم در سنگ بود كوره آهنگریم تنگك بود
دولت اگر همدمی ساختی بخت بدین نیز نپرداختی
در دلم آید كنه كرده ام كین ورقی چندسبه كرده ام
(نفس المرجع والصفحة)

ثم يطلب من الوالى - الذى قدم له المنظومة - أن يقرأها متعمقا ، وأن يحو كل ما يجده خارجا عن حد اللياقة والأدب ، لأنه يعتقد أن منظومته قد رفعت لواء العلم والأخلاق ؛ فيقول : « اقرأ واجعل الثانى شعارك ، وفكر بتعقل ، وامح كل ما تجده بعيدا عن الأدب ، فإن المنظومة قد تمت كما ينبغي ، وأنا - شخصيا - مستعد لمحو كل ما أجده لا يرفع لواء العلم ، ولو لم أكن قد استعملت فيها منتهى الفصاحة ، ما أرسلتها من مدينة إلى أخرى ^(١) » .

ويقرر أنه لم يستفد من تعبه شيئا غير الشهرة ، فيقول : « ما محصولى من كل قديم وحديث . غير للشهرة ؟ ! . . . شهرة الحرب دون فائدة ؛ وتعيب السوق ، ولا شيء غير ذلك ^(٢) » .

ويشير فى النهاية إلى تقيده بكنجه ، ثم يحمد الله أن تمت المنظومة قبل وفاته ، فجعلته غارقا فى الذهب من رأسه إلى إخص قدمه .
ويدعوا لمن تكون هذه المنظومة من نصيبه فيقول : « لتسكن هذه المنظومة - لثقى تنثر الذهب - مباركة على ملك تكون هى من نصيبه ^(٣) » .

(١) بیش رو وآهستگی پیشه کن
هر سخنی کز آدبش دوریست
گر کنی اندیشه باندیشه کن
دست بر او مال که دستوریست
و آنچه نه از علم بر آرد علم
گر منم آن حرف دروکش قلم
گر نه درو داد سخن دادی
شهر بشهرش نفرستادی
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٨٤)

(٢) از نظر هر کن وتازه
حاصل من چیست جز آوازه
گر می هنگامه وزر هیچ نه
زحمت بازار و دگر هیچ نه
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) باد مبارک کهر افشان او
بر ملکی کاین کهر ست آن او
(المرجع السابق ، ص ١٨٥)

وهكذا تنتهى منظومة « مخزن الأسرار » .

* * *

ونكتفى بهذا القدر فى عرض محتوياتها ، لننتقل إلى المقارنة ، بينها وبين
« حديقة الحقائق » لسنائى ، حتى يتسنى لنا أن نقدرها حق قدرها ، وأن نحكم
عليها حكماً صحيحاً دقيقاً .

الفصل الثالث

مقارنة مخزن الأسرار لنظامي بحريقة الحقائق سنائي

راجت - بين الباحثين - ^(١) فكرة أن نظامي قد نظم « مخزن الأسرار » ليقلد سنائي في منظومته « حديقة الحقائق » ؛ واستشهدوا على ذلك بإشارة نظامي إلى منظومة سنائي ، وذكره أنها قد قُدِّمَتْ - مثل منظومته - إلى حاكم يدعى بهرامشاه ^(٢) ، ثم قالوا : إن الفرق بين المنظومتين ينحصر في اختلافهما في الوزن الشعري ، فقد اختار نظامي بحرًا غير بحر « الحديقة » ونظم فيه منظومته ^(٣) .

ومن الجائز أن يكون نظامي قد قلد سنائي ، فإن منظومتي « مخزن الأسرار » و « حديقة الحقائق » تدوران حول محور واحد ، هو التهذيب الخلقى ، ونشر الفضائل في المجتمع ، وإن كنا نجد نظامي نفسه يحاول جاهداً أن يثبت أنه مبتكر ، وليس مقلداً ، وأن عمله جديد ، لم يسبق إليه ، فيقول : « لم أقبل عارية شخص آخر ، بل قلت كل ما أوحى به قلبي ، فأودعت في المنظومة نعمة جديدة ، وأخرجت تحفة من قالب جديد ، فهي كنز للفقير وبركة للفقير ، وهي مخزنٌ

(١) باخر : حياة نظامي وآثاره (بالألمانية) ، ص ١١ ؛ برتلس : نظامي شاعر آذربيجان العظيم (بالروسية) ، ص ٥٥ .

(٢) نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٣٧ . حيث قال :

نامه دو آمد زدو ناموسگاه هر دو مسجل بدو بهرامشاه
وقد سبقت الإشارة إلى هذا البيت .

(٣) نظم سنائي « حديقة الحقائق » في بحر الخفيف ، بينما نظم نظامي « مخزن الأسرار » في بحر السريع .

«للاسرار الإلهية^(١)» .

ثم يؤكد جده عمله فيقول : « لم يجلس على سكر منظومتى ذباب ، ولم تمد -
هي - يدها إلى سكر شخص آخر^(٢) » .

ويبدو أن الشاعر نفسه قد أحس بأنه ينظم في نفس الموضوع الذي سبقه إليه سنائي ، فحاول أن يثبت أن نعمته جديدة ؛ وإن كان دفاعه عن منظومته ، لا يكفي دليلاً على أنها جديدة - من حيث الموضوع - ؛ بل الواقع أنها تقليد لموضوع منظومة سنائي . وليس هذا عيباً ، لأن الموضوعات التي تدور حول الفضائل ، والتهديب الخلقي لا تقتصر على شاعر دون الآخر ، فهي موضوعات إنسانية عامة ، وقد ظهرت في الشعر ، نتيجة لنفوذ التصوف ، وارتفاع شأن علماء الصوفية في ذلك العصر ، وكان سنائي ونظامي من السابقين في هذا الميدان .

ومهما يكن من شيء ، فإن بين المنظومتين تفاوتاً من الناحيتين المنهجية والأسلوبية .

أما من الناحية المنهجية ، فنلاحظ أن منظومة « مخزن الأسرار » أحسن تنظيماً وتماسكاً ، لأن الوحدة الموضوعية ظاهرة فيها ، فقد رأينا كيف قسمها إلى عشرين مقالة تتلو كل مقالة منها قصة ؛ وهي - جميعها - ترمى إلى هدف واحد ، وتحاول إصابته في دقة وقوة ، فحديثه فيها يحارب الظلم والفساد ، وعدم الوفاء ، ويدعو إلى الإصلاح ، والتجرد من الدنيا ، والعمل للآخرة ، ونفحاتها - جميعها -

(١) عاريت كس نپذیرفته ام آنچه دلم گفتم بگو گفته ام
شعبده تازہ بر انگیختم هیکلی از قالب نو ریختم
مایه درویشی وشاهی درو مخزن اسرار الہی درو
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٣٦)
(٢) بر شکر او ننشسته مگس فی مگس او شکر آلود کس
(المرجع السابق ، ص ٣٧)

متشابهة ، والوحدة الموضوعية فيها واضحة ، مما جعل ترتيب « مخزن الأسرار » أدق - من الناحية المنهجية - من ترتيب « حديقة الحقائق » التي قسمها سنائي إلى عشرة أقسام :

الأول : في التقديس والتمجيد .

والثاني : في نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

والثالث : في صفة العقل .

والرابع : في فضيلة العلم .

والخامس : في الغفلة .

والسادس : في صفة الأفلاك والبروج .

والسابع : في الحكمة والأمثال .

والثامن : في العشق والحبة .

والتاسع : في بيان أحواله .

والعاشر : في مدح السلطان .

وهكذا نجد أن الفكرة التي سيطرت في « مخزن الأسرار » ، وشملت المنظومة كلها ، ليست واضحة في « حديقة الحقائق » التي دار الحديث فيها حول موضوعات مختلفة .

وأما من الناحية الأسلوبية الفنية ، فإن نظرة فاحصة في المنظومتين تظهر لنا للفرق الواضح بينهما . فأسلوب سنائي يُعتَبَر جافاً إذا ما قيس بأسلوب نظامي . ومافيه من رقة وعذوبة ، وأضواء زاهية ، وصور جميلة ، تغن في إبرازها ، مستعملاً منتهى الدقة والعناية ، وبإذلاً جهداً كلفه عصارة قلبه ، ودم كبده ، كما كان يقول كثيراً .

ولعل السبب في ذلك أن سنائي أراد أن يتحدث بأسلوب العقل الذي يعتمد على الحجة والاستدلال والبرهان ، وهذه الطريقة لاتبدو خلاصة في الأسلوب

الشعری ، الذى يلعب الخيال فيه دوراً هاماً .

وقد حاول سنائى أن يقنعنا بإمكان إخضاع كل شئ - حق الشعر - لقواعد المنطق والاستدلال ، حق لا ننتقد استعماله أسلوب العقل ، والمنطق ، وتطبيقه فى الشعر ، فأكثر من الحديث عن العقل ، بل إنه خصص للباب الثالث من حديثه لبيان مزايا العقل ، تحت عنوان « صفة العقل »^(١) . فبين أن العقل أفضل ما خاق الله ، وأنه مفتاح كل الأمور المخلقة . وذلك فى قوله : « كل ماتحت السماء من خير وشر من محصول العقل ، فحينما خرج العقل من الملكوت الإلهى ، استقام به العلم والعمل ، ففى يده مفتاح الأمور ، وكل شئ يتوقف على وجوده ، فهو أساس الخير ، ومبعث الشر ، وسبب ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون ، فقد ورد فى العلوم المنقولة أن العقل أول شئ ، ثم يليه الشرع »^(٢) .

وشرح قوة العقل وسيطرته فقال : « حينما يرتفع صوت العقل يخفى كل شئ ؛ فالعقل هو الجوهر ، وهو المعلن ، وهو الرسول ، وهو الحارس ، وهو السلطان القادر حسن الطبع ، وهو الذى يسمونه ظل الله فى الأرض ، والظل متصل بالذات دائماً ، وإلا فتى كان الظل منفصلاً عن الذات ؟ ! »^(٣)

(١) سنائى : حديقة الحقائق ، ص ١٥٩ - ٢٠٠

(٢) هرچه در زیر چرخ نیک وبدند خوشه چینان خرمن خردند
چون در آمد زبرگاه ازل شد بدو راستکار علم وعمل
هم کلید امور در دستش هم راه امر بسته در هستش
مایه نیک وسایه بد اوست سبب بود وهست وباشد اوست
در حروفی که برده نقلست آخر شرع اول عقلست
(سنائى : حديقة الحقائق ، ص ١٦٩)

(٣) هر کجا نطق عقل برزد دم حرف وآواز در خزد بهدم
عقل هم گوهر است وهم کانست هم رسولست وهم نگهبانست
.....

عقل سلطان قادر خوش خوست آنکه سایه خداست گویند اوست

تم بین الأشياء التي تخضع لنفوذ العقل ، فقال مستعملاً الطريقة الفلسفية :
 « إن النفس النامية تحت رعايته ، والنفس الناطقة تسير على هديه . . فالعقل
 هو الحاكم المسيطر على جسم البشر ، وهو المطلع على جميع الأحوال . . وهو ملك ؛
 والأعضاء الأخرى حشم ، لأنها أقل مرتبة منه ^(۱) » .

وبلغ تصويره لقوة العقل ونفوذه درجة جعلته يقول : « اعلم أن العقل
 الشريف ، والنفس الناطقة ، هما والدا العالم اللطيف ^(۲) » .

ثم وضع هذا فقال : « إنه السبب في الأمة والرسالة ، وهو العلة في الصورة
 والمهيولا ، وهو الذي خُلِقَ - أيضا - منذ الخلق الأول ، فالصورة تحت هيولا
 العالم ^(۳) » .

ثم جمع بين العقل والشرع ، لأنه يعتقد أن كليهما لا ينفصل عن صاحبه .
 فشبهما بالعين والنور ، فقال : « العقل عين والنبوة نورها ، فهو منها وهي منه ،
 لا يفترقان كثيراً ^(۴) » .

= سايه باذات آشنا باشد سايه باذات كي جدا باشد

(سنائی : حديقة الحقائق ، ۱۶۹ - ۱۷۰)

(۱) نفس روینده در رعایت اوست نفس گوینده در هدایت اوست

.....

کدخدای تن بشر نغفلست از همه حال باخبر غفلست

.....

عقل شاهست و دیگران حشم اند ز آنکه در مرتبت ز عقل کم اند

(المرجع السابق ، ص ۱۷۱)

(۲) پدر و مادر جهان لطیف نفس گویا شناس و عقل شریف

(المرجع السابق ، ص ۱۷۴)

(۳) سبب اُمت و رسولی او علت صورت و هیولی او

اونها داست هم بامر قدم صورة اندر هیولی عالم

(المرجع السابق ، ص ۱۷۷)

(۴) عقل چشم و پیمبری نوراست آن ازین این از آن نه بس دوراست

(المرجع السابق ، ص ۱۷۹)

وقد جعل سنائی العقل يتحكم في كل شيء حتى في أسلوبه ، فبدأ جافاً ، كما نلاحظ من هذه الأمثلة التي مرّت ، وهي صورة صادقة لأسلوبه في المنظومة .
أما نظامي ، فإنه رغم موافقته لسنائی في أن العقل هو أول شيء خلقه الله ، إلا أنه يؤمن بوجود قوة أخرى ، تستطيع أن تصل - بفضل الله - إلى ما لا يستطيع العقل بلوغه بوسائله القاصرة ؛ وهي قوة القلب .

وأسلوب نظامي إن وصف بشيء فإنما يوصف بأنه أسلوب القلب ، لأنه يعتمد على الرياضة ، والتجلى ، والكشف ، والإلهام ، وهي العناصر التي تغذي الشعر ، وتجعله رائعاً جميلاً ، فالشعر لسان القلب الذي يحسن التعبير عن إحساساته .

وأسلوب نظامي - من هذه الناحية - جذاب فتان ، لأنه يعتمد على القلب . وقد حاول الشاعر نفسه أن يجعلنا نقنع معه بقوة القلب ، وروعة التجليات التي يصل إليها - بواسطته - إليها ، بفضل الرياضة الروحية .

ولذلك ؛ أطلب نظامي في ذكر القلب ووصفه ^(١) . فيبين أن الإنسان يجب أن يعتصم بحبل القلب ، حتى يصير عزيزاً ، فقال : « تَمَلَّقْ بِرِبَاطِ الْقَلْبِ ، فَإِنْ عَزَّتْكَ فِي أَنْ تَخْضَعَ لِلْقَلْبِ ^(٢) » .

وهو يعتقد أن القلب مزيج من الروح والجسد ، ويشرح ذلك في قوله : « حينما خلق الله العالم ، أوجد مملكة الجسم والروح ، عن طريق التزاوج ، فظهر منهما القلب ، فهو النسل الذي وصل إلى الخلافة ، وهو الذي تقرأ باسمه خطبة السلطنة . إنه مخلوط النسل من الجسم والروح . وإن نور طريقك يعتمد على إشعاع القلب ، لأن الروح والبدن تابعا له ^(٣) » .

(١) نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٤٦ - ٧٠

(٢) دست در آویز بفترک دل آب تو باشد که شوی خاک دل

(الرجع السابق ، ص ٥٠)

(٣) چون ملك المرش جهان آفرید مملکت صورت و جان آفرید
داد بترتیب آذب ریشی صورت و جازایهم آمیزشی

ثم صور قدرة القلب على إدراك الحقائق عن طريق التجلي ، وبين سروره حينما وصل هو إلى الحقيقة ، التي أنارت ذهنه ، وملأت طبعه سروراً ، وجعلته ينظم للشعر ، فقال : « حينما وصل حديث القلب إلى عقلي ، وصل الزيت إلى مصباحي فأضاء ، وأخذت أنصتُ إلى هاتف الروح ، وأستقبل التجليات الإلهية ، فصرتُ عذب اللسان من ذلك الفيض ، وبعد عني الغم ، فامتلاً طبعي سروراً ، وذرفتُ من العين - دموعاً باردة ، صيَّرتُها حرارة القلب ساخنة ، وتخلصت من قيود الأعضاء ، فصرت قوياً ، بينما أصبحتُ هي ضعيفة عاجزة ، فخلتُ السير في هذا الطريق ، حتى أفتح باب كنز القلب سريعاً ^(۱) » .

فنظامي يستوحى قلبه ، ويستلمه ، ويتحدث بلسانه ، وأسلوبه متأثر بهذا ، بل إنه كثيراً ما كان يقول إن هاتفاً قد جاءه ، وأوحى إليه بما ينشده ، أو إن وحيّاً قد نزل عليه .

وهذه الطريقة أقرب إلى طبيعة الشعر من طريقة سنائی ، فكما كان الشاعر مُلهماً ما يقول ، كان شعره أرق وأجمل ، لأن الطريقة المنطقية تفقد الشعر رواءه ، وبهاءه ، وتذهب بحلاوته .

== زين دوهم آگوش دل آمد پدید آن خلقی کو بخلافت رسید
دل که بر او خطبه سلطانیت آکدش جسمانی وروحانیت
نور اذیت زسهیل دلست صورت وجان هردو طفیل دلست
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۵۰)

(۱) چون سخن دل بدماغم رسید روغن مغزم بچراغم رسید
گوش در این حلقه زبان ساختم جان هدف هاتف جان ساختم
چرب زبان گشتم از آن فرهی طبع ز شادی پروازغم تهی
ریختم از چشمه چشم آب سرد کآتش دل آب مرا گرم کرد
دست بر آوردم از آن دست بند راه زنان عاجز و من زورمند
در تک آنراه دو منزل شدم تاییکی تک بدر دل شدم
(نفس المرجع والصفحة)

وقد حاول نظامی أن یثبت أنه تحدث بما رآه فی أثناء الرياضة ، والمراقبة ، وأنه دُعِيَ إلى الدخول ، فانضم إلى المجلس الذی أشرق بنور الله ، فأدرك الحقائق ثم صاغها شعراً . فأثبت ذلك فی قوله : « لقد احتبس لسانی فی ذلك المجلس ، فأمسك العشق بعنائی ، وقادنی إلى حیث التجلیات الإلهیة ، فقال ملك الستر : من الذی جاء فی هذا الوقت ؟ . فقلتُ : لانی آدمی ، فإذا أذِنتم لی - مرة - سَیدتُ برؤیة الحقائق . فألقى الملائكة الحجب بعیداً ، كما أبعدوا عنی حُجب جسی ، وجاء صوت من أخص بقمة . أن أدخل ینظامی ، فاقتربتُ من أخص حارس لها ، فقال ادخل ، فتوغلتُ فی الدخول ، حتی بلغتُ مجلساً مشرقاً بالأنوار الإلهیة ، وقد أقفلت عین للسوء عن رؤیته . وحينذاك أدركت الحقیقة ^(۱) . »

فكما قلنا الشاعر الصوفیة فی الاعتكاف للتفكر والمراقبة ، نجدہ يستعمل أسلوبهم فی شعره فیجعلہ برّاقاً خلافاً .

ولعل هذا یفسر لنا الفرق بین أسلوب كل من سنائی ونظامی ؛ فالسلوب نظامی أرق وأجل .

ویبدو أن نظامی - نفسه - قد أحس بالفرق بین أسلوبه وأسلوب سنائی ، وأیقن أن أسلوبه یفُضُّ أسلوب صاحبه ، لأننا نجدہ یقول : « ولو أن الشعر فی « الحدیقة »

(۱) چونکه در آن تعب زبانم گرفت عشق تقیانه عنانم گرفت
 حلقه زدم گفت بدینوقت کیست ؟ کفتم اگر باردهی آدمیست
 پیشروان پرده برانداختند پرده ترکیب در انداختند
 لاجرم از خاصترین سرای بانگ در آمد که نظامی در آری
 خاصترین محرم آندر شدم گفت درون آی دروتر شدم
 بارگهی یافتم افروخته چشم بد ازدیدن او دوخته
 (نظامی مخزن الأسرار ، ص ۵۱)

کالذهب ، إلا أن سكة ذهبي أفضل^(۱) .

وهكذا نرى أن نظامی - في « مخزن الأسرار » - وإن يكن قد قلد سنائی - في « حديقة الحقائق » - من حيث الموضوع ، فاتخذ الشعر وسيلة للتهديب الخلقى - على طريقة الصوفية - إلا أنه قد تقدم خطوة جديدة ، فجعل منظومته أدقّ تنظيماً ، وأرقّ أسلوباً ، وتناول فيها موضوعاً محدداً ، فاستوفى الحديث عنه بأسلوب شعري جميل .

وقد عرض نظامی المساویء - التي كانت في عصره - في صراحة وجراحة ، وكان حديثه مملوءاً بالاحتجاج القاضب ، كما كان يتمنى أن يسود العدل والوفاء في دنيا سريعة الزوال ، أنه من أن يُزْرَعَ فيها ظلم أو حقد . وهو - في هذا - عكس شعراء البلاط تماماً ، لأنه لا يوافق مثلهم ، بل يعتمد على الأسس الدينية في محاربة الظلم والاضطهاد ، وهي طريقة لم تكن تخدم أغراض الحكام المتناحرين في عصره .

وقد أصبح نظامی - بطريقة هذه - إماماً قلده كثير من الشعراء في إيران ، والهند .

فمن قلدوه : أمير خسرو الدهلوی المتوفى في عام ۷۲۵ هـ ، الذي نظم « مطلع الأنوار » ؛ وخواجه کرمانی المتوفى في عام ۷۴۲ هـ ، الذي نظم « روضة الأزهار » ؛ وكانته المتوفى في عام ۸۳۸ هـ ، الذي نظم « كلشن أبرار » ؛ وعرف الشيرازی المتوفى في عام ۹۹۹ هـ ، الذي نظم « مجمع الأبرار » .
وقد قلد هؤلاء جميعاً منظومة « مخزن الأسرار » لنظامی شكلاً وموضوعاً ؛ فاختاروا وزنها الشعري ، وتأثروا بما ورد فيها من محتويات .

(۱) کرچه در آن سکه سخن چون درست

سکه زرمن از آن بهتراست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۳۷)

ونذكر منهم على سبيل المثال أمير خسرو الدهلوي الذي قسم منظومته
« مطلع الأنوار » إلى عشرين مقالة ، تحدث فيها عن الأخلاق ، والفضيلة ،
والوحدة مع الله ، مُقَدِّماً أستاذه نظامي - في « مخزن الأسرار » - إلى حد كبير^(١).

* * *

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن « مخزن الأسرار » ؛ لننتحدث عن
منظومة الشاعر الثانية « خسرو وشيرين » .

Mohammad Wahid Mirza : The life and works of Amir^(١)

Khusrau, p. 190.

الباب الثاني

منظومة خسرو وشيرين

الفِصْلُ الْأَوَّلُ

دراسة حول منظومة خسرو وشيرين

١ — تاريخ إتمام المنظومة :

شرح نظامى فى نظم قصة « خسرو وشيرين » بعد فراغه من نظم « مخزن الأسرار » .

و يبدو أن اختياره لها كان استجابة لما فى نفسه من حب لزوجه الأولى « آفاق » - من ناحية - ، وإرضاءً لميل الناس فى عصره - من ناحية أخرى - ؛ فقد كانوا يميلون إلى هذا النوع من القصص الذى يهود العشق فى أجلى صورته وأروعها ^(١) .

وهى تقع فى ٦٥٠٠ بيت من الشعر تقريباً ، نظمها الشاعر فى بحر المزج السادس .

وأرجح أنه فرغ من نظمها فى عام ٥٨٢ هـ ، وإن كان الباحثون يختلفون فى ضبط تاريخ إتمامها ؛ فباخر يقرُّ أنها تمت بعد « مخزن الأسرار » بعشر سنوات ، أى فى عام ٥٧١ هـ ، لأنه يرجح أن منظومة « مخزن الأسرار » قد أكملت فى عام ٥٦١ هـ ، مما سبق مناقشته .

ويستشهد على ذلك بيت من الشعر ، هو قول نظامى : « لم يضع شخصٌ مثلاً هذا الخيال على وجه الجليلات ، منذ إحدى وسبعين وخمسة سنة ^(٢) » .

(١) سبق ذكر الأبيات التى تشير إلى سبب اختيار الشاعر لهذه القصة رغم أنه بدأ بمخزن الأسرار .

وقد ورد هذا البيت - بنفس الرواية السابقة - في إحدى مخطوطات المتحف البريطاني بلندن^(١)، كما روى روايات مختلفة، تغيّر التاريخ فيها إلى عام ١٥٧٦^(٢)، كما تغير إلى عام ١٥٧٩^(٣)، وإلى عام ١٥٨٠^(٤).

ولكننا نستبعد كل هذه التواريخ، التي نتجت عن تغير روايات البيت الذي يثبت تاريخ إتمام المنظومة ؛ خصوصاً بعد أن أثبتنا أن الشاعر أكل منظومة « مخزن الأسرار » - التي تسبقها - في عام ١٥٨١ ، مما يرجع أن منظومة « خسرو وشيرين » تمت بعد هذا التاريخ .

كما أكل منظومته الثالثة « ليلي ومجنون » في عام ١٥٨٤ - كما سيأتي - وهذا يرجح أن « خسرو وشيرين » تمت في المدة التي تقع بين ١٥٨١ و ١٥٨٤ . ونحن نميل إلى أنها تمت في عام ١٥٨٢ ؛ لأن نظامي - حينما دعاه قزل أرسلان إليه ، وسأله عما إذا كان أخوه جهان بهلوان قد أعطاه شيئاً - أجاب بما يفهم منه أن جهان بهلوان مات منذ مدة قصيرة ، لأنه أتى اللوم على الأقدار التي اختطفته من الدنيا - سريعاً - قبل أن يُنْقَذَ ما أوصى به ، فأصابته كما أصابت العالم بخسارة فادحة ، فقال : « نعم ، لقد أمر - لي - الملك الراحل السعيد بجائزة من ماله الخاص ، فلما طوت السفينة بحر عمره سريعاً ، أصابني بل أصابت العالم كله بضرر بالغ . . . ولكن سوق سوف تروج من جديد ، فَيَقْدَرُ مثل هذه المنظومة المحببة إلى النفوس ؛ مادام قد خلفه على العرش حاكم مثلك ،

(١) Rieu : Suppl. to the Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. P. 155.

(٢) گذشته از پانصد و هفتاد و شش سال نزد بر خط خوبان کس چنین خال (نظامی : خسرو وشيرين « نشر دستگردی » ، ص ٤٤٥)

(٣) Rieu : Suppl. to the Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. p. 154.

(٤) گذشته از پانصد و پنجاه و سی سال نزد بر خط خوبان کس چنین خال (خمسة نظامی « طبع طهران » ، ص ٤ من المقدمة)

من نسل الحکام المصلحين ^(۱) .

فهذا دليل على أن دعوة قزل أرسلان كانت عقب وفاة أخيه جهان بهلوان - الذي توفي في أوائل عام ۵۸۲ هـ - ؛ مما يرجح أن الشاعر أتم قصة « خسرو وشيرين » قرب وفاة هذا الأتابك ، ولكن سرعة موته حالت بين الشاعر وبين الجائزة ؛ فأرسل مديحاً إلى أخيه - وخليفته - قزل أرسلان ، فدعاه إليه ، وأثابه بسخاء .

وهذا هو الذي يجعلنا نرجح أن المنظومة أكلت في عام ۵۸۲ هـ ؛ بينما كان السلطان طغرل السلجوق شاباً ، في الثامنة عشرة من عمره . وقد أشار الشاعر إلى ذلك في قوله : « إن السلطان الشاب ملك حسن الحظ ، فليكن ذا عرش وتاج دائماً ^(۲) » .

* * *

۲ - تقريم المنظومة وما أصابه من نجاح :

قدم الشاعر هذه المنظومة للأتابك جهان بهلوان ، ثم قدمها لأخيه . قزل أرسلان من بعده ، ولكنه بدأ بمدح السلطان طغرل السلجوق الذي كان ابن أخيهما ، وكان فضلاً عن ذلك السلطان الشرعي على العراق وكردستان

(۱) بلی شاه سعید از خاص خویشم پذیرفت آنچه فرمودی زبیشم
چو بحر عمر او کشتی روانکرد مرانه جمله عالم را زیانکرد
ولی چون هست شاهی چون تو برجای

همان شهزادگان کشور آرای
از آن پذیرفتهای رغبت انگیز دگر باره شود بازار من تیز
(نظامی: خسرو و شیرین ، ص ۴۵۵)

(۲) چو سلطان جوان شاه جوانبخت که برخوردار باد از تاج و از تخت
(المرجع السابق ، ص ۱۵)

وآذر بیجان ، رغم آنها کانا متصرفین فی کل شئون الدولة - منذ کانا وصیین
 علیه - لصغر سنه .

وقد أصابت هذه المنظومه نجاحاً لم تصبه غيرها من منظومات الشاعر ،
 فقد تقبلها جهان پهلوان بقبول حسن ، وأمر بإثابة الشاعر على عمله ، ولو أن أمره
 لم يكتب له التنفيذ ، نظراً لوفاته ، وعدم تنفيذ أتباعه ما أمر به .

كما رحّب بها قزل آرسلان ، فدعا الشاعر ، وأحسن استقباله ، وجالسه يوماً
 كاملاً ؛ مما يصوره الشاعر في قوله : « أمر الأتابك برفع أواني الخمر احتراماً لي ،
 فتوقف السّقاء ، وسكت المطربون ، وقال : لنستفد - هذا اليوم - من نظامي ، -
 من الصباح إلى المساء - بدل الشراب واللعناء ، فنفحات نظمه أحلى من العود ،
 وشعره غناء .. لقد جاء الخضر ، فلنترك الخمر ، لأننا نجد - بفضل - ماء الحياة ^(۱) » .
 ثم أخذ الشاعر يصور مبلغ احترام الأتابك له ، واستماعه إلى نصائحه ،
 وثنائه على علمه ، وحكمته ، وإشاداته بشعره ، وإعجابه بمنظومة « خسرو وشیرین »
 فقال : « كان الإعجاب يغمر الأتابك وهو يستمع إلى نظمي ، فلما وصل
 الحديث إلى خسرو وشیرین ، كان الإعجاب قد بلغ أعلى درجاته ، فوضع يده
 على كتفي ، وأخذ يغمرني باستحسانه - دون انقطاع - قائلاً : لقد أحييت
 - بمنظومتك - تاريخنا القديم ^(۲) » .

(۱) بفرمود از میان می بر گرفتند مدارای مرا پی بر گرفتند
 بخدمت ساقیانرا داشت در بند بسجده مطربانرا کرد خرسند
 اشارت کرد کاین یک روز تاشام نظامی را شویم از رود و از جام
 نوای نظم او خوشتر ز رودست سراسر قولهای او سروداست
 چو خضر آمد زباده سر بتایم که آب زندگی با خضر یابیم
 (نظامی خسرو وشیرین ، ص ۴۵۲)

(۲) حدیثم را چو خسرو گوش میکرد ز شیرینی دهن پر نوش میکرد
 حکایت چو بشیرینی در آمد حدیث خسرو وشیرین در آمد =

نم منیع الأتابک الشاعر قرية - کجائزه له على نظمه هذه القصة - وأثبت الشاعر ذلك في قوله : « قال الأتابک : لقد أصبح فرضاً - علىّ وهلى أخى - أن نخصص لك مرتباً ، تقدیراً لتعبك الذى استغرق سنوات - فى سبيل نظم هذه القصة - .. وقد كان أخى بطلاً مظفراً ، فإذا قدم لك من الجواهر ؟ سمعتُ أنه منحك قرية من ماله الخاص لتميش فى رفاہیة ، فهل سلوك هذه القرية أم لا ؟ .. وهل أرسلوا إليك أمر ملسکيتها أم لا ؟ .. » ^(۱) .

وقد أجاب الشاعر بلباقة ، فقال : « لانی - منذ البداية - لم أنظم هذه القصة الجميلة طمعاً فى العطاء ؛ فقد كان هدفى - من نظمها - أن تكون وسيلة للحكم ، والآن .. لیم أطلب الأجر بعد أن ظفرت بشكرکم ، ورضاکم ؟ .. » ^(۲) . ثم قال إنه لم يظفر بمنحة أخيه الراحل لسرعة وفاته ، فسُرّ الأتابک بإجابته ؛ وأمر له بالقرية ، مما وضحه الشاعر فى قوله : « قبل الأتابک منى هذه الإجابة ،

شهنشه دست بردوشم نهاده ز تحسین حلقه در گوشم نهاده
گزارشهای بی اندازه کردی بدان تاریخ مارا تازه کردی
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۴۵۳ - ۴۵۴)

(۱) تراهم بر من وهم بر برادر معاشی فرض شد چون شیر مادر
برادرکو شهنشاه جهان بود جهان را هم ملک وهم پهلوان بود
بدان نامه که بردی ساهمارنج

چه داد دست مزد از گوهر و از کنج
شدیم قرعۀ زد بر خلاصت دوباره قرعه زد از مال خاصیت
چه گوئی آن دهت دادند یانه مثال نه فرستادند یانه ؟
(المرجع السابق ، ص ۴۵۴)

(۲) که من یاقوت این تاج مکال نه از بهر بها برستم اول
مرا مقصود ازین شیرین فسانه دعای خسروان آمد بهانه
چو شکر خسرو آمد برز بانم فسون شکر و شیرین چه خوانم ؟
(المرجع السابق ، ص ۴۵۴ - ۴۵۵)

لأنه أحسن بإخلاص الدائم له ، فأهداني قرية « حمدونيان » وأعطاني أمراً بملكيتها ، وأن تكون متوارثة من بعدى ، ووقع عليه باسم قزل شاه ، فأصبحت القرية ملكاً لى بكل ما فيها ، اسد حاجتى وحاجات ذريتى - نسلاً بعد نسل - وجعلها معفاة من الضرائب ، وأسقطها من ملكيته إلى يوم القيامة^(١) . وهكذا أتيب الشاعر بسخاء^(٢) ، فأطلب فى وصف ما حدث ، فقد كانت زيارته اقزل أرسلان هى المرة الوحيدة - فيما يبدو - التى ذهب الشاعر فيها إلى حاكم - بناء على طلبه - مما جعل لسانه يلهمج بشكره ، والثناء عليه . والواقع أن هذه المنظومة هى أسعد منظومات الشاعر حفظاً ، فطبعى أن يسهب الشاعر فى مدح الأتابك ، وأن يرثيه بعد قتله . وقد ألحق بالمنظومة قطعة شعرية فى رثاء الأتابك^(٣) ، فأشار إلى استشهاده

(١) پذیرفت آن دعا وحمدرا شاه باخلاصی که بود آزد دل بدوراه
چو خوبا حمد وبا إخلاص من کرد ده حمدونیان را خاص من کرد
بملوکی خطی دادم مسلسل بتوقیع قزلشاه مسجل
که شد بخشیده این ده بر تمامی زما بر زاد بر زاد تمامی
بملك طلق دادم بی غرامت بطلق ملک او شد تاقیامت
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ٤٥٥)

(٢) بالغ دولتشاه فى تقدير الجائزة التى أعطاهاقزل أرسلان لنظامى فقال فى تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ . إن الأتابك خلع عليه أربع قرى مزروعة معمورة والطريف أن باخر أخطأ فى كتابه : حياة نظامى وآثاره (بالألمانية) ، ص ٢٧ . فتوهم أن « حمدونيان » تدل على قريتين اسم إحداهما « حمد » واسم الأخرى « نيان » ، وحاول أن يصحح خطأ دولتشاه فوقع هو فى الخطأ ، لأنه ترجم « چهار ده معمور ومزروع » - أى أربع قرى معمورة مزروعة - ، على أنها « چهار ده » أى أربع عشرة قرية .

(٣) نظامى : خسرو و شیرین ، ص ٤٥٨-٤٥٩

قائلاً : « استشهد إثر ضربة من أحد أهل سوء ، سوف تكون عاقبه في الآخرة ، أسوأ من نهايته في الدنيا ^(۱) » .

و بديهی أن وصف الشاعر لمجلس الأتابك ، وتسجيله لما دار بينهما من أحاديث ، كان بعد زيارته له ، أي بعد عام ۵۸۲ هـ ، وأن رثاءه للأتابك كان بعد قتله في عام ۵۸۷ هـ ، مما يرجح أنه كان يضيف إلى منظوماته بعض الملحقات أحياناً .

* * *

۳ — شخصیات القصة وأماكنها :

منظومة « خسرو وشیرین » قصة أساسها الحب الذي يربط بين قلبی « خسرو پرویز » أحد ملوك الساسانيين ، ومعشوقته الأرمنية « شیرین » . وقصة عشق « خسرو وشیرین » معروفة متداولة ؛ فقد كان للناس يتناقلونها في صورة روايات شفوية ، يؤيدها وجود بعض الآثار المتصلة بها ، والأماكن التي مُثِّلَتْ فيها بعض أدوارها .

وقد أشار الطبري إلى أن قصصاً كثيرة تدور حول « خسرو پرویز » تنشر بين الإيرانيين ^(۲) ؛ وأيده الفردوسی الشاعر ، فقال — حينما بدأ يعرض هذه القصة نظماً — : « الآن أجدّد قصة قديمة ، فأنظم قصة خسرو وشیرین ^(۳) » .

ولهذه القصة أبطال ، وأما كن مُثِّلَتْ فيها أدوارها . أما أبطالها ؛ فهم — كما عرضهم نظامی — ينحصرون في هذين الاسمين :

(۱) شهادت یافت از زخم بداندیش

که پاداش آنجهان پاداش اُزین بیش
(نظامی : خسرو وشیرین ، ص ۴۵۸)

(۲) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ۲ ، ص ۱۳۷-۱۶۰ .

(۳) کنون داستان حکمن نوکنم سخنهای شیرین وخسرو کنم
(فردوسی : شاهنامه ، ج ۵ ، ص ۲۲۵)

« خسرو » و « شيرين » - كما يدل عليهما عنوان المنظومة - وفي شخص ثالث ، اسمه « فرهاد » .

ولئن كان « خسرو » أحد ملوك الساسانيين ، فإن « شيرين » مختلف في أصلها ، وموطنها ؛ فقد روى أنها كانت من بلاد الأرمن ، كما قيل إنها كانت من آذر بيجان ، وإن كان اسمها يرجع أنها إيرانية ^(١) .
ويبدو من عرض نظامي للقصة أنها كانت أرمنية ، عاشت في المنطقة القريبة من بحر الخزر .

وسواء أكانت شيرين إيرانية أم أرمنية ، فهي شخصية تاريخية - كخسرو سواء بسواء - لم يشك أحد في وجودها . ولا يمتينا أصلها بقدر ما يمتينا ما كان بينها وبين خسرو من صلات الحب ، وحرارة العشق .
أما فرهاد ؛ فمن الجائز أن يكون شخصاً خيالياً - من خلق نظامي - تمشياً مع الطريقة المتبعة في نظم مثل هذه القصص ، ومع مذهبه هو الذي سيأتي الحديث عنه .

والذي يجعلنا نرجح أن فرهاد شخصية خيالية انعدام الدلائل التاريخية التي تثبت وجوده ، فلم يرد اسمه في السكتب القديمة : كتاريخ الطبري ^(٢) ؛ و غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي ^(٣) ؛ وكتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني ^(٤) ؛ ولم

(١) من الجائز أن يكون اسم شيرين قد وضع لمعشوقة خسرو بعد زواجها منه ، لإثبات أنها إيرانية ، كما بذلت محاولات لإثبات أن الإسكندر إيراني . وقد نقل دودا ، في كتابه فرهاد وشيرين (بالألمانية) ، ص ١ . عن المؤرخ الأرمني سبتوس . أن شيرين من أهالي خوزستان ، وقال إن خوزستان كانت مشهورة بقصب السكر ، وأن اسمها شيرين - أي حلو - مأخوذ من هذا .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ١٣٧-١٦٠ .

(٣) الثعالبي : غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، ص ٦٩١-٦٩٤ .

(٤) ابن الفقيه الهمداني : كتاب البلدان ، ص ١٥٨ .

يذكر في الشاهنامه للفردوسي^(١).

ويبدو أن نظامي هو أول من ذكر اسم فرهاد، في منظومته « خسرو وشيرين ». أما القناة المنحوتة في جبل « بيستون » ، والتي قيل إن فرهاد شقها لينقل اللبن بواسطة من مراعى الملك إلى قصر شيرين ؛ فقد ذكرها القزويني في كتابه آثار البلاد^(٢) ، ومن يدرى !؟ ... فلعل القزويني متأثر - في ذلك - بما ورد في « خسرو وشيرين » لنظامي ، لأن كتابه مؤلف في عام ٦٧٤ هـ ، أي بعد أن نظم الشاعر القصة بأكثر من تسعين عاماً .

ويبدو أن وجود هذه القناة ، وإشارة الشاعر - في منظومته - إلى أن فرهاد هو الذي قام بشقها ، حتى يحظى - إذا ما أفلح - بالزواج من شيرين ، هو الذي ساعد على اختلاق القصص حولها ، وحول فرهاد . وقد راجت هذه القصص حتى أضفت على فرهاد مسحة تاريخية - خصوصاً بعد أن جعله نظامي منافساً لخسرو - جعلته شخصية تاريخية ، كخسرو وشيرين سواء بسواء .

* * *

وأما الأماكن التي مثلت فيها أدوار القصة فهي : بلاد الأرمن ، في الشمال الغربي لإيران ، خصوصاً في عاصمتها « بردع » بالقرب من بحر الخزر - حيث كانت ديار شيرين - ، ثم أجزاء مختلفة من إيران - ديار خسرو - كآذربيجان ، والمدائن ، وقصر شيرين - بالقرب من كرمانشاهان ؛ ولا زالت أطلال القصر ، والقناة المنحوتة في الجبل ، وبعض الآثار الأخرى توجد حتى الآن .

* * *

وندع هذا الحديث حول المنظومة ، لنعرض - في اختصار - قصة « خسرو وشيرين » كما صوّرها نظامي .

(١) فردوسي . شاهنامه ، ج ٥ ، ص ٢٢٥-٢٥٥ .

(٢) القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٢٨-٢٣٢ .

الفصل الثاني

قصه خسرو وشيرين كما عرضها نظامي

بدأ نظامي منظومة « خسرو وشيرين » بمقدمة تقليدية ؛ تحدث فيها عن توحيد الله ، ومدح الرسول ، وسبب نظم القصة ، ومدح مَنْ قدمت لهم ، ثم تحدث عن العشق ، وأهميته في حياة البشر ، حتى يبرر نظمه لقصته « خسرو وشيرين » . وختم المقدمة بالإشارة إلى الصراع الذي حدث بينه وبين نفسه ، حينما شرع في نظم هذه القصة^(١) .

ثم بدأ القصة بالحديث عن ولادة « خسرو پرويز »^(٢) فقال : « لما أصبح قمرى كسرى آنوشيروان محافاً ، أسند العرش إلى « هرمز » ، الذي كان ملكاً مظفراً عادلاً ، فعمر الدنيا بمدله ، وترسم خطى والده ، فأكثر من البر والمطف ، وأحيا رسوم الدين^(٣) » .

ودعا « هرمز » ربه - في تفرغ وخشوع - أن يهبه ابناً ، فاستجاب الله دعاه ، ومنَّ عليه بابن جميل « لمح فيه علامات الملك فسماه خسرو پرويز »^(٤) .

(١) نظامي : خسرو وشيرين ، ص ٢-٣٩ . وقد سبقت الإشارة إلى هذه الأثياء ، وعرض صور منها .

(٢) « خسرو پرويز » معناها « الملك المظفر » .

(٣) كه چون شد ماه كسرى در سياهى بهرمز داد تخت پادشاهى
جهان افروز هرمز داد ميكرد بداد خود جهان آباد ميكرد
همان رسم پدر برجای ميداشت دهش بردست ودين بريای ميداشت
(نظامي : خسرو وشيرين ، ص ٤٠)

(٤) پدر در خسروى ديده تمامش نهاده خسرو پرويز نامش
(نفس المرجع والصفحة)

وقد أحاط الشاعر « خسرو پرویز » - بطل القصة - بهالات البطولة منذ صغره ،
فحدث عن ذكائه ، وحسن نمائه ، واعتدال قامته ، وفطر جماله ، وروعة
فصاحته ، وإلمامه بكل علم وفن ، قبل أن يبلغ العاشرة من عمره .
كما تحدث عن قوته الخارقة ، « فقد كان - وهو في العاشرة من عمره -
يصرع من كانوا في سن الثلاثين ^(۱) » .

كما كان قوياً بشطر بسيفه الحجر نصفين ، وبحكم الرماية ، فلا يخطئ الهدف
أبداً .

« فلما بلغ عمره الرابعة عشرة بدأ علمه يظهر ، وأخذ يلم بالعلوم الخفية ، ويطلع
على حسنات العالم وسيئاته ^(۲) » .

« وكان أستاذه يدعى « بزرگ امید » ... وكان عالماً ، عاقلاً ، ملماً بدقائق
العلوم العلوية ^(۳) » .

وقد توفر على تربية خسرو ؛ « فأشرق قلبه بتعليمه ، وتلقن عنه حكماً
كثيرة ^(۴) » .

ثم تحدث الشاعر عن حرص « هرمز » على تلقين ابنه مبادئ العدل ،

(۱) چو برده سالگی افکنند بنیاد سر سی سالگان میداد برباد

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۴۱)

(۲) چو عمر آمد بحد چارده سال بر آمد مرغ دانش را پروبال

نظر در جستنهای نهان کرد حساب نیک و بد های جهان کرد

(للرجع السابق ، ص ۴۲)

(۳) بزرگ امید نامی بود دانا بزرگ امید از عقل وتوانا

.....

دبست آورده اسرار نهانی کلید گنجهای آسمانی

(للرجع السابق ، ص ۴۲)

(۴) دل روغن بتعلیمش برافروخت وزو بسیار حکمتها در آموخت

(نفس للرجع والصفحة) .

وأخذه بالشدة في تطبيق العدالة ، فذكر أن « خسرو » ذهب يوماً لصيد ، ثم نزل في قرية ليقضى فيها ليلته ، وشغل بالشراب ، بينما أكل حصانه نبات المزرعة ، وسرق خادمه مافيها ، فلما رجع إلى نفسه ، غضب ، وأمر بقطع قوائم الحصان ، وقدم خادمه لصاحب المزرعة . ولم يكتفِ والده « هرمز » بهذا بل غضب عليه ، وأنبه لعمديه على الرعية ، ولم يعف عنه إلا بعد ضراعة ومغذرة ، حينما أيقن أنه استقام ، وأصبح أهلاً لولاية العرش من بعده ^(١) .

ثم أخذ الشاعر يمدح الظهور « شيرين » فأورد أن « خسرو » رأى - في منامه - جده « آنوشروان » يعطيه أربعة أشياء هي : شيرين الجميلة ، وشبذيز - وهو حصان سرعته كسرعة الرياح المرسلة - ، والعرش - الذى اعتز به آباؤه وأجداده - ، وباربد المغنى الذى طبقت شهرته الآفاق ^(٢) .

ثم ذكر أن « خسرو » كان له نديم خاص اسمه « شاپور » ، كان ماهراً فى فن الرسم والتصوير مهارة « مانى » ^(٣) ، فضلاً عن طوافه العالم من المغرب إلى المشرق .

وذات يوم أخبر شاپور خسرو بأن امرأة تدعى « شميرا » تحكم بالقرب من بحر الخزر ، وهى تلقب بـ « ميهن بانو » ^(٤) « لفرط قوتها » ، التى فاقت قوة الرجال .

وكانت « شميرا » تقضى فصل الربيع فى موقان ، والصيف فى بلاد الأرمن ،

(١) نظامى خسرو وشيرين ، ص ٤٣-٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧-٤٨ .

(٣) المقصود بمانى هذا النبه الفارسى القديم الذى بشر بالديانة المانوية المعروفة ويبدو أنه كان ماهراً فى فن النقش والتصوير ، كما ذكر أبو المعالى محمد الحسينى العلوى فى كتابه بيان الأديان ، ص ١٧ .

(٤) لقب « ميهن بانو » معناه « أعظم النساء » أو « المرأة العظيمة » .

والخريف في بلاد الأبخار، والشتاء في بردع^(١)، كما كانت تبسط نفوذها على إقليم أران، وتمتلك من الخليل المسومة مالا عد له ولا حصر^(٢).

ولم تكن متزوجة، وإنما كانت تعيش مع ابنة أخيها «شيرين». التي كانت ولية عهدها، وكانت فتاة عفيفة بارعة الجمال، كالزهرة المتفتحة، عطرة الرائحة... شفتاها حلوتان، واسمها - أيضاً - شيرين^(٣). ولهذا فقد شبه الشعراء شفتها بالحلوى^(٤).

وكان أسراء العالم يطيعونها، كما كانت سبعون فتاة جميلة يقمن بخدمتها؛ حتى ليُخَيَّل للإنسان أن مكانها كالجنة، وأن هؤلاء الفتيات كحور الجنة المشهورات^(٥).

وكان عندها حصان جميل أسود اللون يسمى «شبديز»^(٦) كان سريع العدو جداً، يستطيع أن يغزو بسرعه جميع أرجاء العالم^(٧).

وهنا بدأت قصة عشق «خسرو» لـ «شيرين»، فإن شاور الذي لم يكذب

(١) كانت بردع أو بردعة - قديماً - عاصمة إقليم أران، وقد احتلت كنجها مكانها بعد اضمحلالها، كما مر.

(٢) نظامي: خسرو وشيرين، ص ٤٩.

(٣) سبقت الإشارة إلى أن «شيرين» معناها حلوة.

(٤) هنر فتنه شده برجان پاکش نبشته عهده عنبر بخاکش

رخش نسرين وبویش نیز نسرين لبش شيرين ونامش نیز شيرين

شکر لفظان لبش را نوش خوانند وليعهد مهين بانوش دانند

(نظامي: خسرو وشيرين، ص ٥٢)

(٥) اگر حور بهشقي هست مشهور بهشت است آنطرف وآن لعبتان حور

(المرجع السابق، ص ٥٣)

(٦) كلمة «شبديز» معناها «أسود كالليل».

(٧) نظامي: خسرو وشيرين، ص ٥٣.

یفرغ من کلامه عن «شیرا» و«شیرین» حتی استیقظ العشق فی قلب «خسرو»
فصار ولماً، لا ینام ولا یستریح من فرط العشق^(۱) .

ورجا «خسرو» «شاپور» أن یُخفّر له «شیرین» فوعد بذلك، ورحل
إلى بلاد الأرمن حیث أقام فی دیر، وأخذ یسأل الرهبان عن مساكن «شیرین»،
وبعد جمع المعلومات الکافیة رسم صورة «خسرو» علی ورقة کبيرة، وأرسلها إليها .
وهنا - أیضاً - بدأ عشق «شیرین» لخسرو، فلم یکد نظرها یقع علی
صورة «خسرو» حتی قالت لفتياتها «أحضرن هذه الصورة .. من رسمها ؟
لا تخفین هذا الأمر .. فأحضرن الصورة أمام العاشقة، فجلستُ تنظر إليها بضع
ساعات، فقد تعلق قلبها بها، فلم یستغ الانفصال عنها، وكانت کل نظرة إليها
تجعلها نائمة، فتغیب عن وعيها .. وقد ضعف قلبها من شدة العشق، ولكنها
- رغم ذلك - كانت تهتج عن الصورة - کما أخفتها فتياتها من أمامها - حتی
خشین أن تصیر شیرین أسيرة الصورة، فتذبل وتذوی، فقطّعنها - رغم جمالها -
حتى یتلاشی رسم صاحبها من ذا کرتها^(۲) .

(۱) چو برگفت اینسخن شاپور هوشیار فراغت خفته گشت وعشق یدار

چنان آشفته شد خسرو بدان گفت کزان سودا نیا سود و نیمخت

(نظامی : خسرو و شیرین، ص ۵۴)

(۲) بخوبان گفت کان صورت یارید که کرد است این رقم پنهان مدارید

ییاوردند صورت پیش دل بند بر آن صورت فروشد ساعتی چند

نه دل میداد ازو دل بر گرفتن نه میبایستش اندر بر گرفتن

بهر دیداری ازوی مست میشد بهر جامی که خورد از دست میشد

چو میدید از هوس میشد دلس سست

چو میکردند پنهان بازمی جست

نسکبانان برسیدند از آن کار کز آن صورت شود شیرین گرفتار

دریدند از هم آن نقش گزین را که رنگ از روی بردی نقش چین را

(الرجع السابق، ص ۶۰)

ولكن شاپور رسم صورة خسرو مرة أخرى ، وأرسلها إلى « شیرین » فلما تأملت فيها - مرة ثانية - انعقد لسانها وهامت روحها^(۱) .

ثم أرسل شاپور إلى شیرین صورة ثالثة « فرأت عينها المحببة فيها مسكناً لروحها ، وراحة لقلبها .. كما أبصرت فيها انعكاساً لنفسها ، فسكّر لبها حيفاً^(۲) » .

« وَعَرَفَتْ حارساتها أن الأمر جد لا هزل ، فقدمن على ما فرط منهن وأخذن يثنين على تلك الصورة^(۳) » .

فأرسلت شیرین إلى شاپور ، وطلبت منه الحضور لمقابلتها ، فلما مثل بين يديها ، سأله عن صاحب الصورة ، فأخبرها بأنه خسرو پرويز الذي يعتز به ملك إيران ، وبالغ في وصف محاسنه والثناء عليه « وكانت شیرین تنصت إلى حديثه ، وقد ثاب إليها رشدها^(۴) » .

وسألها شاپور عن عواطفها نحو صاحب الصورة ، فأجابت بقولها : « لقد

(۱) دگر باره چو شیرین دیده بر کرد در آن تمثال روحانی نظر کرد
 پرواز اندر آمد مرغ جاناش فرو بست از سخن گفتن زبانش
 (نظامی: خسرو و شیرین ، ص ۶۱)

(۲) دگر ره دید چشم مهر باناش در آن صورت که بود آرام جاناش

در آن آینه دید از خود نشانی چو خود را یافت بیخود شد زمانی
 (المرجع السابق ، ص ۶۳)

(۳) بدانستند کان کاربری نیست عجب کاریست کاری سرسری نیست
 از آن پیشه پشانی گرفتند بر آن صورت ثنا خوانی گرفتند
 (نفس المرجع والصفحة)

(۴) سخن میگفت و شیرین هوش داده بدان گفتار شیرین گوش داده
 (للمرجع السابق ، ص ۶۷)

أَحْبَبْتَهُ وَتَعَلَّقْتُ بِهِ ، وَصَرْتُ أَفْكَرَ فِيهِ لَيْلاً وَنَهَاراً^(۱) .

فقال شابور : « أنا الذي رسمت تلك الصورة ، ومهما تكن متقنة فإنها لا تعدو أن تكون رسماً لا روح فيه ^(۲) » . ثم خاطبها بقوله : « إذا كنتِ قد فعلتِ مثل هذا بعد رؤية صورة خسرو ، فكيف بك إذا رأيتَه هو شخصياً ؟ سوف ترين دنيا مشرقة يشع نورها ، فيغمر جميع الأرجاء ، وتبصرين شجاعاً ماهراً جيلاً ، كالغزال في جماله ، وكالأسد في قوته وبطشه ^(۳) » .

« وَدُهُشْتُ شِيرِينَ مِنْ سَمَاعِ هَذَا السَّكَلَامِ الْمَذْبُ ، وَقَلْبَتَهُ جَمِيعَهُ ، فَكَانَ الَّذِي سَمِعَهَا مِنَ الْأَنْفَامِ الْحَلُوةِ ^(۴) » .

وهكذا نلاحظ أنه كما عشق خسرو شيرين قبل أن يراها ، عشقته هي قبل أن تراه ، وقد حرص الشاعر على تصوير عاطفة الحب المشوبة عند كل من العاشقين قبل أن تضمهما جلسة واحدة .

(۱) در این صورت بدانسان مهر بستم که کوئی روز و شب صورت پرستم

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۶۸)

(۲) من آن صورتگرم کز نقش پرگار

ز خسرو کردم اینصورت نمودار

هر آن صورتکه صورتگر نگارد نشان دارد ولیکن جان ندارد

(المرجع السابق ، ص ۶۹)

(۳) چو تو بر صورت خسرو چینی بین تا چون بود کاورا بینی

جهانی بینی از نور آفریده جهان نا دیده امانور دیده

شگرفی چابکی چستی دلیری بهر آهو بکینه تندشیری

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) وز آن شیرین سخن شیرین مدهوش

همی خورد آن سخنها خوشتر از نوش

(المرجع السابق ، ص ۷۱)

ثم أخذ يصور كيف حاول كل من العاشقين أن يلتقي بصاحبه ، وكانت الخطوة الأولى من شیرین ، فقد نصحتها شایور بالسفر للقاء خسرو ، قائلاً لها : « يحسن أن تخرجي غداً للصيد دون أن تُخبري أحداً ، ثم تمتطي صهوة شبدیز لتتوجهي إلى خسرو ، فأخرجي للصيد ، ثم اهربي منه إلى المعشوق ^(۱) » .
ثم أعطاهما خانم خسرو كلامة مميزة لها ، ووصف لها زيَّه ، ولامح وجهه حتى تعرفه إذا رآته .

واسعأذنت شیرین عمتها « مهین بانو » في ركوب شبدیز ، والخروج للصيد ، فأذِنَتْ لها ؛ فركبته ، وتوجهت إلى اللدائن ، لقاء خسرو ^(۲) .

وأبصرت شیرین في وسط الطريق عين ماء ، « وكانت متوهكة من تعب السفر ، فضلاً عما علاها من الغبار ، فنزلت لتستريح وتستحم ، بعد أن طافت حول المين فلم تر آثاراً لشخص ما ^(۳) » .

وهنا حدثت مفاجأة لم تكن متوقعة ، فقد دَبَّرَ خصم لخسرو مكيدة للإيقاع بينه وبين والده ، فضرب نقوداً باسم « پرویز » ليوم « هرمز » أن خسرو هو الذي ضرب هذه النقود ، لأنه يريد أن يستولي على العرش .
وأحس خسرو بما دَبَّرَ له ، فأثر الفرار حتى تهدأ الأحوال ، فأخبر جواريه بأنه ذاهب إلى الصيد ، وأمرهن بإكرام شیرین الجميلة ، إذا وصلت إلى

(۱) صواب آنشد که نگشائی بکس راز کنی فردا سوی نخبیر پرواز
چو مردان بر نشین بر پشت شبدیز بنخبیر آی و از نخبیر بگریز
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۷۱)

(۲) المرجع السابق ، ص ۱۷ — ۷۳ .

(۳) زرنج راه بود اندام خسته غبار از پای تاسیر بر نشسته
بگرد چشمه جولان زد زمانی ده اندرده ندید از کس نشانی
(المرجع السابق ، ص ۷۷)

المدائن لأنها ضيفة عزيزة ، كما أمرهن ببناء قصر لها في أى مكان تريده من الصحراء - إذا لم تطلق الحياة في المدائن - وأن يذفن رغباتها لأنها تقتصر في الهام من الله ^(١) .

« ثم توجه خسرو صوب بلاد الأرمن مسرعاً يطوى الأرض طياً ^(٢) » .
وتصادف أن تعب حصانه في نفس المكان الذي نزلت فيه شيرين ،
فنزل « فرأى عروساً جميلة كالبدرة المتلألئة في وسط السماء ^(٣) » .
« ورأته شيرين فنثرت شعرها فوق وجهها ^(٤) » .

ولكنها شعرت بحب نحو الشاب الذي رأته دون أن تعرفه ، وخطبت نفسها قائلة : « عجيب أن يستولى على قلبي إذا لم يكن معشوقى ! فكيف يستولى على قلبي إذا لم يكن محبوبى ؟ ... ^(٥) » .

(١) هذا تضمين لقول الشاعر :

گر آید نار پستانی در این باغ چو طاووس نشسته بر پر زاغ
فرود آید کان مهمان عزیز است شما ماهید و خورشید آن کدیز است
.....

وگر تنگ آید از مشکوی خضرا چو خضر آهنگ سازد سوی صحرا
در آن صحرا که او خواهد بتازید بهشقی روی را قصری بسازید
بدان صورت که دل دادش گواهی خبر میداد از الهام خدائی

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۷۹-۸۰)

(۲) زمین کن کوه خود را گرم کرده سوی ارمن زمین را نرم کرده

(المرجع السابق ، ص ۸۰)

(۳) عروسی دید چون ماهی مهیا که باشد جای آن مه بر ثریا

(المرجع السابق ، ص ۸۰)

(۴) زهر سو شاخ کیسو شانه میکرد بنفشه بر سر گل دانه میکرد

(المرجع السابق ، ص ۸۱)

(۵) شگفت آید مرا گر یار من نیست دلم چون برد اگر دلدار من نیست

(المرجع السابق ، ص ۸۳)

کما فتن خسرو بالفتاة التي رآها دون أن يعرفها؛ « فتوجه إلى بلاد الأرمن
جائساً لأنه أحس بأنه قد انفصل عن معشوقته ^(۱) » .

وهكذا تقابل العاشقان ، وانفصلا دون أن يتعرف كل منهما على الآخر .
وتوجه خسرو إلى ديار شیرین على أمل أن يراها ، كما توجهت هي إلى المدائن
وهي تطمع في لقائه .

ووصلت شیرین إلى المدائن « فاستقبلتها الجوارى بالطريقة التي أمر بها
خسرو ، ولم يخبرنها بشيء عنه ^(۲) » .

ولكن شیرین لم تلبث أن علمت بعله هروب خسرو ، وأدركت أنه كان
الشاب الذي قابلته بالقرب من العين ، وتأكدت من صدق الشعور الذي
أحسّت به .

وأقامت في المدائن بعض الوقت ، ثم خشيت أن تمرض ، فطلبت من
الجوارى أن يبنين لها قصرًا - في الصحراء - قريباً من المراعى ، فامتثلن الأمر ،
وبُنِيَ القصر ، وكان يبعد عشرة فراسخ عن كرمانشاهان ، ولكنه - بسبب فراق
خسرو - لم يكن بعيداً عن كرمانشاهان وحدها ، بل عن العالم كله ^(۳) » .

وعاشت شیرین في القصر الجديد ، « وقد جعلت عشق خسرو ، والحزن على
فراقه شغلها الشاغل ، فاعتزلت العالم جميعه ^(۴) » .

(۱) بنومیدی دل از دلخواه برداشت بدار الملک ارمن راه برداشت

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۸۸)

(۲) برسم خسرو بنواختندش ز خسرو هیچ وانشاختندش

(المرجع السابق ، ص ۸۹)

(۳) بده فرسنگ از کرمانشاهان دور نه از کرمانشاهان بل از جهان دور

(المرجع السابق ، ص ۹۲)

(۴) غم خسرو رقیب خویش کرده در دل برد و جهان پیش کرده

(المرجع السابق ، ص ۹۲)

ووصل خسرو إلى بلاد الأرمن ، ثم توجه إلى « موقان » ، ثم جازها إلى « باخرزان » وعلت « مهین بانو » بمجیئه فأسرعت لاستقباله ، وجمّزت له جيشاً ومؤناً^(۱) .

وقد قضى خسرو أسبوعاً في ضيافتها ، ثم دعته لقضاء الشتاء في مدينة « بردع » مما صوره الشاعر في قوله : « قَبَلت « مهین بانو » الأرض بين يدي خسرو ، وقالت : إن لنا حاجة ، هي أن تشرف دار الملك « بردع » بقضاء فصل الشتاء فيها ، حيث الجو معتدل ، والماء والزرع متوافران ، فقبل خسرو مطلبها ، وقال لها : تفضل بالذهاب إليها ، وسأجىء أنا في إثرك^(۲) .

وقضى خسرو - في تلك الديار - أوقاتاً جميلة ، « ولم تقعر مهین بانو في خدمته ، فكان يشغل بالهوى والطرب ليلاً ونهاراً ، ولكنه إلى جانب شرب الخمر كان يحس بمرارة فراق شیرین^(۳) » .

(۱) از آنجا سوی موقان سر بدر کرد

ز موقان سوی باخرزان گذر کرد
مهین بانو چو زین حالت خبر یافت
بخدمت کردن شاهانه بشتافت
باستقبال شاه آورد پرواز
سپاهی ساخته بابرگ و باساز
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۹۳)

(۲) مهین بانو زمین بوسید و برجست
بخسرو گفت مارا حاجی هست
که دار الملك بردع را نوازی
ز مستانی در آنجا عیش سازی
هوای گرمسیر آن طرف را
فراخیا بود آب و علف را
إجابت کرد خسرو گفت برخیز
تومیرو کامدم من بر اثر نیز
(الرجع السابق ، ص ۹۵)

(۳) مهین بانو بدرگاه جهانگیر
بکرد از شرط خدمت هیچ تقصیر
شه آنجا روز و شب عشرت همیکرد
می تلخ و غم شیرین همی خورد
(نفس المرجع والصفحة)

و ذات ليله ، أقام خسرو حفلاً زاخراً ، وجلس يشرب الخمر ، ويستمتع بالفناء . حتى غاب عن نفسه ، ولم يَنْبُ إلى رشده إلا حينما علم نبأ عودة شاپور من بلاده ، فاستدعاه إليه وسأله عن شيرين ، فأخذ يصفها له ، وقص عليه خسرو ما حدث بالقرب من عين الماء - بعد أن أدرك أن الفتاة التي رآها لم تكن غير شيرين - معشوقته - التي هرب إلى بلاده ليلحق بها ، ثم « أمر شاپور أن يذهب - إليها - سرّة أخرى ، كما تذهب الفراشة في إثر النور ^(۱) » .

وفي اليوم التالي دخلت « مهين بانو » على خسرو وتحدثت معه في أمر شيرين واختفائها ، فأخبرها بأنها تقيم في بلاده ، وأنه قرر إرسال رسول لإحضارها ، فسُرّت ، وشكرته ، وقالت له : « إذا أرسلت - أيها الملك - رسولا إليها فأرجو أن تخبرني بموعد سفره ، حتى أهدى إليه حصاناً يُسمّى كلكون ^(۲) ، وهو سريع العدو من فصيلة شبدیز ^(۳) » .

ثم رحل شاپور راكباً هذا الحصان السريع حتى وصل إلى المدائن ، وبحث عن شيرين فلم يجدّها ، وعلم أنها تقيم في قصر خاص ، فتوجه إليها ، ودعاها للسفر إلى ديارها ، حيث يوجد خسرو ، قائلاً لها : « تهيئي للسفر كما أمر پرويز ؛ ثم أركبها كلكون ، وجعلها تتوجه إلى حيث تحقق أحلام معشوقها ^(۴) » .

(۱) قرار آن شد که دیگر باره شاپور چو پروانه شود دنبال آن نور (نظامی . خسرو و شیرین ، ص ۱۰۲) .

(۲) « کَلکون » کلمة فارسیة معناها « وردی اللون » .

(۳) اگر قاصد فرستد سوی اوشاء مرا بایدز قاصد کردن آگاه

بحکم آنکه کَلکون سبک خیز بدو بخشم ز همزادان شبدیز

(المرجع السابق ، ص ۱۰۴)

(۴) پس آنکه گفت شاپورش که برخیز

که فرمان اینچنین داداست پرویز

وز آنگلخن بر آنگلگون نشاندش

بگلزار مراد شاه راندش

(المرجع السابق ، ص ۱۰۸)

وهكذا بدا أن العاشقين في طريقهما إلى اللقاء ، ولـكن الأقدار كانت لها بالمرصاد ، فخالـت بينهما وبين ذلك ، لتزيد ما بينهما من حب شدة واشتعالا . فلم تكـد شیرین تأخذ طريقها إلى خسرو ، حتى وصل إليه رسول يحمل أنباء سـمـل عینی والده ، وموته ، وأنه صار الوارث الشرعی لعرش الأكاسرة . « فلما علم الملك الشاب أن قضاء الله قد حکم على عرش والده « هرمز » بالانهيار ؛ توجه إلى دار ملـکـه ، ليجلس على العرش ، وقد غمره السرور ^(۱) » .

ووصل خسرو إلى عاصمة ملـکـه ، وكانت شیرین قد بلغت ديارها . ولـسـکـنه کان یظن أنها لم تتحرك بعد من مقامها ، فخرج بحجة الصيد ، وتوجه إلى قصرها فلم يجدها « وأخبروه أن المعشوقة الحسنة قد رحلت مع شاپور - منذ مدة - وأنهم لا یـعـلـمـون أين حملها ، وتعجبوا من صنيع شاپور مادام الملك لم يأذن له بذلك ! ... » ^(۲) .

« ولم یبق من شیرین - على سبيل الذکری - إلا حصانها شـبـدیز ؛ فـسـکـان شریکا لخسرو فی الحزن على فراقها ^(۳) » .

ثم انتقل الشاعر بنا إلى بلاد الأرمن لنجد شاپور قد وصل إلى محل إقامة خسرو ، فلم یجده ، فسـلـم شیرین أعمـتـها مہین بانو التي سرت بـلـقائـها ، ولم تعاتبها ،

(۱) چو شد معلوم کز حکم الہی بہرمز برتبہ شد پادشاہی
بفرخ تر زمان شاہ جوانبخت بدار الملک خود شد بر سر تخت
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۱۱۰)

(۲) خبر دادند کاکنون مدتی هست
کز این قصر آنگارین رخت بر بست

نمیدانیم شاپورش کجا برد چو شاہنشہ نغمودش چرا برد ؟
(المرجع السابق ، ص ۱۱۱)

(۳) ز شیرین بر طریق یادگادی تک شبدیز کردش غمگساری
(نفس المرجع والصفحة)

«لأنها أيقنت أن العشق هو السبب في سلوكها هذا المسلك^(۱)» .

وأقامت شیرین في ديارها تطوى بين جوانحها قلباً مفعماً بحب خسرو ، ونفساً هائمة ولمة ، تفكر في معشوقها ، وتود لو سمح الدهر لها باللقاء . وظلت تترقب الفرص ، حتى أذنت الأقدار للعاشقين بالاجتماع في مكان واحد ؛ فقد رفع أحد قواد خسرو علم المصيان ضده ، واستطاع أن يثوب الشعب ، ويثيره وأكره خسرو على الفرار فوَلَّى وجهه شطر آذربيجان ، ليلجأ مرة ثانية إلى ديار معشوقته ، ثم توجه من هناك إلى موقان بحجة الصيد ، حيث التقى بشيرين - مصادفة - للمرة الأولى .

«وحينذاك أخذ كل منهما ينظر إلى صاحبه ، ويذرف الدموع السخينة فرحاً باللقاء ، فلم يعد خسرو بعيداً عن شیرین ، ولم يصبح كلكون بمنأى عن شبديز ، فأخذا يهيئان لنفسيهما طريق الحب والسعادة^(۲)» .

وجمع خسرو وشيرين جيشاً ، ثم توجها إلى مهين بانو التي «لم تكد تعلم بما تم للملك حتى سعت جهدها لإبلاغه أهدافه ، فأحسنت استقباله ، ونثرت الدرهم تحت قدميه ، وقدمى معشوقته الجيلة^(۳)» .

ثم أخذت مهين بانو تنصح شیرین بأن تحافظ على عفافها . فلانستسلم

(۱) چو میدانست کآن نیرنگ سازى دلیلى روشن است از عشق بازى

(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ۱۱۲)

(۲) نظر بر یکدیگر چندان نهادند که آب از چشم یکدیگر گشادند

نه از شیرین جدا میگشت پرویز نه از کَلگون گذر میکرد شبديز

طريق دوستى را ساز جستند ز یکدیگر نشانها باز جستند

(المرجع السابق ، ص ۱۱۶)

(۳) مهين بانو چو از کار آگهی یافت بر اسباب غرض شاهنشهی یافت

باستقبال شبد با نزل و اسباب تثار افشاند بر خورشيد ومهتاب

(المرجع السابق ، ص ۱۱۸)

خسرو، « فاقسمت شیرین بالله رب العالمین، وبالسموات والأفلاک، بأنها لن تصیر ملکاً له إلا بعد الزواج الشرعی، ولو بکت دماً من فرط حبها لایاه^(۱) ». وقد أجازت مهین بانولشیرین أن تقابل خسرو بشرط وجود شخص ثالث معهما، فطلت تنعم بحبه لها عن قرب، وظل هو یقضى معها أوقاتاً جمیلة غیر مفکر فی ملک أوجاه، و غیر متطلع إلا إلى التمتع بمعشوقته، ما وسعه التمتع. وتکرر لقاء العاشقین؛ فمرة لعبت شیرین وجواریهما الکرة ضد خسرو ورجاله، كما قضت معه - فی مرة أخرى - يوماً جمیلاً، وكان الفصل ربيعاً، فجلس خسرو یشرب الخمر حتى سکر، وتصادف أن خرج أسد من غابة مجاورة لجلسهما، وقتل رجلین من رجال خسرو، ولكن خسرو رماه بسهم قوی فقتله، فقبّلت شیرین یده، وطبع هو قبلة حارة « غیرت لون وجنتیهما فأصبح لونهما الوردی بنفسجیاً^(۲) ».

و ذات لیلة زارت شیرین خسرو ومعهما عشرة من جواریهما هن: فرنکیس، ومهیل، وعجب نوش، و فلك ناز، وهمیلا، وهمایون، و سمن ترک، و پربرزاد، و ختن خاتون، و کوهر ملک. فطلب خسرو أن تقص کل منهن قصة فقصصن القصص. ثم قال کل من شایور و شیرین و خسرو قصة؛ وكانت قصة خسرو هی قوله: « حدث مرة أن أسداً أسود قویاً کان یعیش فی مزرعة،

(۱) بهفت آورنگک روشن خورد سو کند

بروشن نامه کیتی خداوند

که گر خون کریم از عشق جمالش نخواهم شد مگر جفت حلالش

(نظامی خسرو و شیرین ص ۱۲۱)

(۲) زبس کز گاز نیاش در کشیدی زبرک کل بنفشه بردمیدی

(المرجع السابق، ص ۱۳۰)

(۳) المرجع السابق، ص ۱۳۱ - ۱۳۵.

فأعترض غزاله طريقه ، وتمكنت من وضع الحبل حول عنقه . . . وأنا ذلك الأسد ، فقد اصطادتنى شیرین ، وجعلت حول رقبتى قيداً من شعرها الجميل ، فإذا لم تأخذ شیرین بيدي ، فسوف أموت كما يحترق الشمع من تحرك الريح ^(۱) . وقد أثرت نعمة خسرو فى قلب شیرین ، فقدمت له كأساً من الخمر ، وقضت معه وقتاً سعيداً ، يرفرف عليهما السرور .

وذا ليلة ؛ اختلى خسرو بمشوقته « فقبل شفتيها وقال لها : يا من صرت أسير عشقتك ، قدّمى حبة لطرير الذى وقع فى فخك . . . دعى كل ما مضى من عمرنا يذهب (دون ندم) ، ولنبدأ - الآن - العمر من جديد ، برزق جديد . فأنا - هنا - وأنتِ . . . فن غيرنا فى هذا المكان ؟ . . . فلا تحذرى . . . فأى شيء هنا (يدعو إلى الحذر) ؟ . . . » ^(۲) .

فأجابت شیرین بأنها غير مستعدة للاشتراك معه فى فراش واحد ، فطلب خسرو أن يقبلها ، فعاودت الرفض ، فلم يجد غير أن يمسك بمخضلة من شعرها ، ويقام ممسكاً بها حتى الصباح ، وحينذاك نصحه شیرین بأن يدع اللهو ،

(۱) چو دور آمد بخسرو گفت باری سیه شیرى بد اندر مرغزارى
گوزنى برره شیر آشیان کرد رسن در کردن شیر ریان کرد
من آن شیرم که شیرینم بنخجیر بگردن بر نهاد از زلف زنجیر
اگر شیرین نباشد دستگیرم چو شمع از سوزش بادى بمیرم
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۱۳۷)

(۲) لبش بوسید و گفت ای من غلامت بده دانه که مرغ آمد بدامت
هر آنچه از عمر پیشین رفت کورو

کنون روز از نوست و روزی از نو

من وتوجز من وتو کیست اینجا ؟

حذر کردن نکوئی چیست اینجا ؟

(المرجع السابق ، ص ۱۴۲)

ويجتهد في استخلاص عرشه المنصوب^(١) . فغضب خسرو وتركها ، ثم توجه إلى قيصر الروم النصراني .

« وقد وجد القيصر أن فرصة مواتييه قد سنحت له ، فاعترف به ملكاً (على إيران) وزوجه ابنته مريم ، وسرَّ به كما تقتضي بذلك تعاليم الدين المسيحي^(٢) . وبعد الزواج ، جهَّز القيصر جيشاً بقيادة نياطوس ، فتوجه خسرو لقتال بهرام ، ولم تلبث الحرب أن نشبت بينهما ، وظل خسرو يراقب الحرب راكباً فيلاً إلى أن اختار « بزرگ أمید » له الوقت المناسب الذي يستطيع فيه أن يشترك في الحرب بنفسه ، فقاتل خسرو ببسالة ، وتمكن من الانتصار على خصمه بهرام ، الذي فرَّ إلى الصين ، بينما جلس خسرو على عرشه من جديد^(٣) .

ثم أخذ خسرو يمنح إلى شیرین ، ويتذكرها ، قائلاً : « أين شیرین !؟ .. أين ذلك اللسان الحلو الذي يشبه في عذوبته ماء الحياة !؟ .. أين ذلك اللهب البريء وتلك الليالي الساهرة التي كنا نقضيها في سرد القصص ، حتى مطلع الفجر !؟ .. »^(٤)

وفي نفس الوقت كانت شیرین تمنح إلى خسرو ، وأيامه الجميلة « فإن قلبها

(١) نظامی : وخسرو وشیرین ، ص ١٤٤ — ١٥٩

(٢) چو قیصر دید کامد بردرش بخت بدو تسلیم کرد آن تاج با تخت چنان در کیش عیسی بدوشاد که رخت خویش مریمرا بدوداد (المرجع السابق ، ص ١٦٠)

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٠ — ١٦٦ .

(٤) کجا شیرین وآن شیرین زبانی ؟ بشیرینی چو آب زندگانی کجا آن عیش وآن شہا نختن همه شب تاسحر افسانہ گفتن ؟ (المرجع السابق ، ص ١٦٧)

بقی اسیر عشقه ، بعد آن تخلفت عن اللاحاق به ، كما بقيت روحها مشغوفة بحبه ^(۱) .

وكانت مهين بانو تنصيحها بالصبر على الله أن يبدل الأحوال ، فيحالفها الحظ الحسن .

ثم حدث تغير جديد في حياة شیرین ، فقد توفيت عمته « مهين بانو » تاركة لها عرشها ، وكنوزها ، فأصبحت شیرین ملـكـة ؛ لها عرش ، وجاه ، وثرء ، كخسرو سواء بسواء .

« فلما استقر الملك بشیرین الجميلة ، صار بفضلها جيلا ، فقد سـعد — بعدلها — أفراد شعبها ، وتحرر المسجونون لأنها رفعت الظلم ، وألغت القوانين الجائرة ، في جميع أنحاء المـلـكـة ، وأسـعـطت الجزية عن الولايات التي تدين لها بالولاء ، كما أـهـمـلت أخذ الخراج من القرويين ، فأمن الجميع ، لأنها فضلت أن تظفر — من الدنيا — بالرضا والدعاء ، حتى عاش — بفضل عدلها — المصفر مع الصقر ، وشرب الذئب والشاة من مكان واحد ^(۲) » .

وبعد فراع شیرین من إرضاء شعبها ، أخذت تعمل على إسعاد قلبها ،

(۱) که چون شیرین ز خسرو باز پس ماند

دلش دربند وجانش درهوس ماند

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۱۷۰)

(۲) چو بر شیرین مقرر گشت شاهی فروغ ملک برمه شد زماهی

یا ناصافش رعیت شاد گشتند همه زندانیان آزاد گشتند

ز مظلومان عالم جور برداشت همه آیین جور از دور برداشت

زهر دروازه برداشت باجی نجست از هیچ دهقانی خراجی

مسلم کرد شهر وروستارا که بهتر داشت از دنیادعارا

ز عدلش باز باتیو شده خویش یک جا آب خورده گرگ بامیش

(المرجع السابق ، ص ۱۸۱)

فأخذت نساء القوافل عن أنبياء خسرو حتى علمت بجلوسه على العرش بعد زواجه من مريم ابنة القيصر، وأن « خسرو قد أقسم في بلاد الروم، ألا يعشق أو يتزوج امرأة أخرى (غير مريم) ^(۱) » .

وعزمت شیرین على أن تسمى هي للاقاء خسرو، فقررت أمور الدولة في يد أحد أتباعها، ثم ركبت حصانها، وتوجهت مع شاپور وبعض رجالها - صوب المدائن، ثم سارت - من هناك - إلى قصرها، وأقامت فيه، وحاولت أن تتحجج الفرص المناسبة التي تستطيع أن ترى فيها خسرو .

« وعلم خسرو أن معشوقته قد جاءت بالقرب منه، فأيقن أن الأمل في الاتصال بها صار وشيكاً، ولكنه كان يخشى مريم لأنها كانت تراقبه ليلاً ونهاراً ^(۲) » .

وساعد الحظ خسرو، فقد توفي في تلك الأثناء منافسه بهرام، فخلا الجوله ولو أنه لم يُسرَّ بموت خصمه، لأن الموت لاشماتة فيه، ولا فرح به، بل إنه أخذ يفكر في الموت والقضاء، كما أظهر الحزن على بهرام في صورة أبكت الغطاء. « وقد حزن على بهرام ثلاثة أيام، أهمل في أثنائها مظاهر الملك، ومجالس الشراب ^(۳) » .

ثم ترك الحداد في اليوم الرابع، فأقام حفلاً، غنى فيه « بآزبد » وكان

(۱) ملك را داده بد در روم سو کند که با کس در نسا زد مهرو پیوند

(نظامی: خسرو و شیرین ص ۱۸۲)

(۲) ملك دانست كامد يار نزديك بديد اميدرا در كار نزديك

ز مريم بود در خاطر هراسش که مريم روز وشب ميداشت پاشش

(المرجع السابق، ص ۱۸۳)

(۳) سه روز اندوه خورد از بهر بهرام نه با تخت آشنا ميشد نه با جام

(المرجع السابق، ص ۱۹۰)

يعرف مائة لحن ، فاختار منها ثلاثين ، غناها في ذلك الحفل ، ففحه الملك هدايا كثيرة^(۱) .

وحاول خسرو أن يهيء مريم لقبول فكرة إحضار شیرین إلى القصر ، فتحدث عنها أمامها ، ثم طلب منها أن يحضرها - على أن تكون تابعة لها - فرفضت مريم ، وهددت بالانتحار إذا دخلت شیرین القصر^(۲) .

ثم أرسل خسرو شاپور إلى شیرین ، ليلتمس منها الحضور إلى القصر - ولو لليلة واحدة - ولكنها رفضت ، وطلبت أن يحضر هو إذا كان يريد رؤيتها ، قائلة : « إذا كان هو صاحب مُلك ، فإن لي - أيضاً - تاجاً^(۳) » .

وكتبت شیرین خطاباً مفصلاً دعت فيه خسرو للحضور إلى قصرها ، ليعرف أحوالها^(۴) ، وتعجبت كيف يستطيع العاشق الصبر على فراق معشوقته ، « لأن الصبر بعيد عن طريق العشق ، فالصبور لن يكون عاشقاً^(۵) » .

وهنا يُدخل الشاعر عناصر جديدة في القصة ، فيبدأ عشق « فرهاد » . ويبدو فرهاد في صورة مهندس بارع ، صديق لشاپور ، الذي حاول أن يستعين به في تيسير نقل اللبن من مراعي الملك إلى قصر شیرین ، « ففي ذلك الوادي الجليل - الذي بُني فيه القصر - كان اللبن أشهى طعام ذاقتة شیرین ،

(۱) نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۱۹۰ - ۱۹۵

(۲) المرجع السابق ، ص ۱۹۵ - ۱۹۸ .

(۳) گر آورا دعوی صاحب کلاهیت مرانیز از قصب سربند شاهیت (المرجع السابق ، ص ۲۰۶) .

(۴) المرجع السابق ، ص ۲۱۰ - ۲۱۴ .

(۵) صبورى از طريق عشق دوراست

نباشد عاشق آنکس کو صبوراست

(المرجع السابق ، ص ۲۱۵)

فكان غذاءها المفضل ، الذي يرجح عندها مائة نوع من الحلوى ، ولكن المسافة - بين قصرها والمراعى - كانت بعيدة ، فكان إحضار اللبن إلى القصر شاقاً متعباً^(۱) .

وكان هذا هو السبب الذي جعل شاپور يفكر في وسيلة لإحضار اللبن إلى قصر شیرين ، ويستعين بفرهاد ، وانتهى الأمر بإرساله إلى شیرين ليتحدث معها في هذا الموضوع .

« فوقف فرهاد (يتحدث مع شیرين) من وراء حجاب ، وقد استعمل للعمل وشمّر عن ساعد الجلد^(۲) » .

« ولم يكذ فرهاد المسكين بسمع صوت شیرين العذب ، وكلامها الجليل ، حتى طار صوابه ، وهام بها حياً^(۳) » .

وقد طلبت شیرين منه أن يفكر في وسيلة لإحضار اللبن إلى قصرها ، فقالت له : « دبر شئون هذا القصر بمهارتك وفنك ، فالماشية بعيدة عنا ، ونحن في حاجة إلى اللبن ، فحاول أن تحضر اللبن بسهولة ، إن بيننا وبين الماشية فرسخاً^(۴) »

(۱) در آن وادی که جائی بود دلگیر

نخوردی هیچ خوردی خوشتر از شیر
گرش صدگونه حلوی پیش بودی غذاش از مادیان و میش بودی
از اوتا چارپایان دورتر بود ز شیر آوردن اُورا در دسر بود
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۲۱۵)

(۲) برون پرده فرهاد ایستاده میان در بسته و بازو کشاده
(الرجع السابق ، ص ۲۱۸)

(۳) ز شیرین گفتن و گفتار شیرین شده هوش از سر فرهاد مسکین
(الرجع السابق ، ص ۲۱۹)

(۴) « الفرسخ » ستة كيلو مترات .

أو فرسخين ، فيجب شق قناة في الصخور الصلبة ، حتى يحلب رعاتنا اللبن هناك ،
فيشرب خدمنا اللبن هنا ^(۱) » .

وأمر العشق فرهاد ، فنسى لسانه الجواب ، فقبل دون جدال ، وأظهر الطاعة
والإقياد .

وحاول أن يخفي عشقه ؛ ولكن أنباء تطايرت إلى خسرو ، فأحضره ، وطلب
منه أن ينجز ما كُلفَ به ، على أن يتنازل له عن حقه في شهرين ، إذا نجح
في إتمام العمل .

وكان خسرو يعلم أن شق قناة في الصخر أمر ليس بالهين اليسير ، كما كان
يشعر بمدى سيطرة العشق على قلب فرهاد ، فجعل شق القناة هو المهر الذي يقدمه
لشيرين ، إذا أراد أن يتزوجها .

وقبل فرهاد أن يقوم بالعمل ، ولم يلبث أن شرع في أدائه ، وعلمت شیرين
بذلك ، فذهبت لرؤيته وتشجيعه ، وتحدثت معه فازداد بها تعلقاً ، ولها عشقاً ،
« ووصلت حرارة العشق إلى رأسه فسكاد يحترق من شدتها ، وأصابته سهام الحب
قلبه ، فأثخنته بالجراح ، وهكذا تسبب هو في هلاك نفسه ، فامتلاً بلاء وتعباً ،
وزاد البلاء عن حده ، وجاوز التعب أقصى درجاته ، فكان يبكي من عشق شیرين
بكاء مرأ ، حتى انتشر صوت بكائه في جميع الأرجاء ^(۲) » .

(۱) زبانش کرد پاسخ را فرامشت نهاد از عاجزی بر دیده انگشت

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۲۱۹)

(۲) رسیده آتش دل در دماغش ز گرمی سوخته همچون چراغش

ز مجروحی دلش صدجای سوراخ روانش بر هلاک خویش گستاخ

چنان از عشق شیرین تلخ بگریست

که شد آواز گریش بیست در بیست

(المرجع السابق ، ص ۲۲۳)

وَأَحْسَ خَسِرُوا بِحَقِيقَةِ عَشْقِ فَرِهَادَ ، وَأَبْلَغَهُ الْوَاشُونَ « أَنَّهُ يَمْرُ عَلَى قَصْرِهَا مَرَّةً كُلَّ أُسْبُوعٍ ، فَيَسْلَمُ عَلَيْهَا ، وَيَسْعَدُ بِتَلْقَى الْجَوَابِ مِنْهَا ^(۱) » .

« وَحِينَئِذٍ سَمِعَ خَسِرُوا أَنْبَاءَ عَشْقِ فَرِهَادَ ، أَكَلَتْ الْغَيْرَةُ قَلْبَهُ ، وَصَارَ هُوَ وَفَرِهَادُ كَفَارَسَيْنِ يَتَصَارِعَانِ فِي مَيْدَانِ ، أَوْ بَلْبَلَيْنِ يَصْدَحَانِ عَلَى زَهْرَةٍ جَمِيلَةٍ (يَحَاوِلُ كُلُّ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَ حَبِيبَهُ أَكْثَرَ ، وَغَنَاؤُهُ أَغْزَبَ) ^(۲) » .

وَأَيُّقِنَ خَسِرُوا أَنَّ عِنْدَ فَرِهَادَ اسْتِعْدَاداً لِإِنْهَاءِ الْعَمَلِ الْمُسْكَافِ بِهِ ، فَصَمَّ عَلَى التَّخْلُصِ مِنْهُ « فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يَخْبِرُهُ كَذِباً - مِنْ شِدَّةِ الْحَسَدِ - أَنَّ شِيرِينَ قَدْ مَاتَتْ ، وَأَنَّ فَرِهَادَ لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ ^(۳) » .

وَهُنَا تَجَلَّى عَشْقُ فَرِهَادِ الْقَوَى الصَّادِقِ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ جَلِيَّةٍ ، فَلَمْ يَحَاوِلْ أَنْ يَتَبَيَّنَ مَبْلَغَ الصَّدَقِ فِيهَا وَصَلَهُ ، بَلِ اسْتَسْلَمَ لِلْحُزَنِ ، فَاسْتَبَدَّ بِهِ ، وَجَعَلَهُ يَفْكَرُ فِي الْإِتِّهَارِ لِمِلْحَقِ بِعَشْقِهِ ، فَأَخَذَ يَنَاجِي نَفْسَهُ قَائِلاً : « سَأَلْتَنِي بِشِيرِينَ بَعْدَ الْعَدَمِ ، وَسَأَسْرِعُ بِخَطْوَةٍ وَاحِدَةٍ نَحْوَ الْعَدَمِ ^(۴) » .

ثُمَّ أَتَى فَرِهَادَ بِنَفْسِهِ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ فَاتَ مُنْتَحِراً ، وَأَخْبَرَ خَسِرُوا بِمَا حَدَثَ « فَتَدَمَّى عَلَى صَنِيعِهِ ، وَلَامَ نَفْسَهُ عَلَى إِيْذَانِهِ لِلْغَيْرِ ^(۵) » .

(۱) كند هر هفته بر قصرش سلامی شود راضی چو بنیوشد پیامی

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۲۲۷)

(۲) ملك چون كرد گوش اين داستان را هوس دردل فروز آن دلستان را

دو هم میدان بهم بهتر گرانید دو بلبل برگلی بهتر سرایند

(المرجع السابق ، ص ۲۲۷)

(۳) بر آورد از سر حسرتی یکی باد که شیرین مرد و آگه نیست فرهاد

(المرجع السابق ، ص ۲۵۶)

(۴) بشیرین در عدم خواهم رسیدن بیک تک تا عدم خواهم دویدن

(المرجع السابق ، ص ۲۵۷)

(۵) پشیمان کرد شاه از کرده خویش و زان آزار گشت آزرده خویش

(المرجع السابق ، ص ۲۶۳)

وهكذا انقضى فرهاد بعد أن ضرب مثلاً في الوفاء، والإخلاص في الحب،
والتفاني في سبيل مَنْ يحب .

وقد حزن شيرين على وفاة فرهاد، فدفتته وأقامت له مأتماً؛ مما جعل خسرو
يرسل إليها خطاب تعزية مملوءاً بالتمنك والسخرية، قال فيه: «سمعتُ أنه - على
أثر موت الحبيب العاشق - قد أقیم مأتم بالقرب من قبره^(۱)» .

ثم خاطبها بقوله: «إنك لو جلستِ مائة عام على قبره، فلن تشاهدي
شخصاً أكثر منه - فناء»^(۲).

وشاءت الأقدار أن تموت مريم - زوجة خسرو - في تلك الأثناء، فأرسلت
شيرين خطاباً تهكمياً لتعزية خسرو - بنفس طريفته - قالت له فيه: «لماذا يخاف
الملك من أن تتوسد زوجته التراب وعنده عرائس أخريات ۱؟»^(۳)

وقد وصل خطاب شيرين إلى خسرو، فأعجبته عذوبة ألفاظها، وكان
يجلس في «طاقديس» وبشغل باحتساء الخمر، والبحث عن الجمال، فسمع
عن امرأة جميلة من أهل إصفهان، كانت تدهي «شكر»^(۴)؛ فأرسل إليها
وأحضرها إلى قصره، ثم تزوجها^(۵) .

(۱) شنیدم سکزپی یاری هوسناک بمأتم نوبی زد برسر خاک

(نظامی: خسرو و شیرین، ص ۲۶۳)

(۲) اگر صد سال برخاکش نشینی آزو خاکی تری کس را نبینی

(المرجع السابق، ص ۲۶۵)

(۳) عروس شاه اگر در زیر خاکست عروسان دگر دارد چه باکست ۱؟

(المرجع السابق، ص ۲۶۹)

(۴) «شکر» کلمة فارسية معناها «سكر» .

(۵) فرستاد از سرای خویش خواندش بآیین زناشوئی نشاندش

(المرجع السابق، ص ۲۸۵)

أما شیرین فقد ظلت وحيدة تحن إلى خسرو « وصار قلبها من الوحدة ضيقاً حرجاً ، كما لو كانت في صراع مع الدنيا ^(۱) » .

وأخيراً لجأت إلى الله لينقذها من حالتها ، وخاطبته قائلة : « إلهی : بَدِّل ليلي نهارةً ، وانصرني - كالنهار - على الدنيا . . إن عندي ليلاً حالساً لا يأمل في النهار ، فنورٌ وجهي ، وانصرني عليه كالشمس . . إن عندي غماً يُهلك الأقوياء . . فأعذني ، وانصرني على هذا الغم ... لقد ضقت ذرعاً بهذه البوتقة الضيقة ، فخلصني منها ، كما تخلص الجوهر الكريم من الحجارة ... يا من تجيب دعاء السائلين ، أجب دعائي . . لم أعد أحتمل وطأة المرض كثيراً ، فأغثنني يا غياث المستغيثين ^(۲) » .

ويبدو أن الله قد استجاب دعاءها ، فقد توجه خسرو إلى قصرها - بحجة الصيد - « فوقفت فوق سطح القصر ، وأطلت منه كالبدور ، وجعلت بصرها يتطلع إلى الطريق ، وأذنها تسمع طرق الباب ^(۳) » .

(۶) ز تنهای دل شیرین چنان تنگ که میکرد از ملالت باجهان جنک

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۲۹۲)

(۱) خداوندا شبنم را روز گردان چو روزم بر جهان پیروز گردان

شبنم دارم سیاه از صبح نو مید

درین شب رو سپیدم کن چو خورشید

غمی دارم هلاک شیر مردان برین غم چون نشاطم چیر گردان

ندارم طاقت این کوره تنگ خلاص ده مرا چون اهل ازین سنگ

توئی یاری رس فریاد هرکس بفریاد من فریاد خوان رس

ندارم طاقت تیمار چندین اغثنی یاغیاث المستغیثین

(المرجع السابق ، ص ۲۹۴)

(۲) پیام قصر برشد چون یکی ماه نهاده گوش بردر دیده بر راه

(المرجع السابق ، ص ۳۰۱)

« وحينما رأت شیرین خسرو مقبلاً سقطت على الأرض مغشياً عليها ، و بقيت فاقدة الوعي مدة ، فلما أفاقَت فسُكرت في أمرها ، وقالت في نفسها : إذا لم أرتبط اليوم بوثاقه ، فليست عندي طاقة لتحمل ألم فراقه ^(۱) » .

وقد اقترب خسرو من القصر فرأى شیرین « وأخذ يتحدث معها معتذراً ، متعلطاً ، مثنيّاً عليها ، سائلاً عن أحوالها ^(۲) » .

ثم طلب منها أن ترافقه إلى قصره ، ولكنها اعتذرت فرجع يائساً ، بينما أخذ شابور يسرى عنه قائلاً : « لا تغضب من عصبية مزاج شیرین المريضة ، لأن الحلوى مشهورة بالحرارة ^(۳) » .

« أما شیرین : فإنها أصبحت بعد فراق الملك حزينة مهمومة ، فأخذت تؤنب قلبها القاسى (وتنتقد تصرفها مع خسرو) ^(۴) » .

ثم ذهبت شیرین في إثر خسرو ، وأظهرت حبهاله ، وشوقها إليه ، في غزليات رقيقة قالتها « نكيسا » بلسان شیرین ، ورد عليها « باربد » بلسان خسرو ^(۵) .

(۱) چو شیرین دید خسرو را چنان مست زیای افتاد و شد یکباره از دست

ز بیهوشی زمانی بی خبر ماند بهوش آمد بکار خویش در ماند

که گر نگذارم اکنون در وثاقتش ندارم طاقت زخم فراقش

(نظامی . خسرو و شیرین ، ص ۳۰۲)

(۲) زبان بگشاد با عذر دلاویز ز پرسش کرد بر شیرین شکر ریز

(المرجع السابق ، ص ۳۰۶)

(۳) مرغ از گرمی شیرین رنجور که شیرینی بگرمی هست مشهور

(المرجع السابق ، ص ۳۴۵)

(۴) که چون بی شاه شد شیرینی دلتنگ

بدل بر میزد از سنگین دلی سنگ

(المرجع السابق ، ص ۳۵۰)

(۵) المرجع السابق ، ص ۳۵۹ - ۳۷۹ .

ولم تلبث شیرین آن قابلت خسرو طائفة مختارة . « فلما رأى الملك أن معشوقته قد صارت تابعة له ، وأنها خضعت لأمره ، ونفذت رغباته ، أكرمها ، وأعلى من قدرها ، فزين بها عرشه كما يزين التاج الرأس ^(۱) » .

ثم أحضر خسرو وشیرین إلى المدائن ، وتزوجها ، وخصها بكل حب وإعزاز ، وقال لرجال الدين وعظماء الدولة « إن شیرین قد صارت لى زوجة وصديقة ، وهى جديرة بكل حب أدلُّها به ^(۲) » .

وبعد الزفاف ، أخذت شیرین تنصح خسرو بعدم الانغماس فى اللذات ، وأشارت عليه بتعلم أصول الحكم ، والعمل على إسماعاد الشعب ، وتوفير سبل الراحة له ، حتى يلتف حوله ، فلا ينهار ملكه . وقد صور الشاعر ذلك فى قوله : « قبَّلت شیرین الأرض بين يديَّ الملك ، ثم قالت له : أيها الملك . أترك الترف بعض الوقت ، وانصرف إلى العلم . . . لقد اجتهدت كثيراً فى سبيل الحصول على اللذات ، لمحاول أن تنصرف - بكليتك - إلى إصلاح القلب ، ولقد عمرت العالم بالجزع والنعمة ، فكيف يمكن أن تخرب به بالظلم ^(۳) » .

كما نصحتته بأن يعمل للآخرة ؛ فقالت : « دبر وسيلة النجاة فى الآخرة ،

(۱) چوشه معشوق را مولای خود دید سر خود را بزیر پای خود دید

ز شادی ساختش بر فرق خود جای که شه راناج بر سر به که دیر پای

(نظامی : خسرو وشیرین ، ص ۳۷۹)

(۲) که شیرین شد مرا هم جفت و هم یار بهر مهرش که بنوازم سزاوار

(المرجع السابق ، ص ۳۸۶)

(۳) زمین بوسید شیرین کای خداوند ز رامش سوی دانش کوش یکچند

بسی کوشیده در کامرانی بسی دیگر بکام دل برانی

جهان را کرده از نعمت آباد خرابش چون توان کردن بپیداد

(المرجع السابق ، ص ۳۹۸)

واعلم أن في إثر الحىء إلى الدنيا الذهاب منها ، (فلا تحاول التكالب عليها) لأن الشخص الذى يجمع الذهب والفضة لا يستطيع تدبير أمر الآخرة ، واعتبر بالملوك الذين ماتوا قبلك ، فإنهم لم يحملوا معهم شيئاً من المال والملك ، فإذا كنزت المال فإنه سوف يؤذيك ، وإذا أنفقته فى الخير فسيكون زاد طريقك إلى الآخرة ^(۱) .
وآخر نصيح شيرين فى خسرو ، فاستدعى أستاذه « بزرك أميد » ، وطلب منه أن يعلمه العلوم المختلفة ، وأخذ يسأله عن الحركة الأولى ، وأجرام الكواكب ، والمبدأ ، والمعاد ، والخروج من الدنيا ، وخلود الروح ، وكيفية رؤية الجسم فى المنام ، وتذكر الحياة بعد الموت ، والهواء ، وحفظ الصحة عن طريق الاعتدال ، وكيفية خروج الروح من الجسد .

وقد أجابه « بزرك أميد » عن كل ما سأل ، فأفاد خسرو من ذلك فائدة عظيمة ^(۲) .

وفى تلك الأوقات كان رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم قد أرسل نفاس كافة بشيراً ونذيراً ، وأخذ يرسل رسله إلى الملوك والولاة ، ويدعوم إلى الدخول فى الدين الجديد ، مما جعله حديث الدنيا فى ذلك الوقت ، فاتهم خسرو فرصة وجوده مع أستاذه « بزرك أميد » وذكر الإسلام بشيء من الاستخفاف والاستهزاء ، فنصحه أستاذه قائلاً : « لاتهزأ أيها الملك بالدين العربى ، لأنه للدين الحق ؛ ولا يجب الاستهزاء بالحق ^(۳) » .

(۱) نجات آخرت را چاره گر باش درین منزل زرقتن با خبر باش
کسى کوسیم وزر ترکیب سازد قیامت را کجا ترتیب سازد
بین دور از تو شاهانی که مردند زمال و ملک و شاهی هیچ بردند ؟
بمانی . مال بد خواه تو باشد بیغشى . شحنة راه تو باشد
(نظامی : خسرو شیرین ، ص ۳۹۹)

(۲) المرجع السابق ، ص ۴۰۰-۴۰۴ .

(۳) مکن بازی شها بادین تازی که دین حق است و با حق نیست بازی .
(المرجع السابق ، ص ۴۰۵) .

« وأدرکت شیرین أن ذلک الأستاذ القدير قد فتح - لأملاك - باب كنز العلم ، فأنتت علیه . وقالت : أيها الشيخ القدير . إن عين الزمان لم تر عالماً مثلك ، فأعطاني نصيباً من العلم - إذا استطعت - كما فتحت لخسرو أبواب كنز الفضل .. فأفتح أمامي كنز العلم ، ولا تغفله ، واقرأ علی بعض الحکم من کتَاب کلیلة ودمنة^(١) . »

وقد قرأ « بزرگ امید » علی شیرین أربعين قصة من هذا الکتاب^(٢) .
ولکن المشاكل لم تلبث أن ظهرت فی وجه العاشقين ، فقد عشق « شیرویه » - بن خسرو من مریم - زوجة أبيه « شیرین » ، ثم تحالف مع عطاء الدولة ضد أبيه ، واستطاع - عن طريق الرشوة ، والمؤامرات - أن یجلس علی العرش ؛ ثم سجن أباه ، ولکن شیرین أصرت علی أن تكون زميلة خسرو فی السجن .

وحاول « شیرویه » بعد ذلک أن يتخلص من أبيه نهائياً ، فأرسل إلیه قاتلاً ليقنتله فی السجن .

وذهب القاتل فوجد خسرو نائماً بجوار شیرین ، فأيقظه ليدرك مصيره المحتوم .

وشعر خسرو بدنو أجله ، وأحس بحاجة شديدة إلی جرعة ماء ، « فقال

(١) چو شیرین دیدگان دیرینه استاد در گنج سخن بر شاه کشاد
نسا گفتش که ای پیر یگانه ندیده چون توئی چشم زمانه
چو برخسرو کشادی گنج گانی نصیبی ده مرانیز آرتوانی
کلیدی کن نه زنجیری در این بند فروخوان از کليلة نکته چند
(نظامی : خسرو شیرین ، ص ٤٠٥-٤٠٦)

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٦-٤١٠ .

فی نفسه أوقف شیرین من نومها الجلیل ، وأطلب شربة ماء^(۱) .

واسكنه ألق من هذا الخاطر خشية أن تجزع شیرین لرؤية ماسوف يحل به ، وأخذ يناجی نفسه قائلا: «حينما ترى شیرین ماسیصیبنی نتیجة للظلم والفساد سوف لاتنام مرة أخرى من شدة الحزن والحویل ، فالأفضل ألا أوقفها، فأموت أنا وهي نائمة . وهكذا مات هذا الوفی عطشا ، دون أن یوقف شیرین من النوم^(۲) .

» غیر أن شیرین استیقظت من نومها العذب ، بسبب غزارة الدماء التي تفجرت من جسم خسرو^(۳) .

فأخذت تندبه ، وتریق الدموع ، وتنهی خاتمة السیئة ، وحفظها العائر . ولم یلبث «شیرویه» أن أرسل إليها وخطبها لنفسه ، ومناها بأعذب الأمانی ، فظاهرت بالقبول علی أن یدفن خسرو ، وتدخل القبر فی أثناء دفن جثمانه ؛ وقد قبل شیرویه ما اشترطته .

فدخلت شیرین قبر خسرو ثم انتحرت مستعملة سكيناً ، فطعنت نفسها بنفس الطريقة التي قتل بها خسرو ، ثم ضمته إليها واضمة شفتيها علی

(۱) بدل گفتا که شیرین را زخوش خواب

کنم بیدار وخوام شریق آب

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۴۱۸)

(۲) چو بیند برمن این بیداد و خواری نخسبد دیگر از فریاد وزاری

همان به کین سخن ناگفته باشد شوم من مرده و آوخته باشد

بتلخی جان چنان داد آن وفادار که شیرین را نکرد از خواب بیداد

(نفس الرجوع والصفحة)

(۳) ز بس خون کز تن شه رفت چون آب

در آمد زکسی شیرین زخوش خواب

(المرجع السابق ، ص ۴۱۹)

شفتیہ ، وصاحت بأعلى صوتها معلنة أنها انتحرت ، لتسمع القوم ، وتعلمهم بأنها وضعت خاتمة لقصة حبها الخسرو ، وحبہ لها ، مما صورہ الشاعر فی قوله : « طعنت شیرین نفسها بسکین بنفس الطریقة التي طعن بها الملك من قبل ، فغسلت القبر بدمها الحار ، وأضافت جرحاً جديداً إلى جراح الملك ، ثم احتضنت معشوقها ، ووضعت شفتيها على شفتيه ، وكتفها على كتفيه ، وصاحت بأعلى صوتها - لیسع القوم قولها - وهی تقول : إن الروح قد ائتلفت مع الروح ، وإن الجسد قد اتحد مع الجسد ، فنجى الجسم من ألم الفراق ، ونجى الروح من قسوة الزمان ^(۱) » .

وقد أنهى الشاعر القصة بحديث عن ذم الدنيا ، وفناء العالم ، وتلاشى السعادة ^(۲) .

ثم تحدث عن موت زوجته مشبهاً إياها بشیرین ، ونصح ابنه الذى كان فى السابعة من عمره كما مر .

ثم أشار نظامی إلى رؤية خسرو للنبي فى المنام ^(۳) ، وإرسال الرسول خطاباً إليه ، كان نصيبه التزيق ، فدعا الرسول على خسرو بتمزيق مله كنه ؛ وقد استجاب

(۱) بدان آیین که دید آن زخم راریش هانجا دشنة زد برتن خویش
بهنون کرم شست آن خوابکه را جراحت تازه کرد اندام شه را
پس آورد آنکھی شه رادر اغوش لبش برلب نهاد ودوش بردوش
به نیروی باشد آواز برداشت

چنان کآن قوم از آوازش خبر داشت
که جان باجان وتن باتن به پیوست

تن از دوری وجان از داوری رست
(نظامی : خسرو شیرین ، ص ۴۲۳-۴۲۴)

(۲) المرجع السابق ، ص ۴۲۴-۴۲۸ .

(۳) المرجع السابق ، ص ۴۳۰-۴۳۴ .

الله الدعوة ؛ فضاع ملك العجم ، وسقط طاق من إيوان خسرو ، وتحطم معبر
دجلة من سيل ألم به . وصور نظامى ذلك كله فى صورة توحى بشماته وتشفيه ،
مستعملا نغمات تدل على فرحه بما حدث ، واعتباره من معجزات الرسول .

ثم أخذ فى مدح الرسول ، وتمجيده والإشادة بالأعمال الخالدة التى تمت على
يديه ، وكانت نتيحتها تحطيم دول الكفر ، وإخراج الناس من الظلمات إلى
النور^(١) . ثم وصف معراج الرسول^(٢) .

ثم أخذ الشاعر ينصح بضرورة اتباع العدل ، ونشر السلام ؛ فتحدث عن
للدنيا وما فيها من ظلم ، وتعجب من أمر الإنسان الضعيف الذى يصر على الظلم
- برغم ضعفه - فهو لا يكاد يفرغ من ظلم حتى يشرع فى ظلم جديد ، وشبّه بالطائر
المفترس الذى لا يكاد ينزع أظفاره من صيد حتى ينشأ فى صيد جديد . ثم
قال إن الظالم - فى رأيه - لا يظلم إلا نفسه ، لأن عدل الله موجود ، وقوته محيطة ،
ومشيئته نافذة . ولذا فهو يدعو إلى الإفلاع عن الظلم ، ونشر العدل والمحبة^(٣) .
وختم منظومته بالإشارة إلى تاريخ إتمامها ، مبيّناً أن اسمه سيظل - بفضلها -
حيّاً مخلداً^(٤) ، ثم ذكر ذم حساده^(٥) . ثم أشار إلى دعوة قزل أرسلان له ،
ووصف ما حدث^(٦) ؛ ثم رثى هذا الوالى ، ومدح خليفته أبا بكر بن أخيه « جهان
بهلوان »^(٧) . وبذلك تنتهى منظومة « خسرو وشيرين » .

(١) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٣٨-٤٤١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٤-٤٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤١-٤٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤٥-٤٤٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٦-٤٤٩ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٤٩-٤٥٨ . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

(٧) المرجع السابق ، ص ٤٥٨-٤٥٩ . وقد سبق ذكر شيء منه .

والواقع أن نظامى هو أول من نظم قصة « خسرو وشيرين » فى هذه الصورة ، ولكننا لانستطيع أن نحكم على عمله ، إلا إذا قارننا بين منظومته وبين ما نظمته سابقه الفردوسى - متعلقاً بخسرو وشيرين - فى منظومته « شاهنامه » ، فنجد هذا التصوير لعمل نظامى لنختم - هذا الباب - بمقارنة بينه وبين الفردوسى - فى كيفية تصويرها لهذه القصة - حتى يكون حكمنا صحيحاً صادقاً .

الفصل الثالث

مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي لفنن خسرو وشيرين

خصص الفردوسي جزءاً من الشاهنامه للحديث عن خسرو ، وقد شمل حديثه قصة « خسرو وشيرين » . ولكن تصوير نظامي لهذه القصة كان يختلف اختلافاً جوهرياً عن تصوير الفردوسي لها ، فقد كان كل منهما متأثراً بروحه هو ؛ فالفردوسي كانت روحه حماسية ، بينما كانت روح نظامي غنائية^(١) .

كما تأثر كل منهما بروح عصره ، وحاول أن يستجيب لها ، ويتلاءم معها .

فمصر للفردوسي كان يمجّد البطولة ، والانتصارات الحربية ، والغلبة على الأعداء ، فقد تميّز عصر السلطان محمود الغزنوي - الوالي الذي قدم الفردوسي له الشاهنامه - بالانتصارات الحربية ، لأن هذا السلطان غزا الهند مرات عديدة ، واستطاع أن يوطد نفوذ المسلمين فيها ، حتى سُمّي فاتح الهند ، كما اتخذت حروبه طابع الجهاد في سبيل الله ، وفي سبيل نشر دينه ، فن الطيبي أن يكون تمجيد البطولة ، والفتح ، والغلبة على الأعداء ، من الأشياء المحببة إلى قلوب الناس - في ذلك الوقت - وهذا يستلزم الشعر الحماسي .

أما عصر نظامي ؛ فقد رأينا أنه كان عصرراً إقطاعياً مملوءاً بالمنازعات المستمرة بين الدول والدويلات المختلفة ، كما لاحظنا أنه اتسم بروح الغدر ، وتدبير المؤامرات . وكان الدافع إلى هذا كله الرغبة في الظفر بالحكم ، والنفع الشخصي المادي ، فكان الولاة ، والأسراء ، والوزراء ، والعظماء يتطاحنون في سبيل الوصول

إلى الحكم والاحتفاظ بالنفوذ. مما جعل الناس يُعجِّدون السلم ، وينشدون الراحة والطأنينة ، فكان عملاً لا غناء فيه أن ينظم شاعر شعراً حماسياً ، في وقت غير وقته ، وظروف غير مناسبة له^(١) ، وقد تنبه نظامي لهذا ؛ فقال إنه اختار هذه القصة لتلائم هوى الناس في عصره^(٢) .

فروح كل من الشعارين - متأثرة بروح العصر الذي عاش فيه - قد أثرت في تناول كل منهما لقصة « خسرو وشيرين » وتصويره لمناظرها .

ولذلك وجدنا الفردوسي يحرص على تصوير « خسرو » في صورة ملك قوى ، وقائد مظفر ، يستطيع أن يكسب المعارك ، ويظفر بانتصارات باهرة ، ويوسع حدود دولته ، ويقضى على أعدائه .

فخسرو - عند الفردوسي - صورة لثراث إيران القديم ، ورمز من رموز مجدها ، وعظمتها ، وماضيها التليد ، الحافل بالمفاخر ، وجلال الأعمال ، وهو مثل واضح قوى للأكسرة في جلالهم ، وهيبتهم ، وقوتهم ، وغلبتهم ، ورفاهيتهم ، وملذذهم . وكان الفردوسي يتخذ من تمجيده لخسرو تمجيداً لأمته ، وتخليداً لتاريخها القديم .

أما نظامي ؛ فقد صَوَّر خسرو في صورة عاشق قد يخطئ ، وقد يصيب ، ولكنه يستطيع أن يموت كبطل .

ونظامي في هذا موضوعي^٣ ، بينما الفردوسي مثالي^٤ .

وطبيعي - تبعاً لهذا - أن نجد الفردوسي يهمل ناحية العشق إهمالاً يكاد يكون تاماً ، ويقصر همه على تصوير البطولة الحربية التي تميز خسرو بها .
ولاحظ نظامي ذلك فقال : « لقد أهمل الحكيم (الفردوسي) ناحية العشق ،

(١) I. Pizzi : Storia della Poesia Persiana, II, P. 195.

(٢) سبق ذكر البيتين اللذين سجل الشاعر فيهما سبب اختياره لقصة خسرو وشيرين ، وما يؤيدان مذهبنا إليه .

حینما عرض هذه القصة؛ لأنه كان في سن الستين، فبعد عن دائرة الشباب»^(۱).
 بینما جعل نظامی کل همه منصرفاً إلى تصوير ناحية العشق، مما جعله لا یبعد
 مقاله الفردوسی .

وقرر هو ذلك فقال: «لم أكرّر مقاله العالم (الفردوسی) قبل ذلك، لأن
 الحديث المعاد ليس جميلاً؛ فذكرت ناحية العشق، بعد أن شرح هو ناحية
 البطولة»^(۲).

ولذلك فإن شخصية شیرين من الشخصيات الثانوية عند الفردوسی، فالجزء
 الخاص بخسرو - في الشاهنامه - يكاد معظمه ينحدر من ذكر شیرين، أو مجرد
 الإشارة إليها^(۳).

وقد ذكر الفردوسی شیرين - لأول مرة - حينما أشار إلى زواج خسرو
 بـ «کردويه» أخت «بهرام چو بین»^(۴).

ثم أفرد لقصة «خسرو وشیرين» - بعد ذلك - مكاناً في نهاية الجزء
 الخاص بخسرو^(۵)، غير أن القصة كانت مختصرة، فكان المكان المخصص لها
 ضيقاً إذا قورن بما نظم من خسرو.

(۱) حکیمی کاین حکایت شرح کردست

حدیث عشق از ایشان طرح کردست

چو در شصت افتادش زندگانی خدنگ افتادش از شصت جوانی

(نظامی: خسرو وشیرين، ص ۳۳)

(۲) نگفتم هرچه دانا گفت از آغاز که فروخ نیست گفتن گفته راباز

در آن جزوی که ماند از عشقبازی سخن راندم نیت بر مرد غازی

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) فردوسی: شاهنامه، ج ۵، ص ۸۳-۲۵۵.

(۴) المرجع السابق، ص ۲۱۰.

(۵) المرجع السابق، ص ۲۲۵-۲۵۵. وقد ذكرها تحت عنوان «داستان

خسرو پرويز وشیرين» أي «قصة خسرو پرويز وشیرين».

وقد صور الفردوسی شیرین ، فی صورة إحدى صديقات خسرو فی وقت شبابه ، فقال : « كانت شیرین صديقة خسرو پرویز ؛ حينما كان شاباً غير هيّاب ، - وحينما كان والده حياً ، وكان هو بطلا - فكانت شیرین بالنسبة إليه كالعين المبصرة ، فلم يكن يحب - فی الدنيا - غيرها ، سواء من الفاتنات ، أو من بنات الملوك ^(۱) » .

فشیرین - عند الفردوسی - معشوقة خسرو فی وقت النزق والطیش ، وعدم المبالاة ، وهی فتاة سیئة الأخلاق ؛ مما جعل خسرو يهملها بعد تولّیه العرش ، فأخذت تحتال لرؤيته ، والتقرب منه ، ونجحت فی أن تریه نفسها - وهو فی طريقه إلى الصيد - فحنّ إليها ، وخفق قلبه لها ، فأعادها إلى قصره ، ثم تزوجها . غير أن هذا الزواج كان سبباً فی إثارة رجال الدين ، وعظماء الدولة ، فقاطعوها مجلسه - بحجة أنه تزوج امرأة ساقطة - واضطّرّ خسرو إلى مجادلتهم ، معترفاً بسوء أخلاقها ، وقائلاً إن اتّخاذها زوجة ، سوف يجعلها طاهرة نفیة ، وظلّ يجادلهم ، ويضرب لهم الأمثال ، حتى اقتنعوا ، وأقروا الزواج ^(۲) .

أما نظامی ، فقد جعل شیرین بطلة القصة ، فهی من الشخصیات الرئيسية فی المنظومة ، كما أضنى عليها ما یزهلها للبطولة ، فصورها فی صورة أميرة ، ثم ملكة ، وجعلها مثلاً للفتاة العفیفة التي تحافظ علی عفافها - إلى آخر لحظة - فتقبل أن تغضب معشوقها ، وتجعله یفادر ديارها ، ولا تقبل أن تستسلم له ، أو أن تفرط فی

(۱) چو پرویز بیباک بود وجوان پدر زنده وپور چون پهلوان
ورا در زمین دوست شیرین بدی بر او بر چو روشن جهان یق بدی
پسندش نبودى جز او در جهان ز خوبان واز دختران جهان
(فردوسی : شاهنامه ، ج ۵ ، ص ۲۲۶)

(۲) المرجع السابق ، ص ۲۲۶ - ۲۳۰ .

عفاها . كما لاحظنا ذلك حينما اختلى بها خسرو ، وحاول أن يستولى عليها ، فأبَتْ ، وجعلته يقادر بلادها إلى بلاد الروم .

فشيرين - عند نظامى - فتاة عفيفة ، تقدم العفة على كل شيء ، ولا ترى المشق يتنافى مع الفضيلة ، بل تراه حارساً لها ، وداعياً إلى التمسك بها .
وشخصيتها - من هذه الناحية - تختلف - عند نظامى - اختلافاً جوهرياً عن شخصيتها عند الفردوسى .

وكما حرص نظامى على تصوير شيرين فى صورة راعية للفضيلة ، فقد جعلها تضرب أروع الأمثلة فى الوفاء ، والإخلاص ، والتضحية ، فصور فى منظومته كيف ظلت شيرين وفية إلى آخر لحظة من حياتها ، كما ظلت مخلصه فى حبها ، فلم تنقض العهد أبداً ، ولم تحاول أن تحب شخصاً غيره ، حتى فى الأوقات التى تزوج خسرو - فيها - غيرها ، كما عبّرت عن وفائها وإخلاصها بعد قتله ، فلم تنزوج غيره ولم تحتفظ . حتى بالحياة ، بل آثرت أن تلتحق بمن أحببت ، لتقاسمه القبر بعد موته ، كما قاسمته العيش فى حياته .

ورغم أن الفردوسى قد أظهر شيرين فى صورة الوفاء ، وقرر أنها انتحرت لتلتحق بمن أحببت ، إلا أن نظامى قد عبر عن هذا الوفاء بصورة أبلغ وأروع ، فقد رأيناها - فى منظومته - أسرع إظهاراً لوفائها وإخلاصها ، فلم يكذب خسرو يُقَتَل ، ويُحْمَل لِيُدفن حتى قتلت نفسها - فى قبره - بسكين ، وبنفس الطريقة التى قتل هو بها ، لىكى توسد التراب فى نفس الوقت الذى وسد هو فيه . بينما نلاحظ - فيما نظمه الفردوسى - أن شيرين لم تنصر بهذه السرعة ، وإنما انتحرت بعد ثلاثة وخمسين يوماً من مقتل خسرو^(١) ، حينما حاول «شبرويه» أن يتخذها زوجة له ، فاشترطت عليه شروطاً منها أن يفتح قبر خسرو لتزوره ، ثم سمّت نفسها

(١) فردوسى : شاهنامه ، ج ٥ ، ص ٢٧٨ .

داخل القبر؛ مما صورته الفردوسی فی قوله : « شربت سُماً مهلكاً ، یكفی للقضاء علیها ، ثم جلست بالقرب من الملك المسجی ، وقد لفت جسمها بلباس فیہ رائحة للكافور ، وأسندت ظهرها إلى حائط القبر ، ثم ماتت ، فاستحقت بموتها الثناء من الدنيا ^(۱) » .

أما تضحية شیرین فقد ظهرت فی منظومة نظامی بصورة رائعة ، فرأيناها تضحي بكل شيء - حتى بعرشها - فی سبیل معشوقها ، بينما هی - عند للفردوسی - أنانية ؛ دفعها أنانيتها إلى قتل منافستها « مریم » - بنت قيصر الروم - حتى لا تشاركها الحياة مع خسرو .

فقد ذكر الفردوسی أن خسرو تزوج شیرین بينما كانت زوجته الأولى مریم لا تزال علی قيد الحياة ، وأن شیرین حققت علیها ، فدست لها السم ، مما صورته فی قوله : « كانت شیرین فی حزن دائم - بسبب وجود مریم - وكان لون خديها أصفر - من شدة الحسد - فأنتهى الأمر بأن دست شیرین لها السم ، فانت تلك الفتاة الجميلة - التي كانت من نسل قيصر الروم - ولم تطالع شیرین أحداً علی تلك المؤامرة ، فقد احتفظت هی - وحدها - بسرها ^(۲) » .

ثم بین الفردوسی أنها كانت تهدف - بمؤامرتها - إلى أن تصبح زوجة

(۱) هم انگاه زهر هلاهل بخورد ز شیرین روانش بر آورد کرد
نخسته بر شاه پوشیده روی به تن دریکى جامه کافور بوی
بدیوار پشتش نهاده و ببرد ببرد وزگى ستایش ببرد
(فردوسی : شاهنامه ، ص ۲۸۳)

(۲) ز مریم همی بود شیرین ببرد همیشه ز رشکش دور خاراه زرد
بفرجام شیرین بدو زهر داد شد ان دختر خوب قيصر نثراد
از ان چاره آ که بند هیچکس که اوداشت آن راز پنهان وبس
(المرجع السابق ، ص ۲۳۰)

خسرو المفضلة ، فقال ^(١) : « ولما انقضى عام على وفاة مريم ، أسكن خسرو شيرين في الحجرة الذهبية ^(٢) » .

ولم يذكر نظامى هذه المؤامرة ، وإنما قرر أن شيرين لم تتزوج خسرو إلا بعد وفاة مريم .

وهكذا نلاحظ فرقاً واضحاً بين شخصية شيرين فيما نظمها الفردوسى ، وبين شخصيتها في منظومة نظامى .

فالفردوسى قد صورها في صورة تدعو إلى الازدراء ، فجعلها فتاة فاسدة الخلق أنانية .

أما نظامى ؛ فأضفى عليها كل صفات البطولة ؛ من عفة ، ووفاء ، وإخلاص ، وتضحية ، وصورها في صورة توحى بالإعجاب ، وتبعث على الاحترام ؛ مما جعل خسرو يعتز بها بعد أن تزوجها ، ويعتبرها مثالا للزوجة الصالحة ، فلم يخجل من زواجها ، ولم يحاول أن يقنع رجال الدين والعطاء بصلاحياتها كزوجة ، ولم يهملها وينسها ، فوجدناه يلجأ إلى ديارها - كلما دُبِّرَتْ له المكائد - سواء في حياة أبيه أو بعد عزل أبيه وقتله ، كما وجدناه يذكرها بعد انتصاره على « بهرام چوبين » وجلسه على العرش ، وزواجه من « مريم » ، ويرسل إليها مراراً ، ثم يذهب إلى قصرها بحجة الصيد أملاً في رؤيتها ، والاتصال بها .

وهذه الصورة لخسرو - عند نظامى - تختلف كثيراً عن صورة الفردوسى التي عرضناها .

(١) چوسالى برآمد که مريم بمرد شهبستان زرین بشيرين سپرد

(فردوسى : شاهنامه ، ج ٥ ، ٢٣٠)

(٢) المقصود بالحجرة الذهبية الحجرة الخاصة بالملكة ، أى الزوجة الأولى المقدمة على غيرها ، والشاعرية قصد بقوله هذا أن شيرين أصبحت - بعد موت مريم - زوجة خسرو الأولى ، أى صارت ملكة ، حققت بذلك هدفها الذى سعت إليه ، ودبرت قتل مريم في سبيل بلوغه .

وما لاحظناه في تصوير نظامي خسرو وشيرين نلاحظه في تصويره لشخصية « فرهاد » المبتكرة ، فقد صور الشاعر هذه الشخصية في صورة جملة من صاحبها بطلا ، يحتل مكاناً بارزاً في القصة ، ويبدو قريباً ومنافساً خطراً لخسرو ؛ بل إن الشاعر أضفى على « فرهاد » كل صفات البطولة التي أضفاها على « شيرين » ؛ من إخلاص ، ووفاء ، وتضحية بكل شيء - حتى بحياته - في سبيل من يحب ؛ في صورة تدعو إلى العطف والتقدير .

وشخصية فرهاد شخصية مبتكرة - كما قلنا - خلقها نظامي ليكسب القصة عنصر الطرافة ، والتشويق ؛ عن طريق خلق المشاكل والمواقف الدقيقة ، وعقد المقارنات بين الشخصيات المتباينة .

ولم يشر الفردوسي إلى فرهاد في قليل أو كثيراً ، ولم يذكر اسمه فيما نظمه عن خسرو وشيرين ؛ فكان ما نظمه عن هذه القصة سرداً للحوادث دون إعطائها الإطار الفني ، أو حبكها الحبكة الفنية التي تستلزمها القصة .

وهكذا نلاحظ أن تصوير نظامي لشخصيات القصة ، ومناظرها المتنوعة ، يختلف - عن تصوير الفردوسي - اختلافاً جوهرياً .

وفضلاً عن الفرق الشاسع الذي يُوجد بين الشاعرين - من هذه الناحية - فإننا نلاحظ أن منظومة نظامي فيها كل مقومات تأليف القصة « الرومانتيكية » ؛ من اختيار الفكرة التي تقوم عليها ، وخلق المشاكل ، وحسن التصوير ، وتنوع المناظر ، والجدة ، والابتكار ؛ وهي عناصر معدومة - أو كالمعدومة - فيما نظمه الفردوسي .

وقد أحسن نظامي اختيار الفكرة ، فالحب من الموضوعات الإنسانية ، وهو وثيق الصلة بالنفس البشرية - في كل زمان ومكان - خصوصاً في الصورة التي حرص نظامي على إبرازها ، وهي صورة الحب الطاهر الذي يرمي الفضيلة ، ويرفع للقيم الأخلاقية ، ويسمو بالنفس البشرية ، ويتطلع إلى مثل أعلى : هو

الزواج ، ويظل بعد الزواج ليوجه العاشقين إلى الخير ، ويُبصِّرهما بطريق السعادة الدنيوية والأخروية .

كما أحسن نظامى خلق المشا كل ، وحسن التصوير ، وتنوع المناظر ، مع الجدة والابتكار ، فأدخل فى القصة عنصر الطرافة والتشويق ، فوجدناه يقارن بين شخصيات القصة ، ويوجد شخصيات متناقضة ليظهر الفرق - بينها - واضحاً . فقد قارن بين شخصية فرهاد وشخصية خسرو ؛ فالأول عاشق مخلص يتفانى فى حبه ، ويحاول أن يتحد مع معشوقته ولو بعد الموت . بينما الثانى عاشق ينظر إلى المرأة على أنها متعة ، فلا يكتفى بواحدة بل يتزوج الكثيرات ، وهو أنانى لا يتورع عن إلحاق الضرر بالغير - فى سبيل ملذاته - كما فعل مع فرهاد ، فقد قاده إلى القتل ليتلخص منه ، فيخلو - له - الجو دون مفازع .

كما قارن بين شخصية شيرين ، وشخصية خسرو ؛ فقد نقلها من شخصية ثانوية - عند الفردوسى - إلى بطولة القصة ، وجعلها ألمع شخصية فيها ، وأضفى عليها شيئاً كبيراً من الأهمية ، جعلنا نشعر بالإعجاب بشخصيتها ، والتقدير لنبلها . ويبدو أن الشاعر فعل ذلك ليقارن بينها ، وبين خسرو ، فقد أصبحت - بهذه الصورة - على النقيض من خسرو ، خصوصاً فيما يتعلق بالمحافظة على العفة والشرف ؛ كما أصبحت تمتلك صفات الإنسانية التى تؤهلها للبطولة ، وتجعلها أسمى وأنبى من خسرو ؛ فوجدناها تحب الشعب ، وتسهر على راحته ، وتنصح خسرو بتعلم أصول الحكم الصالح ، ورعاية العدل والإنصاف ، حتى يظفر بحب الشعب ، ورضا الله .

وفضلاً عن هذا كله ، فإنه يبدو من دراسة منظومة نظامى أن له مذهباً خاصاً فى نظم مثل هذه القصص ، فقد حاول الشاعر أن يتخذ القصة وسيلة لتسجيل آرائه ، وما يدعو إليه ؛ فقد كان يؤمن بضرورة الإصلاح الخلقى ، وتطهير النفوس حتى تترفع عن الحقد والحسد ، وتجنب إيذاء الناس ، وتتطلع إلى المثل العليا .

وكان يدعو - في شدة وتحمس وإصرار - إلى ترك الظلم ؛ لأنه غير مأمون .
المواقب ، فقد يعود على صاحبه بشر مستطير . كما كان ينادى باتباع العدل ،
والتزام الإخلاص ، والتمسك بالوفاء ، ويندد بمن يخالفون هذه الدعوة ، ويحذرم
من غدر الدنيا ، وفنائها .

وقد جهر بهذه الدعوة في منظومته الأولى « مخزن الأسرار » ، ورددها في
منظومته الثانية « خسرو وشيرين » - كما رأينا - وسيردها في كل منظوماته ،
كما سيأتى .

ولذلك فقد حاول الشاعر أن يتخذ من منظومته « خسرو وشيرين » ميداناً
يعرض فيه آراءه ، ويردد فيه دعوته ، وذلك عن طريق إنطاق بعض شخصيات
القصة بما يؤمن به ، ويدعو إليه ، أو إظهار بعضها في الصورة التي يتماها ،
كإظهار شيرين في صورة راعية للعفة ، وداعية للأخلاق والفضيلة ، أو إظهار
فرهاد في صورة مثلي للوفاء والتضحية ، وهكذا .

كما أن هناك ظاهرة جديرة بالملاحظة ، وهى أن الشاعر قد أظهر العاشقين
في حالة انتقال - من جهة إلى أخرى - وسفر - من مكان إلى آخر - فـ كل
منهما يبحث عن صاحبه ، ويلجأ إلى ديار معشوقه . والطريف أن الواحد منهما
لا يكاد يسعى للقاء صاحبه ، ويتخذ طريقه إلى الجهة التي يقيم فيها ، حتى يفادر
هذا صاحب مكانه لسبب من الأسباب ؛ فظل العاشقان في حركة دائمة .

وهذه ميزة انفرد بها نظامى ، فلم نجدها عند الفردوسى ، وقد أكتسبت القصة
نوعاً من الحيوية ، وجعلتها طريقة مشوقة .

كما بدا نظامى - في هذه القصة - في صورة عالم نفسى ، فأحسن تحليل
شخصيات أبطال القصة ، ولذلك أن يقارن بينها . وهذه الميزة ليست واضحة عند
الفردوسى .

ومن الملاحظ - أيضاً - أن عاطفة نظامى الإسلامية طفت على عاطفته

الوطنية الإيرانية ، فقد طرب لمرزق ملك خسرو ، وانهيأه ، واعتبر ذلك من معجزات رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، وهذه ظاهرة سناحظها في منظوماته الأخرى .

وهو في ذلك عكس الفردوسى تماماً ، فقد كانت عاطفة الفردوسى الوطنية مشبوبة ، فتعصب لوطنه ، وحاول أن يعلى من شأنه ، وأن يمجّد مفاخره ، ويخلد ماضيه ، ويتخذ من ملوك الفرس القدماء رمزاً لهذه المفاخر ، ودليلاً على عظمة الماضى وروعته ، ورفعة شأن وطنه .

ولعلّ هذا هو السبب في ظفر الفردوسى بحب الإيرانيين ، وتمجيدهم ؛ إلى درجة لا يتسامى إليها نظامى ، بل ولا يصل إليها شاعر إيراني آخر .

وامل هذا هو السبب - أيضاً - في عدم الاهتمام بدراسة نظامى ، وعدم محاولة إظهار مكانه بين شعراء الفارسية ، رغم تميزه في فن القصة ، وفن المتنوى ، وفي اتخاذ الشعر وسيلة للدعوة إلى نشر الفضيلة ، وإصلاح المجتمع .

ومهما يكن من شيء ، فإن قصة « خسرو وشيرين » - في الصورة التى أخرجها نظامى - تعتبر جديدة مبتكرة ، وإن الطريقة التى نُظِّمَتْ بها - لتعتبر جديدة في نظم القصص بالفارسية في تلك الأوقات . وقد يكون لإمام نظامى بثقافات مختلفة أثر في انتهاج هذه الطريقة .

ولعلنا - بعد هذه الدراسة المقارنة - نستطيع أن نقرر أن نظامى هو أول من نظم قصة « خسرو وشيرين » في هذه الصورة . فقد رأينا أن تناوله لها يختلف اختلافاً جوهرياً عن تناول الفردوسى ، لأنهما اختلفا في تصوير مناظر القصة ، وترتيب حوادثها ، وفي المحور الذى تدور حوله ، وفي الإطار الفنى الذى يضم كل هذه الأشياء .

فليس من الإسراف - إذاً - أن نصدر هذا الحكم ، فنعتبر نظامى أول من أخرج حب « خسرو وشيرين » في صورة قصة « رومانتيكية » .

وحاول كثير من الشعراء تقليده ، ونذكر - على سبيل المثال - ممن قبلوه من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوی المتوفى في عام ۷۲۵ هـ ، وهاتفي المتوفى في عام ۷۱۹ هـ . وقد نظم كل منهما القصة تحت عنوان « خسرو وشيرين » . كما نذكر وحشى للسكرماني المتوفى في عام ۹۹۱ هـ ، وعرفى الشيرازي المتوفى في عام ۹۹۹ هـ ، ورفيعي المولود - في خراسان - في عام ۹۴۲ هـ . ونظم كل منهم القصة تحت عنوان : « فرهاد وشيرين » ، ونذكر آهي المتوفى في عام ۹۲۳ هـ . وقد نظمها تحت عنوان « شيرين وپرويز » . وإذا تركنا شعراء الفارسية إلى شعراء التركية نجد كثيراً منهم قد نظم القصة مُقلِّدًا « نظامي » ؛ ونذكر منهم - على سبيل المثال أيضاً - لامعي المتوفى في عام ۹۳۸ هـ . ونظم القصة تحت عنوان « فرهاد وشيرين » . وهذا يدل على مدى ما أحدثته منظومة « نظامي » من صدى في الميدان الشعري .

وقد تأثر هؤلاء الشعراء - جميعاً - بما ورد في هذه المنظومة ؛ فقلدوا « نظامي » ، واقتبسوا مما ذكره ، وحاولوا تقليد طريقته . ولعل أوضح مثل لذلك أمير خسرو الدهلوی ، الذي تأثر - في منظومته - بنظامي - إلى حد كبير - سواء في البحر الذي نظم فيه القصة ، أو في ذكر الوقائع وتسلسلها ^(۱) .

* * *

ونكتفي بهذا القدر عن منظومة نظامي الثانية « خسرو وشيرين » ، لندرس منظومته الثالثة « ليلي ومجنون » .

(۱) M. Wahid Mirza : The life and works of Amir Khusrau, pp. 196- 198.

البطال الثالث

منظومة «ليلى ومجنون»

الفصل الأول

دراسة مول منظومة « لیلی و مجنون »

شرع نظامی فی نظم « لیلی و مجنون » فی عام ۵۸۴ هـ ، بناء علی طلب اخستان ابن منوچهر ، حاکم شروان .

وقد نظمها فی بحر المزج المسدس ؛ وتشتمل المنظومة علی ۴۰۰ بیت تقریباً . وقصة « لیلی و المجنون » قصة حب - قصة « خسرو و شیرین » - یمثل دور البطولة فیها بطلان ، هما : قیس بن الملوح مجنون بنی عامر ، ومعشوقته لیلی . وأتم الشاعر نظم هذه القصة فی نفس العام - الذي بدأ فیہ نظمها - ویبدو أنه فرغ من نظمها فی مدة وجيزة ، لم تتعدَّ أربعة أشهر ؛ مما نتبَّه من قوله : « نظمتُ أكثر من أربعة آلاف بیت فی أقل من أربعة أشهر ، ولولا الاشتغال بأعمال أخرى ، لمت فی أربع عشرة ليلة ^(۱) » .

ولذلك ؛ فقد تمت المنظومة فی عام ۵۸۴ هـ . وسجل للشاعر هذا التاريخ فی قوله : « زُیِّدَتِ المنظومة - فی أبهى صورة - فی آخر رجب من العام الرابع والثمانین بعد الخمسمائة ، وهو التاريخ الذي تمت فیہ ، وبساوی مجموع (ث ، ف ، د ^(۲)) بحساب الجمل ^(۳) » .

(۱) این چهار هزار بیت أكثر شد گفته بیارماه کمتر
کر شغل دکر حرام بودی در چارده شب تمام بودی
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۲۹)

(۲) مجموع (ث ، ف ، د) - بحساب الجمل - يساوی ۵۸۴ .

(۳) آراسته شد به بهترین حال در سلیخ رجب به تی وفي دال
تاریخ عیان که داشت باخود هشتاد و چهار بعد پانصد
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۲۹)

وهذا التاريخ متفق عليه بين جميع الباحثين .
غير أن هناك تاريخاً آخر - ذُكر في آخر المنظومة - يدل على أنها تمت
بصفة نهائية في عام ٥٨٨ هـ ؛ حيث قال الشاعر : « انتهت - بفضل الله -
الواحد القهار - في يوم الاثنين ، بعد أن انقضت ثمانية وثمانون وخمسة عام
على هجرة الرسول ^(١) » .

ويمكن أن نقبل التاريخين ، رغم أنهما مختلفان ، لأننا لاحظنا أن الشاعر
كان يضيف بعض القطع إلى منظوماته - أحياناً ، خصوصاً إذا كانت القطعة المضافة
تتصل بالشاعر ، أو بأحد عمدوحيه ، وقد فعل ذلك في منظومته السابقة « خسرو
وشيرين » ؛ فأضاف إليها وصف زيارته للأتابك « قزل آرسلان » ، كما أضاف
إليها قطعة في رثاء هذا الأتابك ، وأخرى في مدح خليفته « نصرة الدين أبي بكر » .
وكان ذلك بعد إتمامها بخمس سنوات .

فمن الجائز أن الشاعر قَعَلَ في منظومة « ليلي ومجنون » ما فعله في « خسرو
وشيرين » ، فأضاف إليها بعض القطع ، بعد إتمامها ببضع سنوات .
ويبدو أن القطعة التي نصح الشاعر فيها ابنه ، وصَرَّحَ فيها بأن هذا الابن
في الرابعة عشرة من عمره ^(٢) ، قد نظمها في عام ٥٨٨ هـ ، لأن ابنه كان في نهاية
« خسرو وشيرين » . في السابعة من عمره ، فطبيعي أن يبلغ الرابعة عشرة في
عام ٥٨٨ هـ ؛ بل إن هذا من الأسباب التي تجعلنا نقبل هذا التاريخ .

وأغلب الظن أن الشاعر أنتم نظم قصة « ليلي ومجنون » وقدمها لحاكم
شروان في عام ٥٨٤ هـ ، ثم أضاف إليها قطعاً في النصح ، وفي مدح هذا الحاكم ،

(١) در روز دوشنبه آمد آخر از لطف خدای فرد قاهر

یا نصد هشتاد و هشت بر سر بگذشته ز هجرت یمبر

(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ٢٧٤)

(٢) سبق إيراد هذه القطعة والتعليق عليها ، فيما سبق .

فی عام ۵۸۸ هـ ، و ختم المنظومة بصفة نهائية .

* * *

أما أخستان بن منوچهر حاکم شروان الذی قُدِّمَتْ المنظومة له ، فقد قیل .
إنه کان من نسل بهران چوین ، القائد الإیرانی الذی ثار فی وجه « خسرو
برویز » کما مرّ .

و یبدو أن هذا الحاکم هو الذی طلب من الشاعر نظم القصة ، لأنه
قال : « جاء فی رسول یحمل أمر الملك الذی کتبه بخطه الجلیل ، و کان مکوّنًا
مما یقرب من خمسة عشر سطرًا ، بأسلوب جمیل جمال الزهر المونع ، متلألئ
تلاؤ البدر ، (و کان یقول فیہ) : یا تابی الأمین . . یا نظامی . . یا ساحر
الکلام فی العالم . . استیعظ رغم حلاوة نسیم السّحر ، وهیّ : من الکلام
سیخرًا آخر ، وأظهر ما عندک من فصاحة فی فن النظم الجلیل ، لأنّی أرید أن
تنظم الکلام کالدّر المکنون ، فی ذکر عشق المجنون ^(۱) » .

کما طلب الحاکم من الشاعر أن یجوّد القصة ، و یخرجها فی صورة رائعة
جميلة ، مما صوره الشاعر فی قوله : « إن هذه القصة ترّجّح ألف قصة ، فزیّنها
بنظّمک الجلیل . . . إنها ملسکة قصص العشق جمیعها ، فیحسن أن تتفنّن .

(۱) در حال رسید قاصد از راه آورد مثال حضرت شاه

بنوشته بخط خوب خویشم ده پانزده سطر نقر بیشم

هر حرفی از او شکفته باغی افروخته تر ز شب چراغی

کای محرم حلقه غلامی جادو سخن جهان نظامی

از چاشنی دم سحر خیر سحری دگر از سخن برانگیز

در لافگه شکفته کاره بنای فصاحتی که داری

خواهم که بیاد عشق مجنون رانی سخنی چو در مکنون

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۲۵) .

فی نظمها^(۱) .

وأظهر نظامی تحمیه بعد قراءة خطاب الحاکم ، فلم یکن یجرؤ علی مخالفته ،
وبین أن ابنه أشار علیه بامثال أمر الحاکم ، ونظم القصة ، بما صورہ قائلاً
هل لسان ابنه : « حينما نظمت قصة خسرو وشیرین ملأت قلوب الناس سروراً ،
فیجب أن تنظم قصة لیلی والمجنون ، حتی تصبح لديك جوهرة تان ثمينتان^(۲) » .

ویدو أن ما ذكره الشاعر من عدم رغبته فی نظم القصة ، وإشارة شخص
آخر - کابنه - علیه بنظمها ، ثم قبوله بعد التردد ، إنما هو من خلق الشاعر ، لیضفی
علی عمله شيئاً من الأهمية ، ویلفت الأنظار إلیه ، ویلتمس لنفسه العذر فی نظم
قصص العشق رغم زهده وتحنفه .

وقد فعل هذا من قبل ؛ فأشار إلی عاتب عتب علیه حينما شرع فی نظم قصة
« خسرو وشیرین » ، كما سنراه یفعله فی منظوماته الأخری ، فیشير إلی أن هاتفاً أتاه
ونصحه بنظم القصة ، أو یذكر أن « الخضر » جاء إلیه ، وأشار علیه بما فعل ، وهكذا .

وأ کبر الظن أن الشاعر أراد أن یبرر عمله ، ویظهر مبلغ قدرته وبراعته فی
تصویر مناظر کل قصة من القصص التي نظمها ، رغم صعوبتها .

ویمارِج مآذنباً إلیه أن ابن نظامی کان صغیراً - فی الوقت الذي بدأ الشاعر
فی نظم قصة « لیلی ومجنون » - فمن المستبعد أن یشیر علیه بشيء .

كما أن نظامی أشار إلی صعوبة نظم هذه القصة ، لأنها غیر مألوفة لديه ،

(۱) بالای هزار عشق نامه آراسته کن بنوک خامه

شاه همه حرفهاست این حرف شاید که دراو کنی سخن حرف

(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ۲۵)

(۲) خسرو شیرین چو یادکردی چندین دل خلق شاد کردی

لیلی مجنون بیایدت گفت تا گوهر قیمتی شود جفت

(المرجع السابق ، ص ۲۶)

وأظهر خوفه من الفشل ، لعدم توفر مادة القصة عنده ، في حين أنه - بعد موافقته - ، لم يستغرق - في نظمها - أكثر من أربعة أشهر ، وقال إنه لو لم يكن مشغولاً بأعمال أخرى لأكملها في أربع عشرة ليلة ، رغم أنها أربت على أربعة آلاف بيت ، مما يرجح أن تمتع الشاعر لم يكن لعدم وجود مادة القصة ، أو صعوبة نظمها ، وإنما كان تبريراً لموقفه ، وهي طريقة درج عليها في كل منظومة .

* * *

ومن المرجح أن الشاعر قد أرسل منظومته مع ابنه الصغير ، لأنه مدح الحاكم^(١) وابنه ، وبين أنه فعل ذلك تحقيقاً لرغبة ابنه الذي طلب منه أن يقدمه لولى عهد الحاكم ، وصور ذلك في قوله على لسان ابنه : « قدّمنى لولى عهدك اليوم ، فكلانا حديث السن ، في مدرسة الحياة^(٢) » .

وشبه الشاعر منظومته بابنته ، وصور اعتزازها بها ، فقال : « اعلم أن هذه للعروس المهداة لم تخلق في عهد من العهود ، فإذا لم تلتفت إلى أبيها ، فينبغي أن ترعى أخاها^(٣) » .

غير أننا لا نعلم ماجئها الشاعر من ثمار عمله ؛ لأنه لم يشر إلى شيء من ذلك في شعره ؛ وإن كان يبدو عجبياً أن يطلب الحاكم منه نظم القصة ، ثم لا يثبته على عمله .

* * *

ونكتفي بهذه الدراسة حول المنظومة ، لندرس المنظومة نفسها ؛ فنعرض قصة « ليلي والمجنون » كما صورتها نظامى ، ثم نقارنها بالأصل العربي الذى استمدت منه .

(١) نظامى: ليلي ومجنون، ص ٣٠-٣٨ . وقد سبق عرض صور من هذا المدح .

(٢) بسپار مرا بهدش امروز کونوقلم است ومن نو آموز

(نظامى : ليلي ومجنون ، ص ٣٨)

(٣) دانی که چنین عروس مهدی ناید زقران هیچ عهدی

کر در پدرش نظر نیاری تیمار برادرش بداری

(المرجع السابق ، ص ٣٩)

الفصل الثانی

قصه لیلی و مجنون کا صورتِ نظامی

بدأ الشاعر منظومته « لیلی و مجنون » بمقدمته التقليدية عن التوحيد ، ونعت الرسول ، ثم تحدث عن سبب نظم القصة ، ومدح الملك وابنه ، وإيداع ابنه لديه ، ثم أعقب ذلك بنصيحة ابنه محمد ، وذكر من توفى من أفراد أسرته ، وختم المقدمة بالنصح بالقناعة ، وترك التذلل ، والابتعاد عن خدمة الملوك والولاة ، وشغل الفراغ بنظم الشعر ^(۱) .

ثم أخذ الشاعر بعد ذلك في سرد القصة ، فقال : « قال راوی القصة حينما شرع في نظم الكلام ، إنه كان يُوجد - بين العرب - رجلٌ عظيم ، يسكن في بقعة من أحسن البقاع ، ويرأس بني عامر ، وقد أصبحت دياره - بفضل - أعمر الديار ، فتعطرت بلاد العرب بذكره الحسن ^(۲) » .

وكان هذا الحاكم العربي مشهوراً بالفضل ، والشجاعة ، وقرى الضيفان ، ولم يكن له ابن يخلفه في منصبه ، إذا قُدِّرَ له أن يرحل من الدنيا ، فكان كثير الضراعة إلى الله أن يهبه ابناً .

واستجاب الله دعاءه ، فوهبه ابناً جليلاً ، « سُرَّ بمولده ، وسماه « قيس ^(۳) » .

(۱) نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱-۵۷ . وقد سبقت الإشارة إلى هذه المسائل .

(۲) گوینده داستان چنین گفت آن لحظه که در این سخن سفت

کز ملک عرب بزرگوار بود است بخوب تر دیاری

بر عامریان کفایت آورا معمور ترین ولایت آورا

خاک عرب از نسیم نامش خوش بوی تر از ریح جاش

(الرجع السابق ، ص ۵۷)

(۳) شرط هنرش تمام کردند قیس هنرش نام کردند

(الرجع السابق ، ص ۶۰)

« ولما أتمّ قيس العام الأول من عمره ، بلغ من الجمال أعلى مراتبه ، وكان جوهر العشق كامناً بين جوانحه ، وبريقه يشع من وجهه المتلألئ^(۱) » .

وقضى قيس سنواته الأولى في اللعب ، وكان نشيطاً مرحاً ، كالزهرة المفتحة بين الأغصان .

« ولما بلغ عمره العاشرة ، أخذت القصص تروى عن جماله المفرط ، فكل من رأى وجهه من بعيد ، كان يدعو له بالحفظ والوقاية ، فسر والده بجمال طلعتة ، وأرسله إلى المكتب ليتعلم^(۲) » .

وكان أبناء القبائل وبناتها ، يذهبون إلى هذا المكتب ، فيعكفون على التعليم — منذ الصغر — في جد ، ومثابرة ، فاجتمع قيس هناك بعدد غير قليل من الزملاء والزميلات ، وأخذ يتعلم في شوق ، وانتظام .

ولكن «قيس» لم يلبث أن تعلق بحب ليلي — زميلته في الدراسة — ، وكانت مشهورة — منذ صغرها — بالجمال ، وتناسق الأعضاء ؛ فكاشعها أسود كالليل ، بينما كان وجهها متلائماً كالقمر . فألفها الجميع ، ودعوا الله أن يرعاها ، ويحفظ جمالها .

« وقد استولى العشق على قيس ، فلا جوانحه ، وأخضع قلبه ، وكانت ليلي

(۱) چون بر سر این گذشت سالی بفزود جمال را کمالی
عشقش بدو دستی آب میداد زو کوهر عشق تاب میداد
(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ۶۰)

(۲) کز هفت بده رسید سالش افسانه خلق شد جمالش
هرکس که رخس زدور دیدی بادی زدعا بر او دمی
شد چشم پدر بروی او شاد از خانه بمکتبش فرستاد
(نفس المرجع والصفحة)

- أيضاً - تعشقه ، فَمَا الحب وترعرع في قلبيهما معاً ^(۱) .

ولما اكتمل نضج قيس وليلى كان حبهما قد بلغ الذروة ؛ فراجت أنباؤه ، وانتشرت في كل مكان ، وأخذت الألسن تتناقلها ، « ففشا السر ، وعُرف في كافة الأمّاكن ، وأخذ يُسمع بروايات مختلفة ، وأصبحت على كل لسان رواية لهذه القصة المحبوبة ^(۲) » .

« ثم لم يلبث العشق أن استبد بقیس فطار صوابه ، وذهب عقله ، واشتهر أمره ، ولقبه الناس بالجنون ، وكان هو يؤيد - ذلك - بتصرفاته الشاذة ^(۳) » .
« وكثر كلام القوم حول لیلی ، فأخفاها أهلها عن أعین المجنون ^(۴) » .
« فلما فصلت لیلی عن المجنون أخذت تبکی بدمع كالدر المسكنون ، كما أن المجنون لما أحس بأنه لم يعد يرى وجه لیلی ، ذرف من عينيه سيلاً من الدموع ^(۵) » .

(۱) از دلدارى كه قيس ديدش دلداد و بهر دل خريديش

اوينز هواى قيس ميجست در سينه هر دو مهر ميرست

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۶۱)

(۲) اين پرده دريده شد زهر سوى وان راز شنیده شد بهرکوى

ز قصه كه محكم آيتى بود در هردهنى حكايتى بود

(المرجع السابق ، ص ۶۳)

(۳) يكباره دلش زبا درافتاد هم خيك دريد وهم خرافتاد

و آنان كه نيوفتاده بودند مجنون لقبش نهاده بودند

اوينز بوجه بينوائى ميداد براين سخن گوائى

(المرجع السابق ، ص ۶۴)

(۴) از بس كه سخن بطمنه گفتند از شيفته ماه نوه نهفتند

(نفس المرجع والصفحة)

(۵) لیلی چو پریده شد ز مجنون می ریخت ز دیده در مکنون

مجنون چو ندید روی لیلی از هر مشراه کشاد سلی

(نفس المرجع والصفحة)

ولم يطلب لقيس قرار في مكان واحد ، فأخذ يتنقل من مكان إلى آخر .
 « وهام في الحلات والأسواق ، وقد امتلأت عيناه بالدموع ، وقلبه بالوجد ،
 وكان ينظم أشعار العشق ، وينشدها بطريقة مؤثرة ، ثم يمضي في طريقه ، والناس
 يتصايحون من خلفه ، ومن أمامه ، قائلين : المجنون . . . المجنون ! . . . »^(۱) .
 وأخذ قيس يقضي أيامه وإلياليه عارياً في الصحراء ، بين الحيوانات
 والوحوش الضارية ، فساءت حالته ، وزاد جنونه .

وكان يذهب كل ليلة - متخفياً - إلى بيت معشوقته - رغم بعد المسافة -
 فيقبل الأبواب ، ثم يرجع متثاقلاً^(۲) .

وكان كل من العاشقين يتبع أخبار الآخر في لفحة ، وشوق ؛ « فكان (قيس)
 يقنع بتنسم رائحة من (ليلي) ، كما رضيت هي بكونه يبحث عنها ، فسمِعَداً رغم
 البعد كالغرباء ، لأنهما كان يحشيان تجسس الرقباء »^(۳) .

ولما رأى والد قيس ماحل بابنه من تباريح العشق حزن ، وأشفق عليه ،
 وفكر في وسيلة يرد بها إلى ابنه صوابه ، ويَهْدِيء بها روحه الهائمة ، فاستقر
 رأيه على أن يخاطب له ليلي ، وعرض الأمر على شيوخ القبيلة فوافقوه ،

(۱) میگشت بگرد کوی و بازار در دیده سرشک و در دل آزار
 میگفت سرودهای کاری میخواند چو عاشقان بزاری
 او میشد و میزدند هر کس مجنون مجنون ز پیش و از پس
 (نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۶۴)

(۲) هر شب ز فراق بیت خوانان پنهان رفیق بکوی جانان
 در بوسه زدی و باز گشتی باز آمدنش دراز گشتی
 (المرجع السابق ، ص ۶۵)

(۳) قانع شده این از آن بیوئی و آن راضی از این بجهتجویی
 از یم تجسس رقیسان سازنده زدور چون غریبان
 (المرجع السابق ، ص ۶۹)

واستصوبوا رأيه ، فتوجه مع جماعة منهم إلى والد ليلى ، ثم طلبها منه لتكون زوجة لابنه .

واسكن والد ليلى رفض قائلاً : « لا نه يُظهر الجنون ، فلا يليق بنا أن نصلحهم مجنوناً ^(۱) » .

ثم خاطب والد قيس قائلاً : « أنت تعرف كيف يتتبع العرب العيوب ، فإذا يقولون إذا أقدمتُ أنا على هذا الأمر !؟ .. فدع الحديث في هذا الموضوع ، ولا تحاول أن تتحدث فيه بعد الآن ^(۲) » .

« فلما سمع العامريون هذا الكلام ، لم يجدوا وسيلة غير الرجوع ، فعادوا إلى ديارهم نادمين متأثرين ^(۳) » .

ونصحوا قيس بترك حب ليلى على أن يزوجه من هي أجمل منها ، « فلما سمع الجنون نصيحة أهله ، ازداد اضطراباً من شدة مرارتها ، فلطم وجهه ، وشق قميصه .. وماذا يستطيع أن يفعل غير هذا !؟ ... ^(۴) » .

وهام على وجهه في الصحراء مرة أخرى ، وأخذ ينشد الأشعار المؤثرة ، « فتحير

(۱) ديوانگي همی نماید دیوانه حریف مانشاید

(نظامی : لیلی و مجنون ، ۷۲)

(۲) دانی که عرب چه عیب جویند این کار کنم مرا چه گویند

با من بکن این سخن فراموش ختم است برین و گشت خاموش

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) چون عامریان سخن شنیدند جز باز شدن دری ندیدند

نومید شده زبیش رفتند آزرده بجای خویش رفتند

(المرجع السابق ، ص ۷۲)

(۴) مجنون چو شنید پند خویشان از تلخی پند شد پریشان

زد دست و پرید پیرهن را کاین مرده چه میکند کفن را ؟

(المرجع السابق ، ص ۷۳)

الناس في أمره ، وصار كل من رآه يرئى لحاله ^(۱) .

ثم فكر والده في طريقة يدفع بها عنه حرارة العشق ، فقرر أن يحمله إلى مكة في موسم الحج ، ليدعو الله في بيته الحرام ، ويسأله أن يُبعد عنه حرارة العشق ، وأن يفك عنه قيوده ، وحمله إلى هناك ؛ ولكن المجنون دعا الله أن يزيد عشتاقاً . فقال : « يارب بمزة ربوبيتك ، وجلال ألوهيتك ، اجملني أبلغ أقصى درجات العشق ، حتى يبقى حبي بعد فنانى . . . وامنحنى النور من عين العشق ، ولا تحرمني منه أبداً ؛ ولو أننى سكرت من شراب العشق ، إلا أننى أدعوك أن تجعلني أكثر عشتاقاً من هذا مادمت حياً . . . إنهم يقولون خلّص نفسك من العشق ، وأبعد عن قلبك حُبَّ ليلي ، فيارب هبني - في كل لحظة - ميلاً أعظم إلى ليلي ، وخذ ما بقى من عمرى ، وزده في مهرها ، فرغم أننى أصبحت - من شدة الغم - نحيلاً مثل شعرها ، إلا أننى أنمى ألا تنقص شعرة من رأسها ^(۲) » .

ولما سمع والده هذا الدعاء رجع يائساً ، وعرف أن داء عشقه ليس له دواء .

(۱) حیران شده هرکسی در آن پی میدید و همیگریست بروی .

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۷۴)

(۲) یارب بخدائی خدائیت وانگه بکمال بادشائیت

کز عشق بغایب رسانم کوماند اگرچه من نمانم

از چشمه عشق ده مرانور و این سرمه مکن ز چشم من دور

گرچه ز شراب عشق مستم عاشق تر ازین کنم که هستم

گویند که خوز عشق واکن لیلی طلبی ز دل رها کن

یارب تو مرا بروی لیلی هر لحظه بده زیاده میلی

از عمر من آنچه هست برچای بستان و بعر لیلی افزای

گرچه شده ام چو مویش از غم یک موی نخواهم از سرش کم

(المراجع السابق ، ص ۸۰ - ۸۱)

فهرب إلى الصحراء من جديد ، وعاش فيها . « وصار من شدة الاضطراب كالشيطان النمل ، فأصبح يضع الحديد في رجله ، ويحمل الحجارة بيديه ، وكان ينشد أشعار الغزل مختلفة الألحان ، كلما ثارت إحساساته ، فاجتمع الخلائق من كل صوب - حول مكانه - وأخذوا يرقبون أحواله ، ويسجلون كل قصيدة يسمعونها - بواسطة الكتابة أو الحفظ - ، ثم حملوا شعره إلى الآفاق ، فسمد العشاق بهذه الأغاني ^(١) . »

أما ليلي ؛ فلم تكن حالها بأحسن من حال قيس ، فقد كان توالى السنين يزيدا عشقا ، ولهفة لرؤية معشوقها ، والجلوس معه ، وكانت تعلق الهضاب ، وتنظر إلى الطريق ، أملا في أن تحظى برؤيته ، ولو مرة .
ولكنها كانت تخفي حبها خوفاً من الرقباء ، فكانت تحمل النسيم تحياتها لقيس ، وتبته شوقاً إليه .

ثم فضجت مذكرتها الشعرية فتمكنت من نظم الشعر الفصيح ، فانخذلت الشعر وسيلة لبث أشواقها ، وإيصال سلامها إلى معشوقها ، فكانت - أحيانا - ترسل إليه رسالة شعرية - مع أحد المارين - وتبهر فيها عن مشاعرها ، وماتكنه له من حب ، وما تشعر به من شوق للقائه .

وكان قيس يجيبها شعراً كذلك . وقد صور الشاعر ذلك في قوله : « كانت تنظم أبياتاً كالدر المكنون ، تناسب حال المكنون ، وكان هو يجيب بنفس الطريقة ، فيرد على الأبيات الملتزمة - من نيران الشوق - بأخرى رقيقة ، تلقى على

(١) برنجد شدى چو ديو سمرت آهن برپای وسنگ بردست
چون بر زدى از نغير جوشى كفتى غزلى بهر خروشى
از هر طرفى خلاق انبوه نظاره شدى بگردآن كوه
هر نادره كز او شنيدند در خاطر ودر قلم كشيدند
بردند به تحفه ها در آفاق زان غنيه غنى شدند عشاق
(نظامى : ليلي ومجنون ، ص ٩١ - ٩٢).

قلبها بر دأً وسلاماً ، وكانت ترسل الورقة التي تحمل الأبيات في الخلفاء ممزوجة بدم قلبها ، بأن تلقىها إلى عابرسبيل ، ليحمل رسالة الزهر للباسم إلى السر والجمل .. وكان الشخص الذي يحمل الرسالة يقرأها فيرقص من جمال ما فيها من شعر ، ثم يسلمها إلى المجنون ؛ فيقول - على البديهة - شعراً في جوابها ، وقد تبادل العاشقان رسائل عديدة بهذه الطريقة ^(۱) .

و ذات مرة - بينما كان الفصل ربيعاً - اجتمعت ليلي بيمض زميلاتها في بستان ، فأخذت تذكر معشوقها . ولجأة مر شخص ينشد بعض أشعار المجنون ، فاضطربت ، ولاحظت إحدى زميلاتها ذلك ، فقصته على والدة ليلي ، فشددت الرقابة عليها ، « فأصبحت ليلي محصورة كالكنز ، وكالقمح داخل هالته ، وصارت ضيقة القلب كالضباب ، تخفى بين جوانحها غماً قاتلاً كالسيف ^(۲) » .

وبينما كانت ليلي في البستان ، رآها شاب من قبيلة بني أسد ، يدعى

(۱) بیتی که ز حسب حال مجنون خواندی بمثل چو در مکنون
آزنا دیگری جواب گفتی آتش بشنیدی آب گفتی
پنهان ورق بخون سرشتی وان بیتک را براو نوشتی
بر راهگذری فکندی از بام دادی بسمن ز سرو پیغام
آن رقعہ کسی که برگرفتی بر خواندی ورقص در گرفتی
بردی وبدان غریب دادی کزوی سخن غریب زادی
آونیز بديہٗ روانہ گفتی بنشان آن نشانه
زین گونه میان آن دودلبند میرفت پیام گونه چند
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۹۵)

(۲) لیلی که چو گنج شد حصارى می بود چوماه در عمارى
میزد نفسی گرفته چون میخ میخورد غمی نهفته چون تیغ
(المرجع السابق ، ص ۱۰۰)

ابن سلام ، وكان ذا جاه وفضل ، فأرسل إلى قومها بخطبها لنفسه ، « مجلس والدها ووالدتها يتشاوران في الأمر ، وعلّقاً أملاً كبيراً على تلك الخطبة ، وقررا أن قوله صادف قبولاً ، واسكن هذا الأمر يجب أن يتأخر بعض الوقت ، لأن ليلي - بستان هذا الربيع الجديد - تبدو عليها عوارض المرض ^(۱) » . ففرح ابن سلام ورجع إلى قومه مسروراً .

وفي ذلك الوقت أيضاً ، كان رجل من فضلاء العرب - يدعى « نوفل » - يصطاد بالقرب من المكان الذي أقام المجنون فيه ، فرأى المجنون مضطرباً ، يعيش بين الحيوانات ممزق الثياب ؛ وسأل عن حقيقته ، فعرف أنه فتى عاشق من قبيلة بني عامر ، وقصّ رفاقته عليه قصته ، فرّق له ، وجلس إلى جانبه ، وتحدث معه ، ثم وعده ببذل كل وسيلة للجمع بينه وبين ليلي ، سواء عن طريق المال ، أو بقوة السلاح ، فطيّب بذلك خاطره ، ثم حمله ليقتضيه معه بعض الوقت في لهو وسرور ، فقبل المجنون دعوته ، وهذا « فأصبح بهدوئه ووقاره زينة لمجلس الطرب ، وكان ذلك الرجل العظيم الكريم ، يُسرّي عنه ، ويدلله بكل وسيلة ، فلا يأنس إلا بوجوده ، ولا يشرب الخمر إلا بصحبته الجميلة ، فقضيا معاً بضعة أشهر في لهو ومرح ، يشربان الخمر ويمرحان ^(۲) » .

(۱) هم مادر وهم پدر نشستند و امید در آن حدیث بستند گفتند سخن بجای خویش است لیکن قدری درنگ پیش است کاین تازہ بہار بوستانی دارد عرضی ز ناتوانی (نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۰۲)

(۲) مجنون بسکونت و گرائی شد عاقل مجلس معانی وان مہتر مہمان نوازش میداشت بعد ہزار نازش بی طلعت او طرب نمی کرد می جز بجمال او نمیخورد ماہی دوسہ در نشاط کاری کردند بہم شراب خواری (المرجع السابق ، ص ۱۰۷-۱۰۸)

ولسكن المجنون تذكر ليلي ، وأحس بمرارة الفراق ، فلام نوفل على تقصيره في الوفاء بما وعد به ، وأخذ يحثه على البر بوعده ، ويصور له مبلغ ما يحس به من تباريح العشق ، ويقول له : « إنني لا أستطيع من رجل مثلك قولاً لا وفاء فيه ، لأنني بدون المشوقة ضيعف عليل ، كالظلمآن البعيد عن ماء الحياة ، فسكاً يجب إعطاء الماء للظلمآن ، ومنح الثروة للقرية الخربة المحتاجة ، يجب أن توصلني بليلي ، وإلا فدع متيماً مثلي يهيم في الصحارى ، وفك قيدي ، فيجب أن توصل ليلي إليّ ، وإلا فلن أوجد ، ولن توجد الحياة^(۱) » .

فتأثر نوفل بكلام قيس ، وجمع جيشاً ، وسار به إلى قوم ليلي ، ثم أرسل رسولاً لمفاوضتهم ، فخيرهم الرسول بين الحرب ، وبين أن يقبلوا زواج المجنون من ابنتهم ليلي .

وقد رفض قوم ليلي فكرة الزواج ، فقامت الحرب بين الطرفين ، وكان قوم ليلي أكثر عدداً ، فاضطر نوفل إلى قبول الصلح ، وزالت - بالصلح - حالة الحرب بين الطائفتين^(۲) .

ولسكن المجنون ثار على نوفل ، وعاتبه عتاباً شديداً ، فاعتذر نوفل بقلّة عدد رجاله في المرة الأولى ، ووعد بماودة الحرب ، حتى يتم له ما يريد ، ثم جمع جيشاً كبيراً ، ولم تلبث الحرب أن قامت - من جديد - بينه وبين قوم ليلي ،

(۱) قولی که در او وفانه بینم از چون توکسی روانه بینم

بی یار منم ضعیف ورنخور چون تشنه ز آب زندگی دور

شرطست بتشنه آب دادن کنجی بده خراب دادن

گر سلسله مراکنی ساز ورنه شده گیر شیفته باز

گر لیلی را بمن رسانی ورنه نه من ونه زندگانی

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۰۸-۱۰۹)

(۲) صلح آمد دور باش در چنک تا آزدو گروه دور شد جنک

(المرجع السابق ، ص ۱۱۴)

فانتصر قوم نوفل « وأمعنوا في خصمهم قتلاً وتجرّحاً ^(۱) » .

ثم أسرع قوم ليلى إلى نوفل يحاولون استرضاءه ، فطلب منهم ألا يقفوا في طريق المجنون ، وأن يدعوه يتزوج ليلى التي يعشقها ، ويتفانى في حبها ، فتضرع والد ليلى إلى نوفل أن يُعْفِيَهِ من هذا الشرط ، لأن من العار عليهم أن يصابروا مجنوناً ، ثم قال له : « إما أن تستعجب لتضرعي ، وتعفي من هذا القيد ، فندعو لك بأن تعيش حُرّاً طليقاً دائماً ، وإلا فإنني أقسم بالله أنني حينما أعود إلى ديارى ، وأبتعد عن تحككك ، سوف أقتل هذه العروس الجميلة ، وألقى برأسها في الطريق أمام السكّاب ، حتى أتخلص من اسمها وعارها ، وأستريح من الحرب والصلح بسببها ^(۲) » .

فرقّ نوفل لحاله ، وكفّ عن التدخل في الموضوع ، بينما لامه المجنون ، وازداد اضطراباً ، وأسرع إلى الصحراء ، بعيد سيرته الأولى ، ويعاود معيشته بين الوحوش .

وألفت الحيوانات المجنون ، فاجتمعت حوله ، وكان هو يحاول تخليص بعضها من شبكة الصيادين ، فاطمأنت إليه ، واطمأن إليها ، وتابع حياته على هذه الصورة ^(۳) .

وذاث يوم ، كان المجنون يستريح تحت شجرة فأبصر غراباً ، فخطبه

(۱) بر خصم زدند وبر شكستند كشتند وبريختند وخستند

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۱۷)

(۲) گر هیچ رسی مرا بفریاد آزاد کنی که بادی آزاد

ورنه بخدا که باز کردم وزنازتو بی نیاز کردم

برم سیر آن عروس چون ماه در پیش سگ افکنم در این راه

تا بازرم زنام و تنگش آزاد شوم ز صلح و جنگش

(المرجع السابق ، ص ۱۱۹-۱۲۰)

(۳) المرجع السابق ، ص ۱۲۴-۱۲۹ .

— راجحاً إياه — أن يخبر معشوقته بما يعانیه فی سبیل حبها ، ثم يتوسط فی الجمع بينهما ، وأخذ يقول له : « قل لمعشوقتی (علی لسانی) — فی الیوم الذی تصل فیہ إلیها — إن حالتی قد ساءت لبُعْدِكَ عنه ، فأنتذیني لأنک إن لم تنتذیني فسوف أهلك فی هذه الصحراء الخربة ، وإني أخشى أن أموت بسبب هذا العشق الذی استبد بى ، إن لم تأخذنى بیدى ، وتعملی علی خلاصی ، وأن تأتى یوماً أكون فیہ قدمتُ ، وحملتُ حبک إلی التراب ^(۱) » .

وسرة ، كان المجنون یولی وجهه شطر منازل لیلی ، فأبصر مجبوراً تضع حبلاً فی عنق رجل — وكأنه أسیر — ثم تقوده ، وتطوف به بین القبائل . فرق المجنون لحال الرجل ، واستفسر عنه ، فعرف أنها حيلة من المرأة والرجل لجمع الصدقات ، فأرسل المجنون إلی المرأة ، وتوسل إلیها أن تقوده هو ، وتتوجه به شطر منازل مشعوقته ، فقبلتُ ، وسارمها « وكان کما وصل إلی باب خيمة غنى — یجنون — أشعار العشق ، وذكر اسم لیلی وأكل الحجارة ، ثم رقص ^(۲) » .

وأخذ یناجی معشوقته بهذه الطريقة ، ویبکی ، ویتذکر ما أصابه بسبب الحب ، وكيف أنه أصبح یحترق کالشعلة ، وكاد یتهی ، وأنه — لذلك — یود أن یلقاها ، لیموت تحت قدمیها ، ووجه — لها — الخطاب ، قائلاً « أفضل أن أموت تحت قدمیک علی أن أعیش معذب الروح ، فإذا لم یکن لی طریق إلیک ،

(۱) روزیکه رسی بنزد یارم گو بی تو زدست رفت کارم
 دریاب که گرتو در نیابی نا چیز شوم در این خرابی
 گفتم که مترس دستگیرم ترسم که در این هوس بمرم
 روزی آیی که مرده باشم مهر تو بخاک برده باشم
 (نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۳۰)

(۲) چون بر در خیمه رسیدی مستانه سرود برکشیدی
 لیلی گفتی و سنگ خودری در خوردن سنگ رقص کردی
 (المرجع السابق ، ص ۱۳۳)

فإنني - بعد الآن - سوف أنزوي ، وأناؤه ، وأنطوي على نفسي ، فلا أجهز
بالتأوه ، حتى لا يصدع رأسك^(۱) .

ثم غاب عليه الوجد « فانطلق كالسهم - بعد أن قال هذا - وازداد
جنونا ، فقطع الحبل ، وكرّر راجعاً إلى الصحراء ، وكأنا تخبّطه مسّ من
الشیطان^(۲) » .

أما لیلی ، فإن قومها لما فرغوا من حرب نوفل ، وأمنوا عدم مساعدته
للمجنون ، عقدوا لابن سلام عليها ، ولم تلبث أن زوّت إليه ، فكانت مضطربة
قلقة ، وصارت في حيرة من أمرها ، فلم تكن تحب ابن سلام ، ولكنها - في
الوقت نفسه - كانت مضطربة لأن تقاسمه الحياة .

وحاول ابن سلام أن يرضي لیلی بالین من القول ، وبالوعود الخلافة ، ولكنه
فشل ، فلم يستطع أن ينال منها شيئاً ، بل إنها أقسمت له قائلة : « سوف لا يتحقق
غرضك مني ، ولو أراق سيفك دمی^(۳) » .

وعلم المجنون بزواج لیلی ، فازداد اضطراباً ، ویمّ شطردیارها ، ثم أرسل
إليها عتابه مع الريح ، قائلاً : « لقد اشتريتُ حبك بالروح ، فاخترتِ أنتِ

(۱) در پای توبه که مرده باشم تا زنده وبی تو جان خراشم
چون نیست مرا بر تو راهی زین پس من و گوشه و آهی
سر داده وآه بر نیارم تا پیش تو درد سر نیارم
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۳۵)

(۲) این گفت وز جای جست چون تیر دیوانه شد و برید زنجیر
از کوه غم شکوه بگرفت چون کوه گرفته کوه بگرفت
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) کز من غرض تو بر نگیرد و ر تیغ تو خون من بریزد
(المرجع السابق ، ص ۱۴۱)

حبّ رجل آخر^(۱) .

ثمّ بین لها کیف خانت العهد ، وسجل عليها هذه الخيانة ، فقال لها : « حينما يتحرّون عن العهد ، ماذا يقولون عنك غیر أنک خُذْتَ العهد^(۲) . » .

وفی تلك الأثناء ، اشتاق والد المجنون لرؤية أبنه ، فذهب إلى الصحراء - للبحث عنه - حتى وجده ، ولكن المجنون لم يعرفه أولاً ، « فقال له والده : أنا أبوك ، أبحث عنک بقلب محترق^(۳) » .

فهدأ المجنون ، وعرف والده ، وركع ليقبل قدمیه ، ثم قَبَّلَ كل منهما الآخر ، وطلب والده منه أن يقضى ما بقى من عمره فی منزله ، قائلاً : « یاروح والدك ، أقبل مسرعاً ، وأنقذ روح والدك قبل أن تذهب ، وعزّز المنزل قبل أن أموت^(۴) » .

غیر أن المجنون اعتذر عن قبول دعوة والده ، قائلاً : « أعرف أن أمرک واجب التنفيذ ، وأحاول أن أنفذه فلا أستطيع ، وایس عندی عقل ، فلیم تعجب من تصرفاتی ؟ ! . . إنی - وأنا عاشق - أرى أن العالم - جمیمه - لا یساوی حبه شعیر ؛ وقد ساء حظی ، فأصبحت لا أعی شيئاً مما سمعته^(۵) » .

(۱) من مهر ترا بجهان خریدہ تو مهر کسی ذکر گزیدہ

(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ۱۴۷)

(۲) چون عہدہ عہد باز جویند جز عہد شکن ترا چہ گویند

(المرجع السابق ، ص ۱۴۸)

(۳) گفتا پدر توام بدین روز جو یای تو بادل جگر سوز

(المرجع السابق ، ص ۱۵۱)

(۴) ای جان پدر بیا وبشتاب تاجان پدر نرفته دریاب

زان پیش کہ من در آیم از پای در خانه خویش گرم کن جای

(المرجع السابق ، ص ۱۵۵)

(۵) فرمان تو کردنی است دائم کوشم کہ کنم نمیتوانم =

فرجع والده حزیناً ، ثم مرض من شدة الغم ، ومات سريعا .
وسمع المجنون بوفاة والده ، فأسرع إلى قبره ، وأخذ يبکی ، ویترحم علیه ،
و یسأل الله أن یغفر خطایاه هو ، لأنه أحدث لوالده کثیراً من المتاعب ، وسبب له
مزیداً من الحزن والتألم ، ثم رجع مسرعاً إلى الصحراء ، لیأس بالوحوش من
جدید^(۱) .

« وسار یوماً بین أنحاء تلك المضيبة ، فر على منازل قوم معشوقته ، فرأى
اسمى لیلی والمجنون مکثور بین معاً فی ورقة ، بطریقة توحی بما بینهما من وفاء ،
لحک بظفره الورقة ، فحما اسم معشوقته ، وبقى اسمه ، فقال الناظرین : ما الحسنة
فی أن أبقيت - من الاسمین - اسماً واحداً ، فأجاب بأن الأفضل أن یرمز لنا
بشخص واحد ، لأننا اتحدنا ، فصرنا قلباً واحداً ، فیکفینا اسم واحد^(۲) » .
وأنست الوحوش بالمجنون ، وكان کلاً مر علیه مسافر قدم له طعاماً ، فكان
یأکل منه ، ثم یلقى الباقی لتطعم منه الحيوانات ، مما جعلها تلتف حوله ،
وتطعمه ، وصار هو کالملك علیها .

وقد علق نظامی علی ذلك بأن الإحسان یأسر الحيوانات ، ویجعل الوحوش

= برمن زخرد چه سکه بندی بر سکه کارمن چه خندی ۱۹
در خاطر من که عشق ورزد عالم همه جسته نیرزد
بختم نه چنان بیاد داداست کز هیچ شنیده ایم یاداست
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۵۶)

(۱) المرجع السابق ، ص ۱۶۲-۱۶۶ .

(۲) روزی ز قرارگاه آن دشت برخاک دیار یار بگذشت
دید از قلم وفا سرشته لیلی مجنون بهم نوشته
ناخن زد و آن ورق خراشید خود ماند و رفیق را تراشید
گفتند نظارگان چه رایست کز هر دو رقم یکی بجایست
گفتا رقمی به اربس افند کز مادورقم یکی بس افتد

(المرجع السابق ، ص ۱۶۶-۱۶۷)

مستأنسة ، وخاطب الإنسان بقوله : « وأنت - أيضاً - إذا فعلت ما فعله ، فإنك سوف لاتحمل هم الدنيا ، ولو كان الخليفة جاييك ، لأنه سيصبح خادمك بعد أن يأكل طعامك ^(۱) » .

وذات ليلة جلس المجنون يراقب النجوم ويناجيها ، فخطب الزهرة بقوله : « تلغنى - بما لك من لطف - فافتحى أمامى باب الأمل ، وأوصلنى رائحة من المشوقة إلى مشامى ، فإنها دواء لروحى الهائمة ، وإن الوقت الآن مناسب لها ^(۲) » .

ثم وجه الحديث إلى المشتري قائلا : « انظر إلى بوفاء ، وإذا كانت لديك وسيلة - لمعاونتى - فميشها ^(۳) » .

ولسكنه ينس من الاستعانة بالسكواكب ، فالتجأ إلى الله خالق الجميع ، وخاطبه ، « فقال : يامن بابك ملجئى . . لم ألتجأ إلى أحد غيرك ؟ ! . . يامن الزهرة والمشتري طوع لإرادتك . . إنك ربُّ الجميع . . إن علمك أكثر مما يعرف الخلق ، وإن فضلك أعظم مما يطلبون ^(۴) » .

(۱) تونیزگر آن کنی که اوکرد خوناب جهان نبایدت خورد

همخوان تو کر خلیفه نامست چون از تو خورد ترا غلامست

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۷۲)

(۲) لطفی کن ازان لطف که داری بگشاد در امیدوری

زان یار که او دوی جانست بوئی برسان که وقت آنست

(المرجع السابق ، ص ۱۷۸)

(۳) درمن بر نظاره کن ور چارت هست چاره کن

(المرجع السابق ، ص ۱۷۹)

(۴) گفت ای در تو پناه گام در جز تو کسی چرا پناهم ؟

ای زهره و مشتري غلامت سر نامه نام جمله نامت

ای علم تو بیش از آنکه دانند و احسان تو بیش از آنکه خوانند

(نفس المرجع والصفحة)

وختم مناجاته لله بقوله : « لا تحرمنى من رحمتك ، وأنا عاجز غريب ،
فاوصل بفضلك لىلى إلى نور الصباح ، واجعل نهارى مباركا بنعمة الوفاء ،
وخلص حظى من القيود والعقبات ^(۱) » .

« فلما فرغ من مناجاته ذهب فى النوم ، فرأى فى الحلم صورة لحظه الحسن ،
وهى أن شجرته ارتفعت ، ثم طار طائر من أعلى أغصانها ، وتوجه نحوه
فى سرع وسرور ، ثم ألقي جوهرة ، فاستقرت فوق مفرق رأسه ، فلما استيقظ
من نومه ، كانت بشائر الصباح قد لاحت فى الأفق ، فاستيقظ مسرورا نشيطا
كالصباح ، يحاول أن يحقق أحلامه فى العشق ، فسمعت بهذا الحلم الجليل ، وطار
من شدة الفرح ، كما طار ذلك للطائر الذى أبصره فى النوم ، لأن مجال الوصال
ضيق فى العشق ، فلا يكون السرور إلا فى الخيال ، أو فى الحلم ^(۲) » .

ثم جلس المجنون بين الوحوش كمادته ، وقلبه يحقق بالآمال ، وما لبث
أن رأى رسولا يأتى إليه ، ويخبره بأنه أبصر ايلي فى حالة اضطراب وحزن ، لبعدها

(۱) مكذار كه عاجزى غريم از رحمت خویش بی نصیم

آن کن ز عنایت خدائی کاید شب من بروشنائی

روزم بویا خجسته گردد بختم ز بهانه رسته گردد

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۸۰)

(۲) چون يك ييك این سخن فروگفت در گفتن این سخن فروخفت

در خواب چنان نمود بختش کز خاک بروج شد درختش

مرغی پریدی از سرشاخ رفتی بر او بطبع گستاخ

گوهر زدهن فروفشاندی بر تارک تاج اونشانندی

بیننده ز خواب چون درآمد صبح از آفاق فلک بر آمد

چون صبح ز روی تازه روئی میکرد نشاط مهر جوئی

زان خواب مزاج برگرفته زان مرغ چو مرغ برگرفته

در عشق که وصل تنگ یابست بشادی بخیال یا بخواست

(نفس المرجع والصفحة)

عنه ، وأنها كتبت عشقها حتى كادت تهلك ؛ ثم قال له على إسان ليلي : « كنت ليلي وليكني - الآن - أكثر جنونا من ألف مجنون^(١) » .

وسلمه رسالة منها ، قالت فيها : إنها وإن كانت مع زوج غيره ، فإن قلبها متعلق به ، وتود أن تعيش كنفه ، وليكنها لا تملك من الأمر شيئا ، فهي ترى لحاله ، وليكنها لا تستطيع أن تفعل شيئا^(٢) .

فلما قرأ المجنون رسالتها بكى وناح ، وأخذ من الرسول ورقة وقلما ، وكتب الرد على رسالتها ، فوصف لها ما يعانيه من ألم الفرقة ، وأخذ يصفها بالوفاء تارة ، ويلومها تارة أخرى ، ثم ختم رسالته بقوله : « ليس عندي غم مادمت سالمة ، ولو أن جرحي لا علاج له^(٣) » .

وفي تلك الأثناء حاول خال المجنون - وكان يدعى « سليم العامري » - أن يراه ، فأخذ يبحث عنه حتى وجده ، فألفاه ممزق الثياب ، يعيش في ذهول وحيرة ، فعرض نفسه عليه ، واسكن المجنون لم يعرفه ، فعرفه سليم بنفسه ، فاطمأن إليه ، وجلس بحواره ؛ ثم حاول سليم أن يقدم للمجنون ثوبا وطعاما ، فرفض ، وطلب منه أن يحضر له والدته ليراها .

فرجع سليم ، ثم عاد إليه - مرة أخرى - ومعه والدته ، فسُرَّ المجنون برؤية والدته ، وأرادت هي أن تحمله معها إلى المنزل ، فلم يقبل فرجعت حزينة ، ثم لم تلبث أن مرضت ، وماتت ؛ فزاره خاله للمرة الثالثة ، وأنبأه بما حدث ، فبكى المجنون ، وتذكر والديه ، وأسرع للجلوس على قبريهما . وعلم بنو قبيلته بما فعل ،

(١) ليلي بودم وليكن اكنون مجنون ترم أز هزار مجنون
(نظامي : ليلي ومجنون ، ص ١٨٣)

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦-١٩٠ .

(٣) بازخم من ارچه مرهمی نیست چون تو بسلامتی غمی نیست
(المرجع السابق ، ص ١٩٨)

فذهبوا إليه ، وواسوه ، فهذا قليلاً ، « ثم صرخ ، وتركهم ، وقفل راجعاً إلى الصحراء ؛ وأخذ يهيم على وجهه ، وصار حزينا مغموماً ، وتبعته بعض الحيوانات ، بعد أن أصبح وحيداً ، لاصديق له ^(١) » .

ولما وصلت رسالة المجنون إلى ليلى بكت حتى بلل دمعها الرسالة ، ثم صممت على رؤية معشوقها بأية وسيلة - رغم تجسس الرقباء - ، فاستعانت بشيخ مجرب خبير بمسالك الصحراء ، وأعطته بعض المال ، لكي يهيئ لها فرصة لقاء المجنون ، والجلوس معه .

ونجح الشيخ في مهمته ، فتمكنت ليلى من رؤية قيس ، ولكنه لم يكدر براها حتى سقط على الأرض منسياً عليه ، فلما أفاق قرأ عليها بعض أشعاره التي تنفي فيها بحبه ، ثم أخذ يناجيها « فلما فرغ من هذا عاد إلى الصحراء ، وقلبه يتفطر حزناً ، وعقله يطير شعاعاً ، أما معشوقته الجميلة ، فقد رجعت - إلى مخيمها - من حيث أتت ^(٢) » .

وسمع شاب ثرى - يدعى « سلام » - ^(٣) قصة المجنون ، وكان هو عاشقاً

(١) آهى زد وراه كوه برداشت رخت خود آزان كروه برداشت
ميگشت بگرد كوه وهامون دل پر جگر و جگر پراز خون
مشق ددگان فتاده از پس نه يار كس ونه يار او كس

(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٢٠٧)

(٢) اين گفت وكرفت راه صحرا خون در دل و در دماغ صفرا
وان سرو رونده زان چمنكاه عد روى گرفته سوى خرگاه

(المرجع السابق ، ص ٢١٨-٢١٩)

(٣) ذكر نظامى في منظومته هذه أن « سلام » كان من أهل بغداد ، رغم أن بغداد لم تكن قد بنيت في الوقت الذي وجدت فيه قصة عشق ليلى والمجنون ، ويبدو أن الشاعر أخطأ في ذكر هذه الواقعة . وقد ورد في كتاب « تزيين الأسواق » للأنيطاكى ، ص ٦٤ . أن « سلام » رجل شامى ، ولعل هذا أقرب إلى الحقيقة مما ذكره نظامى .

متياً ، فتوجه إلى ديار المجنون ، وظل يبحث عنه حتى وجده ، فجلس بجواره ،
والثقت الوحوش حولها ، ثم قدم له طعاماً ولباساً ، فلم يقبل شيئاً ؛ فأقام معه
بضعة أيام ، كان في أنثائها يسجل شعره ، ويحفظه ؛ ثم رحل ، وتركه ، وصار
راوية لأشعاره ، وقد أثرت أشعار المجنون في الناس ، فاستوت على مشاعرهم ،
وسلبت عقولهم ، « فكان (سلام) كلما قرأ قصيدة في مكان ما ، اضطربت
عقول السامعين ^(١) » .

أما إيلي فإن زوجها لم يلبث أن مرض ومات ، بعد أن قضى معها مدة ، لم
تحقق له في أنثائها رغبة ، ولم تشعره بأي حب أو ميل ، فتظاهرت بالحزن
« وأخذت تندب زوجها في الظاهر ، وتبكي على فراق معشوقها في الحقيقة ^(٢) » .
« وكانت عادة العرب أن تحتجب المرأة بعد وفاة زوجها ، فلا ترى وجهها
لأحد ؛ فتظل في خيمتها عامين ، لا ترى باب أحد ، ولا يرى أحد بابها ^(٣) » .
فاحتجبت ليلاً ، ثم لم تلبث أن مرضت بعد ذلك ، وأحسّت بدنو أجلها ،
فنادت والدتها ، وأوصتها قائلة : « اجعلي كفنّي أحمر اللون لأني شهيدة ، حتى
يكون - هذا اللون لون ثياب زفافي (يوم القيامة) ، وزينيني كالعروس ، وأسليفي
للتراب مغطاة الوجه ، فإنني أعرف أن معشوق حينما يعلم أنني اغتربت عن وطني
سوف يأتي ليسلم على قبري - على سبيل العزاء - ؛ فإذا جلس على قبري فسوف يبحث
عن القمر ، ولـكنه لن يجد إلا التراب ، فيبكي ذلك الغريب المسكين من شدة

(١) هرجا كه يكي قصيده خواندى هوش شنونده خيره ماندى
(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ٢٢٦)

(٢) میگرد زهر شوی فریاد وآورده نهفته دوست را یاد
(المرجع السابق ، ص ٢٣٦)

(٣) رسم عربست کز پس شوی نماید زن بهیچکس روی
سالی دو بخانه در نشیند أو درکس وکس در أو نبیند
(نفس المرجع والصفحة)

الحزن والألم ... إنه معشوق ، وهو حبيب عزيز للغاية ، وهو تذكارى لديك ،
فأكرميه بحق الله عليك ، ولا تنظري إليه باحتقار ، فقد كنت أعزّه ، فأعزّيه
أنت - أيضاً - مثلى ، وقولى له : إن ليلى حينما تخلصت من قيود هذه الدنيا
الـكثيـبة ، كانت أسلم جسدها للتراب فى سبيل حبك ، وتسلم الروح الطاهرة ،
مطوية على ذكراك ، فقد أخلصت فى عشقها إياك ، وقدمت روحها قرباناً
للعشق ، فلم نسأل عن أحوالها حينما رحلت !؟ .. إنها خرجت من الدنيا بحبك .
وكانت حتى آخر لحظة من حياتها ، لاتحمل غير همك ، وفى الوقت الذى كانت
تودع فيه الحياة حزناً على فراقك ، كانت تحمل زاد طريقها من إحساساتك ،
واليوم - وهى خلف حجاب التراب - تتألم حنيناً إليك ، وهى كالمنتظرين فى
طريق الآخرة ، تف قبلك لترقب مجيئك ، وستقف وترقب حتى تلحق بها^(۱) .

(۱) خون کن کفتم که من شهیدم	تا باشد رنگ روز عیدم
آراسته کن عروس وارم	بسیار بخاک پرده دارم
آواره من چو گردد آگاه	کاواره شدّم من از وطن گاه
دائم که ز راه سوگواری	آید بسلام این عمارى
چون بر سر خاک من نشیند	مه جوید لیک خاک بیند
برخاک من آن غریب خاکی	نالده بدریغ و دردناکی
یاراست و عجب عزیز یاراست	از من ببرتو یادگاراست
از بهر خدا نکوش دارى	در وی نکنی نظر بخوارى
آن دل که نیایش بجزوئى	وان قصه که دانیش بگوئى
من داشته‌ام عزیز وارث	تونیز چو من عزیز دارش
کویلى ازین سرای دلگیر	آن لحظه که میرید زنجیر
در مهر تو تن بخاک میداد	برباد توجان پاک میداد
در عاشقى تو صادق کرد	جان در سر کار عاشقى کرد
أحوال چه پرسم که چون رفت	باعشق تواز جهان برون رفت
تا داشت در این جهان شماری	جز باغم تونداشت کاری =

ثم لفظت لیلی نفسها الأخير، فقام أهلها بدفنها حسب الوصية، وعلم المجنون بوفاها، فأخذ يبکی وینوح، وازداد اضطراباً وجنوناً، ثم صار يدعو الله أن يخلصه مما هو فيه من عناء، ويوصله إلى محبوبته، فناهج بقوله: «يا خالق كل الموجودات، أدعوك وأتوسل إليك بأحب المخلوقات إليك، أن تخلصني من محنتي، وأن توصلني إلى حضرة معشوقتي؛ حتى أخلص من قيد الروح، وأستريح بالرحيل من الدنيا^(۱)».

« ووضع المجنون رأسه على قبر معشوقته - بعد أن قال هذا - وضم القبر إلى صدره، وأخذ يقول: يا معشوقتي حتى فاضت روحه، فمبصر من نفس الطريق... ومن ذا الذي لا يعبر من هذا الطريق؟!...^(۲) ».

« وظل المجنون ماتی على تلك الصورة شهراً وقيل عاماً^(۳) ».

= وان لحظه که در غم تو میبرد غمهای تو راه توشه می برد
و امروز که در نقاب خاکست هم در هوس تو دردناکست
چون منتظران درین گذرگاه هست از قبل تو چشم بر راه
می پاید تا تودر پی آبی سرباز پس است تا کی آبی
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ۲۵۱-۲۵۲)

(۱) کای خالق هر چه آفرید است سوگند بهر چه برگزید است
کز محنت خویش و ارهانم در حضرت یار خویش رسانم
آزاد کنم ز سخت جانی و آباد کنم بسخت رانی
(المرجع السابق، ص ۲۶۴)

(۲) این گفت و نهاد بر زمین سر وان تربت را گرفته در بر
چون تربت دوست در بر آورد ای دوست بگفت و جان بر آورد
آونیز گذشت از این گذرگاه وان کیست که نگذرد بر این راه
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) افتاده بماند هم بر آن حال یکماه و شنیده ام که یکسال
(المرجع السابق، ص ۲۶۸)

وكانت الوحوش تحرسه ، فلم يجرؤ أحد على أخذه ودفنه ، حتى شاع نبأ موته بين القبائل ، وعلم أهله بذلك ، فتوجهوا إلى المكان الذي مات فيه ، «فتفتحوا القبر ، ودفنوه بجوار معشوقته ليلي ، فناما بالحلب إلى يوم القيامة ، وبعُدَتْ عن طريقهما الملامه ، فقد كانا - في هذه الدنيا - مرتبطَيْن بعهْد واحد ، فناما - في الآخرة - في مهْد واحد^(١)» .

ثم ختم للشاعر منظومته بمدح حاكم شروان الذي قدم له القصة متمنياً أن أن تكون عاقبتها سعيدة^(٢) . وذكر أبياتاً تشير إلى تاريخ إتمامها بصفة نهائية^(٣) .

هذه قصة «ليلي والمجنون» كما عرضها نظامي ، وبديهي أنه اعتمد في نظمها ، وتصوير مناظرها على الأصل العربي لها ، فيحسن أن نقارن بين تصويره للقصة وبين أصلها العربي ، حتى نستطيع أن نصدر حكماً صحيحاً على الشاعر وفنه .

(١) پهلوکه دځمرا گشادند در پهلوۍ ليايش نهادن

خفتند بناز تا قيامت برخاست ز راهشان ملامت

(نظامي : ليلي ومجنون ، ص ٢٦٦)

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧١ — ٢٧٤ . وقد سبقت الإشارة إلى شيء من .

هذا المدح .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ . حيث ذكر أن المنظومة ختمت في عام ٥٨٨ هـ .

وقد سبقت مناقشة ما يتعلق بهذا التاريخ .

الفصل الثالث

مفارقة تصوير نظامى لقصة « ليلي والجنون » بالأصل العربى لها

لعل أهم ما نلاحظه فى تصوير نظامى - لقصة « ليلي والجنون » - أنه تقيد فى تصويره لمناظرها ، وفى تسلسل هذه المناظر ، بالأصل العربى لها إلى حد كبير ، فلم يحدث فيها تغييراً حاسماً ، ولكنه - رغم هذا - أضاف إليها مناظر جديدة ، جعلها تتخلل المناظر التى سجلتها المصادر العربية ، لتوضيح بعض جوانب القصة ، وإكمال بعض أجزائها .

وأشهر هذه المناظر هى : ذهاب ليلي إلى البستان مع بعض زميلاتها ، واضطرابها لسماع بعض غزليات الجنون ، وحبلى خال الجنون إليه ، وإحضار أمه لرؤيته ، وقصة الجنون مع سلام البغدادي^(١) ، و وفاة زوج ليلي . فهذه المناظر لم تشاهد فى الأصل العربى للقصة ، بل أضافها نظامى إليها ، فى منظومته « ليلي ومجنون^(٢) » .

كما جعل الشاعر ليلي والجنون يتعارفان فى أثناء دراستهما فى مكتب - كان يتعلم فيه أبناء القبائل - فخالف بذلك الروايات العربية التى تشير إلى أنها متعارفاً بينما كانا يرعيان الإبل^(٣) ، أوفى مجمع كان يضم ليلي وبعض زميلاتها^(٤) .

(١) سبقت الإشارة إلى خطأ الشاعر فى نسبة سلام إلى بغداد لأنها لم تكن بنيت فى ذلك الوقت .

(٢) على أصغر حكمت : رومثو وجوليت شكسبير مقايسه بليلي ومجنون نظامى ، ص ٥٥ - ١٠٢ .

(٣) الإصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٣٥٦ . وهذا ما يبدو من أشعار قيس فى ديوانه الذى جمعه أبو بكر الوالبي ، ص ٢ .

(٤) الإصفهاني : الأغاني ج ٢ ، ص ١٧٨ ، الأنطاكي : تزيين الأسواق ص ٥٣ .

ولسكننا - مع ذلك - نستطيع أن نقرر أن نظامي لم يحور في القصة تحويراً كبيراً ، ولم يغير في تسلسل سير الوقائع تغييراً واضحاً ، لأنه وجدها قصة مشهورة ترددها مصادر كثيرة^(١) .

ويبدو من ثنايا المنظومة أن الشاعر اطلع على الأصل العربي ، وتقيده به ، مما جعل المجال ضيقاً أمامه ، وسد في وجهه طريق الابتكار ، وخلق مشاكل جديدة في القصة ، قد تَكْسِبُهَا جدة وطرافة .

ويبدو هذا واضحاً إذا قارنا منظومة « ليلي ومجنون » بمنظومة للشاعر السابقة « خسرو وشيرين » ؛ التي كان المجال فيها واسعاً أمام الشاعر ، فتمكن من الخلق والابتكار ، مما أكسب المنظومة شيئاً من الطرافة ، يفوق ما يجده في منظومة « ليلي ومجنون » بمراتب كثيرة^(٢) .

ولسكننا - رغم هذا - نجد فرقاً واضحاً بين تصوير نظامي للقصة ، وبين الأصل العربي لها . لأن الشاعر تأثر في منظومته بمذهبه هو في الدعوة إلى الفضيلة والتغنى بالمعة ، والخلق القديم ، والوفاء ، والتفاني في الحب ، وحرص كل من العاشقين على أن يعمل مافي وسعه للقاء معشوقه .

(١) وردت قصة ليلي والمجنون في كثير من الكتب التي ألقت قبل نظامي وبعده مثل : ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ٣٥٥ - ٣٦٤ ، الإصحافي : الأغاني ، ج ١ ، ص ١٦١-١٨٢ ، ج ٢ ، ص ١٧-٢ ، ابن نباتة : سراج العيون ، ص ٢٤٤-٢٤٧ ، البغدادى : خزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ١٧٠-١٧٣ ، الأنطاكي : تزيين الأسواق ، ص ٥٣-٧٠ ، حسين بايقرا : مجالس العشاق ، ص ٢٠٠-٢٥٦ ، الوالي : ديوان قيس ، ص ٢-١١٠ ، كما تحدث عنها وناقش ما يتعلق بأبطالها طه حسين في كتابه : حديث الأربعاء ، ج ٢ ، ص ٤-٨ .

(٢) لعل من الأسباب التي جعلت نظامي لا يبدع في قصة ليلي والمجنون ، كما أبدع في قصة خسرو وشيرين أنه تسرع في نظم القصة ، فأنعمها في أربعة أشهر ، مما جعله لا يجد الفرصة الكافية للخلق والإبداع .

فالقصة العربية - مثلاً - ^(١) تجعل موقف ليلي سلبياً ، فهي تحب « قيس » ،
ولـكنها لا تستطيع أن تعصى أمر والدها ، فتكتم حبها بين جوانحها ، ولا تحاول
أن تتصل بـقيس بأية وسيلة من الوسائل ، وتزوج ابن سلام كارهة ، ولـكنها
تعيش معه ، وتودى له ما عليها من واجبات نحوه ، وينال منها ما له من حقوق
الأزواج .

أما نظامى ؛ فصور ليلي فى صورة العاشقة التى لا تكفى بالموقف
السلبى - كأن تكتم حبها ، وتنفذ بذلك - وإنما تحاول أن تتصرف تصرفاً
إيجابياً ، فترسل الرسائل إلى قيس ، لتلقى منه الجواب ، ثم تحتال للقائه بواسطة
شيخ خبير بمسالك الصحراء ، أعطته بعض المال .
فنظامى يجعل ليلي كـقيس تشقى بالحب ، وتسعى لرؤية الحبيب بمختلف
الوسائل .

ورغم أن الشاعر قد جعل ليلي تنزع ابن سلام كارهة ؛ إلا أنه صورها
فى صورة البطلة التى لا نستسلم لغير من نحب ، حتى ولو كان زوجاً شرعياً ،
فوجدنا ليلي تأبى أن تمكّن زوجها من نفسها ، ولو أراق دمها بسيفه ، وتظل
متمسكة بذلك إلى آخر لحظة من حياة زوجها ، الذى مرض حزناً وكداً ، وانتهى
أمره إلى التاف ، وهذا يخالف - تماماً - ماورد فى الأصل العربى للقصة .
كما فعل نظامى - فى هذه القصة - ما فعله فى قصة « خسرو وشيرين » من
قبل فصور العواطف المتناقضة ، والمشاعر المتباينة .

فهو يصور فى منظومته « ليلي ومجنون » ثلاث صور من الأبوة :
الأولى : صورة أبى المجنون ، الذى يطيع ابنه فى كل ما يريد ، ويحنو
عليه ، ويسعى فى سبيل إسماعه ، ولـكنه لا يوفق إلى عمل شيء يجلب لابنه
(١) لا أجد ضرورة لسرد ماورد فى القصة العربية لأنها مشهورة معروفة ،
لاحتاج إلى ترديد القول .

حايبيته من سعادة ، فيحزن على ما حل به ، ويموت كدأ .

والثانية : صورة أبي ليلى ، الذى كان على النقيض من أبي الجنون ، لا يطيع ابنته ، ولا يسعى لجلب السعادة لها ، ولا يستجيب لمواطنها ، معتبراً دواعى الشرف أعلى منزلة من دواعى السعادة .

والثالثة : صورة نظامى نفسه ، كوالد يُحب ابنه « محمد » ، وهى صورة للوالد المثالى ، الذى يوجه ابنه وينصحه ، ويرسم له طريق السير فى الحياة ، ويدعوه إلى العمل والرفعة ، ويرشده إلى طريق الهدى .

كما صور نظامى عشق قيس فى صورة مثالية تشبه عشق للصوفية ، فجعله يحب للحب لا لشيء آخر ، ويعشق للعشق المجرد ، وهذا يشبه مانجده عند الصوفية من عشق العشق .

وقد صور نظامى عشق المجنون فى صورة عاطفة لا دواء لها إلا الموت ، فكل من العاشقين يعتقد أن الموت هو الوسيلة الوحيدة للقاء معشوقه ، والاتحاد معه ، والشعور بالسعادة الأبدية ، فوجدنا ليلى - حينما تشعر بالموت - تطلب أن يُبلغ المجنون أنها تنتظره ، وترقب طريق قدومه ، كما وجدنا الجنون يدعواؤه أن يميته ، وأن يخلصه من أسر الحياة إلى الفناء الذى فيه الاتحاد مع المعشوقة ، والسعادة الدائمة إلى يوم القيامة .

والعشق فى هذه الحالة يهب العاشق قوة عجيبة ، ولذلك وجدناه يمنح المجنون قوة غريبة - كالتى منحها لفرهاد فى قصة « خسرو وشيرين » - فماش مع حيوانات الصحراء ، وَأَلْفَهَا وَأَلْفَتُهُ ، كما أكل الحجارة والحديد ، وصبر على الجوع والعراء .

وأضفى الشاعر على كل من ليلى وقيس صفات البطولة ، ليكون كل منهما جديراً بالدور الذى يمثله فى القصة ، فجعل ليلى مثلاً للعفة ، والإخلاص ، والوفاء ، والتضحية فى سبيل من تحب ، وقد ظلت كذلك حتى آخر لحظة من

حياتها ، واستطاعت أن تظهر بطولتها - حينما شعرت بالموت يدب إلى أوصالها - فأطلعت والدتها على دخيلة نفسها ، وصرحت لها بأنها تموت في سبيل معشوقها قيس ، وطلبت منها أن تخبره بذلك ، ليزداد قلبه اطمئناناً ، وإيماناً بأنها أحبته ، وأخلصت في حبه ، وضحت بكل شيء في سبيله .

كما طلبت ليلي أن يكرموا معشوقها ، وألا يحتقروه ، وأن ينظروا إليه كما كانت تنظر هي إليه ، وهذه التصرفات الإيجابية التي أسندها الشاعر إلى ليلي ليست واضحة في المصادر العربية وضوحها في منظومة نظامي .

كما أوضحت المنظومة إخلاص قيس ، ووفاءه ، وتضحيته المفرطة في سبيل معشوقته ، إلى آخر لحظة من حياته ثم بينت كيف مات بطلاً .

ولعل من الأشياء الجديرة بالملاحظة ، أن الشاعر جعل نهاية قصة « ليلي والمجنون » تشبه إلى حد كبير نهاية « خسرو وشيرين » ؛ فقد مثل قيس - بعد وفاة ليلي - نفس الدور الذي مثلته شيرين بعد وفاة خسرو ، مع فارق يسير هو أن شيرين فعلت ذلك داخل القبر ، بينما فعله قيس خارجه .

كما نلاحظ أن الشاعر يردد نفس النغبات التي رددتها من قبل ، ويحاول أن يُنطق ببعض الشخصيات بآرائه هو ، فترددت - في أجزاء القصة - الدعوة ، إلى الفضيلة ، والعدل ، والإقلاع عن الظلم ، وحسن المعاملة ، فرأيناه يتخذ من أحب الحيوانات للمجنون - لإطعامه إياها - دليلاً على أن الإحسان يأمر الحيوانات ، ثم دعا الإنسان إلى فعل ذلك حتى يحبه الجميع ، ويدينوا له بالولاء .

وهكذا نجد أن تصوير نظامي للقصة يختلف اختلافاً جليلاً عن الأصل العربي لها ، فرغم اعتماده على ما ورد في المصادر العربية ، وتأثره به في تصويره لمناظر القصة ، وفي تسلسل هذه المناظر ، إلا أنه لوّنها بطريقة الخاصة ، فأكسبها بعض الألوان الزاهية الممتعة ، ولم يحرمها من تطبيق مذهبه هو في نظم مثل هذه القصص ، فانعكست فيها صوراً من هذا المذهب .

ومهما يكن من شيء ، فإن نظامى هو أول من نظم قصة « ليلي والمجنون » -
- فى هذه الصورة - بالفارسية . فله بذلك فضل السبق .

وقد حاول كثير من شعراء الفارسية والتركية أن يقلدوه ، فأعادوا نظم
القصة ، وتأثروا بما ورد فى منظومة نظامى ، وحاولوا أن يترسموا خطاه .

وأشهر من قلده من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى عام
٧٢٥ هـ ، ونظم القصة تحت عنوان « مجنون و ليلي » ؛ وعبد الرحمن الجامى
المتوفى فى عام ٨٩٨ هـ ؛ وهاتنى المتوفى فى عام ٩٢٧ هـ ؛ وضميرى المتوفى فى عام
٩٧٣ هـ ؛ وروح الأمين المتوفى فى عام ١٠٤٧ هـ ، الذين نظموها تحت عنوان
« ليلي ومجنون » .

وأشهر من قلده من شعراء التركية ميرعليشيرنوائى المتوفى فى عام ٩٠٦ هـ ،
ونجأتى المتوفى فى عام ٩١٤ هـ ؛ وخيالى المتوفى فى حدود عام ٩٢٩ هـ ؛ وفضولى
المتوفى فى عام ٩٦٣ هـ .

وهذا يبين مدى تأثير نظامى فى غيره من الشعراء ، ومدى ما أصابته قصة
« ليلي والمجنون » من عناية الشعراء ، ومن الشهرة والانتشار .

وأبرز من تأثروا بنظامى أمير خسرو الدهلوى ، فقد نظم القصة فى نفس
البحر الذى اختاره نظامى من قبل ، كما تأثر به فى تصوير المناظر ، وذكر الحوادث
وتسلسلها ، ولم يختلف عنه إلا فى القليل النادر^(١) .

* * *

ونسكتفى بهذا القدر عن منظومة « ليلي ومجنون » ، لننتقل إلى دراسة
منظومة الشاعر الرابعة « هفت بيكر » .

(١) Mohammad Wahid Mirza . The life and works of Amir

.. Khusrau, pp. 198-200.

البَّاءُ السَّاجِدُ

منظومة «هفت بيكر»

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

دراسة مول منظومة هفت بيكر^(١)

نظم الشاعر منظومته الرابعة « هفت بيكر » في بحر الخفيف ، وهي تشتمل على ١٣٠ بيت من الشعر تقريباً .

وأنتم نظمها في عام ٥٩٣ هـ ، وأثبت هذا التاريخ في آخر المنظومة فقال : « أتممت هذه المنظومة - كالمشهورين - بعد أن انقضت أربع ساعات من اليوم الرابع عشر من شهر الصيام ، بعد ثلاثة أعوام تزيد على التسعين والخمسة^(٢) » .

وهذا التاريخ يكاد يكون التاريخ الوحيد المتفق عليه بين جميع الباحثين . فلا مجال للشك فيه ، كما أن القرائن التاريخية تؤيده ؛ لأن الشاعر قدم منظومته لعلاء الدين كرب أرسلان الذي كان حاكماً على مراغة في ذلك الوقت - كما مر - مما يجعلنا نرجح هذا التاريخ .

وجعل نظامي بطل منظومته من بين ملوك الفرس القدماء ، فاختار شخصية « بهرام كور » أو « بهرام الخامس » الذي حكم من عام ٤٢٠ إلى عام ٤٣٨ م^(٣) .

(١) « هفت بيكر » معناها : « الصور السبع » ولعل الشاعر يقصد صور بنات ملوك الأقاليم السبعة التي رآها بهرام مرسومة على حيطان قصر الخورنق :

(٢) أز پس بانصد ونودسه بران كتم اين نامه راجو ناموران
روز برچارده زماه صيام چار ساعت زروز رفته تمام

(نظامي : هفت بيكر ، ص ٣٦٦-٣٦٧)

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٨١ . حيث يقول « إنه ملك »

وصور نظامی « بهرام » من ناحیتین ، ناحیه عامه یتعلق بحروبه وفتوحاته ، وناحیه خاصه یتصل بحبه ، وزواجه وحياته العائلیة الخاصة ، وربط بین الناحیتین ربطاً وثیقاً .

وذكر الشاعر أن هاتفاً أوحى إليه أن ينظم هذه القصة ، فانشرح صدره لها ، فأخذ في نظمها^(۱) .

ویدو أن الشاعر حاول أن یبر نظمہ لقصة ملك غير مسلم فاختلق هذا العذر ، حتى لا یتهم بأنه یحیی رسوم الزردشتیین ، كما اتهم فی أثناء نظم قصة « خسرو وشیرین » ؛ وهذه طريقة درج علیها الشاعر ، قبل الشروع فی نظم قصصه . ولم یحاول نظامی أن یدکر أن حاکماً بالذات قد طلب منه نظمها ، كما حدث فی منظومة « ایل و مجنون » ، لأنه نظمها من تلقاء نفسه ثم قدمها لحاکم مراغه « علاء الدین کرب أرسلان » ، وكان حاکماً ضعیفاً لا حول له ولا طول ، ولكن الشاعر أضفی علیه صفات البطولة والعظمة ، فی سبیل الظفر بالجائزة .

وحاول الشاعر أن یوحی إلى الملك باتخاذہ شاعراً خاصاً له ، فقال مخاطباً إياه : « إن الملك الذی كان اسمه ملکشاہ ، كان له وزیر یرعى الدین مثل السید « نظام الملك » ، وأنت أرفع منه منزلة ، لأن لك شاعراً کنظامی ، وقد ارتفع اسم نظامی بفضلک ، وسعدت حیاته بفیضک^(۲) » .

ثمانی عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً . ثم یدکر رواية أخرى تقرر أنه ملك ثلاثاً وعشرين سنة ، وعشرة أشهر وعشرين يوماً ؛ ثم یقول : « ولكن الأولى أرجح » .

(۱) نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۵-۲۱ .

(۲) وان ملکراکه بد ملکشه نام بود دین پروری چو خواجه نظام توکز ایشان به افسری داری چون نظامی سخنوری داری ای نظامی بلند نام از تو یافته کار او نظام از تو (نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۲)

وأخذ يشوّق الحاکم علی منحه بسخاء ، فقال : « إن الملوك الآخرين يمنحون - بسفّه - فی سبیل التظاهر والرياء ، وهم يبذرون الحب فی الأرض المملّحة ، ويضعون السكحل فی العین العمياء ، وإن بذر الحب فی الأرض المملّحة لن یُغلّ إلا الندم ، فالشجر يجب أن یُزرع فی الأرض الطيبة ، حتى ینتج ثمرًا مثل جنة الفردوس ^(۱) » .

ثم بین للحاکم أنه جعل المنظومة باسمه إلى الأبد ، حتى یقدرها حق قدرها ، فقال : « جعلت هذه المنظومة الخالدة ، باسمك إلى الأبد ، لأنه قال ميمون ، وإنه لسميد ذاك الشخص الذي یبني ثمار هذه المنظومة ، ویزود بها منزله ، فإن اسمه سیمد کر أبد الدهر ^(۲) » .

ثم بین الشاعر احتیاجه إلى العطاء ، فقال : « أنا محتاج لعطاء تلك اليد ، لأتی أفقت فی عن المیاء الأخری ^(۳) » .

ولا ندری - رغم هذا - ما إذا كان الحاکم قد أناب الشاعر علی عمله أم لا ،

(۱) خسروان دیگر زکان کزاف میزنند از خزینہ بخشی لاف
دانه در خاک شور میرزند سرمه در چشم کور میبزنند
در کل شوره دانه افشانی بر نیارد مگر پشیمانی
در زمینی درخت باید کشت کاورد میوه چو باغ بهشت
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۲)

(۲) نقش این کار نامه ابدی در تو بستم بطالع رصدی
مقبل آنکس که دخل دانه او برچنین آورد بخانه او
کابد الدهر تا بود برجای باشد از نام او صحیفه کشای
(الرجع السابق ، ص ۳۲-۳۳)

(۳) من که محتاج آب آن دستم از دگر آبها دهان بستم
(الرجع السابق ، ص ۳۴)

فلم يُشر نظامى - فيما نظمه من أشعار - إلى أنه قد أُنِيب على منظومته « هفت
پيكر » .

ومهما يكن من شيء ، فإن الشاعر اختار شخصية « بهرام كور » لأن
الحب لعب دوراً مهماً في حياته ، مما يجعل تصوير مناظر العشق من الأشياء التى
تضفى على المنظومة طرافة وجالاً ، وتجعلها محببة إلى نفوس الناس في عصره ، فقد
كانوا - كما مرَّ - يفضلون مثل هذه الموضوعات .

وأرجح أن الشاعر نظم قصة « بهرام كور » لأنها تلائم روحه الفنائية من
ناحية ، فضلاً عن أنها تلائم روح عصره ، وحاول أن يكتسب بها شهرة وثروة ،
ويبدو أنه حقق الشهرة ، ولم يوفق فى الوصول إلى الثروة .

ولن نستطيع أن نتبين مدى توفيق الشاعر فى عمله ، إلا إذا درسنا منظومته
ثم قارناً بينها وبين ما نظمه الفردوسى عن « بهرام كور » ، فنكتفى بهذه الدراسة
حول المنظومة ، لنأخذ فى دراسة المنظومة نفسها .

المفضل الثاني

قصه « هفت پیکر » کا صورہا نظامی

قدم الشاعر للقصة بمقدمة تقليدية في توحيد الله ، ومدح الرسول ، ومعراجه ، وسبب نظم القصة ، وتصويرها مفصلة ، ثم مدح الملك ، وابنيه ، وذكر فضل الكلام ، والحكمة ، والنصح ، ونصح ابنه باتباع انطلق الفاضل ^(١) .

ثم أخذ يسجل قصة « بهرام کور » ^(٢) ، فتحدث عن ولادته ، وبين أن والده « يزدگرد » أمر المنجمين بأن يقيسوا طالع المولود « فدل كل كوكب - بما في ذلك برجيس ^(٣) - على أنه مولود سعيد ، وأنه وُلِدَ بالسعد ، فُسِمِيَ بهرام ^(٤) » ^(٥) .

ثم أشار إلى أنه كان وحيد يزدگرد فقال : « لقد وُلِدَ ليزدگرد أبناء كثيرون - قبل ذلك بعشرين عاماً - ولكنهم لم يعيشوا » ^(٦) .

(١) نظامی : هفت پیکر ، ص ۲-۵۶ . وقد سبقت الإشارة إلى هذه الموضوعات وعرض صور منها .

(٢) سُمِيَ « بهرام الخامس » بهرام کور لأنه كان مغرمًا بصيد الحمر الوحشية التي واحدها بالفارسية « گور » .

(٣) « برجيس » اسم كوكب من الكواكب العظيمة .

(٤) اسم الكوكب الذي يدل على السعادة .

(٥) داده هر کوكب شهادت خویش همچو برجيس بر سعادة خویش

باچنين طالعی كه بر دم نام چو باقبال زاده شد بهرام

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۵۷)

(٦) پیش از ان حالتش بسالی بیدست چند فرزند بود وهيچ نزیست

(نفس المرجع والصفحة)

وكان يزدگرد ملكاً ظالماً^(۱) ، فأشار عليه المنجمون بإرساله إلى بلاد العرب ليتربى بينهم ؛ « فصمم على أن يرسله من بلاد العجم إلا بلاد العرب ، وأن يحطها مرماه ، فلعلمها تكون سبيكاً في إسعاده ، لأن الإنسان قد يشرف بفضل البقعة التي يتربى فيها »^(۲) .

« وأرسل شخصاً ، فدعا النعمان^(۳) ، ثم سلمه الطفل لتربيته^(۴) » .
ولما أتم بهرام العام الرابع من عمره ، لاحظ النعمان « أن الهواء جاف ، والبلاد حارة ، وأن الأمير رقيق ناعم ، فيجب أن يكون مرماه قصراً عالياً ينطاح السحاب حتى يتدفع فيه ، ويتربى في جو لطيف يعطره نسيم الشمال ، لأنه إذا عاش في جو معتدل ، فإنه ينتعش من النوم والراحة ، فلا تتأثر طباعه بحرارة البلاد وجفافها »^(۵) .

فأخذ النعمان وابنه المنذر يبحثان عن مهندس ماهر لبناء مثل هذا القصر

(۱) اشهر يزدگرد الأول بظلمه حتى لقب بـ « يزدگرد الأثيم » .

(۲) از عجم سوى تازيان تازد پرورشگاه در عرب سازد
مگر اقبال از انطرف يابد هرکس از بقعه شرف يابد
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۵۷)

(۳) الشاعر هنا يقصد النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ويقرر أنه اشترك مع ابنه المنذر في تربية « بهرام » .

(۴) کس فرستاد وخواند نعمان را لاله لعل داد بستان را

(المرجع السابق ، ص ۵۸)

(۵) کاین هوا خشک وین زمین گرمست وین ملکزاده نازک و نرمست
پرورشگاه او چنان باید کز زمین سر بآسمان ساید
تادر اوج برکشد پر وبال پرورش يابد از نسیم شمال
در هوای لطیف جای کند خواب وآرام جانفزای کند
گوهر فطرتش بماند پاک از بخار زمین و خشکی خاک
(نفس المرجع والصفحة)

حتى سمعا» أنه يوجد مهندس ذكى فى بلاد الروم ، يستطيع أن يصنع - بذكائه - الشمع من الحجارة .. كان اسمه سنار ، وكان ماهراً سريع العمل متقنه ، فتبن العالم كله بفنه واستحسنه ، وقد بنى قصوراً كثيرة فى مصر والشام ، كان كل قصر منهم آية فى الروعة والجمال^(۱) .

فأرسل النعمان فى طلبه ، وكلفه ببناء القصر ، فأخذ فى بنائه ، « واستعان بخمسين عاملاً ، واستغرق فى بنائه خمس سنوات^(۲) » .

« وكان هذا القصر يغير لونه كالعروس ثلاث مرات فى اليوم والليلة ، فيجد الإنسان ثلاثة ألوان زاهية جميلة ؛ هى الأزرق والأبيض والأصفر^(۳) » .

وقد سمي هذا القصر بالخورنق ، وأثيب « سنار » على بنائه بسخاء ، كما اشتهر النعمان ببنائه ، فذاع اسمه فى الآفاق ، ولما لم يلبث أن سأل « سنار » ما إذا كان يستطيع بناء قصر أحسن من الخورنق ، فأجاب بأن يستطيع أن يبنى قصرأ يغير لونه سبع مرات فى اليوم والليلة ، فسيبصر الناس سبعة ألوان مختلفة جميلة ، فغضب النعمان وقال : « إذا أبقيته ، فسوف يبنى - بالقوة والذهب - قصرأ أجمل منه فى مكان آخر ، فيذهب اسمى وصيتى ، ويسىء إلى ، ثم أمر

(۱) هست نام آوری زکشور روم زیرکی کو زسنگ سازد موم
چابکی چرب دست وشیرین کار سام دستی ونام او سنار
دستبرش همه جهان دیده بهمه دیده پسندیده
کرده چندین بنا بمصر وشام هریکی در نهاد خویش تمام
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۵۹)

(۲) پنجه کارگر آهن سنج بر بنا کرد کار سالی پنج
(المرجع السابق ، ص ۶۰)

(۳) در شباً نروزی از شتاب ودرنگ چون عروسان برآمدی به رنگ
یافتی از سه رنگ ناوردی ازرق و سپیدی وزردی
(المرجع السابق ، ۶۰-۶۱)

رجاله أن يحملوه ويلقوا به من فوق القصر سريعاً^(۱) .
 وقد ندم النعمان على فعلته^(۲) ، فذهب إلى الصحراء ليبتكف ، ويكفر عن
 ذنبه ، وترك أمر تربية بهرام لابنه المُنذر ، الذي أخلص في تربيته ، وتوفر
 عليها ، فأحضر المربين في الخورنق ، فعلموه العربية والفارسية واليونانية^(۳) ،
 وظلوا يلقنونه العلوم المختلفة ، « حتى أصبح بهرام ذا نصيب وافر من الثقافة ،
 وصار يعرف مختلف العلوم معرفة تامة^(۴) » .

ثم برع في فن الفروسية ، وأجاد استعمال جميع أنواع الأسلحة ، وبلغ من
 مهارته « أنه كان إذا قذف حجراً بسهمه ، جعله يتفتت ويقدح شرراً^(۵) » .
 « وصار الصيد والشراب شغله الشاغل ، فلم يكن له عمل غيرها ، وعشق صيد
 الحمار الوحشي ، فكان يصطاده في مهارة وجراءة .. وكان قد حرم على نفسه صيده ،
 إذا لم يكن عمره أربع سنوات^(۶) » .

- (۱) گفت اگر مانمش بزوز و بزr به ازیفی کند بجای دگر
 نام وصیت مرا تباه کند نامه خویش را سیاه کند
 کارداران خویش را فرمود تا برند از در افکنندش زود
 (المرجع السابق ، ص ۶۲)
- (۲) نعى الشاعر على النعمان مقابله الإحسان بالإساءة ، واعتبره مثلاً سيئاً
 لمن يكافئ المتقن بالتكر والسوء ؛ كما صار سنار مثلاً لمن يجنى من الخير شراً . ومن
 اللورد شوکا قفیل « جوزی جزاء سنار » .
- (۳) نظامی : هفت پیکر : ص ۶۶ .
- (۴) تا چنان بهره مند شد بهرام کاصل هر علم را شناخت تمام
 (نفس المرجع والصفحة)
- (۵) تیغ اگر برزدی بتارک سنگت آب گشتی ولیک آتش رنگت
 (المرجع السابق ، ص ۶۷)
- (۶) کارش إلا بمی وشکار نبود بادگر کارهاش کار نبود =

وَأَصْبَحَ اسْمُ بَهْرَامَ « بهرام کور » ؛ وَبَلَفَتْ بَرَاعَتُهُ فِي الصَّيْدِ إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهُ اصْطَادَ - ذَاتَ مَرَّةٍ - حِمَارًا وَأَسْدًا بِسَهْمٍ وَاحِدٍ « رماه فاخترق جسميهما ، ثم خرج منهما ، وغرق حده في الأرض ، لأن سهماً كسبه - لا يقف أمامه حاجز أو درع ^(۱) » .

وَمَا عَلِمَ الْمُنْذِرُ بِذَلِكَ « أَمْرُ الرِّسَامِينَ أَنْ يَرْسُمُوا - بِالذَّهَبِ - صُورَةَ حِمَارٍ فَوْقَهُ أَسَدٌ ، عَلَى حَائِطِ الْخُورْنَقِ ، وَيَرْسُمُوا الْأَمِيرَ وَقَدْ ضَرَبَ سَهْمًا اخْتَرَقَ هَذَيْنِ الصَّيْدَيْنِ ، وَغَرَقَ - إِلَى حُدِّهِ - فِي الْأَرْضِ ^(۲) » .

وَفِي مَرَّةٍ أُخْرَى ؛ كَانَ بَهْرَامُ يَجْرِي وَرَاءَ حِمَارَةٍ ، فَقَادَتْهُ إِلَى غَارٍ فِيهِ ثَعْبَانٌ ، وَكَانَ الثَّعْبَانُ قَدْ ابْتَلَعَ ابْنَ الْحِمَارَةِ ثُمَّ نَامَ ، فَرَمَاهُ بَهْرَامُ بِسَهْمٍ « شَقَّهُ نِصْفَيْنِ مِنْ ذَيْلِهِ إِلَى رَأْسِهِ ، وَوَجَدَ الْحِمَارَ الصَّغِيرَ فِي بَطْنِهِ ^(۳) » . كَمَا وَجَدَ هُنَاكَ كَنْزًا عَظِيمًا ، « فَأَمَرَ خِدَامَهُ الْأَقْوِيَاءَ الشَّجَاعِينَ أَنْ يَشُقُّوا طَرِيقًا إِلَى الْكَنْزِ ، ثُمَّ

= مرده کور بود در نخجیر مرده را که بود زگور گزیر

.....

خون آن کور کرده بود حرام که نبودش چهار سال تمام
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۶۸-۶۹)

(۱) سفته بر سفت شیر و کور نشست سفت و از هر دوسفت بیرون جست
تا سوفار در زمین شد غرق پیدش تیری چنان چه درع و چه درق
(المرجع السابق ، ص ۷۱)

(۲) گفت منذر بکار فرمایان تا پیرگار صورت آریان
در خورنق نگاشتند بزر صورت کور زیر و شیر زیر
شه زده تیرو جسته زاند و شکار در زمین غرق گشته تا سوفار

(المرجع السابق ، ص ۷۱)

(۳) از دمش بر شکافت تا بدمش بچه کور یافت در شکش

(المرجع السابق ، ص ۷۰)

يستخرجوا الكنز ويحملوه^(١) .

ولما رجع بهرام أمر المنذر بأن ترسم صورة صراعه مع الثعبان ، « فكان الرسام يرسم كل ما يفعله بهرام - من ضروب البطولة - على جيطان الخورنق^(٢) . وذات يوم ؛ دخل بهرام حجرة في الخورنق ، « فوجد فيها صور سبع فتيات جميلات ، تنتسب كل منهن إلى إقليم معين^(٣) » .

وكانت هؤلاء الفتيات بنات ملوك أقاليم العالم السبعة ، وهن : « فورك » بنت ملك الهند ، و « يفا » بنت ملك الصين ، و « نازبرى » بنت ملك خوارزم ، و « نسرین نوش » بنت ملك سقلاب ، و « آزريون » بنت ملك المغرب ، و « هلمى » بنت قيصر الروم ، و « نطاوس » بنت كسرى ملك الفرس . الذى كان من نسل كيكائوس^(٤) .

كما رأى أنه قد كُتِبَ بين الصور - بخط جميل - أن بهرام زينة الأميرات وقلبهن^(٥) ، مما يوحى بأنه سيتزوجهن جميعاً .

« ورسم الرسام صورته ، وكتب فوقها « بهرام كور » ، كما كتب أن الأفلاك للسبعة تقرر أنه البطل الذى سيحكم الدنيا جميعها ، وسيتزوج سبع أميرات .

(١) شاه فرمود تا کمر بندان هم دلیران و هم تنو منندان

راه در گنجندان غار کنند گنج بیرون برند و بار کنند

(نظای : هفت پیکر ، ص ۷۶)

(۲) هر چه کردی بدین صفت بهرام بر خورنق نگاشتی رسام

(المرجع السابق ، ۷۷)

(۳) هفت پیکر دراو نگاشته خوب هریکی زان بکشوری منسوب

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) المرجع السابق ، ص ۷۷-۷۸ .

(۵) المرجع السابق ، ص ۷۸ .

من سبعة أقاليم ، ويصبح بينهن كالدرة اليتيمة »^(۱) .

« وقد استقرح به هؤلاء الفتيات الفاتنات في قلبه ، وملك عليه حواسه »^(۲) .
وهكذا مهد الشاعر لبده قصص الأميرات السبع ، ثم أخذ يبين كيف تحقق حلم بهرام ، فقال إن يزدگرد أبو بهرام توفى في تلك الأوقات ، وخشى العطاء أن يسندوا العرش إلى بهرام ، فيصير ظالماً كأبيه ، كما خشوا ألا يجيد أصول الحكم ، لأنه تربى بين العرب ، فأسندوه إلى رجل مُسَيَّن من نفس الأسرة ، كان اسمه « خسرو » .

وعلم بهرام بذلك ، فجمع جيشاً بمساعدة المنذر ، وسار به لغزو إيران^(۳) ، فلما وصل إلى حدود وطنه أرسل إليه الملك الجديد خطاباً يقول فيه : إنه لم يغتصب الملك ، وإنما اختاره العطاء ، تحقيقاً لإرادة الشعب الذي كره والده لظلمه ، ثم خاطبه في نهاية الخطاب بقوله : « الأفضل أن ترجع من حيث أتيت لأن أحداً لا يريدك ملكاً »^(۴) .

فأجاب بهرام قائلاً « أبى شخص وأنا شخص آخر ، وإذا كان هو ظالماً ، فإننى كريم الأخلاق »^(۵) .

(۱) بر نوشته دیر پیگر او نام بهرام گور بر سر او
کاین جهان جوی چون برارد سر
در کنار آورد چو در یتیم
(نظامی : هفت پیگر ، ص ۷۸-۷۹)

(۲) مهرآن دختران زیساروی در دلش جای کرد موی بموی
(المرجع السابق ، ص ۷۹)

(۳) المرجع السابق ، ص ۸۰-۸۵ .

(۴) چون نخواهد ترا بشاهی کسی به کز این پایه باز کردی پس
(المرجع السابق ، ص ۸۸)

(۵) پدرم دیگر است ومن دگرم کان اگر سنگ بود من کهرم
(المرجع السابق ، ص ۸۹)

ثم بين أنه الوارث الشرعى للعرش، ووعد بالمدل والعفو عن الأخطاء قائلا :
« لن أنظر إلى خطأ أحد ، ولن أطمع فى مال ، أو أفكر فى قتل إنسان ،
ولن أنذكر الأخطاء الماضية ، وسأرضى وأسر بالوضع الحاضر ، وسأفعل معكم
ما يجب عمله ، وأخذ منكم ما يجوز أخذه ^(١) » .

فلما سمع رجال الدين ذلك أقروه وأيدوه ، وخاطبوه بقولهم : « إن الملك
خليق بجهرك ، ولئن كان التاج معنا ، فإنه جدير بأن يكون فوق رأسك ^(٢) » .
فاقترح بهرام عليهم « أن يضعوا التاج بين أسدين قويين ، وأن يبايع الناس
من يستطيع منهما أن يأخذ التاج من بين الأسدين بالملك ^(٣) » .

فخاف الملك الشيخ ، وآثر التنازل ، ولكن أشياعه نصحوه بالتريث ،
وأشاروا عليه بأن يقبل ما اقترحه بهرام ، وأن يدعه يتقدم لأخذ التاج ، فإن
أفلح فى أخذه صار ملكاً ، وإن قتله الأسدان بقى الملك له ، فقبل ذلك ،
« فجهم بهرام على الأسدين ، وقتلهم ، وألقى برأسيهما إلى الأرض ، ومزقهما
شر ممزق ، ثم وضع التاج على رأسه وجلس على العرش ، بعد أن أظفره الحظ ،
وكان أخذ التاج من بين أسدين سبباً فى إذلال المنافقين ^(٤) » .

(١) در خطای کسی نظر نکنم طمع مال و قصد سر نکنم

از کناه گذشته نارم یاد بانمودار وقت باشم شاد

باشما آن کنم که باید کرد وز شما آن خورم که شاید خورد

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۹۰)

(۲) تاجدارى سزای کوهراست تاج باماست ايک بر سرتست

(المرجع السابق ، ص ۹۱)

(۳) تاج شاهان ز سر بزير نهند در میان دو شرزه شیر نهند

هرکه تاج ازدوشير بستاند خلقش آن روز تاجور خواند

(المرجع السابق ، ص ۹۵)

(۴) شه بتأديشان چورای افکند سر هر دو بزیر پای افکند =

ثم صمم بهرام - بعد جلوسه على العرش - على العدل بين الناس ، فقال :
 « سوف لا أدير ظهري لنعمة الله ، بل أشكرها ، ولم لا أشكر وأخذُ
 التاج من بين أسدين كان بقوة الله ، لا بقوة السيف ١٩ . وما دمتُ قد وصلتُ
 إلى العرش والتاج ، فإننى سوف أعمل الأعمال المحببة إلى الله ^(١) . »

« ونشر بهرام العدل في ربوع العالم ، فَمَلَّتْ كُلُّ أَلْفٍ ، وشجع النصفين ،
 واضطهد الظالمين ، فظهرت السعادة في عصره ، وتولى البؤس إلى غير رجعة ^(٢) . »
 « وارتفع شأن بهرام ، وصارت الدنيا جميعها طوع أمره ، فسكان يعيش
 سعيداً ، يعدل بين الرعية ، ويدخل السرور على الشعب ^(٣) . »

وبالغ من عدله أنه بذل كل ماوسمه لدرء خطر مجاعة حدثت في سنة من

-
- = پنجه‌شان پاره کرد و دندان خرد سرو تاج از میان شیران برد
 تاج بر سر نهاد و شد بر تخت بختیاری چنین نماید بخت
 بردن تاجش از میان دوشیر روپهان را ز تخت کرد بزر
 (نظامی : هفت پیکر ، ص ۹۸)
 (۱) پشت بر نعمت خدا نیکم شکر نعمت کنم چرا نیکم ۱۹
 تاج برداشتن ز کام دوشیر از خدا دانم آن نه از شمشیر
 چون رسیدم بخت و تاج باند کارهائی کنم خدای پسند
 (المرجع السابق ، ص ۹۹)
 (۲) رسم انصاف در جهان آورد عدل را سر بر آسمان آورد
 کرد با داد پروران یاری باستمکارگان مستمکاری
 قفل غم را درش کلید آمد کامد او فرخی پدید آمد
 (المرجع السابق ، ص ۱۰۱)
 (۳) کاروبار بر آسمان آورا زیر فرمان همه جهان آورا
 آو جهانرا بخرمی میخورد داد میداد و خرمی میکرد
 (المرجع السابق ، ص ۱۰۳)

السنوات نتيجة لقلة الحصول ؛ « فخلص بهرام الناس من شر المجاعة ، ولم يمت غير شخص واحد ، حزن عليه حزناً شديداً ^(۱) » .

وبلغت عناية بهرام بشعبه درجة جعلته يحضر المنين ، ويوزعهم على أنحاء المملكة ليشيع السرور بين الناس ، وتصبح حياتهم سعيدة ، « فاستدعى ستة آلاف من رواة القصص ، ومن المطربين والراقصين ، من مختلف الجهات ، وخص كل إقليم بعدد منهم ، حتى يُسرَّ الناس في كل مكان يعيشون فيه ^(۲) » .

و ذات يوم ؛ خرج بهرام للصيد ، واصطحب معه جاريته فتنة ^(۳) التي كانت فتاة جميلة ، تجيد الضرب على العود ، والغناء والرقص ؛ وكان بهرام يأخذها معه دائماً - حين يخرج للصيد ، ليصطاد على غنائها . فاصطاد - في ذلك اليوم - حمراً كثيرة ، وقضى يومه مـروراً . وأخيراً عَنَّ له حمار وحشى ، فأشارت فتنة عليه أن يضربه بسهم ، بشرط أن يربط هذا السهم بين حافر الحمار ورأسه ، ففعل بهرام ، ونجح فيما طلبته ، ولكن الجارية قالت : « إن اختراق السهم لحافر الحمار من كثرة التمرين ، وليس من فرط القوة ^(۴) » .

(۱) جمله خلق جان ز تنگی برد جز یکی تن که او بتنگی مرد

شاه از آن مرد بینوا مرده تنگدل شد چو آب افسرده

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۰۴-۱۰۵)

(۲) شش هزار اوستاد دستان ساز مطرب و پای کوب ولعبت ساز

گردد کرد از سوادهر شهری داد هر بقعه را از ان بهری

تا بهر جا که رخت کش باشند خلق را خوش کنند و خوش باشند

(المرجع السابق ، ص ۱۰۶)

(۳) المرجع السابق ، وترد قصة بهرام مع جاريته فتنة من ص ۱۰۷-۱۲۰ .

(۴) رفتن تیر شاه برسم کور هست از ایدمان نه از زیادت زور

(المرجع السابق ، ص ۱۱۰)

و غضب بهرام ، ولم يقتلها بنفسه ، حتى لا يرتكب إنمّا ، فسلمها لضابط كبير ليقوم بقتلها ، واسكن فتنة توسلت إلى الضابط ، ورجته أن يتركها على قيد الحياة ، وأن يخبر الملك بأنه نفذ ما أراد ، فإن تأثر بقيت حية ، وإن لم يتأثر عاد فقتلها ، ففعل الضابط ذلك ، وذهب إلى بهرام ، وأخبره بأنه قتل فتنة ، فتأثر بهرام ، وبكى من شدة التأثر ، فظلت فتنة حية في منزل الضابط .

وتصادف أن عاجلاً وُلِدَ في يوم دخول فتنة منزل الضابط ، فصارت تحمله ، وتصدد به إلى أعلى المنزل ، حتى مررت على ذلك ، واستطاعت أن تحمل العجل ، وتصدد به بعد أن صار ثوراً .

وذات يوم ؛ دعا الضابط بهرام إلى حفل أقامه في منزله ، فسأله بهرام : كيف تستطيع أن تصعد درجات السلم وقد أصبحت في سن الستين ١٩ . فأجابه الضابط بأن عنده جارية تستطيع أن تصعد هذه الدرجات حاملة ثوراً ، ثم رأى بهرام « فتنة » ، فسر ببقائها على قيد الحياة « وأحضر الموازنة ليعقدوا له على هذه الفاتنة ، ثم قضى معها زمناً طويلاً ، ينعم بالسعادة والسرور ^(١) » .

وسمع ملك الصين أن بهرام مشغول بالحلب والاهو ، فظن أنه يستطيع أن يغزو إيران في سهولة ويسر ، فسار إليها على رأس جيش كبير « يبلغ ثلثمائة ألف رجل من الفرسان المهرة ، كأنهم ثعابين متوحشة ^(٢) » .

وأيّ قن بهرام أن جيشه ليس مستعداً للانزال ، فخرج على رأس ثلثمائة من شجعانه ، وظن القوم أنه هرب ، فأرسلوا إلى ملك الصين يستعطفونه ، ويتعهدون

(١) موبدان را بشرط پیش آورد ماه را در نسکاح خویش آورد

بود با او بلهو وعشرت وناز تابرين رفت روزگار دراز

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۲۰)

(٢) در رکابش چو اردهای دمان بود سیصد هزار سخت کمان

(المرجع السابق ، ص ۱۲۲)

بدفع الجزية ، فسُرَّ ، وانصرف إلى اللهو ، فهجم بهرام على معسكره ليلاً^(۱) ،
« وحل على شجعان الصين ، بالسيف تارة ، وبالرمح تارة أخرى^(۲) » .

وانتهى الأمر بانتصار بهرام ، فأخذ يلوم الخونة من الأشراف ، الذين
اعتذروا عما بدر منهم ، فمعا عنهم ، وانصرف إلى الإصلاح .

وأصبح بهرام - بعد النصر - قوياً ، « يأخذ الجزية من ملك الهند أحياناً ،
ويأخذ الخراج من قيصر الروم ، أحياناً أخرى^(۳) » .

وأظَلَّ ملكه الأرض والسماء « فأصبحت الأرض تستظل آمنة بظله ،
وصار الفلك تحت عرشه^(۴) » .

وبذلك تحققت آمال بهرام ، ولم يبق أمامه إلا أن يتزوج الأميرات السبع
اللاتي رأى صورهن في قصر الخورنق ، فأرسل من يخطفهن له ، وأسر أحد
تلاميذ « سِنِّتَار » ببناء سبعة قصور ، لينخصص كل قصر منها لأميرة منهن ،
فيفضي معها يوماً من أيام الأسبوع .

وبنى هذا المهندس القصور السبعة ، وجعل لها سبع قباب ، كما جعل لون
كل قبة منها يشبه لون كوكب من الكواكب السيارة ، مما صورده الشاعر في
قوله : « بنى سبع قباب على غرار الصور السبع ، وجعلها تشبه الكواكب

(۱) وردت قصة حرب بهرام ضد ملك الصين مفصلة في هفت پیکر ، من ص ۱۲۰-۱۳۲

(۲) بدلیران چین کشاد عنان حمله بر گه بتیغ و گه بسنان
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۲۴)

(۳) که ز قفقور باج بستاند که ز قيصر خراج بستاند
(المرجع السابق ، ص ۱۳۱)

(۴) هم زمین در پناه سایه او هم فلك زین تحت پایه او
(المرجع السابق ، ص ۱۳۲)

السبعة ، فأصبحت أقاليم العالم السبعة^(١) جميعها طوع أمره ، كما أصبحت سبع أميرات زوجات له^(٢) .

« وجعل بهرام لكل أميرة منهن قصرًا ، يشبه قبة أحد الكواكب في لونها ، وتنطبق أحيانًا مع لون الأميرة وقصتها^(٣) » .

وكان أثاث كل قصر وما فيه من لباس ، يشبه لون القبة . ثم تزوج بهرام الأميرات ، وصار يقضى كل يوم من أيام الأسبوع مع أميرة منهن ، في القصر المخصص لها ؛ ويلبس - في كل قصر - ثيابًا يناسب لونها لون القبة .

فالقبة السوداء كانت تطابق « كيوان » ، وكانت مخصصة للأميرة الهندية التي كان بهرام يقضى معها يوم السبت من كل أسبوع^(٤) .

والقبة الصفراء كانت تطابق « الشمس » وكانت مخصصة للأميرة الصينية التي كان يقضى معها يوم الأحد من كل أسبوع^(٥) .

والقبة الخضراء كانت تطابق « القمر » وكانت مخصصة للأميرة الخوارزمية التي كان بهرام يقضى معها يوم الاثنين من كل أسبوع^(٦) .

(١) كان الجغرافيون القدماء يقسمون العالم إلى سبعة أقاليم بنفس الترتيب الذي ذكره نظامي .

(٢) برکشيدہ براین صفت پیکر هفت کنبد بطبع هفت اختر

هفت کشور تمام در عهدش دختر هفت شاه در مهدش

(نظامی هفت پیکر ، ص ١٤٥)

(٣) کرده هر دختری برنگ و برای کنبدی را ز هفت کنبد جای

(المرجع السابق ، ص ١٤٦)

(٤) يكاد التقويم الأوربي يكون مشابهاً لهذا ، فيعبر عن « كيوان » بالانجليزية

بكلمة : Saturday

(٥) يعبر عن يوم الشمس بالانجليزية بكلمة : Sunday

(٦) يوم الأحد يعبر عنه بالانجليزية بكلمة : Monday التي هي : Moon day ،

كما يعبر عنه باللاتينية بكلمة : Lunae dies

والقبة الحمراء كانت تطابق « المريخ » وكانت مخصصة للأميرة السفلاية ،
التي كان يقضى معها يوم الثلاثاء من كل أسبوع ^(١) .

والقبة الفيروزية كانت تطابق « عطارد » وكانت مخصصة للأميرة المغربية ،
التي كان يقضى معها يوم الأربعاء من كل أسبوع ^(٢) .

والقبة البنية كانت تطابق « المشتري » ، وكانت مخصصة للأميرة الرومية ،
التي كان يقضى معها يوم الخميس من كل أسبوع ^(٣) .

والقبة البيضاء كانت تطابق « الزهرة » ^(٤) وكانت مخصصة للأميرة الإيرانية ،
التي كان يقضى معها يوم الجمعة من كل أسبوع ^(٥) .

وكانت كل أميرة من هؤلاء الأميرات تقص على بهرام - في اليوم الذي
يقضيه معها - قصة لها صلة بلون القصر الذي تعيش فيه ؛ وكان في كل قصة من
هذه القصص حديث حب ^(٦) .

ويبدو أن نظامي حرص على أن يتم لبهرام بناء القصور ذات القباب
اللسع ، مختلفة الألوان ، حتى يتحقق له ما لم يتحقق مثله في أثناء إقامته في بلاد

(١) يوم المريخ يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Mardi وباللاتينية بكلمة :
Mardis dies.

(٢) يوم عطارد يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Mercredi وباللاتينية بكلمة :
Mercurii dies.

(٣) يوم المشتري يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Jeudi وباللاتينية بكلمة :
Lovis dies.

(٤) يوم الزهرة يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Vendredi وباللاتينية بكلمة :
Veneris dies.

(٥) للاعظ في هذا التعميم أنه يربط الأيام بالكواكب ، وهو شيء لا يوجد في
التقويم الإسلامي ، وأعله مأخوذ مما كان عند قدماء البابليين .

(٦) هذا يشبه - إلى حد كبير - ما نجد في « ألف ليلة وليلة » .

العرب ؛ فإن قصر الخورنق الذى بناه « سنار » كان يغير لونه ثلاث مرات فى اليوم والليلة . وقتل الفهمان « سنار » لما علم أن فى استطاعته بناء قصر أجل من الخورنق يغير لونه سبع مرات فى اليوم والليلة ، كما مر .

ويبدو أن نظامى ربط لون القباب بلون السكواكب متأثراً بدراسه لعلم للنجوم ، ولأن طالع بهرام ارتبط بالنجوم منذ ولادته ، مما يجعل الربط بين لون القباب ولون السكواكب من الأشياء التى تجلب السعادة .

ومن الملاحظ - أيضاً - أن الشاعر جعل ابنة ملك الإقليم الأول - وهو الهند - هى الأميرة التى يقضى معها اليوم الأول من أيام الأسبوع ، أى يوم السبت ؛ وهو يقابل « كيوان » الذى يقال إنه أسود اللون ، مما يجعله مطابقاً للون القبة ، ويتفق مع لون الأميرة التى تسكن تحت هذه القبة .

وقد فعل الشاعر هذا مع كل أميرة ، وكان لون الأميرة يشبه - أحياناً - لون القبة التى تعلق قصرها .

كما اتخذ الشاعر اللون رمزاً للهدف الذى ترمى إليه القصة ، وللمحور الذى تدور حوله .

فالقصة التى تقال تحت القبة السوداء ، تكون خاتمتها الحزن على ذهاب شئ سار ، واللون الأسود هو رمز الحزن .

واللون الأحمر اتخذ رمزاً لقصة تنتهى بالفرح والزواج ، واللون الأبيض كان رمزاً لقصة تهدف إلى تمجيد الطهر والعفاف . وهكذا فى القصص الأخرى .

واختيار اللون محوراً تدور حوله قصة كل أميرة ، يعتبر من خلق نظامى ، مما جعل هذه القصص تشبه - إلى حد كبير - ما يسمى « بالقصص الرمزية » .

ولعل فى هذا ما يفسر لنا تسمية المنظومة بـ « هفت پيكر » أى الصور السبع ؛ فإن الصور التى رآها بهرام فى الخورنق هى التى أوحى بذلك .

وكانت الألوان تلمب دوراً مهماً في هذه الصور ، لأنها كانت لأُميرات مختلفات الألوان ؛ فضلاً عن أنها لعبت دوراً بارزاً في بناء الخورنق ، بل إنها كانت سبباً في العصف بسنار . فليس عجيباً أن يعطى الشاعر للألوان كل هذه الأهمية ، ويجعلها محاور تدور حولها القصص .

أما السبب في إيراد هذه القصص على لسان الأُميرات ، فكان إمتاع الملك ، وإثارة غريزة الحب في نفسه ، كما يبدو من قول الشاعر : « كانت كل أُميرة تحكي قصة تثير الحب ، حتى تلمب عاطفة كل منهما » ^(١) .

ثم أخذ الشاعر - بعد ذكر القباب ووصفها - يصور أسبوعاً من حياة بهرام ، فلنشاهد صورته فيما يلي :

* * *

١ - بهرام تحت القبة السوداء

زار بهرام الأُميرة الهندية - في يوم السبت - في القصر الذي تعلوه القبة السوداء ، وقضى معها يوماً سعيداً ؛ وفي المساء قصت عليه قصة : هي أنها حينما كانت الأُميرة طفلة ، كانت امرأة تحضر إلى منزلها كثيراً ، وكانت تلبس ثياباً سوداء ، فلما سألتها عن السر في ذلك ، أجابت بأنها كانت جارية لملك كريم لطيف ، يحسن استقبال الناس ، ويكرمهم ، فتغيب هذا الملك مدة ، « ثم رجع يوماً إلى عرشه فجأة ، غير أنه كان يلبس ثياباً سوداء تغطيها من رأسه إلى إخص قدمه » ^(٢) .

(١) گفتی افسانهای مهر انگیز که کند گرم شہوتان را نیز

(نظامی : ہفت پیکر ، ص ۱۴۶)

(٢) ناکہان روزی از عنایت بخت آمد آن تاجدار بر سر تخت

از قبا وکلام وپیرھنش پای تاسر سیاه بود تنش

(المرجع السابق ، ص ۱۶۰)

وذات ليلة ؛ تجامرت الجارية ، وسأت الملك عن سر ارتدائه الثياب السوداء ، فأجاب بأن أحد رجاله كان يلبس زياً أسود اللون دائماً ؛ فسأله الملك عن السبب في ذلك ، فتردد الرجل قليلاً ، ثم حكى أنه : توجد مدينة في بلاد الصين ، لا يلبس سكانها إلا الثياب السوداء ، وأن هذه المدينة كانت سبباً فيما أصابه من سوء حظ ، ولم يزد على ذلك شيئاً ، ثم ذهب .

فتوجه الملك إلى تلك المدينة ، ثم تعرف على شاب ، وأعطاه مالاً ، وطلب منه أن يحمل له هذا السر الغامض ، فحمله الشاب إلى خارج المدينة ، حيث كانت توجد منطقة خربة ، فيها سلة معلقة في حبل ، ثم طلب منه أن يجلس في السلة ، فلم يكذب يجلس فيها حتى ارتفعت ، وحلته إلى أعلى برج ؛ فخاف الملك كثيراً ، ومضى على ذلك بعض الوقت ، ثم جاء طائر كبير ، وجلس على البرج ، ونام طول الليل ، وطار في الصباح ، فأمسك الملك برجل الطائر ، فحمله وطار به بعض الوقت ، ثم حط في حديقة جميلة ، وتركه فيها ، ثم طار .

وكانت الحديقة مملوءة بالأشجار والفواكه ، فسكت الملك فيها حتى جنّ الليل ، وحينذاك أخذت الحديقة تمتلئ بالفتيات الجميلات ، المزينات بالذهب في أيديهن وسواعدهن ، وبالجواهر والآلئ في رقابهن وآذانهن ، وكن يمسكن بالشموع الزاهية التي يبدد نورها الظلام والفرش^(١) .

ثم جاءت بعد ذلك امرأة فاتنة الجمال ، كانت سلطانتهم ، فلما رأت الملك دعته إلى عرشها ، وأمرت الفتيات بإحضار الطعام والشراب ، فلما فرغ الملك من الأكل معهن ، أمرت السلطانة بإحضار المغنيات ، فبدأ الغناء والرقص ، ولم يلبث الملك أن اشتغل بالتقبيل والشراب ، مما صورته الشاعر في قوله على لسان الملك :

(١) دست وساعد پر از علاقه زر کردن وگوش پر زلزلوتر
شمعهای بدست شاهانه خالی از دود وگاز وپروانه
(نظامی : هفت پیکر ، ص ١٤٩)

« فارستُ العشق عن طريق الشراب والقبل ، واستولى الشوق على قلبي .
وجميع جوارحي ^(۱) »

وأظهرت السلطنة حبها للملك ، ثم قالت له : « اكتف الليلة بالقبل ،
ولا تطمع في أكثر من ذلك ، حتى لا تمكر صفو السماء ^(۲) » .

ولكنها خشيت أن يفضب فأجازت له أن يختار فتاة ليقضى معها ليلته ،
فاختار واحدة ، حَمَلَتْ معه إلى قصر جميل ، فقضى معها ليلته سعيداً .

ولما استيقظ في الصباح وجد نفسه وحيداً ، فقضى يومه في الحديقة ، وظل
يأكل مما فيها من فاكهة لذيدة ، حتى أقبل الليل ، فتكرر ما حدث في الليلة
السابقة ، وقنع الملك بأن يفعل مافعله فيها ، وقضى ليلته مسروراً ؛ وظل على هذا
المنوال تسعاً وعشرين ليلة ، ثم أراد في الليلة الثلاثين أن يتمتع بالسلطنة نفسها ،
فقالت له : « اغمض عينيك قليلاً ، حتى أخلع ملابسي ^(۳) » .

ففعل الملك ذلك ، ولكنه لم يكذبفتح عينيه ثانية ، حتى وجد نفسه
وحيداً فوق ذلك البرج ، يجلس في تلك السلة عيناها ، وبعد قليل « جاء ذلك
الصديق ، وسحب الحبل ، فهبطت السلة إلى الأرض ^(۴) » .

ثم قال له : « لو قصصتُ عليك هذا مائة عام ، ماصدقتني مثلما رأيتَ

(۱) عشق مياختم بیوس وبمی بدلی وهزار جان باوی

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۶۴)

(۲) گفت امشب بیوسه قانع باش بیش از این رنگ آسمان متراش

(الرجع السابق ، ص ۱۶۵)

(۳) گفت يك لحظه دیده را دربند تاكشایم در گنجینه قند

(الرجع السابق ، ص ۱۷۹)

(۴) آمد آن یار وزان رواق بلند سبدم را رسن گشاد زبند

(الرجع السابق ، ص ۱۸۰)

بعینی رأسک^(۱) .

ونصحه بالسكوت قائلا : « ذهبتَ ورأيتَ الأسرار .. فَمَنْ جديرٌ بأن تقص عليه هذه القصة ؟ ! .. »^(۲) .

فتأثر الملك ، ولبس الثياب السوداء حداداً على ماوئى من نعيم ؛ مما صورّه الشاعر في قوله على لسان الملك : « فاحترقتُ بنار الشوق ، ولبستُ الثياب السوداء تظلماً ، ورجعتُ إلى عملى كتى ضيق القلب مجللاً بالسواد^(۳) .
ثم أخذت الأميرة تبين لبهرام - فى نهاية القصة - مزايا اللون الأسود ، فاستحسن قصتها ، وقضى معها ليلته مسروراً^(۴) .

* * *

۲ - بهرام تحت القبة الصفراء

وفى يوم الأحد ؛ زار بهرام الأميرة الصينية ، فى القصر ذى القبة الصفراء ، فقضى معها يوماً سعيداً ، ثم قصت عليه قصة هى : أن أحد ملوك العراق كان متخصصاً فى كل علم وفن ، « وكان قد عرف - من قراءة طالعه - أن الشر

(۱) گفت اگر کفتمى بتو صد سال باورت نامدى حقيقت حال
(نظامى : هفت پيكر، ص ۱۸۰)

(۲) رفقى وديدى آنچه بود نهفت اين چنين قصه با كه شايد گفت ؟ !
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) من درين جوش گرم جوشيدم وز تظلم سياه پوشيدم
.....

سوى شهر خود آمدم دلتنگت برخود افكنده از سياهى رنگ
(نفس المرجع والصفحة)

(۴) المرجع السابق ، ص ۱۸۱ .

یأتی إلیه من قِبَل النساء^(۱) .

فامتنع عن الزواج ، واستعاض عنه بشراء الجوارى الجمیلات ، وكانت فی منزله عجوزاً ماكرة ، فكانت تسعى للإفساد دائماً ، حتی یضطرّ الملك إلی بیع الجوارى^(۲) .

وذات یوم ؛ أحضر بائع الجوارى عدداً من الجوارى الفاتنات ، فأمرت إحداهن الملك بجمالها ، فأراد أن یشتريها ، ولكن البائع حذرہ منها ، وأخبره بأن فیها عیباً ، هو أنها بلا رحم ، مما نفر الناس منها ، غیر أن الملك اشتراها ، ثم تبین أنها « تجید الخدمة ، وتحسن إدارة المنزل^(۳) » .

ثم اختلى الملك بالجارية - ذات لیلۃ - وسألها عن سر ما بها ، « فقالت : توجد فی نسلنا الفقیر خصلۃٌ مُجَرَّبَة ، هی أن کل امرأة تزوجت منا ماتت بعد الوضع مباشرة ، وهكذا ماتت کل من وضعت منا ، فكیف یجوز تسلیم النفس للموت ؟! . . .^(۴) » .

ثم قالت : « إن روحی عزیزة علی أكثر من هؤلاء ، مما جعلنی أبعدھا عن الخطر^(۵) » .

(۱) خواننده بود از حساب طالع خویش کز زنانش خصومت آیدیش
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۸۳)

(۲) المرجع السابق ، ص ۱۸۷ .

(۳) خانه داری واعتماد سراى يك يك آورد مشفقانه بجای
(نفس المرجع والصفحة)

(۴) گفت در نسل ناستوده ما هست يك خصلت آزموده ما

کز زنان هر که دل ببرد سپرد چون بزادن رسید زاد و ببرد

مرد چون هر زنی که از ما زاد دل چگونه بمرگ شاید داد ؟!

(المرجع السابق ، ص ۱۹۰)

(۵) بر من این جان ازان عزیز ترست که سپارم بدانچه زو خطرست

(المرجع السابق ، ص ۱۹۱)

فأحب الملك هذه الجارية ، وتعلق بها ، وطرده المعجوز من المنزل ؛ وأخذ يقدم لممشوقته الذهب لتزين به « لأنه رأى أنها تبدو جميلة حينما تتحلل بالذهب ، فحننهما أسباب الزينة من الذهب الأصفر ^(۱) » .
وأصبح الملك يحب اللون الأصفر ، لأنه اللون الذي يزين ممشوقته .
ثم أخذت الأميرة تعدد مزايا اللون الأصفر ، فأعجب بهرام بقصتها ، وقضى معها ليلة جميلة .

* * *

۳ - بهرام تحت القبة الخضراء

وفي يوم الاثنين ؛ زار بهرام الأميرة الخوارزمية في القصر ذي القبة الخضراء ، فقصت عليه قصة هي : أن ملكاً عادلاً - اسمه « بشر التقي » - كان يعيش في أرض الروم « فأغار عليه العشاق ، ففتن عقله ، ولامب بلبه . فقد رأى - ذات يوم - امرأة جميلة ، تكسوها ملأه سوداء (فتزيدها جلالاً وفتنة) ، وتجعلها تبدو كالبدر بين السحب السوداء . وكانت هذه المرأة تسير في الطريق دون التفات إليه ؛ فرفعت الرياح برقعها لحاة ، فأظهرت الرياح الفتنة ، وخرج القمر من بين السحب السوداء ، فلما رأى « بشر » ذلك ارتعشت قدماه ، وجد في مكانه ^(۲) » .

(۱) دید کنجینه بزر در خورد کردش از زیه‌ای زرین زرد

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۹۷)

(۲) بر رهش عشق ترک‌تازی کرد فتنه با عقل دست بازی کرد

پیکری دید در لفافه خام چون در ابرسیاه ماه تمام

فارغ از بشر میگذاشت براه باد ناکه ربود برقع ماه

فتنه را باد رهنمون آمد ماه از ابرسیه برون آمد

بشرکان دید سست شد پایش تیریک زخمه دوخت برجایش

(المرجع السابق ، ص ۱۹۸ - ۱۹۹)

ولسكنه أراد أن ينتصر على نفسه ، ويتغلب على عشقه ، فسافر - سريعا - إلى بيت المقدس حتى ينساها ، ثم رجع بعد الزيارة ، فصاحبه في الطريق رجل كان اسمه « مليخا » ؛ كان حسن الظاهر ، ولسكنه كان يحمل بين جنبيه نفسا شريفة ، كما كان يظلم عمله فيحاول شرح وتعليل كل ما يراه في أثناء السفر .

وبينا كان المسافران يسيران في الصحراء ، نفذ ما كان معهما من ماء ، وكادا يموتان عطشا ، لولا أن وجدا لإبريقا مملوءا بالماء مخفيا تحت شجرة ، فرجع « بشر » أن الإبريق قد تركه صياد ، ثم شرب الرجلان منه ؛ ولسكن « مليخا » أراد أن يستحم من هذا الماء ، ثم يكسر الإبريق ؛ فلم يوافقه « بشر » على ذلك ، غير أنه لم يذعن لرأى « بشر » ، وقفز في الإبريق ، ففرق ، وظهر أن الإبريق عميق جدا .

ثم أخرج « بشر » جثة « مليخا » ، فسقطت من ملابسه حافظة نقود ، كان بها ألف دينار ، فصمم « بشر » على إعطائها لورثته ، فلما وصل إلى دياره ، أخذ يسأل عن أسرته ، حتى عرف منزله بعد مشقة وجهه ، فقابل زوجته ، وأخبرها بموته ، فقالت إنها فرحت بسماع هذا النبأ ، لأن « مليخا » كان سيء الطباع ، غليظ القلب . ثم أظهرت رغبتها في الزواج من « بشر » ، وكشفت عن وجهها فظهر أنها المرأة التي كان بشر قد رآها ، فأسره عشقه ، وقُتِنَ بها حبًا ، فسافر ليتغلب على عشقه .

« فلما رأى بشر أنه قرب من حور الجنة ، لبس اللون الأخضر كالخور^(١) . »
وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأخضر ، فسرَّ الملك ، وقضى معها ليلته سعيدا .

* * *

(١) چون نديد از بهشتیان دورش جامه سبز دوخت چون خورش
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۱۴)

۴ - بهرام تحت القبة الحمراء

وفي يوم الثلاثاء ؛ زار بهرام الأميرة السفلاية في القصر ذى القبة الحمراء ،
فقضى معها يوماً جميلاً ، ثم قصت عليه قصة هي : أن إحدى الأميرات كانت جميلة ،
وكانت مُلِمة بكل العلوم حتى السحر ، فراج خهر جمالها في العالم فخطبها أشخاص
كثيرون من الممالك المختلفة ، ولكنها لم تقبل أحداً منهم .

ثم بَدَت - بإذنٍ من والدها - قصرأ لها في الجبل ، « وجعلت - بمهارتها -
حوله عدة طَلَّسمات ، صنعت جسم كل منها من الحديد والحجارة ، ووضعت في يد
كل منها حربة ، فكانت أشطر كل مَنْ يمر من طريقها الخفيف نصفين ^(١) .
ثم رسمت صورتها ، « وكتبت فوقها بخط جميل جداً : كل من يريدني من
أهل الدنيا ، يجب أن يكون كالفراسة التي تريد النور ، فيضع قدمه داخل هذه
القلعة - التي هي مكاني - فلا يتكلم من بعيد ^(٢) » .

وعلمت هذه الصورة على باب المدينة ، ولكن الذين حاولوا أن يتزوجوها
لم يستطيعوا إبطال الطلسمات ، فكانوا يُقْتَلُونَ « وكان (رجالها) يطلقون كل

(١) کرد در راه آن حصار بلند از سر زیرکی طلسمی چند
پیکر هر طلسم از آهن و سنگ هریکی دهره گرفته بچنگ
هر که رفتی بدان گذر که بیم کشتی از زخم تیغها بدو نیم
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۱۸-۲۱۹)

(٢) بر سر صورت پرند سرشت بختی هر چه خویر بنوشت
کز جهان هر کرا هوای منست با چنین قلعه که جای منست
کو چو پروانه در نظاره نور پای در نه سبخن مگوی ازدور

(للرجع السابق ، ص ۲۱۹-۲۲۰)

رأس تقطعها الطلسمات على باب المدينة^(١) »

ولم يمض وقت طويل حتى اكتظ باب المدينة بالروس ، وأخيراً استطاع أمير شاب أن يذهب إلى عالم ماهر ، ويتعلم منه العلوم المختلفة ؛ فتمكن بذلك من إبطال الطلسمات ، لباساً اللباس الأحمر حقداً على الأشخاص الذين قتلهم الأميرة .

ولما نجح الشاب في الوصول إلى الهدف ، قبلته الأميرة زوجاً . ولما كان اللون الأحمر هو لون الفرح ، ولون اللباس الذي تغلب به « فقد اتخذ اللباس الأحمر فالأ له منذ يوم انتصاره^(٢) » .

ثم أخذت الأميرة تعدد مزايا اللون الأحمر ، فسرَّ بهرام ، وأمضى معها ليلته مسروراً .

* * *

٥ — بهرام تحت القبة الفيروزية

وفي يوم الأربعاء ؛ زار بهرام الأميرة المغربية في القصر ذي القبة الفيروزية ف قضى معها يوماً ممتعاً ، ثم قصت عليه قصة هي : أن تاجراً مصرياً شاباً - اسمه « ماهان » - كان يتربض مع بعض أصدقائه في حديقة ، فجاء إليه زميل ، وأخبره بأن قافلة محملة بتجارته قد وصلت إلى باب المدينة ، فتوجه « ماهان » مع زميله إلى ذلك المكان ، ثم جاؤا ، وكانت الشمس قد غربت ، فأغلق باب المدينة دونهما ، فلم يجدا بُدَّ من الانتظار حتى الصباح . ثم أراد « ماهان » أن يدخل المدينة ، فأخذ يسأل زميله عن وسيلة يتمكن بها من دخولها ، فذله على

(١) هر سري كز سران بریدندي بدر شهر برهكشیدندي

(نظامی : هفت پیکر ، ص ٢٢١)

(٢) كاولين روز بر سپیدی حال سرخی جامه را گرفت بفال

(الرجع السابق ، ص ٢٣٤)

طريق سار فيه ، والسكن الطريق أفصى به إلى منطقة خربة مخيفة ، فتلفت حوله فلم يجد أحداً ، وكان الزميل نفسه قد اختفى ، فألقى نفسه في مكان موحش مملوء بالأغوال والحيوانات المفترسة ، والثعابين الفتاكة ، والكهوف المربعة^(١) .
وتحيز ماهان ، ولكنه استطاع أن ينجو ، ويترك المكان ، ويسير هامئاً على وجهه للبحث عن مكان آمن ؛ وبينما هو سائر في طريقه ، أقبل عليه فارس شيخ يركب حصاناً ، وسأله عن حقيقة حاله ، وهدده بالقتل ، فقص عليه ماهان قصته ، فزق الفارس له ، وهداه إلى حديقة فيها فواكه كثيرة ، وماء نير ، وسمح له بالانتظار فيها طوال الليل ، على أن يجلس فوق شجرة ، فصعد ماهان إلى أعلى شجرة .

ولما جن الليل امتلأت الحديقة بفتيات جييلات ، ثم « أقن حفلاً رائعاً بالقرب من شجرته ، فامتلا المكان بالشموع ، وامتلات الوجوه بشراً ونشاطاً ثم جاءت امرأة جميلة - كانت سلطانتهم - جلست في صدر الحفل ، وأجلست الأخريات حولها^(٢) » .

ودعت السلطنة « ماهان » للجلوس بجوارها ، فجلس ؛ وبعد قليل « أخذ يعانقها ، ويقبل شفيتها الحمراء^(٣) » .

« غير أنه لما أمن النظر فيها وجدها جنية ، خاقت جميع أعضائها من غضب الله .

(١) نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۳۸ .

(٢) بزنگه خسرواته بنهادند پیشگاه بساط بگشادند

شمع بر شمع کشت روی بساط روی در روی شد سرور و نشاط

آن پربرخ که بود مهتر شان دره التاج عقد کوهر شان

رفت و بر بزنگاه خاص نشست دیگرانرا نشاندم بردست

(المرجع السابق ، ص ۲۵۷)

(٣) لب بر آن چشمه رحيق نهاد مهر ياقوت بر عقيق نهاد

(المرجع السابق ، ص ۲۶۱)

حکمة مرعبة ، لم ير الإنسان مثلها في الوحش^(۱) .

وأخذت هذه الجنية تعانقه ، وتهزأ به حتى الصباح ، فوجد نفسه في ذلك المكان الوحش الذي كان فيه قبل ذلك ، واسكنه نجا بفضل « الخضر » ؛ فلما سمع « ماهان » سلام الخضر نجا ، كالظمان الذي رأى ماء الحياة^(۲) .

ثم رجع « ماهان » إلى المدينة ، وصار يلبس اللون الأزرق « لأنه رأى أصدقاءه صامتين ، وكان كل منهم يلبس ثوباً أزرق حداداً عليه^(۳) » .

وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأزرق ، فاستحسنها بهرام ، وقضى معها ليلة ممتعة .

* * *

٦ — بهرام تحت القبة البنية^(۴)

وفي يوم الخميس ؛ زار بهرام الأميرة الرومية في القصر ذي القبة البنية ، فقضى معها يوماً رائعاً ، ثم قصت عليه قصة هي : أنه كان يوجد شابان اسم

(۱) چون در آن نور چشم و چشمه قند کرد نیکو نظر بچشم پسند
دید غفریتی از دهن تاپای آفریده ز خشمهای خدای
کاومیشی گراز دندانی کازدهاکس ندید چندان
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۶۱)

(۲) چونکه ماهان سلام خضر شنید تشنه بود آب زندگانی دید
(المرجع السابق ص ۲۶۶)

(۳) دید یاران خویش را خاموش هریک از سوگواری آزرده
(نفس المرجع والصفحة)

(۴) هذه الكلمة ترجمة لكلمة « صندلی » التي استعمالها الشاعر ، ولعلها نسبة إلى نبات الصندل .

أحدهما « خَير » واسم الآخر « شر » ، وكان عمل كل منهما مطابقاً لاسمه ^(۱) .
ثم تصادف أن سافر هذان الشابان معاً فسارا ، حتى وصلا إلى صحراء ،
وكادا يهلكان من شدة العطش ، وكان مع « شر » ماء ، فأخفاه عن « خير »
الذي علم بذلك ، فطلب منه جرعة ماء ، على أن يعطيه جوهريتين ثمينتين ؛
ولكن « شر » رفض ، لأنه خشي أن يأخذ « خير » الجوهريتين منه - مرة ثانية -
حينما يرجعان إلى المدينة ، وقال له : « بع لي عينيك الغاليتين بالماء ، وإلا فأصرف
النظر عن الإبريق » ^(۲) .

وقبل « خير » ذلك لشدة عطشه ، غيّر أب « شر » اقتلع عينيه ،
وسرقه ، ثم تركه دون أن يسقيه ، فوجده أحد رعاة الغنم الأكراد ؛ وكان هذا
الراعي غنياً ، كما كان يعرف نوعاً من الشجر يعالج ورقه مرض العمى ، فصالجه
به حتى رجع إليه بصره ، ثم زوجه ابنته قائلاً : « إني أختارك زوجاً لابنتي الجميلة
بمحض حريتي ، وإني أهبك كل ما عندي من الإبل والغنم ، حتى تصبح غنياً » ^(۳) .
ثم استطاع « خير » أن يعالج ابنة الملك بورق هذا الشجر من مرض
عضال حار فيه الأطباء ، فاختره الملك زوجاً لها ، وهكذا أوصله الحظ الحسن ،
إلى العرش والملك ^(۴) .

(۱) نام این خیر ونام آن شر بود فعل هریک بنام درخور بود

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۶۹)

(۲) گفت شر آن دوگوهر بصر ست کاین ازان آن از این عزیز ترست

چشمه‌ارا بمن فروش بآب ورنه زین آبخورد روی بتاب

(المرجع السابق ، ص ۲۷۲)

(۳) بر چنین دختری بازادی اختیار کنم بدامادی

وانچه دارم زگوسفند و شتر دهمت تاز مایه کردی بر

(المرجع السابق ، ص ۳۸۳)

(۴) تاچنان شد که نیکخواهی بهت برساندش بهشادشاهی و تحت

(المرجع السابق ، ص ۲۸۸)

و ذات يوم ، أحضر رجال « خير » « شرّاً » أمامه لظلمه شخصاً آخر ،
فصفا « خير » عنه ، ولكن الراعى - والد زوجته الأولى - لم يطلق صبراً ، فضرب
رأس « شر » .

« ثم صار « خير » يتخذ اللون البنى لوناً لثيابه منذ ذلك الوقت ، حباً
فى الشجرة التى كانت رأتحتها تشبه رائحة نبات (الصندل) ^(١) » .
وختمت الأميرة القصة ببيان فوائد نبات الصندل ، فسُرَّ بهرام ، وقضى
معها ليلته سعيداً .

* * *

٧ - بهرام تحت القبة البيضاء

وفى يوم الجمعة ؛ زار بهرام الأميرة الإيرانية فى القصر ذى القبة البيضاء ،
وقضى معها يوماً ممتعاً ، ثم قصت عليه قصة هى : أن شاباً غنياً كانت له حديقة ،
وكان إذا مرَّ بجوارها يسمع صوتاً موسيقياً يأتى منها ، ولكن باب الحديقة
كان مَقْفَلاً ، لم يحاول أحد فتحه ، ففتحها الشاب ، ودخل الحديقة ، « فوجدها
مملوءة بفتيات ذوات أصوات جميلة ، وكن فائنات ، يستولين على المشاعر ، فكانت
الأشجار تتمايل طرباً ، كأن فاكحتها عاشقة ^(٢) » .

وظلت الفتيات أنه لص ، فأخذن يضربنه ، ولكن الرجل قال : « إن

(١) برهواى درخت صندل بوى جامه را کرده بود صندل شوى
جز بصندل خرى نكوشيدى جامه جز صندلى نپوشيدى
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٢٩١)

(٢) باغ پرشور از ان خوش اوازي جان نوازان درو بجان بازي
رقص برهر درختى افتاده ميوه دل برده بلكه جان داده
(المرجع السابق ، ص ٢٩٥)

الحديقة حديقتي ، فانا أُضْرَبُ في بيتي ^(۱) .

فلما عرفنا ذلك صالحته ، « وجلسن أمامه في دلال ، وأخذن يهصن عليه قصصاً جميلة ^(۲) » .

ثم اقترحن عليه أن يجمع كل فتيات المدينة الجميلات ، ليختار واحدة منهن ، ثم جعن فتيات المدينة « وجلس السيد في غرفة ، وأغلق بابها ، وكان في وسط الغرفة ثقب يمتدقه شمع نور ؛ ثم أخذت الجميلات يسرن أمامه عاريات وهو ينظر إليهن من الثقب فرآهن كالزهرات الفاتنات ، فكانت سيقانهن فضية ، وأنداوهن رمانية ، وكن كلهن رائعات الجمال ^(۳) » .

ثم اختار الشاب فتاة منهن ، فأحضرت أمامه ، « فضمها إلى صدره ، وأمعن فيها تقبيلاً ^(۴) » .

« وأراد أن يدخل بها ، فانقض عليها كالأسد المفترس الذي يحاول التهام

(۱) مرد گفتا که باغ منست برمن این دود از چراغ منست

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۹۷)

(۲) بنشستند پیش خواجه بناز باز گفتند قصه های دراز

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) خواجه بر غره رفت و بست درش باز گشتند رهبران ز برش

بود در ناف غره سوراخی روشنی تافته درو شاخی

چشم خواجه ز چشمه سوراخ چشمه تنک دید وآب فراخ

کرده بر هر طرف گل افشانی سیم ساقی و نار پستانی

روشنائی چراغ دیده همه خوشتر از میوه رسیده همه

(المرجع السابق ، ص ۲۹۸-۲۹۹)

(۴) زلف دلبر گرفت چون چنگش در بر آورد چون دل تنگش

بوسه و گاز بر شکر میزد از یکی تاده وزده تاصد

(المرجع السابق ، ص ۳۰۴)

الفریسة ، واسكنه وجد صعباً تعترض طريقه^(۱) .

واختلى الشاب بالفتاة عديده ، فكان - فى كل مرة - يستمتع بها ، واسكنه كلما حاول أن يدخل بها ، اعترض شئ سبيله ، فى المرة الثانية ؛ « أراد أن يدخل بها فماقتة اضطرابات قام بها العمامة ، وعكرت صفوه ، فصار حزينا كالفراسة التى بعدت عن النور ، أو كالظمان الذى فقد ماء الحياة^(۲) » .
وفى المرة الثالثة ، أراد الدخول بها ، فاعترضت طريقه معركة قامت بين ذئب و ثعلب ، وكان الذئب يطارد الثعلب ، فالتجأت إلى حديقته^(۳) .

وأخيراً استيقظ ضمهده « وصاح به : ما هذا العمل ؟ ! . وما هذه الخصال الشريرة التى تكن فى نفسك ؟ !...^(۴) » .

وأتخذ مما حدث دليلاً على عصمة الفتاة وعفافها ، فصمم على الزواج منها ، « فلما وصل إلى المدينة ، خطبها على سبيل الوفاء^(۵) » .

(۱) خاست تانوش چشمه را خارده مهر ازاب حیات بر دارد
چون درامد سیاه شیر بگور زیر چنگ خودش کشید بزور
جایگه سست بود سخی یافت خشت برخشت رخنهها بشکافت
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۰۴)

(۲) دست برگنج در دراز کند تادر گنج خانه باز کند

.....

ناکه آورد فتنه غوغایی تا غلط شد چنین تمنای
ماند پروانه را درانده نور نشئه گشت ازاب حیوان دور
(المرجع السابق ، ص ۳۱۰)

(۳) المرجع السابق ، ص ۳۱۲ .

(۴) بانك بروی زدند کاین چه ففتست

در خصال تو این چه اهرمنست ؟ !

(نفس للرجع والصفحة)

(۵) چون بشهر آمد از ولاداری کرد مقصود را طلبکاری

(للرجع السابق ، ص ۳۱۴)

ثم عقد قرانه عليها ، ودخل بها ، ولبس الثياب البيضاء في وقت الزفاف ، كدليل على العفاف والطهارة ؛ « وقد صار لبس الثياب للبيضاء سنة في أوقات العبادة^(١) » .

وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأبيض فسُرَّ بهرام ، وقضى ليلته مسروراً .

* * *

وختم نظامى هذه القصص بقوله : « وقضى بهرام مثل هذه الليالى كثيراً تحت القباب السبع ، وفتحت له السموات أبوابها ، فصار حسن الحظ سعيداً^(٢) » .

* * *

ثم تابع الشاعر حديثه عن تاريخ بهرام ، فأشار إلى مجيء ملك الصين إلى إيران لتزوها مرة ثانية ، ولم يكن لدى بهرام جيش أو مال ، فأشار عليه وزيره « راست روشن » بأخذ المال من الشعب اغتصاباً ، وقبل بهرام ما أشار به الوزير « لأنه كان مشغولاً باللهو والشراب ، مما جعل الوزير يتأذى في الظلم^(٣) » وشاع في المملكة الفساد ، وأخذت معاول المدم تعمل فيها ، دون أن يمرؤ أحد على إطلاع بهرام على حقيقة الحال ، حتى قابله - ذات يوم - رابع شيخ فأخذ ينصحه ، ويُبَعِّثُهُ بما في دولته من ظلم وفساد ، بسبب سوء تصرفات

(١) در پرسش بوقت کوشیدن سفت آمد سید پوشیدن

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۱۵)

(٢) وین چنین شب بی بناز و نشاط سوی هر گنبدی کشید بساط

بروی این آسمان گنبد ساز کرده درهای هفت لبند باز

(الرجع السابق ، ص ۳۱۵)

(٣) شه چو مشغول شد بنوش و بنار او بیداد کرد دست دراز

(الرجع السابق ، ص ۴۲۱)

الوزير ، وقال له : « إن المشهور في كل مكان أن القتل من الملك ، والشفاعة من الوزير ، فقد شوّه الوزير بظلمه اسم الملك ، ونسب الحسن من الأعمال إلى نفسه ^(١) » .

فتأثر بهرام ، وأفرج عن سجنهم الوزير ، ثم استدعاه ، وجلس يستمع إلى شكاوى الناس ^(٢) ، ثم أمر بقتله على مرأى منهم ^(٣) .

ولم يلبث ملك الصين أن أرسل إلى بهرام معتذراً ، وظهر أن الوزير كان يتصل به ، ويعرض عليه مساعدته ^(٤) .

وصار بهرام يعدل منذ ذلك الوقت « بل إنه لما رأى صورة العدل اعتبر ، ففضله على العالم جميعه ، وقُتِنَ بحاله ، وضجى في سبيله بحبه للعرائس السبع ^(٥) » .

ولم يحتفظ بهرام من ملذاته إلا بالصيد .

وذات يوم ، كان يطارد حماراً « فدخل الحمار غاراً في شجاعة وسرعة ، وتبعه الملك كالأسد المحصور ^(٦) » .

وانتظاره خدمه على باب الغار ، ولـكنه لم يخرج ، « ثم خرج من الغار

(١) گفته در شرحهای ماتم و سور کشتن از شه شفاعت از دستور نام شهرا بجور بد کرده نیکنامی بنام خود کرده (نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۲۹)

(٢) المرجع السابق ، ص ۳۳۲-۳۴۵ .

(٣) المرجع السابق ، ص ۳۴۵-۳۴۷ .

(٤) المرجع السابق ، ص ۴۴۸ .

(٥) پیکر عدل چون بدیده شاه عبرت انگیزت از سید و سیاه شاه کرد از جمال منظر او هفت پیکر فدای پیکر او (نفس المرجع والصفحة)

(٦) گور درغار شد روان دلیر شاه دنبال او گرفته چو شیر (المرجع السابق ، ص ۳۵۰)

غبارٌ كاللذخاں ، من شدة صیحات أتباعه المتأثرین ، ونسموا صوتاً يقول لم :
ارجعوا ، فإن لدى الملك عملاً يؤديه ^(۱) .

ودخل بعض رجاله النار ، فوجدوه غیر حقیق ، « ولكنهم لم يجدوا الملك
بداخله ^(۲) ، فالتفتوا حوله كالثعبان ^(۳) » .

ثم جاءت أم بهرام محترقة القلب ، وأسرت بحفر الأرض بجوار الفسار ،
- للبحث عنه - ففعلوا ما أسرت به ، واسكنهم لم يجدوا شيئاً ، فحزنت حزناً
شديداً ^(۴) .

وانتهت المنظومة بدم الدنيا وغدرها ^(۵) . ثم مدح الشاعر حاكم مرافه ،
وذكر تاريخ إتمام المنظومة ^(۶) ، وختم بالدعاء للعالم بأن يرتفع شأنه ، وتكون
خاتمة سعيدة ^(۷) .

* * *

(۱) زآه آن طفلگان درد آلود کردی از غار بردمید چودود

بانگی آمد که شاه درغارست بازگردید شامرا کارست

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۵۱)

(۲) هذا ما ذكره نظامی ؛ أما الفردوسی فقد ذكر في الشاهنامه ، ج ۴ ، ص ۳۳۲

أن الوزير أخبر بهرام بنخلو الخزائن من المال ، فحزن ، وتنازل عن العرش لابنه
يزدگرد ، ثم مرض ، وذهبوا - مرة - لإيقاظه في الصباح ، فوجدوه ميتاً
على سريرته .

(۳) چون ندیدند شاه را درغار بر در غار صف زدند چومار

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۵۲)

(۴) نفس المرجع والصفحة .

(۵) المرجع السابق ، ص ۳۵۴-۳۶۱ .

(۶) المرجع السابق ، ص ۳۶۷ .

(۷) نفس المرجع والصفحة .

هذه صورة مصفرة ، لقصة « بهرام كور » كما عرضها نظامى فى منظومته
« هفت پيكر » ؛ وقد تحدث الفردوسى عن « بهرام كور » فى جزء من منظومته
« شاهنامه » فيحسن أن نقارن بين تصور كل من الشاعرين ، حتى تتضح ألوان
صورة نظامى ، ويمكن أن نحكم على ما فيها من فن حكماً دقيقاً .

الفصل الثالث

مقارنة بين تصوير كل من الفردوسى ونظامى لقصة بهرام كور

سجل الفردوسى فى منظومته « شاهنامه » أعمال بهرام ، وصوّر عصره تصويراً دقيقاً ، وأسرف فى تصوير رحلاته للصيد ، ومهارته فى الحرب^(١) .
أما نظامى ؛ فقد صوّر فى منظومته « هفت پيكر » جانبين من حياة بهرام : الجانب التاريخى ، والجانب العاطفى ، وربط بينهما بمهارة ، وأعطاهما الصبغة القصصية .

فتحدث فى الجانب التاريخى عن ولادة بهرام ، ونشأته ، وجلسه على العرش ، وحروبه ، وولمه بصيد الجر الوحشية ، ونهايته .
وجعل الجانب العاطفى يشتمل على حب بهرام للأميرات السبع ، وحياته الزوجية ممهن .

ونستطيع بعد دراسة منظومة نظامى أن نقرر أن تصويره للجانب التاريخى من حياة بهرام يشبه - إلى حد كبير - تصوير الفردوسى لشخصية بهرام ، وأن مآذكره نظامى يعتبر - فى الواقع - تكراراً لما قاله الفردوسى من قبل .

وقد اعترف نظامى نفسه بأنه كرر ما قاله غيره ، وحاول أن يلبس نظمه ثوباً جديداً ، فقال : « سأحاول - بقدر ما أستطيع - أن أكون كنسيم الربيع ، فلا أكرر الأسلوب القديم ، بل أحاول التجديد ، ولو أنه ليس من عادتي أن أكرر ما قيل قبلى ، غير أن الطريق إلى الكنز واحد ، فإن يكن قد

(١) فردوسى : شاهنامه ، ج ٤ ، ص ١٩٦-٣٣٣ .

آلتی سهامان إلا أن الهدف واحد ، فلا مفر - إذا - من تكرار القديم ، فأنا والفردوسی ضاربان لنقود الكلام ، جددنا النقود القديمة ، فصنع هو من النحاس فضة نقية ، وحولت أنا الفضة إلى ذهب خالص ، فلا تعجب من تحول الفضة إلى ذهب ، كما لم تعجب من تحول النحاس إلى فضة^(۱) .

وصرح نظامی فی غیر هذا الموضع بأنه أبقى ما وجده صحيحاً - من تاريخ بهرام - كما هو ، فلم يغير فيه شيئاً ، وأنه حاول أن يُتم الحديث عن الجوانب التي لم يستكمل الفردوسی الحديث عنها ، وأن يضيف إلى بناء القصة بعض النفوش البديعة ، ليجعلها أجمل وأروع ، فقال : « نحدثت عن كل ما وجدت الحديث عنه غير كامل ، وأملت ثقب الجواهر التي لم يُثَقَّب إلا نصفها ، وأبقيت كل ما وجدته صحيحاً مستقيماً في صورته الأولى ، وحاولت أن أضيف إلى هذه القصة ما يزينها من المحسنات الطريفة^(۲) » .

والواقع أن تصوير نظامی للجانب التاريخي يختلف عن تصوير الفردوسی

(۱) تا توانم چو باد نوروzy	نکنم دعوی کهن دوزی
گرچه در شیوه کهر سفتن	شرط من نیست گفته واگفتن
لیک چوره بگنج خانه یکدست	تیرها گردو شد نشانه یکدست
چون نباعد ز باز گفت گزیر	دائم انگیخت از پلاس حریر
دو مطرز بکیمیای سخن	تازه کردند نقدهای کهن
آن زمس کرد نقره نقره خاص	وین کند نقره را بزر خلاص
مس که دیدی که نقره شد بجار	نقره کرزر شود شکفت مدار

(نظامی : هفت پیکر . ص ۸۳-۸۴)

(۲) آنچه ازونیم گفته بدگفتم گوهر نیم سفته را سفت
وانچه دیدم که راست بود و درست ماند مش هم بر آن قرار نخست
جهد کردم که در چنین ترکیب باشد آرایشی ز نقش غریب
(المرجع السابق ص ۱۶-۱۷)

من الناحية الأسلوبية ، فقد وضع التفنن في أسلوب نظامي^(۱) ، وظهرت فيه الصبغة التي لاحظناها في الفن في عصره ، بصفة عامة .

كما يختلف في نظرة كل من الشاعرين لشخصية بهرام ، فقد تأثر كل منهما بروحه هو ، وروح العصر الذي عاش فيه ، في تصوير شخصية بهرام .

فالفردوسي كانت روحه حماسية ، فصور بهرام على أنه صورة للبطولة الإيرانية القديمة ، ومثل للحاكم القوي الذي ينعم بالملذات ، ويبحث عنها ، ويصرف فيها جزءاً كبيراً من وقته ؛ كما جعله بطلاً يستطيع القيام بخوارق الأعمال ، ورغم أنه صور عدله ، وعفوه عن المجرمين ، إلا أنه صور بطشه وقتله في سبيل المحافظة على كبريائه ؛ فبين أنه قتل الجارية التي اصطحبها معه للصيد ، لأنها أشارت عليه بأن يرمى غزالين بحيث يجهل الذكر منهما شيء ، والأنتى ذكرأ ، فقتل « وحاك رأس الغزال وأذنه وقدمه في مكان واحد ، وقال : إنني حينما اصطاد أستطيع أن أفعل مثلما رأيت ألف مرة ، فرق قلبها لذلك الغزال الطليق ، وقالت له : أنت شرير وإلا مارميت بهذه الطريقة ، فأمسكها بهرام ، ورمها على الأرض ، ثم أجرى المجهين على الفتاة الجميلة حتى ماتت^(۲) » .

وجعل الفردوسي جل حديثه يدور حول فروسية بهرام ، ومهارته في الصيد ، فأسرف في تصوير مناظر صيده .

(۱) سيأتي الحديث عن هذا في الباب السابع ، عند الحديث عن فن نظامي .

(۲) سروگوش وپایش یکجا بدوخت بران آهو آزاده را دل بسوخت

چنین گفت شه چون شکار افکنم ازاینسان که دیدی هزار افکنم

کنیزک بدو گفت اهریمنی وگرنی بدینسان کجا افکنی

بزد دست بهرام واورا ززین نگوینار بزد بروی زمین

هیون از برماه چهره براند بزد دست وچکش بخون برفشاند

(فردوسی : شاهنامه ، ۴ ، ص ۲۰۳)

ولسكن نظامى حاول أن يصور بهرام فى صورة الملك العادل ، فلم يظن فى الحديث عن الصيد ، ولم يسرف فى تصوير مناظره ، بل حاول أن يضرب الأمثلة على عدل بهرام ، فبين كيف قتل وزيره لظلمه ، ثم جلس يستمع شكواى الناس ، وبلغ به حب العدل درجة جعلته يهجر نساءه الأميرات ليتفرغ للعدل بين الرعية . ونظامى متأثر - فى هذا - بتمجيد هو للعدل ، ودعوته إلى الإصلاح ، ومحاولة اتخاذ الشعر ميداناً لدعوته التى تقوم على أساس تهذيب النفس ، وتقويم الخلق ، وإقرار العدالة فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وتعتبر العدل غاية فى نفسه ، إذا أدركها الإنسان لم يحفل بما عداها .

ولذلك نجد بهرام - فى منظومة نظامى - يميل إلى العفو عند المقدرة ، فيبدأ عهداً بالعفو والصفح ، وتطبيق العدالة فى جميع الأرجاء ، فلم يقتل بيده الجارية التى اصطحبها معه للصيد - والتى تناولت عليه بمسد أن قام بما أشارت به - بل سلمها لضابط ليقننها ، وبكى حينما أخبره الضابط كذباً بأنه قتلها ، وسر لما علم ببقائها على قيد الحياة ، ثم تزوجها ، كما مر .

وهكذا نجد فرقاً واضحاً بين تصوير كل من نظامى والفردوسى لشخصية بهرام هذا ، وعصره وما تم فيه من أعمال ، وما وقع من أحداث . هذا فيما يتعلق بالجانب التاريخى .

أما الجانب العاطفى من حياة بهرام ، فإن تناوله بالصورة التى عُرِضَتْ - فى « هفت بيكر » لنظامى - يعتبر جديداً ، لم يسبق الشاعر إليه . وهو من خلق نظامى ، فليس موجوداً بهذه الصورة فى نظم الفردوسى .

ويبدو أن الذى دفع نظامى إلى عرض هذه الصورة ، هو روحه الفئائية ، وروح الناس فى عصره ، الذين كانوا يفضلون مناظر العشق ، ومواقف الحب ، لمحاول الشاعر أن يطرق هذه الناحية ، حتى يجعل الحديث عن بهرام فى صورة قصة جميلة ، يلعب العشق فيها دوراً مهماً رئيسياً .

وقد أثبت نظامى - فى هذا الجزء - سبع قصص ، يتخذ العشق المكان الأول فيها ، مثلها فى ذلك مثل « خسرو وشيرين » و « ليلي ومجنون » . وهو يتخذ هذا المكان سواء فى حياة بهرام نفسه ، أو فى حياة أبطال هذه القصص .

ولكنها تختلف عن « خسرو وشيرين » و « ليلي ومجنون » فى أن خاتمة أبطالها سعيدة غالباً فليست نغمتها حزينة ، لأنها تذكر لتسلية بهرام وإمتاعه ، ولذلك وجدنا بطل كل قصة تُتاح له فرصة للتمتع ؛ حتى فى القصة الأولى ، التى انتهت بلبس الثياب السوداء ، حداداً على ماتولى من نعيم ، وجدنا بطلها يقضى شهراً - تقريباً - فى متعة متجددة .

كما نلاحظ أن عاقبة الأبطال النجاة دائماً ؛ فلم يهلك واحد منهم ، رغم ما قاساه بعضهم من مصاعب ، كما رأينا فى قصة التاجر المصرى الذى لاقى من الأهوال ما لاقى ، ثم نجى على يد الخضر ، ورجع إلى دياره سالماً .

واتخذ نظامى من هذه القصص مجالا لإظهار آرائه فى الحب ، وأنه لا يتنافى مع الفضيلة ، ومع الأخلاق الكريمة ، والتمسك بالطهر والعفاف ، والدعوة إلى التطهر ، والترفع عن النقائص ، ومহারبة الرذيلة .

فوجدناه يحافظ على عفاف المشوقة ، ويرعى الفضيلة ، ويقيم العقبات فى طريق الرذيلة . وصور هذا بصورة واضحة مجسمة فى القصة الأخيرة ، فكانت الحواجز تقام فى وجه البطل كلما فكر فى الاعتداء على عفاف معشوقته ، حتى استيقظ ضميره ، فجَد العفاف ، وتزوج معشوقته زواجاً شرعياً ، واتخذ اللون الأبيض رمز الطهر والعفاف شعاراً له .

كما اتخذ القصص وسيلة للدعوة إلى اتباع العدل ، وفعل الخير ، ويبين أن الحق ينتصر فى النهاية ، وأن قوى الشر قد تغلب فى بادئ الأمر ، ولكنها لا تلبث أن تندحر وتبدد .

وأوضح مثل لذلك قصة « خير وشر » ، التي اتخذها الشاعر وسيلة لإثبات أن دولة العدل والخير ، هي التي تدوم ، بينما يزهى الباطل والظلم ، وتدول دولة الشر .

وهكذا نجد أن نظامى تأثر بروحه هو ، وروح عصره ، وطبق مذهبه عند تصويره لبهرام من الناحيتين التاريخية ، وال عاطفية .

فالشاعر - رغم تقليده للفردوسى فى عرض الوقائع التاريخية التى لا يمكن تمويرها - قد أضفى على المنظومة ما أكسبها جدة وطرافة ، وجعلها لا تقتصر على الحوادث التاريخية ، وتصور مناظر الصيد ، بل تعداها إلى تصوير المواطن الإنسانية السامية ، التى تهتم الناس فى كل زمان ومكان ، وتوجههم إلى الخير ، وتدعوم إلى فعله ، وتحاول إسماع المجتمع .

وجعل الشاعر فنه فى خدمة الإنسانية ، فحاول أن يستخدمه فى الوصول إلى أنبل الأهداف ، وأسمى النيات .

كما أن منظومة « نظامى » تختلف عما نظمه « الفردوسى » فى أنها أضفت على حياة بهرام وعصره الصورة القصصية ، وجعلته يبدو كبطل لقصة تقوم على أسس من الشجاعة والمهارة ، والعدل والحب ، ولو أن الحبكة الفنية لا تبلغ فيها درجة الروعة التى نجدها فى قصة « خسرو وشيرين » .

ولكن نظامى - رغم هذا - قد أخرج قصة بهرام فى صورة تختلف فى جوانبها ، وأضواؤها عما ذكره الفردوسى ، فابتكر جوانب جديدة ، ومنحها أضواء خاصة زاهية .

فهى تعتبر جديدة طريقة فى الصورة التى عرضها نظامى ؛ مما جعل كثيراً من شعراء الفارسية والتركية يحاولون تقليده ، ونظم القصة متأثرين بما ورد فى منظومته . وأشهر من قلده من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى عام

۷۲۵ھ ، فنظمها تحت عنوان « هشت بهشت » ؛ وعبد الرحمن الجامعي المتوفى .
 فى عام ۸۹۸ھ ، الذى نظمها تحت عنوان « هفت پيكر » ؛ وهاتفى ^(۱) المتوفى .
 فى عام ۹۲۷ھ ، ونظمها تحت عنوان « هفت منظر » ؛ وفيضى المتوفى فى عام
 ۱۰۰۴ھ ، الذى نظمها تحت عنوان « هفت كشور » .

وأشهر من قلده من شعراء التركية « لامعى » ۹۳۸ھ ، وقد نظمها تحت
 عنوان « هفت پيكر » .

والدارس لمنظومات هؤلاء الشعراء يستطيع أن يلاحظ - فى سهولة ووضوح -
 مبلغ اعتمادها على منظومة نظامى ، واقتباسها طريقتها ، وما فيها من معلومات
 واتجاهات خاصة .

ونضرب مثلاً لذلك « بأمير خسرو الدهلوى » ، الذى نظم القصة فى
 نفس البحر الذى استعمله نظامى ، وتأثر بما ورد فى « هفت پيكر » لنظامى
 - عن حياة بهرام ، ومهارته فى الصيد ، وقصص الأميرات السبع - تأثراً كاملاً ،
 ولم يدخل فى القصة إلا تعديلاً يسيراً ، يتعلق بترتيبها ، فبدأها بقصة الجارية
 التى لم تعترف بمهارة بهرام فى الصيد ، وذكر أن اسمها « دل آرام » ^(۲) . ويتبين
 أن « بهرام » تزوجها فى النهاية ، بعد أن أصبحت عازفة ماهرة ، تستطيع أن
 تجذب بعزفها الحيوانات إليها ^(۳) .

وهذا تعديل طفيف يتعلق بالشكل ولا يؤثر فى موضوع القصة فى شيء ،
 فهو شيء عرضى لا يمس الجوهر ، ولا يتعرض للهدف الذى ترمى إليه القصة .

(۱) كان « هاتفى » ابن أخت عبد الرحمن الجامى .

(۲) « دل آرام » معناها « راحة القلب » ، وقد ذكر نظامى هذه الجارية
 باسم « فتنة » .

(۳) M. Wahid Mirza: The life and works of Amir Khusrāu
 pp. 201-203.

ولعلنا نستطيع بعد هذه الدراسة أن نصدر حكماً عليها ، فنقرر أن تصوير
نظامي لقصة بهرام يعتبر جديداً طريفاً ، وأن تأثيره في نفوس الشعراء كان أعمق
أثراً ، وأبقى ذكراً .

* * *

ونكتفي بهذا القدر من الدراسة لمنظومة « هفت پیکر » ، لتحدث
عن منظومة نظامي الخامسة ، والأخيرة « إسکندر نامه » .

الباحر المنتصر

منظومة « إسكندرنامه »

الفصل الأول

دراسة مول منظومة إسكندر نامه

١ - أقسام المنظومة :

نظم الشاعر قصة الإسكندر في بحر المتقارب المثنى ، وجعلها في مجلدين ، تحدث فيهما عن ثلاثة جوانب من شخصية الإسكندر .

المجلد الأول : ويسمى « شرفنامه » ، وهو الذى تحدث فيه عن الإسكندر كبطال فائح . ويشتمل على ٦٨٠٠ بيت من الشعر .

والمجلد الثانى : ويسمى « إقبالنامه » ، كما يسمى « خردنامه ^(١) » . وتحدث

فيه عن الإسكندر كحكيم ، ونبي ؛ ويشتمل على ٣٦٨٠ بيت من الشعر . ورغم أن ما يتعلق بشخصية الإسكندر كحكيم ، وما يتعلق بها كنبى ، يضمهما مجلد واحد ، إلا أنه يبدو أن الشاعر كان قد وضع نصب عينيه أن يتحدث عن كل جانب حديثاً مستقلاً ، لأنه عرض - فى مقدمة شرفنامه - الآراء المختلفة التى قيلت فى حقيقة الإسكندر ، وتلخصها فى ثلاثة آراء فقال : « يعتبره جماعة ملكاً فاتحاً للعالم ، وسائحاً فى الآفاق ، ويجعله قوم حكماً ، ويقتبسون الحكمة من أعماله ، ويعترف جماعة بنبوته ، لتقواه وعنايته بالدين ^(٢) » .

(١) هذه هى التسمية التى ذكرها نظامى نفسه ، وهى التسمية الرائجة ، أما فى الهند ، فإنهم يسمون القسم الأول « إسكندرنامه برى » لأنه يتحدث عن رحلات الإسكندر على اليابس ، و يسمون القسم الثانى « إسكندرنامه بحرى » لأنه يتناول رحلاته على الماء .

(٢) كروهيش خوانند صاحب سرير ولايت ستان بلسكه آفاق كير كروهى ز ديوان دستور أو بحسكت نبشتند منشور أو =

ثم بین نظامی بعد ذلك أنه يعتبر الإسكندر مُتَصِفًا بهذه الصفات جميعها -
 أي أنه ملك شجاع ، وحكيم ، ونبي^(۱) - وأنه سيتحدث عن كل صفة منها حديثاً
 خاصاً مستقلاً ، فقال : « سأُنَبِّئُ من كل حبة - من هذه الحبات الثلاث شجرة
 قوية ، فأطرق - أولاً - باب مُلْكِهِ ، فأُحدث عن فنوحه وانتصاراته ، ثم أُنحدث
 بإبداع عن حكمته ، فأُسجل الحِكْمَ القديمة ، ثم أطرق بعد ذلك باب نبوته ،
 لأن الله - أيضاً - قد قررها^(۲) . »

ثم أكد أنه تحدث عن كل جانب حديثاً مستقلاً . فقال : « صنعتُ ثلاثة
 أبواب ، وتَحَمَّلْتُ في إعداد كل منها عناء خاصاً ، وهي تحف نادرة ،
 سأُجمل العالم - بواسطتها - بملوؤها بالجواهر^(۳) . »

= كروهي زباکی ودين پروری پذیرا شدنش پیغمبری
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۵۴)

(۱) تغير رأى الإيرانيين في الإسكندر المقدوني على مر القرون . يقول عزام في
 حواشيه على ترجمة الشاهنامه للبنداری ، ج ۲ ، حاشية ص ۳ : « كان يسمى
 الإسكندر اللعين الذي دمر المملكة وأحرق كتب زردشت فصار ذا القرنين الموحد
 العابد الفارسي ابن الملك داراب وأخا دارا » . ويبدو أن نظامی قد خلط بين قصة
 الإسكندر ، وقصة موسى والحضر ، وقصة ذى القرنين المذكورين في القرآن ،
 وصور شخصية الإسكندر متأثراً بهذه النظرة ، كما سيأتي .

(۲) من از هرسه دانه که دانا فشانند درخو برومند خوام نشانند
 نخستین در پادشائی زلم دم از کار کشورکشائی زلم
 ز حکمت بر آرایم آنگه سخن کنم تازه پارانجهای کهن
 پیغمبری گویم آنگه درش که خواند خدائیز پیغمبرش
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۵۵)

(۳) سه در ساختم هر دری کان گنج جدا گانه بر هر دری برده رنج
 بدان هرسه در یابدان هرسه در کنم دامن عالم از گنج پر
 (نفس المرجع والصفحة)

وهذا يرجح أن نظامى قسم قصة الإسكندر إلى ثلاثة أجزاء ، ونظم كل جزء منها على حدة .

فترض فى الجزء الأول صورة الإسكندر كملك قوى ، وبطل فاتح ، وسجل مفاخره ، وسمى هذا الجزء « شرفنامه ^(١) » .

وتحدث فى الجزء الثانى عن الإسكندر كحكيم ، وسمّاه « خردنامه ^(٢) » ؛ لأنه بدأ بالحديث عن العقل ، فقال : « أينما يُظهر العقل كنزاً من الحكمة فإنه يحمل اسم الله مفتاحاً له ^(٣) » .

وصور فى الجزء الثالث الإسكندر فى صورة نبي له رسالة ، وسمّاه « إقبالنامه ^(٤) » ؛ لأنه اعتبر أن سعادة الإسكندر الحقيقية بدأت يوم اختياره نبيّاً ، فقال « لقد سجّلوا تاريخ الإسكندر منذ ذلك الوقت الذى صار فيه نبياً ^(٥) » . غير أنه يبدو أن كبر سن الشاعر وضعفه ، جعلاه يختصر الجزءين الأخيرين اختصاراً شديداً ، ويعطيهما فى مجلد واحد سمّاه « خردنامه وإقبالنامه ^(٦) » .

(١) « شرفنامه » معناها « كتاب الشرف » .

(٢) « خردنامه » معناها « كتاب العقل » .

(٣) خرد هر كجا گنجی آرد پدید ز نام خدا سازد آزا كلید
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢)

(٤) « إقبالنامه » معناها « كتاب السعادة أو الحظ » .

(٥) از آن روز کوشد پیغمبری نبشتند تاریخ اسکندری

(نظامى : شرفنامه ، ص ٧١)

(٦) يبدو أن مانظمه نظامى عن حكمة الإسكندر ونبوته ، لم يصادف هوى فى نفوس الإيرانيين ، لأنه أشاد بتوحيد الإسكندر لله ، بينما كان الإيرانيون يقدسون النار ، ومجّد تحطيم الإسكندر لبيوت النار ، وقضاءه على « الأوستا » كتابهم المقدس . فكان هذا من الأسباب التى لم تحبب نظامى إلى قلوبهم ، فلم يتعلقوا به تعلقهم بالفردوسى ، الذى أشاد بالفرس وسجل مفاخرهم وأجّادهم ، ولعل هذا كان =

كما يبدو أن الشاعر كان يعد الجزء الأول وحده مساوياً لنصف القصة ، لأنه قال بعد فراغه من نظم شرفنامه : « حينما فرغتُ من نصف هذا البناء ، عددتُ نفسي مسيطراً على نصف العالم ، وسأُنظم النصف الآخر إذا كان في العمر بقية ^(١) » .

غير أن الجزئين الأخيرين - في صورتها التي بين أيدينا - بساويان ثلث القصة لانصفها ، لأن عدد أبياتهما لا يزيد كثيراً عن نصف عدد أبيات الجزء الأول ، فضلاً عما فيهما من اضطراب في بعض الأجزاء .

* * *

٢ - تواريخ إتمام أجزاء القصة ، وما أصابته من نجاح :

صرح نظامي بأنه أنتم نظم « شرفنامه » في عام ٥٩٧ هـ ، فقال : « نظمت هذه المنظومة في الدنيا ، لتبقى فيها إلى يوم القيامة ؛ وأنتمتها في وقت الزوال من اليوم الرابع من شهر المحرم ، لسبعة وتسعين وخمسمائة عام خلت بعد الهجرة ^(٢) » . أما « خردنامه وإقبالنامه » فقد رجحت أنه كان ينظم فيهما في عام ٥٩٩ هـ ، لأن الشاعر صرح بهذا التاريخ ، وأشار إلى أنه كان في سن الستين ، كما رجحتُ

= سبباً فيما نجاهد في الجزئين التعلقين بحكمة الإسكندر ونبوته من اضطراب - أحياناً - يشعر بأن أجزاء منهما قد حذفت ، أو سقطت في أثناء النسخ ، فأصبح يضمهما مجلد واحد - في صورتها الحالية - مما يستتبعه من الدراسة .

(١) چو شد نیمه زاین بنا مهره بست مرا نیمه عالم آمد بدست
دگر نیمه را کر بود روزگار چنان گویم از طبع آموزگار
(نظامي : شرفنامه ، ص ٥٢٤)

(٢) بگفتم من این نامه را در جهان که تادور آخر بود در جهان
بتاریخ پانصد نود هفت سال چهارم محرم بوقت زوال

آن نظمها تم في عام ۶۰۳ هـ ، حينما كان الشاعر في منتصف الرابعة والستين من عمره .

* * *

وقدم الشاعر « شرفنامه » لنصرة الدين أبى بكر أتابك آذر بيجان - كما مرّ - لأنه اعتبره بطلا مظفراً كالإسكندر ، ولا ندرى أية جائزة حصل عليها الشاعر . مكافأة له على عمله ، لأنه لم يذكر أكثر من قوله : « الحمد لله الرحيم ، رب العالمين ، لأن إنصاف الوالى أكثر من قصة الإسكندر ^(۱) » .

غير أننا لا نعرف - على وجه التحقيق - نوع هذا الإنصاف ، ومقداره . أما « خردنامه وإقبالنامه » ، فقد قدمها لعز الدين مسعود أتابك الموصل ، كما سبق . وحاول أن يظفر منه بجائزة عظيمة فخطبه بقوله : « اشرب كأساً من إناء نظامى - على طريقة الملوك القدماء - فستأخذ بها حق شاهنامه من السلطان محمود ^(۲) » ، لأنها تشبه كأس الفردوسى ، فأنت وأنا وارثان لمنجمين قديمين ، فلك منجم السخاء ، ولى منجم الكلام ، وقد أصبح من حق أن أظفر بالجائزة التى حُرِمَ منها الفردوسى ^(۳) » .

(۱) سپاس از خسداوند گیتی بناه که بیشست از اینقصه انصاف شاه
(نظامى : شرفنامه ، ص ۶۵)

(۲) يقصد الشاعر السلطان « محمود الغزنوى » الذى قدم الفردوسى له منظومته « شاهنامه » ، ولم يظفر بالجائزة التى كان يتوقعها ، ويعتبر نظامى نفسه وارثاً للفردوسى ، وجديراً بأن يأخذ جائزته من الوالى ، لأنه أهل لأن تنسب إليه المنظومتان معاً : منظومة الفردوسى ، ومنظومته .

(۳) زکاس نظامى یکى طاس مى خورى هم بآیین کاوس کی
ستانى بدان طاس طوسى نواز حق شاهنامه ز محمود باز
دو وارث شمار از دوکان کهن ترادر سخا و مرا در سخن
بوامى که ناداده باشد نخست حق وارث از وارث آید درست
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ۳۵)

وبين للوالى أنه لم يذكر أحداً غيره ، حتى لا يقرَّب شاعراً سواه ، فقال :
« أرسلتُ إليك تذكاراً قيماً لعمل عظيم ، وحاشا أن أذكر اسم شخص غيرك ،
فاذكري بهذا التذكار ^(١) » .

وقرر أنه أرسل عمله مع ابنه ليرجع إليه محملاً بالمطاء ، فقال : « لقد أرسلتُ
إليك روحى ، وأرسلتُ مع الروح فلذة كبدي ، فردّها إلى محمّة - لمة بمطاء أكثر
مما أتصور ^(٢) » .

ولا ندرى - كذلك - أى مطاء وصل إلى الشاعر ، ولو أن هناك أبياتاً
- فى آخر المنظومة - تشير إلى مكافأته على عمله ^(٣) ؛ ولكنها تُذكر فى الحاشية ،
على أنها أبيات ملحقة .

ولعل وفاة الشاعر بعد تقديم المنظومة بمدة وجيزة ، هى التى لم تمكنه من
إثبات نوع المطاء ، إن كان هناك عطاء .

* * *

٣ - سبب نظم قصّة الإسكندر :

لم يذكر نظامى سبباً لاختياره قصّة الإسكندر المقدونى ، بعد نظمه قصّة
« بهرام كور » ، ولم يشر إلى أن أحداً من الحكماء طلب منه نظمها ، وكل

(١) اگرچه من آزهه کارى بزرك فرستادمت يادكارى بزرك
مبادا زتو جزر توکس يادگار وزين يادگار اين سخن ياددار
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ص ٣٦)

(٢) چو من نزل خاص توجان داده ام جگر نيز باجان فرستاده ام
چنان باز گردانش از نزد خویش کز امید من باشد آن رفق بیش
(المرجع السابق ، ص ٢٨٦)

(٣) لارجع السابق ، ص ٢٩٤ . وقد ذكرت الأبيات نوع المكافأة ، ولكن
دستگردى يقول إن الأبيات ملحقة ، وليست من نظم الشاعر .

ماقرره هو أن هاتفاً نصحه بنظامها^(١) ، وهى طريقة اتبعتها قبل ذلك حتى يبرر شروعه فى نظم جديد .

وليس فى قصة الإسكندر مناظر حب ؛ حتى نقول إنها شجعت على اختيارها ، كما اختار سابقها لهذا السبب .

ونحن نرجع أن الدافع الذى حفز نظامى إلى نظم قصة الإسكندر هو أنه كان شيخاً هرمًا يريد أن يختم حياته بصورة ليس فيها لغو ولا تأثيم ، فابتعد عن قصص العشق ، واختار قصة بطل مؤمن موحد ، ونهى — فى رأيه — يدعو الناس إلى العدل والإصلاح .

ولعل وجود قصة الإسكندر فى عصره فى صورة نثرية — كما سيأتى — هو الذى شجعه على نظمها ، لأن ذلك جعل مهمته أسهل ، وسبيله أبسر .

* * *

وسنمضى فى الفصول التالية شخصية الإسكندر — كما صورها نظامى — من جوانبها الثلاثة ؛ فنصور بطولته ، وحكمته ، ونبوته ، ثم نقارن هذه الصور ، بتصوير الفردوسى لشخصية الاسكندر — فيما نظمته عنه فى منظومته «شاهنامه» — حتى يمكننا أن نقدر عمل نظامى تقديرًا صحيحًا .

الفصل الثاني

بطورته الاسكندر كما صورها نظامي في شرفنامه

بدأ نظامي « شرفنامه » بمقدمة تقليدية^(۱) ؛ تحدث فيها عن توحيد الله ، ومناجاته ، ومدح الرسول ، وذكر معراجه ، كما تحدث عن سابقة نظم شرفنامه ، وذكر أنه كان في حالة مراقبة فسمع هاتماً ينصحه بنظم القصه ، ثم تحدث عن الشيخوخه ، وعن تقدم منظومته على كل ماسبقها من منظومات ، وذكر السبب في قوله : « إن المنظومات الأخرى - التي تجدها قبل ذلك - ليست صحيحة في نظر الشعب ، فلا ينبغي أن تحرف هذه القصه ، وأن تكتب في صور مختلفة ، فنظومتي لما شرف على غيرها من المنظومات بفضل الدقة في النظم ، وقد سميتها كتاب الشرف ، لاشتمالها على قصه الاسكندر ، وهي تشرف الملوك^(۲) » .

ثم أشار إلى صنيع الفردوسي فقال : « إن الشاعر السابق الفردوسي عالم طوس زين وجه النظم كالعروس ، ولكنه ترك أشياء لم يذكرها في منظومته التي نظم فيها الجواهر ؛ ولو نظم كل ماروي منذ القدم لأصبحت القصه مطولة . فحذف منها كل ما لم يوافق هواه (ويتشبه مع فكرته) ، ونظم الأشياء التي لم يكن هناك بدمن ذكرها ، فترك بذلك بقية للأصدقاء ، لأنه لا ينبغي أن

(۱) نظامي : شرفنامه ، ص ۲۲-۶۷ .

(۲) دگر نامه‌ها را که جوئی نخست بهم-ور ملت نباشد درست

نباشد چنین نامه تزویر خیز نبشته بچندین قلمهای تیز

بنیروی نوك چنین خامه ها شرف دارد این بردگر نامه ها

از آن خسروی می که در جام اوست شرفنامه خسروان نام اوست

(نظامي : شرفنامه ، ص ۴۹-۵۰)

یا کل الحلوی وحده^(۱) » .

و ختم المقدمة بقوله : « حينما شرع نظامی في نظم القصة ، ترك كل ما ذكره للفردوسی ، ونظم ما وجدته في الكنز من جواهر غير منظومة ، فجدد بنظمها الأحاديث القديمة ، وجعلها مشهورة ، ذائعة الصيت^(۲) » .

و ذكر أن الخضر علمه كيفية نظم القصة^(۳) ، ثم أخذ في سردها ، فأجملها في أبيات قليلة ؛ قائلا : « كان الإسكندر ملكا سائحا ، يعد للسفر عدته ، فطاف أركان العالم الأربعة ، ورآها ، لأن الملك لا يبق إلا على أربعة أركان^(۴) » .

وأشار إلى جلوسه على العرش فقال : « فلما طوى عمره صحائف المشرين عاماً دق طبول الملك ، وحينما بلغ عمره السابعة والمشرين صار نبياً ، يطوف

(۱) سخنگوی پیشینه دانای طوس

که آراست روی سخن چون عروس
در آن نامه کان گوهر سفته راند
بی گفتنهای ناکفته ماند
نگفت آنچه رغبت پذیرش نبود
همان گفت کزوی کزیرش نبود
دگر از پی دوستان زله کرد
که حلاوتنها نشایست خورد
(نظامی : شرفنامه ، ص ۵۰-۵۷)

(۲) نظامی که در رشته گوهر کشید
قلم دیده‌ها را قلم درکشید
بناسفته دری که در گنج یافت
ترازوی خود را گهر سنج یافت
شرفنامه را فرخ آوازه کرد
حدیث کهن را بدو تازه کرد
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) المرجع السابق ، ص ۵۰ .

(۴) سکندر که شاه جهان کرد بود
بکار سفر توشه پرورد بود
جهان را همه چارحد گشت و دید
که بی چارحد ملک نتوان خرید
(المرجع السابق ، ص ۷۰)

العالم ليباغ رسالته^(۱) .

« وقد بنى - فى كل رحلة قام بها - مدينة فى كل ناحية من أنحاء العالم ، من الهند إلى أقصى الروم^(۲) » .

« فكان كالمهندس الماهر الذى يقيس العالم من ساحل إلى ساحل ، فذرع الدنيا بهذه الهندسة ، وأراحها من المم^(۳) » .

ثم أخذ الشاعر يفصل ما أجمله ، فسجل تاريخ الإسكندر ، وبدأ بذكر والده « فيلقوس^(۴) » فقال « كان من بين ملوك الروم ملك مشهور اسمه فيلقوس بسط نفوذه على الروم والروس ، وكان موطنه بلاد اليونان ، ومقر حكمه إقليم مقدونية^(۵) » .

(۱) چو عمرش ورق راند بریست سال

بشاهنشاهی بردهل زد دوال

دویم ره که بریست افزود هفت بدیغمبری رخت بر بست ورفت

(نظامی : شرفنامه ، ص ۷۱)

(۲) بهر گردش کرد پرگار دهر بنا کرد چندین گرانمایه شهر

ز هندوستان تا باقصرای روم برانگیخت شهری بهر مرزوبوم

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) بدینگونه مساح منزل شناس ز ساحل بساحل گرفق قیاس

جهان را که از غم براحت کشید بدین هندسه در مساحت کشید

(المرجع السابق ، ص ۷۳)

(۴) ذکر نظامی اسم والد الإسکندر علی أنه « فيلقوس » وهو قريب من التسمية

المعروفة « فیلپوس » أو « فیلپوس » ،

(۵) که از جمله تاجداران روم جوان دولتی بود ازان مرز وبوم

شهی نامور نام او فيلقوس پذیرای فرمان او روم وروس

یونان زمین بود مأوای او بمقدونیه خاص تر جای او

(نظامی : شرفنامه ، ص ۸۰)

وتحدث عن أصل الإسكندر ، فقال : « إن في هذه القصة أقوالا كثيرة ، وقد اطلعت على هذه الأقوال جميعها ^(۱) » .

ثم سرد بعض الأقوال ، فذكر ماروی من أن فيلقوس تبني الإسكندر ، فقال « رأى فيلقوس امرأة ميتة في الصحراء - في أثناء الصيد - وكان على جثتها طفل يرضع إصبمه من قلة اللبن ، وكأنه يعض إصبمه حسرة على موت أمه ؛ فأمر أتباعه بالإسراع بدفن الأم ، وحمل الطفل من الطريق ، ثم أخذه ، ورباه ، ودأله ، وجعله ولياً لعهده ، فكانت هذه صدفة غريبة ، تدعو إلى الدهشة ، والتعجب ^(۲) » .

وأورد ماروی من أنه إراني ، فقال : « وهناك رأى آخر يذكره الجوس ، فير بطون نسبه بدارا ^(۳) » .

وذكر أنه أهل كثيراً من الآراء الأخرى ، فقال : « وهناك أقوال أخرى ليست صحيحة ، لا يجد الشاعر نفسه حريصاً على إبرادها ^(۴) » .

(۱) در این داستان داورها بسیست مرا گوش برگفته هر کیست .

(نظامی شرفنامه ، ص ۸۱)

(۲) زنی دید مرده بدان رهگذر بیالین او طفلی آورده سر

ز بی شیری انگشت خود میمزید بنادر برانگشت خود میگزید

بفرمود تا چاکران تاخند بکار زن مرده پرداختند

ز خاک ره آن طفل را برگرفت فروماند از آن روز بازی شگفت

برد و پیوردد و بنواختش پس از خود ولیعهد خود ساختش

(المرجع السابق ، ص ۸۱-۸۲)

(۳) دگر گونه دهقان آزر پرست بدارا کند نسل او باز بست

(المرجع السابق ، ص ۸۲)

(۴) دگر گفته‌ها چون عیاری نداشت سخنگو بر آن اختیاری نداشت

(نفس المرجع والصفحة)

و ختم بذکر رایہ هو الذی یحیل إلى أن الإسکندر هو الابن الحقیقی لفیلقوس ،
فبین أن والدته « كانت زوجة شرعية للملك فيلقوس ، وكانت عروساً جميلة
عفيفة ^(۱) » .

وتحدث عن حملها بالإسکندر ، وصور وضعه على أحسن قال ، وأجل طالع
« فسر الملك بابنه حسن الحظ ، وجلس على عرشه ، ومنح الناس كثيراً ^(۲) » .
ثم أشار إلى تربية الإسکندر على يد « نقوماجس » والد أرسطو ، « وكان
أرسطو زميلاً له في الدراسة ، وكان يتفانى في خدمته ^(۳) » .

وتحدث عن جلوسه على العرش ، ووصف عدله ، فقال : « امتلأت الدولة
بعدله ، فجدد بذلك عهد أبيه ، وأجرى ما أعجبه من القوانين التي استعملها
والده ^(۴) » .

ولم يفكر في إيذاء أحد ، ولم يبعد نفسه عن جادة العدل ، فرفع الضرائب
عن التجارة ، ولم يفرض خراجاً على المدنيين ، فعافى الزراع ، ومنح الفقراء ،
فكان يعمر الدولة ويسمدها ، ويقضى على ما فيها من فساد ، ويحل محل

- (۱) که در بزم خاص ملک فیلقوس بق بود با سکیزه ونوعروس
(نظامی : شرفنامه ، ص ۸۲)
(۲) شه از مهر فرزند پیروز بخت در کنج بکشاد و برشد بتخت
(المرجع السابق ، ص ۸۳)
(۳) أرسطو که مهندس شهزاده بود بمخدمت کردی دل بدو داده بود
(المرجع السابق ، ص ۸۶)
(۴) ولایت ز عدلش پر آوازه گشت بدو تاج و تخت پدر تازه گشت
همان رسمها کز پدر دیده بود نمود آنچه رایش پسندیده بود
(المرجع السابق ، ص ۹۱)

الإصلاح^(۱) .

نم ذکر آن فتوحه کلمه تأثرت بهذه العاطفة ؛ عاطفة حب العدل ، وإنصاف المظلومين .

وبدا الشاعر الحديث عن بطولة الإسكندر ، فابتدأ بالفتح المصري ، وبيّن أن سببه كان تظلم المصريين من الزوج ، الذين سدوا مسالك الصحراء^(۲) . « فأمر أن يسير جيشه ، محاذياً لنهر النيل حتى يصل إلى الصحراء^(۳) . ثم بدأت الحرب بينه ، وبين الزنج ، « فحمل كل من الطرفين على الطرف الآخر من الصباح إلى المساء دون أن يُجرح واحدٌ منهم^(۴) . »

ثم اشتدت الحرب^(۵) في الأيام التالية ، واتصر الإسكندر في النهاية ، « وغنم غنائم كثيرة ، لم نستطع الإبل حملها ، فأقام معابر كثيرة ، لمرور القيلة . وهي تحمل الغنائم الثمينة^(۶) . »

(۱) بازردن کس نیاورد رای

ببازارگانان رها کرده باج

زدیوان دهقان قلم برگرفت

عمارت همیکرد وزر میفشاند

(نظامی : شرفنامه ، ص ۹۲-۹۳)

(۲) رسیدند چندان سیاهان زنگ

که شد دریابان گذرگاه تنگ

(۳) بفرموده کز لب رود نیل

کند لشکرش سوی صحرا رحیل

(۴) بسی حمله بریکدیگر ساختند

یکی زخم کاری نینداختند

(۵) أظنب نظامی فی شرفنامه ، ص ۹۸-۱۳۶ فی تصویر مناظر الحرب ،

وسیر المارک بین الإسکندر والزنج .

(۶) ز صحرا غنیمت برآورده کوه

ز بس کنج آکنده بر پشت پیل

بصد جای پل بسته برود نیل

(المرجع السابق ، ص ۱۳۶)

« وبنی - بعد النصر - أول مدينة على ساحل البحر ، وجعلها رائعة كالربيع الأخضر ، مشرقة كالجنة ، وأقام - في أنحائها - الأسواق العامرة ، والمزارع الفاضرة ، ولما أكمل بناءها سماها الإسكندرية ^(۱) » .

« ثم أرسل الهدايا إلى ملك الفرس دارا ، فوصلت إلى مدينة بخارى ، وأرسل معها رسولا عاقلاً ، يُخَيِّن أداء المهمة التي كُلِّفَ بها ، وكانت الهدايا منتقاة من أثمن الفنائم التي غنمها ، فكانت رائعة لم تر العين مثلها ^(۲) » .

« فلما أبصر دارا هذه الهدايا العظيمة ، أكل الحسد قلبه . . . فأجاب إجابة تافهة ، لم تُعْجِب الإسكندر ، فاغتاظ من فعله ، وصمم على تأديبه ^(۳) » .

وقطع الإسكندر الجزية التي كان يرسلها إلى دارا ، كما كان والده يرسلها من قبل ؛ فاستاء دارا ، وأرسل في طلبها ، ولكن الإسكندر رفض ، ورد رداً جافاً فيه تحذيره من بطشه ، واستشهاد بحروبه مع الزنج ، وتنكيله بهم ، قائلاً : « لعل الملك لا يعرف عدد الروس التي قُطِعَتْ في الحروب ، وإلى أين

(۱) نخستین عمارت بدریا کنار بناکرد شهری چو خرم بهار

بآبادی و روشنی چون بهشت همش جای بازار و هم جای کشت

باسکندر آن شهر چون شد تمام هم اسکندریه ش نهادند نام

(نظامی : شرفنامه ، ص ۱۳۶-۱۳۷)

(۲) چو نوبت بسر بخش دارا رسید شتر بار زر تا بخارا رسید

گزین کرد مردی بفرهنگ و رای که آیین آن خدمت آرد بجای

گزید از غنیمت طرایف بسی کز آنسان نبیند طرایف کسی

(المرجع السابق ، ص ۱۳۸)

(۳) شکوهید دارا ز زلی چنان حسد را بر تو بتر شد عنان

.....

فرستاده آن پاسخ سرسری نپوشید برای اسکندری

سکندر شد آزرده از کار او نهانی همی داشت آزار او

(المرجع السابق ، ص ۱۳۹)

بلفت حملتی ، وکم صرعتُ من الأبطال ا... (۱) .

« فلما سمع دارا جواب الإسكندر زجر غضباً ، وتميز غيظاً ، وقال : كيف يتناول هذا الملك التافه على دارا ۱۹ ... (۲) » .

وبدأت الحرب بين الطرفين ، « وكانت حرباً شديدة لاهوادة فيها ، فكانت أصوات الصرعى تتداخل مضطربة حتى لينخيل إليك أن الأرض قد زلزلت زلزالها ، وأن إسرافيل نفخ في الصور لإيذاناً بقيام الساعة (۳) » .

« وكان الجيوشان يهجمان كالجراد والنمل ، وكان الحرب بين عالمين (۴) » .

ثم « تقدم ضابطان من ضباط دارا - المقر بين إلیه فی الظاهر ، والخائنین فی الحقيقة - إلى الإسكندر ، وأظهرا له أنهما ضاقتا ذرعاً بظلم دارا وغدره ، فحذا عليه . ثم بئنا أنهما يريدان إراقة دمه ، وقد رتبنا خطة محكمة لقتله . وطلبنا الأمان على روحيهما من الإسكندر (۵) » .

(۱) مگر شه نداند که در روز جنگ چه سرها بریدم در اقصای زنگ

(نظامی : شرفنامه ، ص ۱۵۸)

(۲) چو دارا جواب سکندر شنید یکی دورباش از جگر برکشید

که بی سکه را چه یارا بود که هم سکه نام دارا بود
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) روا رو برآمد ز راه نبرد هزاهز در آمد بمردان مرد

زمین گفتی از یکدیگر بردید سرافیل سور قیامت دمید

(المرجع السابق ، ص ۱۹۹)

(۴) دولشکر چو موپور و ملخ ناخند نبردی جهان در جهان ساختند

(المرجع السابق ، ص ۲۰۳)

(۵) بدارا دوسرهنک بودند خاص باخلاص نزدیک و دور از خلاص

زیساد دارا بجهان آمده دل آزدگی در میان آمده

بران دل که خونریز دارا میکنند براو کین خویش آشکارا کنند

چو زینگونه بازاری آراستند بجهان از سکندر امان خواستند

(المرجع السابق ، ص ۲۰۵)

وقبل الإسكندر فسكرتهما ، حقناً للدماء فقالا : « إننا نريد قتله غداً لنخلص الدولة من ظلمه ^(۱) » .

فلما جاء الغد نفذاً ما دبراه ، بما صوّره الشاعر في قوله : « مدّ الضابطان الغادران أيديهما إلى جسم الملك الضخم - كأنهما فيلان ثملان - وضرباه بسهم في جنبه ، فتلونت الأرض بدمه ، وأصبحت كالروض المملوء بالورود الحمراء ، ثم خرّ دارا صريعاً بسبب ذلك الجرح ، فترزلت الأرض ، وكأن يوم القيامة قد حلّ بها ^(۲) » .

« وحينما علم الإسكندر أن هذين الضابطين تجاسرا على إراقة دم الملوك ندم على عهده ؛ الذي أعطاه لهما لأنه شوه به اسمه ، ورفع العصمة عن روحه ^(۳) » .

وأمر بقتل الضابطين ، ثم توجه إلى حيث يلفظ دارا أنفاسه الأخيرة ، « ووضع رأسه على فخذه (فسكان كن) وضع الليل المظلم فوق النهار المشرق ،

(۱) بخواهيم فردا براو تاخستن ز يیداد او ملک برداختن .
(نظامی : شرفنامه ، ص ۲۰۶)

(۲) دو سرهنګ غدار چون پیل مست
بران پیلتن برکشادند دست
زدندش یکی تیغ پهلوگذار

که از خون زمین گشت چون لاله زار
دراقتاد دارا بدان زخم تیز زگیتی برآمد یکی رستغیز
(المرجع السابق ، ص ۲۱۴)

(۳) سکندر چو دانست کان ابلهان دلیرند برخوف شاهشهان
پشیمان شد از کرده پیمان خویش که برخاستش عصمت از جان خویش
(نفس المرجع والصفحة)

فأخضع ذلك الجسد النائم عينيه ، وقال له : قم من هذا التراب والدم ، ودعني ، فلم يبق لي نجاة ، ولم يبق لمصباحي ضياء ^(۱) .

ثم أخذ دارا يفخر بما كان له من عظمة ، وبأنه كان ملك العالم ، وطلب منه ألا يحرکه ، حتى لا تُزَلَّزال الأرض ، قائلاً : « أنا ملك على الأرض . فلا تمزني ، حتى لا تهتز الأرض » ^(۲) .

فتأثر الإسكندر ، وقال : « أيها الملك . أنا الإسكندر خادمك » ^(۳) . وأظهر له أنه لم يكن راغباً في قتله ، وأنه أسف لما حدث ، قائلاً : « في رأيي أن رأس شجرة منك أغلى من آلاف التيجان » ^(۴) .

وقال إنه لا فائدة من الندم بعد أن حُمِّ القضاة ، ثم رجاء أن يطلب كل ما يريد ، ووعدته بتنفيذ جميع رغباته ، قائلاً : « قل كل ما عندك من رغبات ، حتى آمر بتنفيذها ، وإني أعدك بذلك » ^(۵) .

فأجاب دارا : « لي رغبة في ثلاثة أشياء ، أرجو أن تتحقق فضلك ياملك

(۱) سرخسته را بران نهاد

شب تیره بر روز رخشان نهاد

فروسته چشم آن تن خوابناک

بدوگفت برخیز ازین خون و خاک

رهاکن که در من رهائی نماند

چراغ مرا روشنائی نماند

(نظامی : شرفنامه ، ص ۲۱۵)

(۲) زمین را منم تاج تارک نشین

ملرزان مرا تا نلرزد زمین

(المرجع السابق ، ص ۲۱۶)

(۳) سکندر بنالید کای تاجدار

سکندر منم چاکر شهریار

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) بنزدیک من یکسر موی شاه

گرامتر از صد هزاران کلاه

(المرجع السابق ، ص ۲۱۷)

(۵) بگو هرچه داری که فرمان کنم

بچاره گری باتو بیان کنم

(المرجع السابق ، ص ۲۱۸)

العالم . أولها : أن تقص لي من قتلى بغير ذنب . وثانيها : ألا تقضي - حينما تصير ملكا (على إيران) - على أحد ممن كانوا على عرش السكيانيين . . . فانزع من قلبك بذور الحقد ، ولا تنظف الأرض من نسلنا وثالثها : ألا تنتهك حرمة منزلي ، فارفع قدر ابنتي « رُوشنك » بأن تزوجها ، فقد ربّيتها تربية سامية لطيفة ، فلا تُبعد قلبك المشرق عنها ، لأن العرش يرتفع بالملكات الفاضلات ، ولأن الشمس يحسن أن يلازمها النور^(۱) .

« فقبل الإسكندر منه كل ما قاله . وقام القابل ، ومات القاتل^(۲) » .

ثم جلس الإسكندر على عرش دارا « وفتح خزائنه لكل إنسان ، ومنح الناس عطاء جزيلاً ، ورتب لكل إنسان ما يليق به من عمل ، فأسعد البائسين^(۳) »
« فلما رأى الإيرانيون ذلك العطاء ، دانوا له بالولاء ؛ فأطاعوه ، وارتفعوا

(۱) سه چیز آرزودارم اندر نهان باید باقبال شاه جهان
یکی آنکه برکشتن ییگناه تو باشی درین داوری داد خواه
دویم آنکه برتاج و تخت کیان چو حاکم تو باشی نیاری زیان
دل خود پردازی از تخم کین پردازی از تهمۀ مازمین
سوم آنکه بر زیر دستان من حرم نشکنی در شبستان من
همان روشنک را که دخت منست بدان نازکی دست بخت من
۴م خوانی خود کنی سر بلند که خوان گردد از نازکان ارجمند
دل روشن از روشنک سرمتاب که باروشنی به بود آفتاب
(نظامی : شرفنامه ، ص ۲۱۹)

(۲) سکندر پذیرفت از و هرچه گفت پذیرنده برخاست گوینده خفت
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) در گنج بگشاد بر هر کسی خزینه بسی داد و گوهر بسی
همان کار هر کسی پدیدار کرد بدان خفتگان بخت بیدار کرد
(المرجع السابق ، ص ۲۲۷)

بفضله حتى جاوزوا عنان السماء ، واستحسنوا أعماله ، ودعوا له بالتوفيق والنصر^(۱) .
 « ثم أمر الإسكندر الإيرانيين بأن يتركوا عبادة النار^(۲) » .

وهكذا قضى على هذه العبادة ، وحطم بيوتها ، وأحرق « الأوستا » - كتاب
 الإيرانيين المقدس - ثم « أمر الناس بعبادة الله وحده ، وبأن يتبعوا الدين
 الحنيف ، ويبتعدوا عن عبادة الشمس والقمر^(۳) » .

وبرَّ الإسكندر بوعده ، فتزوج « روشنك » ، « وتوجه إلى اصطخر ، وجلس
 على عرش كيومرث وكيقباد ، فتزين به ملك إيران ، وقوى به الأبطال ،
 وهؤلاء العلماء ، لأنهم ارتفعوا بمثل هذا الملك العظيم^(۴) » .

ثم عزم الإسكندر على الطواف حول العالم لإصلاحه ، وإنقاذه من الظلم ،
 فأرسل زوجته الشابة « روشنك » إلى بلاد الروم ، يرافقها أرسطو .

« وأمر بجمع الكتب الفارسية ، في أسرع وقت ثم اقتبس من كل حكمة

(۱) چو ایرانیان آن دهش یافتند سر از چنبر سرکشی تافتند
 نهادند سر برزمین یکزمان کله گوشه بردند بر آسمان
 گرفتند بر شهریار آفرین که یار توبادا سپهر برین
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۲۲۷)

(۲) سکندر بفرمود کایرانیان کشایند از آتش پرسق میان
 (المرجع السابق ، ص ۲۳۹)

(۳) بفرمود تا مردم روزگار جز ایزد پرسق ندارند کار
 بدین حینی پناه آورند همه پشت بر مهر و ماه آورند
 (المرجع السابق ، ص ۲۴۰)

(۴) با اصطخر شد تاج بر سر نهاد بجای کیومرث وکیقباد
 شد آراسته ملک ایران بدو قوی گشت پشت دلیران بدو
 بزرگان بدو تهنیت ساختند بدان سر بزرگی سر افراختند
 (المرجع السابق ، ص ۲۵۸)

صنوفاً ، وجعلوا کلاً منها فی مجلد ، وأرسلها - مع المترجمین - إلى بلاد اليونان ، لترجم من لغة إلى لغة أخرى ^(۱) .

ثم توجه الإسکندر صوب المغرب « وعزم على زیارة الکعبة ^(۲) لیحظى ببرکتها ، وكان مسروراً بهذا الفأل الحسن ، فتوجه بحیثه نحو بلاد العرب بعد أن استتب له ملک العجم ، واتخذ طریق الصحراء ، وكانت الإبل تحمل ما عنده من ذهب وغانم ، فأحسن رؤساء العرب استقباله ، وأطاعوه ، فلم یکادوا یبصرون حیثه المظفر ، حتی نفذوا جمیعاً أمره ^(۳) .

ثم توجه لزیارة الکعبة « وطاف حولها الطواف المفروض ، وقبّل بابها ، و ذکر الله - ناصره - کثیراً ، وسجد أمام بابها ، ومنح الفقراء بسخاء ^(۴) .

(۱) کتب خانه پارسی هرچه بود اشارت چنان شد که آرند زود
سخنهای سربسته از هردی زهر حکمتی ساختند دفتری
یونان فرستاد با ترجمان نبشت از زبانی بدیگر زبان
(نظامی : شرفنامه ، ص ۲۶۸)

(۲) یدو أن زیارة الإسکندر للکعبة من إضافات السليمن على قصته ، لیدعوا فکرتهم عنه ، ولیثبتوا أنه کان موحداً ، یتبع الدین الخنیف ، ولم یکن من الشرکین ، مما جعله یدعو الناس إلى التوحید ، وترك عبادة النار .

(۳) همان کعبه را نیز بیند جمال شود شاد از آن نقش فیروز قال
چو ملک عجم رام شد شاه را بملک عرب راند بنگاه را
بخروارها کنج زر بر گرفت بعزم بیابان ره اندر گرفت
سران عرب را زرافشان او سر آورد بر خط فرمان او
چو دیدند فیروزی لشکرش عرب نیز گشتند فرمانبرش
(المرجع السابق ، ۲۷۱)

(۴) طوافی کز او نیست کس را کزیر بر آورد عهد خانه را حلقه گیر
نخستین در کعبه را بوسه داد پناهنده خویش کرد یاد
بر آن آستان ز دسر خویش را خزینه بسی داد درویش را
(المرجع السابق ، ص ۲۷۲)

« وبعد التعبد والزيارة ، اتخذ طريق بلاد اليمن ، وفتحها^(۱) » .
 « ثم توجه صوب العراق ، وعزم على التوجه إلى بلاده غير أن رسالة وصلت
 إليه من آذر بيجان ، تدعوه إلى إصلاح شأن بلاد الأرمن ، وعدم إغفالها ،
 كما أصلح العالم ، وأخذ صوت الظلم^(۲) » .
 فسار الإسكندر إلى هذه الديار ، ورتب شئونها ، كما أصلح بلاد الأبخاز ،
 فخضع الملوك - جميعاً - له ، وأصبحوا يؤدون له الخراج^(۳) » .
 ثم علم أن « بردعة » تحكمها ملكة عاقلة اسمها « نوشابه^(۴) » ، وأن
 مملكتها في رقي مطرد ، « وأن في بلاطها ألفاً من لافتيات الأبطال الجيالات
 كالآقار ، يقمن بخدمتها . هذا بالإضافة إلى ثلاثين ألف فارسة ماهرة .. وليس
 على بابها أحد من الرجال ، رغم أن بعضهم أفراد في عائلتها^(۵) » .

(۱) چو شرط پرستش بجای آورید اذیم بمن زیر پای آورید
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۲۷۳)
 (۲) ذکر ره در آمد بملک عراق سوی خانه خویش کرد اتفاق
 بریدی در آمد چو آزادگان ز فرمانده آذرآبادگان
 که شاه جهان چون جهان رام کرد ستم را ز عالم تہی نام کرد
 چرا کار ارمن فروہشت سست نکرد آن بروہوم را بازجست
 (نفس المرجع والصفحة)

(۳) المرجع السابق ، ص ۲۷۳ - ۲۷۵ .

(۴) ذکر الفردوسی فی منظومته «شاهنامه» ، ج ۴ ، ص ۳۳ . اسم ملکہ بردعة
 علی أنه « قیدافہ » ویبدو أن هذا الاسم أصح من « نوشابه » الّتی ذکرہ نظامی ؛
 لأنہ یندکر فی اليونانیة علی أنه : Candace ، وهو قریب من « قیدافہ » .

(۵) ہزارش زن بکر در پیشگاہ بخمدت کمر بستہ ہریک چو ماہ
 برون از سکنیزان چابک سوار غلامان شمشیر زن سی ہزار
 نکشتی ز مردان کسی بردرش وکر چند نزدیک بودی برش
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۲۷۷)

فصم الإسكندر على السير بجيشه إليها ، ولكنه عدل عن هذه الفكرة ،
وآثر أن يذهب إليها في صورة رسول من قبل الإسكندر . « فأعد نفسه
كما يفعل الرسل ، وتوجه إليها في هيئة رسول ^(١) » .
وعلمت نوشابه بوصوله « فزينت البلاط والطريق المؤدى إليه ، وصفت
الفتيات الجليات مزينات بمختلف أنواع الزينة ^(٢) » .
ثم أمرت بإدخال الرسول عليها ، فدخل بشجاعة ، وأتجه كالأسد المفرور
نحو العرش ، ولم يخلع سيفه ، ولم يحن كمادة الرسل ^(٣) » .
وأخذت « نوشابه » تشك في أمر الرسول ؛ وكانت صورة الإسكندر
عندها ^(٤) ، فأمهله يوماً ، ثم أحضرت الصورة ، وأخذت تقارنها بوجه الرسول .
حتى تأكدت من أنه هو الإسكندر نفسه ، ثم أطلعت على ذلك ، فأنكر ،
فأرته صورته ، فلما رآها « خاف ، واصفرّ لونه ، وتضرع إلى الله ، لكي يرعاه ^(٥) » .

(١) برسم رسولان براراست کار سوی نازنین شد فرستاده وار

(نظامی : شرفنامه ، ص ۲۸۱)

(۲) برآراست نوشابه درگاه را بزر درگرفت آهنبین راه را

پریچهرگانرا بصد گونه زیب صف اندر صف آراسته دلفریب

(المرجع السابق ، ص ۲۸۲)

(۳) فرستاده آزد درآمد دلیر سوی تخت شد چون خرامنده شیر

کر بند شمشیر نگشاد باز برسم رسولان نبردش نماز

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) ذکر نظامی آن « نوشابه » حینا سمعت عن الإسکندر وشجاعته ، وغلبته

في الحروب ، وميله إلى الإصلاح . أرسلت أحد رساميه ليرسم لها صورته ، لأنها
كانت تحب الاحتفاظ بصور العظماء .

(۵) بترسید وشد رنگت رویش چوکاه بدارای نخود برد خودرا پناه

(المرجع السابق ، ص ۲۸۷)

« ولما عرفت نوشابه أن الأسد القوى قد خاف تلطفت ، وقالت : أيها الملك المظفر ! .. كم أحدث الدهر مثل هذه الحيل ! ... فلا تفكر في شيء ، واعلم أن صداقتي أكثر من أي شيء آخر ؛ وأن هذا المنزل منزلك ، وأنى لك جارية مطيعة ، وخادمة متقادة ، سواء في ديارك أم في ديارى ^(۱) » .

ثم خلعت عليه خلعاً كثيرة ، وأقامت له حفلاً عظيماً ، انصرف بعده مسروراً ؛ بعد أن خلع عليها ، وعلى من حولها هدايا قيمة ، وعطاء عظيماً .

ثم سار إلى جبال البرز ، وكان رجاله يحملون ثروته معهم ، ويسرون ببطء لكثرة ما كان معهم من الجواهر والذهب ، حتى شعروا بالشفقة والتعب ، فشاور الإسكندر أصحابه في أمر هذه الجواهر ، فأشاروا عليه بدفنها تحت الأرض ، وإقامة طلسم عليها ، ففعل ذلك ^(۲) » .

وواصل سيره حتى فتح قلعة « دربند » ، وسار منها إلى قلعة « سرير » . حيث « أجلسوه على عرش كيخسرو ، ونثروا الأموال تحت قدميه ، وقدموا له خمر الظفر في الكأس التي كان الملوك القدماء يشربون فيها الخمر ^(۳) » .

« فقام الإسكندر من مكانه - احتراماً - حينما أبصر الكأس ، ثم شربها .

(۱) چو دانست نوشابه كان تدشير هراسان شد از تندى آمد بيزر
بدوگفت کای خسرو کامگار بسی بازی آرد چنین روزگار
ميندیش ومهر مرايش دان همان خانه را خانه خویش دان
ترا من کينزى پرستنده ام هم آنجا هم اينجاىکى بنده ام
(نظامى : شرفنامه ، ص ۲۸۲)

(۲) للرجع السابق ، ۳۱۱-۳۱۳ .

(۳) نشانند بر تخت كيخسروش فشانند برسر تشارنوش
در آن جام فيروزه ريزندى بفيروزي آرند نزديك وى
(للرجع السابق ، ص ۳۲۹)

ولم يطلب غيرها^(۱) .

ثم ذهب الإسكندر إلى الهند عن طريق خراسان ، وكان ملكها « كيد » قد قرأ رسالته ، فأرسل الهدايا إليه ، على أن يتعهد له بعدم الإغارة على بلاده . وكانت الهدايا أربما ذكرها الشاعر على لسان « كيد » فقال : « الأولى : أرسل ابنتي إلى الملك ، وهي فتاة جميلة كالشمس المشرقة ، وكالقمر المنير ، والثانية كأس من الشراب نادر الوجود ، لا ينقص الشراب بالشرب منها ، والثالثة فيلسوف يحل المضلات ، والرابعة طبيب عاقل ماهر ، يحمل المرضى أقوياء^(۲) » . وقبل الإسكندر الهدايا ، وتماهد معه ، ثم « سار من الهند إلى « التبت » وتوجه منها إلى أقصى الصين^(۳) » .

ولكن ملك الصين رفض - أولاً - أن يدفع الجزية ، فأغار الإسكندر عليه ، « ففزع قائد الصين ، وأخذ يتوجس خيفة من غارة الإسكندر من الليل حتى الصباح^(۴) » .

ثم انتهى الأمر بالصلح ، وعزم الإسكندر على الرجوع إلى بلاد اليونان ،

(۱) چوشه جام را دید بر پای خاست بخورد آن یکی جام و دیگر نخواست

(نظامی : شرفنامه ، ص ۳۳۱)

(۲) یکی دختر خود فرستم بشاه چه دختر که تابنده خورشید و ماه

دویم نوش جامی زیاقوت تاب کز و کم نگردد ز خوردن شراب

سوم فیلسوفی نهانی گشای که باشد براز فلک رهنمای

چهارم پزشکی خردمند و جست که نالندگانرا کند تندرست

(المرجع السابق ، ص ۳۵۶)

(۳) ز هندوستان شد بتبت زمین ز تبت درآمد باقصای چین

(المرجع السابق ، ص ۳۶۶)

(۴) سپه دار چین از شیخون شاه نبود آیین از شام تا صبحگاه

(المرجع السابق ، ص ۳۸۷)

ولكن رسلا من « أرمينية » جاءوا إليه ، من قبل ملكها « دوال » ، وأخبروه بأن الروس قد هجموا على « بردعة » ، وحطموا ملك نوشابه ، فسار الإسكندر إليها ، ومر - وهو في طريقه إليها - على هضبة القيقاق حيث أُسر بجمال نساها ، وكن سافرات ، فطلب من زعماء القيقاق أن يأمرؤا النساء بتغطية وجوههن حتى لا يفرى جنوده بمتابعتن ، ولكن الزعماء أجابوا بأن هذه عادتهم ، وقالوا : « لما كان عدم النظر إلى الوجه الغريب أفضل شرعاً ، فإن الوزر يقع على العين لأعلى الوجه السافر »^(١) .

ولكن الإسكندر استطاع - بواسطة طلسم - أن يحملهم على قبول ما أراد ، ثم واصل سيره إلى بلاد الروس ، حيث قامت الحرب بين الطرفين ، ودارت بينهما سبع معارك مختلفة^(٢) ، انتهت بانتصار الإسكندر ، فهزِم الروس وقُتل منهم عددٌ كبير ، وقد أجهل الشاعر نتيجة هذه الحروب في قوله : « فأمعن جيش الإسكندر في الروس قتلا وأسرأ وشتقاً »^(٣) .

وخلص الإسكندر « نوشابه » من الأسر ، وغنم غنائم كثيرة لانحصى ، ولا تعد .

ثم علم أنه أصبح قريباً من منطقة الظلام ، حيث يوجد ماء الحياة « فسر الإسكندر بتلك العين ، وأظهر للفرح والانبطة »^(٤) .

(١) چو در روى يگانه نادیده به جنایت نه بر روی بر دیده به

(نظامی : شرفنامه ، ص ۴۲۶)

(۲) وصف نظامی هذه الحروب وصفاً دقيقاً مفصلاً في شرفنامه ، ص ۴۳۹-۴۷۳ .

(۳) زروسی بسی خون وخوی ریختند گرفتند وکشتند وآویختند

(المرجع السابق ، ص ۴۷۶)

(۴) سکندر بدان چشمه زندگی بسی کرد شادی وفرخندگی

(المرجع السابق ، ۴۹۸)

وسار فی الظلام یبحث - مع الخضر^(۱) - عن ماء الحیة ، فخر الخضر علی العین « فلما وجدها نزل ، وخلق ملاسبه فی أسرع وقت ، واستحم فی هذا الماء ، وشرب منه بقدر ما استطاع ، فأصبح جديراً بالحیة الأبدیة^(۲) » .

أما الإسكندر ؛ فقد ضل الطريق « وظل یبحث عنها أربعین يوماً ، فلم یثمر لها علی أثر ، وظل فی الظلام^(۳) » .

وسمع هانفاً ینصحه بالعودة ، لأنه لن یستطیع العثور علی العین « فیئس ورجع - فی النهاية - بعد أن سار فی ذلك الطريق وقتاً طویلاً^(۴) » .

« فلما وصل الإسكندر إلى بلاد اليونان ، كان قد حصل علی مفتاح كنز السعادة ، لأنه استفاد من رحلته علماً كثيراً ، ففتح - بذلك - باب الحكمة الإلهیة ، ثم وصل إلیه التکلیف بالنبوة ، فامتثل الأمر^(۵) » .

(۱) خلط نظامی قصة الإسكندر بقصة « موسى والعبد الصالح » الذی قیل إنه - الخضر » ، كما خلطها بقصة « ذی القرنین » ولعل السبب فی ذلك أن قصة « ذی القرنین » وردت فی القرآن بعد قصة « موسى والخضر » مباشرة فی سورة الکهف : آیات ۶۵-۹۸ .

(۲) چو با چشمه خضر آشنائی گرفت بدو چشم او روشنائی گرفت
فروود آمد و جامه بر کند چمت سرو تن بدان چشمه پاک شست
وزو خورد چندانکه بر کار شد حیات ابدرا سزاوار شد
(نظامی : شرفنامه ، ص ۵۱۰)

(۳) چهل روز در جستن چشمه راند براوسایه تفکند و درسایه ماند
(المرجع السابق ، ص ۵۱۲)

(۴) ازان ره که او عمر پرداز گشت چو نومید شد عاقبت باز گشت
(نفس المرجع والصفحة)

(۵) چوشه باز بر تخت یونان رسید بدو داد کنج سعادت کلید
زدانش بی مایا ساز کرد در حکمت ایزدی باز کرد
چو فرمان رسیدش بیغمبری نیچید کردن ز فرمانبری
(المرجع السابق ، ص ۵۲۲)

وهكذا ختم نظامى حديثه عن بطولة الإسكندر ، بعد أن صور رحلاته ،
وحروب به ، وفتوحه ، ومهد للحديث عن حكمته ، ونبوته . وهما الجانبان الماكملان
لشخصية الإسكندر عند نظامى ؛ وقد صورهما فى « خردنامه وإقبالنامه » وهما .
يكونان المجلد الثانى من منظومة « إسكندرنامه » .

* * *

فندع الجانب الأول ، لنعرض حكمة الإسكندر ؛ كما صورها نظامى فى
« خردنامه » .

الفصل الثالث

حکمة الاسکندر کا صورہا نظامی فی خردنامہ

بدأ نظامی حدیثہ عن حکمة الإسکندر ، فذكر بعد المقدمة التقليدية أن الإسکندر - بعد وصوله إلى بلاد اليونان - أمر الفلاسفة بترجمة كتب العلم المختلفة التي عند الأمم إلى اللغة اليونانية ، واختار من الكتب الفارسية كتاب « خدای نامہ ^(۱) » .

كما أمر بتأليف الكتب في مختلف الموضوعات ؛ « فأنفوا - أولاً - كتاب « گینی شناس » في الجغرافية ، ثم كتاب « رمز روحانیان » في علم الأرواح والاطلسات ، وهو الذي خلد اسم اليونانيين ورفع صيتهم ، ثم كتاب « سفر إسکندری » ، وهو الذي استطاع اليونانيون فيه حل المضلات ^(۲) » .

وقد احترم الإسکندر العلماء ؛ فأعلى شأنهم ، وأمر بتعظيمهم قائلا : « إن العالم معظم لدينا ، فلا يبحث أحد عن وسيلة يرتفع بها على غيره إلا عن طريق العلم ^(۳) » .

فولى الجميع وجوههم شطر العلم ، وجعلوها تشرق بفضلہ ، وتعلموه من

(۱) نظامی : خردنامہ وإقبالنامہ ، ص ۳۷ .

(۲) نخستین طرازی که بست از قیاس کتابیست کان هست گیتی شناس
دگر دفتر رمز روحانیان کزو زنده مانند یونانیان
همان سفر اسکندری کاهل روم بدوزم کردند آهن چوموم
(الرجع السابق ، ص ۳۷-۳۸)

(۳) إشارات چنان شد ز نخت بلند که داناست نزدیک ما أرجند
نجوید کسی بر کسی برتری مگر کز طریق هنر پروری
(الرجع السابق ، ص ۳۸)

الحکماء ، وذاع صيت بلاد اليونان عن طريق العلم ، بفضل ثقافة ذلك الملك .
الحب للمعرفة^(۱) .

ثم - مرد نظامی - بعد ذلك - الأقوال التي وردت في تسمية الإسكندر
بذي القرنين فقال : « كان يسمى ذا القرنين لأنه طاف العالم من المشرق إلى
المغرب . . . أو لطول زلفتيه وتجمدها خلف أذنيه كاقترنين ، في قول آخر ؛
أو لأنه رأى في المنام ارتباط قرني الفلك بواسطة الشمس ، وذلك في قول ثاث ؛
أو لأن عمره كان قرنين من الزمان ، كما قال بعض المؤرخين في قول رابع^(۲) » .
ثم ذكر ما أورده أبو معشر الباهلي في كتاب الألو ف ، فقال : « ويقول
أبو معشر في كتاب الألو ف رأيا آخر ، هو أنه لما مضى على موت الإسكندر
وقت طويل ، لم يصدق أحد أنه مات ، فرسم اليونانيون - من فرط حبهام له -
صورته على ورقة ، وأتقن الرسام رسمها فبدت رائعة ، ثم رسم صورة ملكين
عن يمينه وشماله في صورة قرنين ، كما تصوره المنجمون الذين وقالوا : إن الله خلق
له ملكين عن يمينه وشماله . . فانتشرت قصة الإسكندر في جميع الأرجاء ، بمجرد
انتقال هذه الصورة من بلاد اليونان إلى غيرها من الجهات ، وحازت إعجاب
الناس جميعا ، فأشادوا بفن الرسامين اليونانيين ، فلما أبصر العرب تلك الصورة ،

(۱) همه رخ بدانش برافروختند ز فرزانگان دانش آموختند
ز فرهنگ آن شاه دانش پسند شد آواز یونان بدانش بلند
(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۳۷)

(۲) که صاحب دو قرنش بدان بود نام که بر مشرق و مغرب آورد کام

.....

بقول دیگر کو بسیچیده داشت دو کیسو پس پشت پیچیده داشت
هان قول دیگر که در وقت خواب دو قرن فلك بستداز آفتاب
دیگر داستانی زد آموزگار که عمرش دو قرن آمد از روزگار
(المرجع السابق ، ص ۴۴) .

رسموا للإسكندر صورة أخرى تقليداً لها ، وظنوا أن قرن الإسكندر طويل ، وأن الرسوم ليس مَلَكاً بل قرناً ، وكان هذا هو الذى أوقعهم فى الخطأ ، فأطلقوا عليه لقب ذى القرنين ^(۱) .

ثم ذكر قولاً آخر ، أثبتته فى قوله : « وقال لى عالم قولاً غير هذا هو أن أُذُنَى الإسكندر كانتا أكبر من الحجم الطبيعى ^(۲) » .

وَبَيْنَ أن الإسكندر كان يُطِيل شعره لينظيها ، مما جعل شعره بُشْبُهُ القرنين . ثم أورد قصة تتعلق بأذنى الإسكندر ، وهى أن سرهما وُضِعَ فى ينبوع يجرى

(۱) دگر گونه گوید جهان فیلسوف ابو معشر اندر کتاب اُلف
که چون بر سکندر سر آمد زمان
ز مهرش که یونانیان داشتند
چو برجای خود کَلک صورتگرش
دو نقش دگر بست پیکر نگار
دو قرن از سر هیکل انگیخته
لقب کردشان مرد هیئت شناس
که در پیکری کایزد آراستش
چو آن هر سه پیکر بدان دلبری
ز یونان بدیگر سواد افتاد
ثنا رفت از ایشان بهر مرز و بوم
عرب چون بدان دیده بگماشتند
گمان بودشان کانچه قرنش دراست

نه فرخ فرشته که اسکندر است
از این روی در شبهت افتاده اند
(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۴۱-۴۰)
(۲) جز این گفت با من خداوند هوش که بیرون از اندازه بودش و گوش
(المرجع السابق ، ص ۴۵)

فی الصحراء ، فنبت منه نائی ، وأن قاطع أحجار أخذ هذا النای ، وصار یُصدِر منه نغبات مختلفة ، كانت تـکشف له سر المـلک ، فـعلم الإسـکندر بذلك ، فأمر بإحضاره إليه ، فاضطرب الرجل ، وأقسم بالله أنه لم یقل السر لأحد ، فعفا الإسکندر عنه ^(۱) .

ثم یورد الشاعر قصصاً أخرى متنوعة تجعل ترتیب هذا القسم مضطرباً ، وأجزائه مفـککة ، مما لم نلاحظه فی المنظومات السابقة ، وهذا یرجح أن بعض أجزائه قد ضاع .

والقصة الأولى : هی أن الإسکندر کان حزیناً لمرض فتاة کان یـعشقها ، وکان یظن أنها سوف تموت ، فأبصر راعياً شیخاً ، فدعاه للجلوس معه ، وکان الراعی عالماً ، ومحدثاً لبقاً ؛ فلما فهم سر حزن الإسکندر ، قص علیه قصة هی : أن أحد أمراء « مرو » كانت له عروسٌ جمیلة تشبه فتاة الإسکندر ، وکان یهیم بها حباً ، فرضت مرضاً شديداً حتى یئس من شفائها ، ولكنها شفیت فی النهاية ، فعاش الأمير معها سعيداً .

فتعال الإسکندر ؛ « وینما هو كذلك جاءه نبأ شفاء معشوقته ، فـعلم أن الفتاة الجمیلة ، قد نجت بفضل حبها له ، (تهیء له أسباب السعادة والمـناء) ^(۲) » .

ثم ذکر قصة « أرشمیدس » وهی أنه کان أبـل شباب عصره ، وموضع عطف الإسکندر ، وحب أرسطو ، الذی کان یتخذـه ابناً ، وبعلمه لیخلق منه إنساناً فاضلاً ، لأنه کان یعتقد أن تـلمیذاً عاقلاً فاضلاً خیر من ألف تـلمیذ أحـق ،

(۱) نظامی : خردنامه وإقبالنامه ، ص ۴۸ .

(۲) درین بود خسرو که از بزم خاص برون آمد آوازه بر خلاص
که آن مهربان ماه خسرو پرست یاقبال شبه عطسه دادورست

(الرجع السابق ، ص ۵۵)

ولكن « أرشميدس » انقطع عن الدرس فجأة ، وعرف الأستاذ أن انشغاله بحب فتاة جميلة هو السر في ذلك ، لأنها استولت على مشاعره ، فجعلته أسير هواها ، فطلب أرسطو أن تُخَصَّرَ الفتاة أمامه ، ثم أعطاها شراباً ، فذهت جهالها ، ودعا « أرشميدس » ، وطلب منه أن ينظر إليها ، « فلما أبصر الشاب الفتاة ، قال لأستاذه : من هذه للمرأة القبيحة ؟ » ^(١) .

ثم قطع علاقه بها ، رغم أن أرسطو أعاد إليها جمالها بعد ذلك ؛ مما عَجَّلَ بوفاة الفتاة بعد مدة قصيرة .

وتتلوها قصة « مارية القبطية » وهي ابنة أمير شامى استولى الأعداء على أرضها بعد وفاة والدها ، فلجأت إلى الإسكندر ، واستنجدت به ، وصارت تلميذة لأرسطو ؛ ففتح لها أبواب علمه ، فتعلمت منه علوماً كثيرة - منها صناعة الذهب - وساعدها الإسكندر على استرداد ملكها ^(٢) .

ثم أخذت الأميرة تصنع الذهب إلى أن أثرت ، فكانت كل دابة عندها - حتى الحمير - لها سروج من ذهب . « واستعملت ذهباً كثيراً للزينة ، فجعلت كلابها بسلاسل ذهبية » ^(٣) .

وجاء إليها عدد من السكياتيين ليقبلوا منها سر هذه الصناعة ، فصنعت أمامهم الذهب من شعرها ، ثم أخذت تشرح لهم الأعشاب المختلفة التى تفيد فى هذه الصناعة .

(١) جوامعرد چون در ضم بنگریست باسنادگفت این زن زشت کیست ۱۹

(نظامی : خردنامه وإقالنامه ، ص ۵۸)

(٢) المرجع السابق ، ص ۶۳ .

(٣) بدرگاه او هرکه سرداشی اگر خبریدی زین زرداشی

ز بس زرکه بر زیور انباشتند سکان را برنجیر زر داشتند

(المرجع السابق ص ۶۴)

ثم ذكر الشاعر قصة معترضة هي : أن رجلاً من خراسان ، استطاع أن يمدح أهل بئداد ، والخليفة نفسه ، بتغيير كلمة « كبريت » إلى « تبريك » بطريقة كيميائية ^(١) .

وانتهت قصة « مارية » بغضب الإسكندر عايبها ، بمد أن دس الحساد بينها وبينه ، ولما استطاعت أن تكسب وده ، وترضيه بالهدايا .

وتتلوها قصة فقير أصبح غنياً جداً ، فاستدعاه الملك ، وطلب منه أن يقص عليه قصته ، فقال الرجل إنه كان فقيراً فقراً شديداً ، وكانت زوجته غفيرة راضية ، ثم حدث أنها كانت تضع في وقت لم يكن يملك فيه شيئاً ، فخرج يطلب الرزق ، وسار حتى وصل إلى الصحراء ، فوصل إلى منزل دارس ، وأراد أن يحتسب به ، فلاحظ أن المنزل يسكنه أخوان زنجيان ، وأن أحدهما قام لاستخراج كنز يوجد فيه ، فلما فرغ من استخراجِه وثب عليه أخوه ، قتلَه ، وشرع في دفنه ، فانتهاز الفقير الفرصة وحمل الكنز ، وأسرع به إلى زوجته ، التي كانت قد وضعت ابناً ، فسر الرجل بابنه السعيد الذي أقبلت بمولده الثروة والجاه . فطلب الإسكندر من « واليس » أن يرى طالع المولود ، فوجده سعيداً ، وأن سعادته مستمدة من دولة الإسكندر ^(٢) .

ثم تأتي قصة مؤامرة سبعين حكماً ضد « هرمس » وإنكارهم الاعتراف بجله ومكانته ، فغضب ، ونفذ صبره ، فاستعمل كلمة سحرية ، حولت هؤلاء الحكماء إلى تماثيل . وقد امتدح الإسكندر فعله ، فأقره وهنأه .

وتتلوها قصة إساءة أرسطو إلى أفلاطون - في أثناء اجتماع عقْد بالبلات - فغضب أفلاطون ، واعتزل الناس ، وعاش في قبة عالية ، كان يسمع فيها أنغام

(١) نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٦٧ - ٧١ .

(٢) للمرجع السابق ، ص ٧٢ - ٨٢ .

الأفلاك . ثم صنع آلة موسيقية ، وذهب بها إلى الصحراء ، فكانت تغاتها تجذب الحيوانات ، وتعملها أليفة .

وسمع أرسطو بذلك ، فصنع آلة موسيقية نشبهها ، ولكن تغاتها لم تفعل فعلها ، مما جعله يذهب إلى أستاذه « أفلاطون » ويطلب منه العفو ، ويثني عليه كثيراً ^(۱) .

« فلما عرف الإسكندر أن أفلاطون صار أعظم أستاذ في بلاد اليونان رفع درجته في السيادة ، وأعلى منزلته عنده ^(۲) » .

ثم قص أفلاطون على الإسكندر قصة راع وجد صائداً نحاسياً في غار ، ووجد في جوفه جثة رجل ميت لم تمط ، وكان في إصبع الرجل خاتم فأخذه الراعي ، ولبسه ، فلاحظ أن الرعاة لا يرونه إذا وقف في وسطهم ، فاستعان بهذا الخاتم حتى أصبح ملكاً ^(۳) .

وتتلوها قصة « الإسكندر مع سقراط » ، وهي : أن سقراط كان زاهداً يعيش في الصحراء ، فدعاه الإسكندر إلى بلاطه ، فرفض ، فزاره الإسكندر ، وقدم له هدايا فلم يقبلها ، ونصحه بنصائح مفيدة ، « فأمر كاتبه بتسجيلها ، فكتبها بماء الذهب ^(۴) » .

ر وهكذا اجتمع الحكماء حول الإسكندر ، وأخذت تظهر شخصيته كحكيم ،

(۱) نظامی : خردنامه وایقانامه ، ص ۸۲-۹۲ .

(۲) سکندر چو دانست کز هر علوم فلاتون شد استاد دانش بروم
برافزود پایش در آن سروری بنزد خودش داد بالاتری
(المرجع السابق ، ص ۹۲)

(۳) المرجع السابق ، ص ۹۲-۹۷ .

(۴) بفرمود تا مرد کاتب سرشت یآب زر آن نکه هارانبشت
(المرجع السابق ، ص ۱۰۸)

فقد زاره حكيم هندی ، وسأله عن : نهاية العالم ، وحقیقة الروح ، والأحلام ، وعلم النجوم .

فأجاب الإسكندر عن نهاية العالم بقوله : « إن الله خالق عالین : دار الدنيا ، ودار الآخرة ؛ فالآخرة كنز ، والدنيا مفتاحه ؛ وأنت تزرع في الدنيا ، وتعمل الأعمال الطيبة ، وتمحص في الآخرة ثمار الزرع »^(۱) .

وأجاب عن الروح بأنها خالدة لا تموت ، قائلاً : « ماذا يقولون في قصة رجل مات ؟ .. هل يقولون أسلم الروح أم يقولون ماتت الروح ؟ .. يقولون أسلم الروح ، وليس هذا نموها ، فهناك فرق بين إسلام الروح ، وبين موتها . فدفع الروح لأنها شعاع طاهر من نور الله ، وليست من الماء والطين »^(۲) .

وأجاب عن الأحلام بأنها ليست خيالية ، وإنما هي صدى حياة الإنسان ، وتجاربه ، فقال : « إن الأحلام مصدرها نفس الإنسان ، فلا شيء المؤلف له فيه - لا الغريبة عنه - هي التي تأتي في الحلم ، فإذا رأيت ميتاً أو حياً في الحلم ، فإن منشأ هذا تفكيرك أنت ، فهو نور ينتشر من شئ منك ، وهو يمثل لفكرك الصافي ، ومظهر لأملك وإدراكك »^(۳) .

(۱) که ایزد دو گیتی بدان آفرید که آنجا بود گنج و اینجا کلید :
در اینجا کنی کشت و کار نوی در آنجا بر کشته را بدروی
(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۱۱۳)

(۲) حکایت ز شخصی که او جان سپرد چه گویند ؟ جان داد یا جان ببرد
بگویند جان داد و این نیست زرق ز داده بود تا فرو مرده فرق
ز جان در گذر کان فرو غیبت پاک ز نور الهی نه از آب و خاک
(المرجع السابق ، ص ۱۱۴-۱۱۵)

(۳) خیال همه خوابها خانگیست در آن آشنائی نه بیگانگیست
اگر مرده گر زنده بینی بخواب ز شمع تو میخیزد آن نور و تاب
نمایند اندیشه پاک تست نموده تمنای إدراك تست
(المرجع السابق ، ص ۱۱۵)

وقد أعجب المندى بإجابات الإسكندر ، وقبل آراءه . « ثم اختار الإسكندر سبعة^(١) حكماء من الفلاسفة ، اشتهروا بالعلم والمعرفة ، وهم : وزيره « أرسطو » ، و « بليزاس » الشاب ، و « سقراط » الشيخ ، و « أفلاطون » و « واليس » ، و « فرفور يوس » الذين جاوزت شهرتهم عنان السماء ، و « هرمس » وهو سابعهم ، وكان عاقلاً ، اشتهر في الأفاق برزاقته ؛ فجمعهم الملك كالدائرة حوله ، وكان هو مركز الدائرة^(٢) .

(١) ورد في كتاب تاريخ الفلاسفة اليونانيين - الذي ترجمه عبد الله بن حسين المصري عن الفرنسية - ذكر بعض هؤلاء الفلاسفة ، فتحدث عن طاليس Thales من ص ٣ - ٨ . وقال إنه ولد في عام ٦٤٠ ق . م . ومات في عام ٥٤٨ ق . م . وذكر سقراط Socrate وقال إنه ولد في القرن الخامس قبل الميلاد ، ص ٧٨ - ٨٦ . وتحدث عن أفلاطون Platon ، ص ٨٦ - ٩٢ . فقال إنه ولد في عام ٤٢٩ ق . م . وتوفي في عام ٣٤٧ ق . م .

وذكر أرسطاطاليس Aristotle فقال إنه ولد في عام ٣٨٤ ق . م . وتوفي في عام ٣٢٢ ق . م . وبين أنه كان أستاذ الإسكندر .

وذكر الشهرستاني في كتابه : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٤٠ . أن « هرمس » يعد من الأنبياء ، ويقال إنه هو نفسه إدريس عليه السلام . كما قال في ص ٤٥ ، إن فرفور يوس كان على رأي أرسطاطاليس ، وواقفه في جميع ماذهب إليه .

وقد ذكر الحكماء السبعة - في ص ٢٥٣ - فقال : « الحكماء السبعة الذين هم أساطين الحكمة في اللطية ، وساميا ، وأثينا - وهي بلادهم - وأما أسباؤم : فثاليس اللطى ، وانكساغورس ، وانكيسيانس ، وانبذاقلس ، وفيثاغورس ، وسقراط ، وأفلاطون .

ويبدو أن ما ذكره الشهرستاني هو الصحيح ، لأن من ذكرهم نظامي لم يعيشوا جميعاً في عصر واحد كما مر ، فالشاعر لم يتحر الدقة فيما أورده .

(٢) أز ان فيل - وفان گزبن کرد هفت که بر خاطر کس خطائی نرفت
أرسطو که بد مملکت را وزیر بلیزاس برنا و سقراط پیر
فلاطون و والیس و فرفور یوس که روح القدس کردشان دستبوس =

وسألهم عن : أصل العالم ، والمادة الأولى ، فأجاب الحكماء مبتدئين بأرسطو ، فواليس ، فبليناس ، فسقراط ، ففرفوريوس ، فهرمس ، فأفلاطون^(١) .
وعلق الإسكندر على إجاباتهم ، قائلاً : « مادامنا لانستطيع أن نقرأ كتاب الخلق ، فكيف نستطيع التكهن بما فيه ؟ ! . . وأنتم - وقد اطلعتم على أسرار السماء - انظروا كيف قلتم أقوالاً مختلفة ! . . ولهذا لا يحسن التنبؤ بشيء ، لأن خلق العالم لا بد له من خالق^(٢) » .

* * *

والواقع أن ترتيب الحكماء السبعة - بهذه الطريقة - وجمعهم حول الإسكندر شيء من خلق نظامي ، ابتلاءم ذلك مع فكرته عن الإسكندر الحكيم ، فلم يثبت تاريخياً أنهم عاشوا في عصر واحد .
« فواليس » توفي قبل « سقراط » الذي توفي قبل الإسكندر بمائة عام تقريباً ، كما مات أفلاطون قبل الإسكندر .
أما « فرفوريوس » و « بليناس » ، فقد عاشا بعد عصر الإسكندر .
ويبدو أن « هرمس » شخص خيالي ، لم يكن له وجود فعلي .

= همان هفتمین هرمس نیک رای که بر هفتمین آسمان کرد جای
چنین هفت پرکار بر کرد شاه دران دایره شه شده نقطه کاه
(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۱۲۰-۱۲۱)

(۱) المرجع السابق ، ص ۱۲۰-۱۳۱ وقد سبقت الإشارة إلى إجاباتهم في أثناء الحديث عن ثقافة نظامي .

(۲) چو مالوح خاقت ندانیم خواند تجسس در او چون توانم راند ؟
شما کاسمان را ورق خوانده اید سخن بین که چون مختلف رانده اید
از این بیش گفتن نباشد پسند که نقش جهان نیست بی نقش بند
(المرجع السابق ، ص ۱۳۱)

والذى ثبت تاريخياً هو أن « أرسطو » كان معاصراً للإسكندر ، سواء أ كان
أستاذه ، أم زميلاً له فى الدراسة .

وقد غلبت الصبغة القصصية على نظامى ، فلم يحاول أن يتحرى الحقائق ،
فحشد هؤلاء الفلاسفة الحكماء فى عصر الإسكندر هذا الحشد المعجيب .

* * *

وختم نظامى بهذا المنظر تصويره لحكمة الإسكندر ، ويّين أنه أصبح
— بعد بلوغه هذه المنزلة — أهلاً للنبوة ، لأنه أدرك وجود الله ، ووحدانيته ، مما
هيّأه لتحمل الرسالة ، والخروج لهداية الناس ، وإصلاح العالم .

* * *

وأهم ما نلاحظه على منظومة « خردنامه » أن ما ورد فيها مضطرب ، وأن
أجزاءها مفككة ، وقد يكون سبب ذلك ضياع بعض أجزائها ، أو تخبط
للشاعر ، وعدم تحريره الدقة فى ذكر ما يتعلق بالحكماء ، وغلبة الناحية القصصية
عليه ، ومزج الحقائق بالأساطير .

ومعها يكن من شئ ؛ فقد عرضنا ما بين أيدينا — من خردنامه — وهو
لا يشير إلى حكمة الإسكندر إلا فى نهاية هذا الجزء ، ليمهد للحديث عن نبوته التى
أثبتتها « إقبالنامه » ؛ وهى القسم الثالث والأخير من « إسكندرنامه » .
فندع « خردنامه » لنعرض نبوة الإسكندر كما صورها نظامى فى « إقبالنامه »

الفصل الرابع

نبوة الإسكندر كما صورها نظامي في إقبالنامه

بدأ نظامي حديثه عن نبوة الإسكندر بتصوير كيفية نزول الوحي عليه ، وتكليفه بالرسالة ، فبين أن هاتفاً من قبل الله تعالى أبلغه تحية الله ، وأنه نبي مُرسل ، وطلب منه أن يخرج لمداية الناس ، قائلاً : « ادعُ الناس - بَدَلَتَ من تدين ونفوذ - إلى عبادة الله ، والبعد عن الضلال ، وابن هذه الدنيا القديمة على أسس جديدة صالحة ، وطهر الآفاق من الغفلة والآثام ^(١) » .

وخاف الإسكندر ، لأنه لم يكن يعرف لغات الشعوب التي أرسل إليها ، وقال : « أي حجة أهدى بها الخلق إذا ادّعت النبوة ؟ . . . وأي معجزة من القول يمكن أن أظهرها ، حتى يصدقني الناس ؟ . . . ^(٢) » .

فأجاب الهاتف بأن معرفة لغات العالم ، وتهيئة الجيش اللازم ستمنحان له كدليل على نبوته ، فسرَّ الإسكندر ، وأخذ يستعد للسفر ، لبدأ رحلاته حول العالم لإرشاد الناس .

فأعد الجهم - از الروحي أولاً ؛ « فجهز ثلاثة كتب غير الكتاب المقدس الذي نزل عليه من قبل الله ، وكتبها نساخ ماهر بمجر أسود على قماش من حرير ،

(١) كفى خلق را دعوت از راه بد بدارنده دولت ودين خود بنا نوكني اين كه ن طاق را ز غفلت فرو شوي آفاق را (نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ۱۳۶)

(٢) وكر دعوى آرم بيغمبري چه حجت كند خلق را رهبري ؟ چه معجز بود در سخن ياورم كه دارند بينندگان باورم ؟ (المرجع السابق ، ص ۱۳۸)

وقد ألف أرسطو الكتاب الأول ، وتحدث فيه عن الفضيلة ، وألف أفلاطون الكتاب الثاني وضمته كل المعارف التي يعرفها ، وألف سقراط الكتاب الثالث ، وجعله يشتمل على النصائح المفيدة ، والفضائل الحسنة إلى القلوب ، وجمع الملك هذه الكتب الثلاثة بعد الفراغ من تأليفها ، ومهرها بخاتمه ، وضمها ، وجعلها في مجلد واحد ^(١) .

وأمر بإعطاء خراج الروم والروس لابنه « إسكندروس » ، وسلمه لأمه ^(٢) ، ثم بدأ طوافه حول العالم كذبي مُرسَل ؛ فسار بجيش عظيم مكون من مائة ألف رجل ، يعادل كل واحد منهم جيشاً في شجاعته ، كما أخذ معه أربعة آلاف رجل محملة بالأمثلة ، « وتوجه - أولاً - نحو المغرب ، فوصل إلى مصر ، ومكث فيها يومين ^(٣) » .

وأمر أن يُبَنَى عمود في الإسكندرية ، وتوضع عليه مرآة ، لتشير إلى العدو حينما يقترب فيمكن الاستعداد لدركه خطره ^(٤) .

(١) بجز سفر أعظم که در بخردی نشانی بسد از مایه ایزدی
 سه فرهنگ نامه ز فرخ دیور بمشک سیه نقش ز دبر حریر
 أرسطو تختین ورق در نوشت خبر دادش از گوهر خوب وزشت
 فلاطون دگر نامہ را نقش بست زهر دانستی کامد آورا بدست
 سوم درج را کرد سقراط بند زهر جوهری کان بود دلپسند
 چو گشت این سه فهرست پرداخته سخنه‌ای با یکدیگر ساخته
 سه آن نامه ها واهمه مهر کرد پیچید و بنهاد دریک نورد
 (نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ١٤١)

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) تختین قدم سوی مغرب نهاد بمصر آمد آنجا دو روز ایستاد
 (للمرجع السابق ، ص ١٦٨)

(٤) نفس المرجع والصفحة .

ثم سار الإسكندر إلى بيت المقدس ، حيث كان الناس يشكون من حاكم ظالم ، فحاصره ، وحاربه إلى أن استسلم ، فلم يكذب بصره يقع عليه حتى قتله ، وعاقه على باب بيت المقدس ، ثم أرسل منادياً ليعلم الناس مدى ظلم ذلك الحاكم ، ويطلب من كل مَنْ لحقه حيف أن يذكره ، ونزع هذه الديار المقدسة من يده ، ونشر العدل في أرجائها^(۱) .

ثم اتجه الإسكندر نحو الغرب ، وسار إلى بلاد الأندلس « فلما وصل إليها أخذ يدعو الناس إلى الدين والفضيلة ، فلم يخرج أحد عن طاعته ، فقبلوا دينه وتعاليمه ، وأسرعوا للسير معه في الطريق المستقيم^(۲) » .

ثم ركب في السفينة ، واتجه إلى حيث تغرب الشمس ، وسار ثلاثة أشهر ، فأبصر في أثنائها جزراً كثيرة ، ثم وصل إلى وادرماله صفراء ، فسار فيه شهراً حتى بلغ نهايته : « فلما أدرك الإسكندر نهاية ذلك الوادي وصل إلى البحر الأعظم (المحيط) ، فتمعجب من ذلك البحر العميق الذي يسميه اليونان الأوقيانوس ؛ وأظهر المحيط أمواجه الهائلة ، فلم يكن فيه مكان للذهاب أبعد من ذلك^(۳) » .

(۱) چو بیداد گردید خون ریختش ز دروازه مقدس آویختش

منادی برانگیخت تا در زمان ز بیداد او برگشاید زبان

که هرکو بدین خانه بیداد کرد بدینگونه بخت بدش یادکرد

چو زو بستد آن خانه پاک را بضر برآمیخت آن خالک را

(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۱۷۰)

(۲) چو آمد که دعوی و داوری بدانش نمائی و دین پروری

کس از دانش و دین او سرتافت رهی دید روشن بدان ره شتافت

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) چو پایان آن وادی آمد پدید سکندر بدریای أعظم رسید

در آن ژرف دریا شکفتی بماند کو یونانیش اوقیانوس خواند

محیط جهان موج هیبت نمود ازان پیشتر جای رفتن نبود

(المرجع السابق ، ص ۱۷۱)

« وكان غروب الشمس واضحاً في ذلك المحيط ، فلم تكن حجب المياه تخفى أشعتها وبريقها ، والفلك يفعل ذلك في كل يوم وليلة ، فيلقى الأشعة على البحر من عين الشمس البعيدة ، فتصبح دليلاً لنا - على عين الشمس ، وعين ماء البحر ، وهي العين الحثثة^(١) التي تغرب فيها الشمس ، حينما تنعجه إلى البحر ، وتغوص فيه^(٢) » .

ثم استحم الإسكندر في المحيط ، فوجد ماءً ثقيلاً يشبه الزئبق ، فلم يفكر في القيام برحلة عليه .

وروى الناس له أنه يوجد - بالقرب من المحيط - مخلوق عجيب ، يقتل الإنسان بنظره واحدة إليه ، كما يوجد شاطئء مملوء بالآلء « وأن الإنسان حينما يبصر هذه الآلء يضحك من فرط السرور ، فيموت من ذلك الضحك سريعاً ، فالنظر إليها وإسلام الروح متلازمان^(٣) » .

(١) يبدو أن نظمي تأثر - في هذا - بما ورد في القرآن : سورة الكهف ، آية ٨٦ . حيث يقول الله تعالى : « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة » . ومال نظامى إلى تفسير « حمئة » على أنها بمعنى « ساخنة » . وهذا يتفق مع قراءة ابن عاصم ، وعامر ، وحمزة ، والكسائي ، فقد قرأوا « عين حامية » أى حارة وهو يخاف قراءة الباقين في « عين حمئة » أى كثيرة الحماة ، وهى الطينة السوداء . (انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، ص ٤٩) .

(٢) فرو رفتن آفتاب از جهان در آن ژرف دریا نبودی نهان
حجابی مغانی بد ان آب را نپوشیدی از دیدها تاب را
فلك هر شبانروزی از چشم دور بدریا درافكندی از چشمه نور
بمادر فرو رفتن آفتاب اشارت بچشمه است و دریای آب
همان چشمه گرم کوراست جای بدریا حوالت کند رهنمای .

(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٧١-١٧٢)

(٣) چو بیند درو دیده آدمی بخندد زبس شادی و خرمی
وزان خرمی جان دهد در زمان همان دیدن و دادن جان همان

(المرجع السابق ، ص ١٧٤)

فأمر الإسكندر رجاله بأن يحموا معهم بعض رمال الوادي الصفراء ، ثم ترك المكان ، وسار حتى وصل إلى واحة ، فأمر أتباعه ببناء قلعة ، وبأن يستعملوا في بنائها الرمال الصفراء التي حملوها معهم ، وكانت هذه القلعة تقتل كل من ينظر إليها ، أو يقترب منها^(١) .

ثم واصل الإسكندر سيره مخترقاً الصحراء ، وظل يسير ستة أشهر « لأنه كان يقطع ذلك الطريق على ظهور الفيلة ، وقد أفضى به إلى نهر النيل^(٢) » وأخذ يبحث عن منابع النيل ، فوصل إلى جبل أخضر اللون ، تنبعث منه رائحة مسكية ، فأرسل رجلاً من رجاله ليتبين سبب هذه الرائحة ، فلم يعد الرجل ، فأرسل غيره ، وهكذا ظل الإسكندر يرسل رجلاً تلو الآخر - دون أن يرجع واحد منهم - حتى هلك عدد كبير من جيشه ، وأخيراً أرسل رجلاً ، وأرسل معه ابنه ، ليُنقِى الابن - من أعلى الجبل - إلى أبيه وصفاً له ، حتى يدرك كنهه ، وقد نجحت هذه الفكرة ، فعرف الإسكندر من وصف الجبل أن له جانبين أحدهما يبعث على السرور ، والآخر مرعب^(٣) .

وترك الإسكندر هذا المكان ، وسار في الصحراء مدة حتى وصل إلى جنة عدن ، فوجدها جنة ذهبية الأشجار ، يسكنها قوم شداد^(٤) .

وترك الإسكندر ذلك المكان دون أن يحمّل شيئاً من كنوزه ، وسار مخترقاً الصحراء ، « فلما قطع نصف الطريق رأى جماعة متوحشة ، في صورة

(١) نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) از ان ره که درپای پیل آمدش گذرگه سوی رودنیل آمدش

(المرجع السابق ، ص ١٧٧)

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٩ - ١٨١ .

(٤) للرجع السابق ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

الآدميين^(۱) .

فسألم الإسكندر عن أحوالهم ؛ فقالوا : « إن طعامنا في هذه الصحراء - المتراصة - التي هي مسكننا - هو ما نسطاده منها ، فنحن نسطاد من الصحراء ، ونعيش كالوحوش ؛ فنأكل من الصيد ما نجد سائفاً ، ونلبس من جلود الحيوانات وأوبارها ، ولا نُسْتَعْمَل هنا نار ، ولا يوجد ماء ، لأن نارنا مستمدة من الشمس ، وماءنا يؤخذ من السحاب^(۲) » .

ثم بينوا له أن صحراءهم خالية من السكنوز ، وأنها صحراء نائية ، ولذلك لم يتصلوا بأحد . فخلع الإسكندر عليهم ، فأحبوه ، وأكرموا وفادته ، ودلوه على الطريق ، ورسموا له خط السير ، « فوجد طريقه إلى الربع المسكون ، بفضل مقاييسهم الصحيحة^(۳) » .

وسار الإسكندر حتى وصل إلى ساحل البحر ، « فصنع سفناً كثيرة - مرة أخرى - وأنزلهما من الساحل إلى البحر ، ثم ركب البحر أكثر من شهر ، حتى أوصل جيشه إلى اليابس^(۴) » .

(۱) چویک نیمه راه ییابان برید گروهی دد آدمی سار دید

(نظامی : خردنامه وإقبالنامه ، ص ۱۸۵)

(۲) درین طرف صحرا که ماوای ماست

خورشهای ما صید صحرای ماست

درین دشت نخجیر باقی کنیم رسم ددگان زندگانی کنیم

خوریم آنچه زان صید یابیم نرم کنیم آلت جامه از موی وچرم

نه آتش بکار آید اینجا نه آب بود آب از بار آتش از آفتاب

(المرجع السابق ، ص ۱۸۶)

(۳) وزیشان بهنجارهای درست سوی ربع مسکون نشان بازجست

(المرجع السابق ، ص ۱۸۸)

(۴) دگر باره کشتی بسی ساختند ز ساحل بدریا در انداختند

چو دریا بریدند یکجا بیش بخشکی رساندند بنگاه خویش

(نفس المرجع والصفحة)

وانتهت - بذلك - رحلة الإسكندر إلى المغرب ، فاستراح شهراً ، ثم ارتحل صوب الجنوب ، فوصل إلى قرية ، ووجد أهلها يستعينون بمجعة رجل مقتول في التنبؤ بما سيحدث من خير وشر ، « فكانوا يضربون تلك المجعة بقضيب ، ويخاطبونها ، فيسألونها : ماذا سيحدث في الليل والنهار من خير وشر ؟ .. فينبعث من داخلها صوت يشبه الكلام ، ويخبرهم بما سيكون غداً من حار وبارد ، ويبين لهم أحداث العالم في دورته في هذه المدة ^(١) » .

فدعاهم الإسكندر إلى اتباع دينه ، وترك هذه العادات السيئة . ثم سار حتى وصل إلى واد مملوء بالحيات والماس ، فأمر الجيش بذبح ألف نعجة ، وإلقائها مسلوخة في قاع الوادي . « فلما التصق بها الماس تحركت النور من جميع الجهات لحملها ^(٢) » .

وجمع الجيش الماس بعد أن أكلت النور اللحم ؛ ثم سار الإسكندر ، فعبّر كثيراً من الصحارى حتى وصل إلى مكان معمور ؛ فرأى فيه شاباً وسياً يفلح الأرض ، فسأله عن دينه ، « فأجاب الشاب : يا مَنْ خُصِصَتْ بالنبوة من قبل الله لتهدى الخلق إلى طريق الخير .. لقد تعلق قلبي بالله مثلك ، فأنا أتبع نفس الدين الذي تدعو إليه ^(٣) » .

(١) قضبي زدندی بر ان استخوان

شدهندی بران كله فرياد خوان

که امشب چه نیک و بد آید پدید

همان روز فردا چه خواهد رسید؟

صدائی برون آمدی از نهفت

صدائی که مانند باشد بگفت

که فردا چنین باشد از گرم و سرد

چنین نقشه دارد جهان درنورد

(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ١٩١)

(٢) چو الماس دوسیده شد بر کباب

بجنبش درامد زهر سو عقاب

(المرجع السابق ، ص ١٩٤)

(٣) جو انمرد گفت ای زکیتی خدای

پیغمبری خلق را رهنمائی

در آنکس دل خویش بستم که تو

همان قبله را میپرستم که تو

(المرجع السابق ، ص ١٩٦)

وفسر ذلك بقوله : « لقد رأيتك قبل هذا في المنام ، فأصبح قلبي حياً بدينك ، كما تحيا سمكة بالماء »^(١) .

فأثنى الإسكندر عليه ، ثم واصل سيره ، فطوى كثيراً من المنازل حتى وصل إلى مدينة عليها حاكم ظالم ، فخاربه الإسكندر ، وهزمه « وأرسى فيها قواعد العدل ، وسماها إسكندر آباد »^(٢) .

ثم عبر الإسكندر منها إلى الهند مرة أخرى ، وكان الفصل ربيعاً ، فكانت الرياض يانعة ، والأزهار متفتحة ، عطرة الرائحة ، فنوقف قليلاً ، ثم اتجه إلى الشرق ، لبدأ رحلة جديدة نحو الشرق ، فسار « حتى وصل إلى المدينة المباركة التي يسميها الأتراك « لنكر بهشت »^(٣) لبهاؤها ؛ فوجد فيها ربيعاً جميلاً ، ومعبداً اسمه قندهار »^(٤) .

وكان في المعبد صنم له عينان من حجرين كريمين ، فأمر الإسكندر بتحطيم الصنم والمعبد ، وأخذ ما يوجد من جواهر لأنها تفيد الناس ، ثم مثل أحد كهنة المعبد بين يدي الإسكندر ، وقص عليه قصة المعبد ، وهي أنه كان - في الأصل - قصيراً أثرياً قبيحاً ، يوشك أن يتداعى ، فخط عليه طائران ، وكانت في منقاريهما جوهرتان ؛ ثم طارا تاركين الجوهرتين ، فأسس الناس مكان القصر معبداً ، وصنعوا صنماً ، وجعلوا عينيهِ من هاتين الجوهرتين .

(١) ترا ديدهام پيشتريزى بخواب بتوزنده گشتم چو ماهى باب

(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٩٦)

(٢) درو سدى از عدل بنياد كرد همان نامش اسكندر آباد كرد

(المرجع السابق ، ص ١٩٨)

(٣) « لنكر بهشت » معناها « مرسى الجنة » أى المكان الذى تستقر فيه .

(٤) درامد بآن شهر مينو سرشت كه تركانش خوانند لنكر بهشت

بهارى درو ديد چون نوبهار پر مستكشى نام او قندهار

(المرجع السابق ، ص ٢٠٠)

وأيضاً السكاهن أن الإسكندر نبى مصلح ، « فدلّه على كنز أخفى تحت الأرض ، تعجب مستخرجوه من كثرة ما فيه من جواهر ؛ فاستولى الملك على ذلك الكنز العظيم ، وأنعم بجزء منه ، وحفظ الباقى ^(۱) » .

واستمر الإسكندر فى رحلته ، فكان يقطع الصحارى ، ويسير فى المناطق المعبورة ؛ « فكلما رأى آدمياً فى بقعة تحدث معه ، وسمع كلامه ، ودعاه إلى اتباع دينه ، حتى هدى الناس إلى الدين الحق ^(۲) » .

ثم وصل إلى الصين ، فأحسن ملكها استقباله ، وعقد معه ميثاقاً ، فتوطدت الصداقة بينهما « وقبل الخاقان ^(۳) منه دينه ، وتعلم أصوله وتعاليمه ^(۴) » .

وقام الإسكندر والحقان برحلة بحرية حتى وصلا إلى الماء الأزرق ^(۵) ، فزلا إلى الشاطئ ، وكان بالقرب من الشاطئ معبد ، فلاحظ الإسكندر « أن عرائس الماء الجميلات يخرجن من المعبد طوال الليل كالأقمار ، ثم يلجأن إلى هذا الساحل للاستراحة ، فيفنين بصوت عذب ، ويرقصن ، وأن كل من سمع

(۱) بيكى كنج پوشيده دادش نشان كزو خيره شد چشم گوهر كشان
شه آن كنج آ كنده را برگشاد نسكه داشت برخى و برخى بداد
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ۲۰۲)

(۲) بهر بقعه كادى زاد ديد بايشان سخن گفت وزيشان شنيد
زيزدان پرسقى خبر دادشان زدين توتياى نظر دادشان
(المرجع السابق ، ص ۲۰۲-۲۰۳)

(۳) كان ملك الصين يلقب بلقب « خاقان » أى « ملك » .

(۴) پذيرفت خاقان ازو دين او در آموخت آيات وآيين او
(المرجع السابق ، ص ۲۰۳)

(۵) يبدو أن الشاعر يقصد بالماء الأزرق « بحر الصين » .

غناء هن ، قد سكر من عذوبة صوتهن^(۱) .

وقام الإسكندر برحلة على بحر الصين ، وصحب معه « بليناس » حتى وصل إلى جزيرة ، تعتبر آخر حدود العالم من الشرق : « فلما عرف الإسكندر هذه الحقيقة ، وأنه لا يمكن السير أبعد من هذه الجزيرة ، أمر بصنع طلسم بشير - رافعا يده - إلى أنه ليس للأخلق طريق بعد هذه الجزيرة ، وأن أى إنسان لن يستطيع أن يعرف ما فى الطرف الآخر من البحر^(۲) » .

ورجع الإسكندر بعد ذلك ، ولسكنه ضل الطريق ، وأصبح بجوار مكان يشتد حوله تيار الماء ، مما يجعل السفن فى خطر ، فشيد « بليناس » طلسمًا - هو عبارة عن رجل يحمل طبلًا - فساعد على عبور السفن ، وفسر ذلك بأن السمكة التى أحدثت هذا التيار الشديد هربت حينما سمعت صوت الطبل^(۳) .

ورجع الإسكندر إلى الخاقان الذى كان فى انتظاره ؛ فاستراح أسبوعًا ، ثم واصل هو والخابان الرحلة ، فسارا فى الصحراء عشرة أيام ، حتى وصلا إلى مدينة جميلة ، كان أهلها يسمعون صوتًا مرعبًا يأتى من البحر ، « وكان يأتى

(۱) عروسان آبی چو خورشید و ماه همه شب بر آیند از آن فرضه گناه
بر این ساحل آرام سازی کنند غناها سرایند و بازی کنند
کسی کو بگوش آورد سازشان شود بیهش از لطف آواز شان
(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۲۰۵)

(۲) سکندر چو زین حالت آگاه گشت

کز آن میگه بیش نتوان گذشت
طلسمی بفرمود پرداختن اشارت کنان دستش افراختن
کزین پیشتر خلق را راه نیست ارنسوی دریا کس آگاه نیست
(المرجع السابق ، ص ۲۰۸)

(۳) المرجع السابق ، ص ۲۰۹-۲۱۴ .

عندما تشرق الشمس ، في صورة طرق شديد^(١) .

وكان الناس يخافون من هذا الصوت ، ويخفون أبناءهم ، « فكان ، عندهم
عشرون كهناً تحت الأرض ، ليعيش أبناءهم فيها^(٢) » .

وقد فسر « بليناس » هذا الصوت بتأثير الشمس على أمواج البحر ، وبين
أنها حينما تشرق تحدث هذا الصوت^(٣) ، وأشار على الإسكندر بأن يأمر الجيش
بثق الطبول ، فطرب الناس . وأصبح دق الطبول عادة من عاداتهم ؛ « وقهلو
من الإسكندر دينه ، وشكروه على هدايتهم من الضلال ، وإرشادهم إلى
معرفة الله^(٤) » .

ثم واصل الإسكندر رحلته حتى بلغ الصين ، فاستراح شهراً ، ثم بدأ رحلته
إلى الشمال .

وقد بدأ هذه الرحلة الأخيرة في نهاية فصل الصيف ، « وحل كثيراً من
الجواهر هدية من الخاقان ؛ وسار بحيشه المظفر مخترقاً الصحراء ، تاركاً الشرق
إلى الشمال^(٥) » .

وواصل سيره في الصحراء ، حتى وصل إلى أرض مملوءة بالفضة فلم يحمل

(١) چو خورشید سر برزند زین نطاق براید ز دریا طراقا طراق

(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ٢١٦)

(٢) زیر زمین دجه دارند بیست که طفلان ایران دجه داندند نیست

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٤) ز شه دین پذیرفت و بادین میداس کزان گمراهی گشت یزدان شناس

(المرجع السابق ، ص ٢١٨)

(٥) بسی گنج در پیش خاقان کشید و ز انجاسپه در بیابان کشیم

(المرجع السابق ، ص ٢٢٢)

منها إلا القليل - لكثرة ما كان معه من الذهب - وظل يسير حتى وصل إلى « جماعة مدینة ، يعيش أفرادها على سفوح الجبال ، ووجدهم قد اهتموا إلى الدين الحق دون وساطة أنبياء ، فعرفوا الله عن طريق العقل ، بإلهام من الله . فلما أبصروا طلعة الإسكندر قبلوه نبيا ، وتزودوا بتماليه ، وطلبوا منه العلم والعدل ، فبين الإسكندر لهم أصول دينه ، وأعطاهم فضلا عن ذلك أموالا كثيرة^(۱) . »

وشكوا له من شر قبيلة يأجوج^(۲) ، قائلين : « توجد جماعة في تلك الصحراء تدعى يأجوج ، أفرادها آدميون مثلنا ، ولكن طبيعتهم شريرة^(۳) . »

ووصفهم له ؛ بأن الشعر يغطي أجسامهم - من الرأس إلى إخص القدم - وأن أنيابهم كأنياب الحيوانات المفترسة ، وأنهم يأكلون النباتات ، وتذينا يسقط عليهم كل عام من السحب السوداء ، وشكوا من أنهم يهجمون عليهم ، فاستمع الإسكندر إلى شكواهم ، ودبر وسيلة لدفع الشر عنهم ، فبدأ كلون طعامهم .

(۱) گروهی بر آن کوه دین پروران مسلمان و فارغ ز پیغمبران
 یالهام یزدان ز روی قیاس در احوال خودگشته یزدان شناس
 چو دیدند سیاهی اسکندری پذیرا شدندش پیغمبری
 بتعلیم او خاطر آراستند وزو دانش و داد در خواستند
 سکندر برایشان در دین کشاد بجزدین و دانش بسی چیزداد
 (نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۲۲۴)

(۲) يبدو أن نظامی قد تأثر فيما ذكره عن « قصة الإسكندر مع يأجوج » بما ورد في القرآن : سورة الكهف ، آيات ۹۴ - ۹۸ . عن قصة ذی القرنین مع يأجوج ومأجوج ، وبناء السد لدفع خطر هؤلاء القوم .

(۳) گروهی دران دشت یاجوج نام چوما آدمی زاده و دیوفام
 (نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۲۴)

« فبني سداً منيعاً من الفولاذ ، لا يتحطم إلى يوم القيامة ^(۱) » .

ثم واصل سيره حتى وصل إلى منطقة جميلة ، مملوءة بأشجار الفاكهة ، والأغنام ، ولم يجد عليها حاكماً ، لأن أهلها كانوا يعرفون حقوقهم وواجباتهم ؛ فيؤدى كل منهم ما عليه ، وبأخذ ماله ، فيعيشون بذلك في سعادة وهناء ، مبتهمين عن المساوىء الخلقية ، ولاحظ أن العدل قد انتشر بينهم ^(۲) ، فلما رأى الإسكندر ذلك اكتفى بالطواف حول العالم ، وكأنه وصل إلى الهدف الذي كان ينشده ^(۳) ، فقال : « لا أريد الطواف في العالم مرة أخرى بعد أن رحلت إلى كل مكان ^(۴) » .

« وحينما رآهم على الحق - الذى يشبه دينه - سأم عليهم ، وأعطاهم أموالاً لا تُحصى ، ورجع من تلك الديار مسروراً ، فاخترق الصحراء بجيشه الزاخر ^(۵) » .
وهكذا ختم الإسكندر رحلاته ، فشق طريقه عائداً إلى بلاده « بعد أن

(۱) بدانگونه سدی ز پولاد بست که تا رستخیزش نباشد شکست

(نظامی : خردنامه وإقبالنامه ، ص ۲۲۶)

(۲) المرجع السابق ، ص ۲۲۸-۲۳۱ .

(۳) فکرة أن يعيش الناس يظلمهم عدل الله دون حاجة إلى حاكم يسوسهم تشبه فکرة الجنة ، ويبدو أن نظامی قد تأثر بما ورد في القرآن في وصف الجنة ، ومابشر الله به للمؤمنين من نعيم مقيم فيها حيث يعيشون مستظلين بعدل الله .

(۴) نخواهم دگر در جهان تاختن بهر صیدگه دامی انداختن

(نظامی : خردنامه وإقبالنامه ، ص ۲۳۱)

(۵) چو در حق خود دیدشان حق شناس

دروود ودرم دادشان بی قیاس

آزان مملکت شادمان بازگشت روان کرد لشکر چو دریا بدشت

(المرجع السابق ، ص ۲۳۲)

أُنقذ الناس من الظلم والفقر في كل مكان رَحَلَ إِلَيْهِ ^(۱) .

« وَهنا بدأت النهاية ؛ فسمع الإسكندر هاتفاً ينصحه بالرجوع ، « فرجع من الشمال إلى كرمان ، ورجل منها إلى كرمانشهان ، وسار منها إلى بابل ، وتوجه منها شطر بلاد اليونان ، فلما وصل - من بابل - إلى شهرزور ، بعَدَتْ عنه السلامة ، فأصابه المرض ، وعجز عن الحركة دفعة واحدة ^(۲) » .

« وَظَنَّ الإسكندر أنه شرب ماء مسموماً ، لحاول أرسطو والحكماء معالجته ، فلم يُؤفَّقُوا ، وأيقن الإسكندر أنه مشرف على الموت ، فدعا إليه أصدقاءه ، فاجتمع حوله الحكماء ^(۳) ، فأخذ يتحدث معهم عن الموت ، والرحيل من الدنيا وكيف أنه فتح العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وطهره من الظلم ، ودعا إلى الدين الحق ، ثم ها هو يترك الدنيا دون أن يأخذ معه شيئاً ، وضرب لهم مثلاً ، بقوله : « وقف طائر على جبل ثم طار ، فإذا زاد على الجبل وماذا نقص منه ؟ أنا ذلك الطائر ، والعالم جبلي ، فأى حزن للدنيا على ذهابي ؟ » ^(۴) »

(۱) بهر جا كه او تاختی باریکی رهندی بی کسی زیجارگی

(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۲۳۲)

(۲) بکرمان رسید از کنار جهان ز کرمان در آمد بکرمانشهان

وزانجا بی بابل برون برد راه ز بابل سوی روم زد بارگاه

جو آمد ز بابل سوی شهرزور سلامت شد از پیکرشاه دور

بسقی در آمد تک باریکی ز طاقت فروماند یکبارگی

(المرجع السابق ، ص ۲۳۶)

(۳) المرجع السابق ، ص ۲۴۲ - ۲۴۷ . وقد ذكر الشاعر حديث الإسكندر

مع الحكماء بشيء من التفصيل .

(۴) یکی مرغ برکوه بنشست و خاست چه افزود برکوه یازوجه کاست ؟

من آن مرغم و مملکت کوه من چو رقم جهان را چه اندوه من

(المرجع السابق ، ص ۲۴۷)

نمِ اُسْر بکتابه رساله إلى أمه ، ودعاها إلى عدم الجزع لموته ؛ لأن الموت هو المصير المحتوم ، طال العمر أم قصر ، ونصحها بالصبر والاحتمال ^(۱) .

وتوفى الإسكندر في الليلة التالية ، « فابتسم ومات - كالشمع - في أثناء تبشّمه ، فأسلم الروح لله الذي منحه الروح » ^(۲) .

ونفذ الحُكّماء وصيته ، فوضعوه في تابوت ، بالصورة التي أوصى بها ؛ « وكان قد أمر بأن يجعلوا يده خارج التابوت ، ويضعوا فيها تراباً ، ثم ينادى المنادى في كل مكان : أن الإسكندر هو الذي كان وحده - دون غيره من ملوك العالم - ملائكة على أقاليم العالم السبعة ، وايس في يده من كنوز الدنيا التي جمعها غير التراب ، وأنتم - أيضاً - حينما تخرجون من الدنيا ، سوف لا تأخذون معكم غير التراب » ^(۳) .

« ثم حملوه من شهرزور إلى مصر ، لأن تلك الديار كانت بعيدة عن متناول أعدائه ، ودفنوه في مدينة الاسكندرية ، فوسدوه التراب ، بعد أن كان على العرش » ^(۴) .

(۱) نظامی : خردنامه وإقبالنامه ، ص ، ۲۵۱ - ۲۵۷ . وقد ذكرت محتويات هذه الرسالة بشيء من التفصيل .

(۲) بخنديد ودر خنده چون شمع مرد بدانکس که جان داد جازا سپرد

(الرجع السابق ، ص ۲۵۸)

(۳) ز تابوت فرموده بد شهریار که یکدست اُورا کنند آشکار

در آن دست خاکی تهی ریخته منادی ز هرسو بر انگيخته

که فرمانده هفت کشور زمین همین یکن آمد ز شاهان همین

زهر گنج دنیا که در بار بست بجز خاک چیزی ندارد بدست

شمانیز چون از جهان بگذرید ازین خاکدان تیره خاکی برید

(الرجع السابق ، ص ۲۵۹)

(۴) سوی مصر بردندش از شهر زور که بود آن دیار از بداندیش دور

باسکندرش وطن ساختند ز تختش بتخته در انداختند

(الرجع السابق ، ص ۲۵۹ - ۲۶۰)

وسمعت أمه بوفاته ، فتأثرت ، وماتت سريعاً^(١) ، وقدم العظماء فروض الولاء لابنه « إسكندروس » وأرادوا توليته ، ولكنهم رفض بحجة أنه لم يكن يملك صفات أبيه ، وقضى حياته كرامب في أحد الأديرة^(٢)

وأعقب ذلك موت الحكماء السبعة ، فتوفي أرسطو أولاً ، ثم لحق به هرمس ، فأفلاطون ، فواليس ، فبليناس ، ففرفوريوس ، فسقراط . وكان كل منهم يتحدث — قبل موته — عن قضاء الله ، ووجود الروح ، وانعدام فائدة الحكمة إذا حُمَّ القضاء .

وتوفي سقراط مسموماً ، وسأله تلاميذه — قبل موته — عن المكان الذي يجب أن يدفن فيه ، فأجاب بأنه لا يعنيه أين يُدفن جثمانه !...^(٣)

* * *

وختِمت المنظومة بالتحدث عن خاتمة حياة نظامي^(٤) ، ومدح عز الدين مسمود حاكم الموصل^(٥) ، والدعاء له^(٦) وبذلك تنتهى قصة لإسكندر بعد أن صوّره نظامي من ثلاثة جوانب : جانب البطولة ، وجانب الحكمة ، وجانب النبوة .

* * *

(١) نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٦٣-٢٦٤

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٨-٢٦٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٨-٢٧٨ . وقد سبقت مناقشة مسألة وجود الحكماء السبعة . وأثبت نظامي ما يتعلق بوفااتهم ، وأقوالهم قبل الوفاة ، بعد موت الإسكندر وهذا خطأ من الناحية التاريخية ، ولكن الشاعر أراد أن يتلام مع فكرته هو ، التي غلبت عليها الناحية القصصية .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٨-٢٨٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٨٠-٢٨٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٦-٢٩٣ .

ويبدو أن نظامي تأثر - فيما ذكره عن نبوة الإسكندر - بالرأى الذى يعميل إلى أن « ذا القرنين » المذكور فى القرآن^(١) لم يكن شخصاً غير الإسكندر المقدونى ، وقد أثبتته مفسرون ، من أشهرهم البيضاوى^(٢) .

وذكر ياقوت رأياً آخر يعميل إلى وجود شخصين باسم الإسكندر ، فقال فى أثناء حديثه عن مدينة « الإسكندرية » : « وذكر آخرون أن الذى بناها هو الاسكندر الأول ذو القرنين الرومى ، واسمه « اسك بن سلوكوس » ، وليس هذا هو الإسكندر بن فيلقوس ؛ وأن الإسكندر الأول هو الذى جال الأرض ، وبلغ الظلمات ، وهو صاحب موسى وخضر عليهما السلام وزعموا أن بينه وبين الإسكندر الأخير صاحب « دارا » المستولى على أرض فارس ، وصاحب أرسطاطاليس الحكيم - الذى زعموا أنه عاش اثنتين وثلاثين سنة - دهرأ طويلاً وأن الأول كان مؤمناً ، كما قصَّ الله عنه فى كتابه ، وعمرَّ عمرأ طويلاً ، وملك الأرض ، أما الأخير ؛ فكان يرى رأى الفلاسفة ، ويذهب إلى قَدَم العالم - كما يرى أستاذه أرسطاطاليس - وقتل دارا ولم يتعد ملكه الروم وفارس^(٣) » .

ومن المفسرين الذين مالوا إلى هذا الرأى « الشهاب »^(٤) ، و « الرازى »^(٥) وهذا الرأى لا يتناقض مع الحقائق التاريخية ، وأغلب الظن أنه هو الرأى الصحيح ولكن نظامى مال إلى الرأى الأول ، فزج ما ورد فى القرآن عن « ذى القرنين » وعن « موسى والخضر » بقصة الإسكندر المقدونى ليعطى موضوع

(١) سورة الكهف ، آيات ٨٣-٩٨ .

(٢) تفسير البيضاوى ، ج ١ ، ٥٧٢ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٥ .

(٤) الشهاب : حاشيته على البيضاوى ، ج ٢٦ ، ص ١٢١ .

(٥) تفسير الرازى ، ج ٥ ، ص ٥٢٣-٥٢٤ .

الإسكندر صبيحة قصصية ، وبقيء جوانبه المختلفة .

* * *

وقد نظم الفردوسي قصة الإسكندر - قبل نظامي - فيحسن أن نختم حديثنا
عن منظومة « إسكندرنامه » لنظامي بمقارنة بين تصوير كل من هذين الشاعرين
لشخصية الإسكندر ، حتى يمكننا أن نحكم على عمل نظامي حكما صحيحا .

الفصل الخامس

مقارنة بين تصوير كل من الفردوسى ونظامى لشخصية الإسكندر

كان تصوير الفردوسى لشخصية الإسكندر يختلف اختلافاً كبيراً عن تصوير نظامى لها .

فقد تصور الفردوسى^(١) شخصية الإسكندر بطريقة تتفق مع حبه لبني جنسه ، وتمجيد له ماضى وطنه ، وتاريخه القديم ، وتمظيمه لملوك إيران القدماء ، واعتزله بهم ، فأثر هذا فى تصويره لهذه الشخصية ، ورسم العلامات المميزة لها . فمال إلى الرأى القائل بأن الإسكندر إيرانى ، ليحجوه عن وطنه عار الهزيمة على يديه ، ويعتبر فتحه لإيران حقاً طبيعياً له ، واسترداداً للملك الذى اغتصبه أخوه « دارا » ، ويتخذ من فتوحاته وانتصاراته فخراً لبني وطنه ، فاقصر على تصويره فى صورة بطل فاتح ، وقائد مظفر ، استطاع أن يوسع حدود دولته ، بفتح الأقاليم المختلفة ، وضمها إلى حوزته .

ولذلك ؛ أثبت الفردوسى أن الإسكندر هو الابن الأكبر للملك الإيرانى « داراب بن بهمن » وأن أمه كانت يونانية ، فقد تزوج « داراب » ابنة الملك اليونانى « فيلقوس » ، ثم وجدها كريهة الرائحة ، « فنقر قلب الملك الإيرانى من العروس ، فردّها ثانية إلى أبيها فيلقوس ، تحمل همّين : همّ نفسها ، وهمّ الطفل الذى بين أحشائها ، وأخفى هذا الأمر فلم يقله لأحد ؛ وبعد مُضيّ تسعة أشهر وضعت هذه الفتاة الفاتنة مولوداً جميلاً كالبدر المنير ، فسَمّته الإسكندر^(٢) »

(١) فردوسى : شاهنامه ، ج ٣ ، ص ٤١٦ - ٤٤٠ ؛ ج ٤ ، ص ٨٤ - ٨٤ .

(٢) الإسكندر فى هذه الرواية اسم لنوع من الحشائش العطرية ، قيل إن أم الإسكندر عولجت به ، فشفيت من مرضها الذى كان سبباً فى نفرة الملك الإيرانى منها ، وقد سميت ابنها باسم هذا النبات تيمناً وتبركا .

لحسن ترکیبه ، وروعه صورته ، وطیب رائحته ، لأنها كانت تتفاعل بهذا الاسم الذى وجدت بفضل الشفاء من المرض^(۱) .

وهكذا حرص الفردوسى على إثبات نسب الإسكندر ، ليعبر فتحه لإيران ؛ وطبيعى أن يحذف من تاريخ الإسكندر ، وأعماله بعد ذلك ، ما يتعارض مع مجد إيران القديم ، كتحطيمه لمعابد النار ، وإحراقه « للأوستا »^(۲) ، وقضائه على الزردشتية . وبقصر على تصوير حروبه وحملاته المختلفة التى استولى بها على بعض أجزاء العالم ، وكان النصر حليفه دائماً ، فجمع مآلاً وفيراً^(۳) .

ولم تكن حملاته إلا لإرضاء حبه للغزو والإغارة ، فلم يذكر الفردوسى أسباباً تبررها - كما فعل نظامى - بل بين أن الإسكندر كان لا ينتهى من غزو حتى يفكر فى غزو جديد ، فيستعمله ، ويسير لتنفيذه ، فهو - مثلاً - حينما أشار إلى توجه الإسكندر للحرب « كيد » ملك الهند لم يذكر سبباً لإرغفته فى الفتح ، فقال : « لما تفقد الإسكندر أحوال إيران ، عرف أن العرش والملك قد صاراً تحت تصرفه ، فتوجه بحيشه لقتال « كيد » ملك الهند ، وشق طريقه فى

(۱) دل پادشاه سردگشت از عروس فرستاد بازش سوى فيلقوس
غمی دختر و کودک در نهان نگفت آن سخن با کسی در جهان
چونه ماه بگذشت ازان خوبچهر یکی کودکی آمد چو تابنده مهر
ز بالا ورننگ وز بویا برش سکدر همی خواندی مادرش
که فرخ همی داشت آن نام را که از ناخوشی یافت زوکام را
(فردوسى : شاهنامه ، ج ۳ ، ص ۴۱۸)

(۲) « الأوستا » كتاب الإیرانیین القدماء المقدس الذى قيل إنه نزل على نبيهم « زردشت » ، وجمع أصول الدين الزردشتى .

(۳) فردوسى : شاهنامه ، ج ۳ ، ص ۴۲۶-۴۴۰ ، ج ۲۴ ص ۸۲-۸۳ . وقد ذكر الحروب بالتفصيل .

السهول والصحارى^(١) .

فالفردوسى قد صور الاسكندر فى صورة محب للحرب ، واستعمار الشعوب ، وبسط النفوذ ، فلم تكن حروبه تهدف إلى غير هذا .

أما نظامى فصور الاسكندر فى صورة الحاكم العادل ، المصلح للعالم ، ولم يكن يمنية أن يكون إرانياً أو يونانية ، بقدر ما كان يمنية أن يكون عادلاً مصلحاً . ولذلك ؛ لم يحاول أن يثبت أن الاسكندر إراني - كما فعل الفردوسى - بل رجح أنه يوناني صريح الذنب ، وابن شرعى لـ « فيلقوس » .

واجتهد نظامى فى إثبات أنه كان بطلاً عادلاً ، وأنه كان يفوز لا حجة فى الغزو ، بل دفعاً للظلم ، فقد فتح مصر - مثلاً - لدفع شر الزنج ، وإقرار العدل فى البلاد ، وكان فى كل حروبه يرفع ظلماً ، ويقر عدلاً ، ويعين ضعيفاً مظلوماً ، على قوى ظالم .

ولم يكتف نظامى بتصوير الإسكندر فى صورة بطل عدل وإصلاح ، بل جعله عالماً حكماً ، يناقش حكماء الهند ، ويجمع الحكماء حوله ، ويخلق جواً من الحكمة والعلم ، ثم يناقشهم فيما يتعاقب بالخلق الأول ، ويصل إلى إثبات وجود الله ، لأن كل خلق لابد له من خالق . فأصبح بذلك مؤمناً بوحداية الله مما أهله للنبوة والرسالة ، فبدأ دوراً جديداً ، خرج فيه على الناس بدعوته الجديدة وطاف العالم شرقاً ، وغرباً ، وشمالاً ، وجنوباً ، داعياً وهادياً .

وتصوير لنظامى - هذا - لشخصية الإسكندر يختلف كثيراً عن تصوير الفردوسى ، فـ كل منهما قد تأثر بمزاجه الخاص ، فحاول أن يصور الإسكندر فى الصورة التى تتفق مع آرائه ، وتناسب روح عصره ، فحاول الفردوسى أن

(١) سكندر چوگرداندر ایران نگاه بدافست کوراشد آن تخت وگاه

سوی کید هندی سپه برکشید همه راه ویراه لشکر کشید

(فردوسى : شاهنامه ، ج ٤ ، ص ١١)

يمجد القوة في الحروب ، والانتصار على الأعداء ، دون مساس بشعور الإيرانيين ، بينما حاول نظامي أن يجعل الاسكندر يحقق أحلامه هو في العدل والاصلاح ، ويرضى شعور الناس في عصره ، وميلهم إلى رفع الظلم ، والتخلص من الاضطهاد فخلق منه بطل قصة ، وخلط الحقائق بالأساطير ، فبدت القصة في صورة مزيج عجيب ، لا هو بالتاريخ ، ولا هو بالأساطير .

ومن الجائز أن يكون نظامي قد تأثر بما نظمه الفردوسي عن فتوحات الإسكندر كما تأثر بما تصوره المسلمون عن شخصية « ذى القرنين » الواردة في القرآن .
ولسكى أرجح أن الشاعر تأثر - أكثر ما تأثر - بالقصة النثرية التي كُتبت عن الاسكندر في القرن السادس الهجري ، وهو القرن الذي نظم الشاعر القصة في أواخره ، لأنها صورت الاسكندر في صورة تشبه ما فعله نظامي ، خصوصاً فيما يتعلق برحلاته ونبوته ، وبحته عن ماء الحياة ، ومقابلته للخضر ، ومن اجتماع حوله من حكام .

وليس بين أيدينا من هذه للقصة النثرية غير نسخة خطية وحيدة ، توجد في مكتبة « سعيد نفيسى » الخاصة بطهران^(١) .

(١) توجد هذه النسخة في مكتبة سعيد نفيسى الخاصة بطهران ، تحت رقم ١٣٠٦ . وقد تفضل بإعارتها لي - أثناء في إقامتي بطهران - وبقيت عندي عاماً كاملاً ، فقامت بالاطلاع عليها ، وترتيبها ، ومقارنتها بمنظومة « اسكندر نامه » لنظامي ، ولاحظت الشبه الواضح بينهما ، وفي رأيي أن نظامي لم يفعل أكثر من نظم ما تضمنته هذه القصة النثرية ، لأن منظومته لا تختلف عنها إلا فيما يتعلق بنسب الإسكندر . فالقصة النثرية رددت ما قاله الفردوسي من أنه إيراني ، بينما مال نظامي إلى أنه يوناني .

والنسخة الخطية الموجودة تقع في ٥٠٨ صفحة رغم أن أولها وآخرها ضائعتان ، ويبلغ طولها ٣٥ سم ، وعرضها ٢٣ سم .
وقيل إن هذه القصة هي نفس القصة المترجمة عن اليونانية ، ولكنى أستبعد =

ورجح « بهار »^(١) أنها كتبت في القرن السادس الهجري ، كما يبدو من اسم الناسخ ، وخطه النسخ المائل إلى الثلث .

وقد ذكرت هذه القصة الفردوسية ومنظومته « شاهنامه » في مواضع كثيرة^(٢) مما يدل على أنها صُنِفَتْ بعده ، ولم تذكر نظامي ، وهذا يرجح أنها كُتِبَتْ قبله^(٣) ، ويبدو أنه تأثر بما أورده إلى حد كبير .

ولم تسكن القصة النثرية ، هي أول محاولة بذلت لتسجيل ما روى عن الإسكندر ، لأن « كاستنس » اليوناني قام بتدوين أخبار الإسكندر قبل ذلك بقرون عديدة ، وضاع ما كتبه ، وبقيت ترجمانه ، السريانية ، والحبشية ، والعربية^(٤) ، والفارسية ، والتركية الجفطائية^(٥) .

ومما يكن من شيء ، فإن نظامي هو أول من نظم القصة في هذه الصورة المفصلة .

وتصويره لشخصية الإسكندر يختلف اختلافاً جوهرياً عن تصوير الفردوسي ؛

== ذلك ، لأن ذكر الفردوسي ، وذكر شواهد قرآنية - في مواضع كثيرة - يرجح أنها قصة إسلامية ، أو يرجح على الأقل أنها - إن كانت مترجمة - قد اختلفت بما رده المسلمون عن « ذي القرنين » فلم تظل القصة اليونانية على حالها .

(١) بهار : سبك شناسي ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٢) القصة النثرية الخطية ، ص ٩٠ ، وفي مواضع أخرى كثيرة .

(٣) يبدو أن قصة الإسكندر النثرية التي كتبت في عهد الشاه أحمد قاجار وطبعت في طهران قد تأثرت بما في القصة النثرية الخطية ، وبما في الشاهنامه للفردوسي ، وإسكندرنامه لنظامي ، وهي تردد مذكرته الشاهنامه ، والقصة النثرية الخطية من أن الإسكندر إيراني .

(٤) يبدو أن ما يوجد بالعربية والفارسية من أخبار حول الإسكندر ليس صورة دقيقة لما كتبه « كاستنس » ، لأن هذه الأخبار امتزجت بما رواه المسلمون عن شخصية « ذي القرنين » .

(٥) تربيت : دانشمندان آذربيجان ، ٣٨٤ .

تجلى في شخصيات المنظومة ، وترتيب مناظرها ، مما يجعلنا نصدق ما قاله من أنه لم يكنف بترديد ما قاله الفردوسى ، بل ذكر أشياء جديدة .

وقد طبق نظامى مذهبه - فى نظم القصص - فى منظومته « إسكندرنامه » فأتخذ من الفصحة ميداناً لآرائه ، وأطلق الإسكندر بما يؤمن هو به ، ويدعو إليه ، وجعله يصل إلى الهدف ، وهو أن يعيش الناس فى صفاء ، يرفرف عليهم العدل ، فيؤدى كل منهم ما عليه ، ويأخذ ماله ، دون حاجة إلى بسوسهم ، ويوجههم ، فلما وصل الاسكندر إلى مثل هذا المكان ، لم يواصل السير ، لأنه اعتبر نفسه قد أدرك الغاية .

وكما أدرك الاسكندر غايته ، بلغ نظامى نفسه الغاية من النظم ، ومن الحياة أيضاً .

والواقع أن شخصية الاسكندر فى المنظومة هى أصدق تصوير لشخصية نظامى ، كداع من دعاة الفضيلة ، يتمنى أن يُبنى المجتمع على أسس وطيدة من العزة ، والعدالة ، والعلم ، والأخلاق .

وقد أصبح نظامى بتصويره هذا - قصة الاسكندر - إماماً قلده كثير من شعراء الفارسية والتركية .

وأشهر من قلده من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى عام ٧٢٥ هـ ، فنظمها تحت عنوان « آئينه سكندرى » ، وعبد الرحمن الجامى المتوفى فى عام ٨٩٨ هـ . ونظمها تحت عنوان « خردنامه سكندرى » .

وأشهر من قلده من شعراء التركية : مير عايشير نوأى المتوفى فى عام ٩٠٦ هـ والأحمدى الكرمياني المتوفى فى عام ٩١٥ هـ ، ونظما القصة تحت عنوان « إسكندرنامه » .

وقد اعتمد هؤلاء - جميعاً - على منظومة « إسكندر نامه » لنظامى ، واقتبسوا مما فيها من أقوال ، ومعلومات .

وأراد أمير خسرو الدهلوى أن يتصرف ببعض الشيء ، فبدت منظومته
مفككة الأجزاء ، تحتاج إلى حبل وإتقان ، وفقدت عنصر الحيوية والجمال^(١).

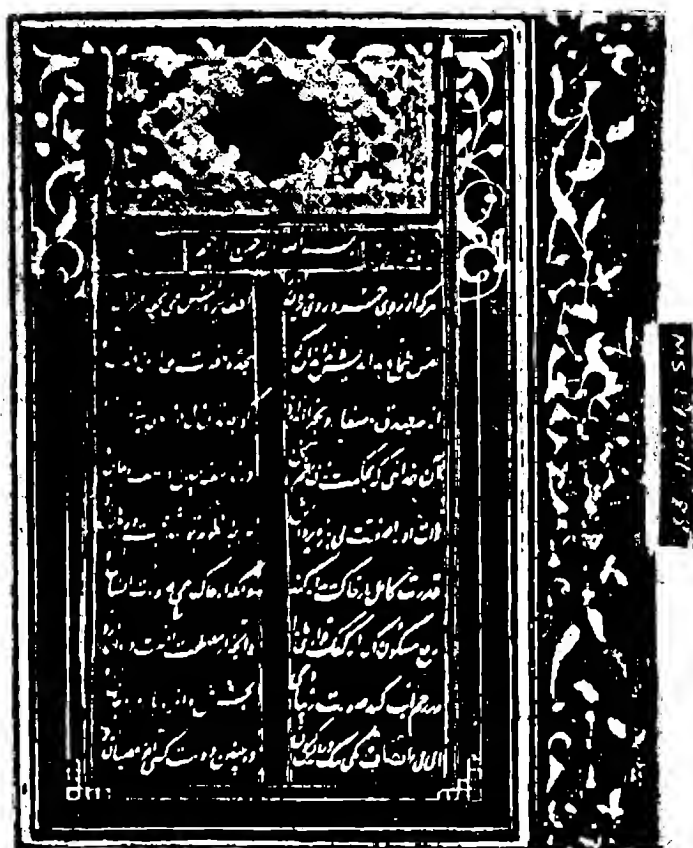
* * *

والآن - وقد درسنا منظومات الشاعر الحسن ، المسماة « خمسة نظامى » -
لم يبق إلا أن نلقى نظرة أخيرة على ما بقى من ديوانه ، وهو الشعر الذى نظمه
بعيداً عن المنظومات ، حتى يتسنى لنا أن نصدر حكماً على شعر الشاعر كله ،
ونبين مزاياه .

Moh. Wahid Mirza : The life and works of Amir (١)

Khusrau, p. 201.

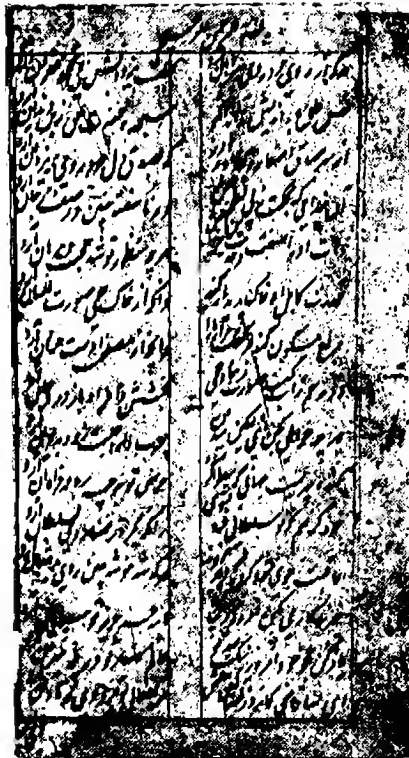
م ٢٨ . نظامى



الصفحة الأولى من إحدى نسختي ديوان نظامي الخطيبين الموجودتين في مكتبة
بوداين بأكسفورد نقلا عن مقدمة كنجينه گنجوی ص ٢٤

البناء، السَّيْنَا

ديوان نظامی



الصفحة الأولى من نسخة ديوان نظامى الخطية الموجودة في برلين
تقلا عن مقدمة گنجینه گنجوى ص قو

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

دراسة مول ديوانه نظامی

١ - هل كان لنظامی ديوانه شعر ؟ :

كانت الشهرة الغالبة على نظامی أنه صاحب خمس منظومات ، فحاول كثير من الشعراء الذين قلده أن يصبحوا أصحاب خمس منظومات مثله . أما نظامی كصاحب ديوان شعر فشيء غير مشهور ، حتى إن كتب التذاکر المهمة لم تُشر إلى هذا الديوان في قليل أو كثير .

وذكر « عوفی » أن الشعر المروي عن نظامی غير مثنوياته قليل^(١) ، رغم أنه كان معاصراً للشاعر ، مما يرجح تبدد الديوان وضياعه منذ زمن بعيد^(٢) . ولعل السبب في إهمال ذكر الديوان عدم وجوده كاملاً . غير أن ضياع بعض أجزائه لا يعني أن الشاعر لم يكن له ديوان أصلاً .

والحقيقة التي لا شك فيها أن نظامی كان له ديوان شعر - فضلاً عن منظوماته - وأن هذا الديوان كان كاملاً في عام ٥٨٤ هـ في أثناء نظم « ليلي ومجنون » ؛ فقد ذكر الشاعر أنه كان يوماً مسروراً نشيطاً ، لأن ديوانه كان كاملاً أمامه ، وفي تلك الأثناء وصله خطاب من حاكم شروان ، وطلب منه نظم قصيدة « ليلي والمجنون » ، فقال : « كنت يوماً أحس بالسعادة والسرور والنشاط ، وكان وجهي متهللاً ، لأن ديواني كان موضوعاً أمامي^(٣) » .

(١) عوفی : لباب الأبواب ، ج ، ٢ ، ص ٣٩٧ .

(٢) لم يشر القزويني في آثار البلاد ، ص ٣٥١-٣٥٢ . إلى ديوان نظامی رغم أنه كان يعيش في القرن السابع ، الذي توفي نظامی في أوائله .

(٣) روزي بمباركي وشادي بودم بنشاط كيقبادي

أبوي هـلاليم كشاده ديوان نظاميم نهاده

(نظامی : ليلي ومجنون ص ، ٢٤)

وهذا يدل على أن الديوان كان مجموعاً في أوائل عام ٥٨٤ هـ ، قبل البدء في نظم منظومته الثالثة . وإن ما ذكره الشاعر لا يدع مجالاً للشك في أنه كان صاحب ديوان شعر .

* * *

٢ - عدد أبيات الديوان ، والنسخ الخطية الموجودة منه ، وما تم نشره فعلاً :

لم يصرح الشاعر بعدد أبيات ديوانه ، غير أن « دولتشاه » ذكر أن ديوان نظامي كان يشتمل على عشرين ألف بيت من الشعر^(١) .
ويبدو أن ما ذكره « دولتشاه » لا يخلو من المبالغة ، لأن النسخ الخطية الموجودة من الديوان لا تشتمل على أكثر من ألفي بيت .
ومن الجائز أن يكون بعض أجزاء هذا الديوان قد ضاعت ، ولكن نستبعد أن يكون الديوان بهذه الضخامة ، بعد ما روى من أن الأشعار التي خلفها الشاعر - غير المنظومات - ليست كثيرة .
والواقع أننا لا نعرف عدد أبيات هذا الديوان على وجه التحقيق .

* * *

أما النسخ الخطية الموجودة - الآن - من الديوان فهي خمس نسخ ؛ ذكرت دائرة المعارف الإسلامية ثلاثاً منها^(٢) : اثنتين في مكتبة « بودلين » بأكسفورد تحت رقمي ٦١٨ و ٦١٩ . وواحدة في مكتبة برلين^(٣) .
وذكر برتلس أن نسخة رابعة توجد في الهند ، وقال إن النسخ جميعها

(١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ .

(٢) The Encyclopaedia of Islam, vol. III, Art. Nizami, (٢) p. 938.

(٣) اعتمد كاتب المأادة في ذكر هذه النسخة على : Berlin Pertsch Cat. : No. 691.

لا تشتمل على أكثر من ألفي بيت من الشعر^(١).

وتوجد النسخة الخامسة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة منتخبات^(٢)، وهي عبارة عن قصائد من الديوان تشغل خمسين ورقة، طولها ١٧ سم، وعرضها ١١ سم، وفي كل صفحة منها ١٥ بيتاً أى أنها تشتمل على ١٥٠٠ بيت من الشعر وهذا يرجح أن جزءاً من الديوان ضاع، فلم يصل إلى أيدينا.

* * *

ولم تُنشر هذه النسخ الخطية حتى الآن، وإن كانت بعض قصائد هذا الديوان قد ذكرت متفرقة، في بعض كتب التذاكر.

ونشر «ريبكا» - في عام ١٩٣٥ م - عدة غزليات لنظامي، يبدو أنها جزء من ديوانه المبعثر، وهي عبارة عن خمس وعشرين قطعة، فالحا في الغزل وموضوعات الحب^(٣).

ثم نشر «دستگردى» - في عام ١٩٣٩ م - ما عثر عليه من هذا الديوان تحت عنوان «كنجینه گنجوى»^(٤)، وقسم ما نشره إلى ثلاثة أقسام: قسم قطع بأنه من نظم نظامي^(٥)، وقسم شك في نسبته إليه^(٦)، وقسم قطع بأنه لم يكن من نظمه^(٧).

* * *

(١) برنلس: نظامى شاعر آذربيجان العظيم، ص ١٢٣.

(٢) مخطوطة رقم ١٦٨ م بدار الكتب المصرية.

(٣) ريبكا Rypka: چند غزل تازه از نظامى گنجوى، ص ١٥-٢٤.

(٤) «كنجینه گنجوى» بمعنى «خزانة الـ گنجوى» أى «ديوان نظامى».

(٥) كنجینه گنجوى: ص ١٧٤-٢٢٦.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٢٧-٢٣٥.

(٧) المرجع السابق، ص ٢٣٦-٢٥٩.

٣ — نوارىخ نظم قصائد الديوان و، صمغها:

أغلب الظن أن الشاعر نظم أغلب القصائد — التي ضمها ديوان شعره — في وقت شبابه ، وقبل البدء في نظم منظوماته الخمس ، وأعلمها كانت محاولاته الشعرية الأولى .

ومما يؤسف له أننا لانستطيع أن نحدد تواريخ هذه القصائد كلها أو بعضها ، لأن الشاعر لم يصرح بما يدل على شيء من ذلك من قريب أو بعيد ، ولا توجد قرائن يمكن بواسطتها أن نؤرخ هذه القصائد .

* * *

ونرجح أن الشاعر قام بجمع قصائده بعد فراغه من نظم « خسرو وشيرين » ، أي بعد عام ٥٨٢ هـ ، لأنه لم يشر إلى الديوان قبل هذا التاريخ ؛ كما نرجح أنه فرغ من جمعه ، وترتيبه في عام ٥٨٤ هـ قبيل البدء في نظم « ليلي ومجنون » ، لأنه صرح بذلك في مقدمة هذه المنظومة .

ويبدو أن الشاعر كان يصيف بعض القصائد إلى ديوانه من وقت إلى آخر ، في فترات مختلفة من حياته ، كما كان يفعل في منظوماته ، لأننا نجد بعض القصائد في وصف الشيخوخة ، ونصوير ما أصابه من ضعف نتيجة لكبر سنه . فن ذلك قوله في إحدى قصائده : « أي نصيب لي من أغصان البقاء في هذا الروض الذي تقوسّت فيه قامتي من آثار الشيخوخة ؟! . فلن يكون لأحد من نخلتي ظل أو ثمر ، لأن رياح الحوادث العاصفة أسقطت سمفي ونمري ، فالفلك بُعدُ القبر لقامتي المنحنية ، وإن بياض شعري ليشعني برائحة الكافور^(١) . » ثم تحدث عما يصحب الشيخوخة من يأس ، فقال : « سقطت فواكه الأمل من حديقة الدنيا من كثرة الأحجار وقطرات الندى التي تنساقط من

(١) الكافور رائحة طيبة تنثر على جثة الميت عند تكفينه .

كل ناحية على أفرع نخلتى ، وإن الفرع ليصبح ، معتدلاً بعد أن تسقط ثماره ،
واسكن نخلة قدى قد انحنت بعد إعطاء الثمار^(۱) .

وصور ضعف بصره ، فقال : « إن عيني لا نفرق بين البياض والسواد ،
ولا تميز بين أشعة الشمس ونور القمر^(۲) » .

واستمر فى وصف الشيخوخة ، فقال : « حاليّ الأجل ضيقاً على ، فاذا أقدام
له ؟ ! ! إنه لن يقبل غير الحياة ! ! .^(۳) » .

وأمن فى تصوير اضمحلال جسمه ، فقال : « إننى كالظل ، إذا لم أعتد

(۱) در این چمن که ز پیری خمیده شد کرم

ز شاخهای بقا بعد ازین چه بهره برم ؟

نه سایه ایست ز نخلم نه میوه کس را

که تند باد حوادث بریخت برگ و برم

سپهر باقد خمیده گشته میکند لحدم

بیاض موی ز کافور میدهد خبیرم

(گنجینه گنجوی ، ص ۱۹۵)

(۲) بیوستان جهان ریخت میوه امید

ز سنگ وثراله بهر سوی شاخه شجرم

نهال چون ثمر افشاندر است کرددلیک

خمید نخل قدم چون فشانده شد ثمرم

(المرجع السابق ، ص ۱۹۷)

(۳) بیاض رانکنند فرق دیده ام ز سواد

بچهره گرچه فروزند شمع ماه و خورم

(المرجع السابق ، ص ۱۹۸)

(۴) بمبهمانیم آمد اجل چه چاره کنم ؟

که جز حیات نسازد قبول ما حشرم

(نفس المرجع والصفحة)

على حائط ، فأى احتمال عندى فى أن أظفر بالنموض ١ ؟ ^(١) .
ثم قال : « إن لى قلباً مشرقاً بنور المعرفة ، وأنا أشبهه هالة القمر ، بقاتى
المسحونة ^(٢) » .

وهذا يرجح أن الشاعر كان شيخاً كبيراً محطم الجسم ، ينتظر الموت ، حينما
نظم هذه القصيدة .
وهناك - أيضاً - القصيدة التى نظمها فى رثاء الخاقانى ، وقول فيها : « كنتُ
أقول - دائماً - إن الخاقانى سيكون ناعياً لى ، فوا أسفاً أبى صرت الآن ناعياً
للخاقانى ^(٣) » .

وقد رجحنا أن الخاقانى توفى فى عام ٥٩٥ هـ ، مما يثبت أن الشاعر أضاف
هذه القصيدة إلى ديوانه بعد جمعه بأكثر من عشر سنوات .
كما أن هناك القصيدة التى رثى الشاعر فيها ابنه الذى توفى فى عام

(١) چو سایه گر نکم اعتماد بر دیوار چه احتمال که برخاستن بود ظفرم؟
(کنجینه گنجوی ، ص ١٩٩)

(٢) مرا که هست دل از نور معرفت روشن
بقصد حلقه نمودار هاله قمر
(المرجع السابق ، ص ٢٠٠)

(٣) همی گفتم که خاقانی درینا گوی من باشد
درینا من شدم درینا گوی خاقانی
(دستگردی : مقدمه کنجینه گنجوی ، ص کا)
وقد شك دستگردی فى نسبة هذه القصيدة إلى نظامی ، بحجة أنه لم يكن مسناً
عند ما توفى خاقانى ، ولكن هذا غير صحيح لأن الخاقانى توفى فى عام ٥٩٥ هـ
فى وقت كان نظامی فيه فى السادسة والخمسين من عمره ، وكان يتوقع الموت ،
فتحدث عنه كثيراً ، فمن الجائز أن تكون القصيدة من نظمه .
ومهما يكن من شيء ، فليس بين أيدينا من القصيدة إلا هذا البيت .

٦٠٨^(١) هـ ، مما يرجع أنها أضيفت إلى الديوان بعد جمعه وترتيبه .

* * *

ونكتفي بهذه الدراسة حول الديوان ؛ لنعرض صوراً منه ، ونبين محتوياته ، والموضوعات التي تناولها .
وسأقتصر على ما نشره د. س. كردى ، لأن نسخة دار الكتب المصرية مملوءة بالأخطاء ، كما أنها تخلط الأشعار الفارسية بأشعار تركية ، لم تنسبها إلى الشاعر .

(١) سنعرض ما احتوته هذه القصيدة فى الفصل التالى ، فى أثناء عرض محتويات الجزء المنشور من الديوان .

الفصل الثاني

محتويات ديوانه نظامي

سأعرض - في هذا الفصل - محتويات القسم الأول من الأقسام الثلاثة التي نشرها دستگردى « في كنجينه كنجوى » ؛ لا شيء إلا لأنه يمثل آراء نظامي تمثيلاً صحيحاً ، ويصور نزاعه المختلفة أحسن تصوير ، مما يرجح أنه من نظمه - كما قال دستگردى - وسأترك القسمين الثانى والثالث للذين لم تثبت نسبة ما فيهما من أشعار إلى نظامي .

وإذا ألقينا نظرة على هذا القسم الأول نجده يتناول الموضوعات الآتية :

١ - الفخر :

ليس عجيباً أن نرى شاعراً كنظامي ، يقول شعراً في الفخر - رغم زهده وتقواه - لأنه كان يساير روح عصره^(١) ، ومادفعت إليه الظروف . وقد أكثر الشاعر من الفخر في منظوماته الخمس ، وخصص له جزءاً من ديوانه ، أسرف فيه في إظهار فضله ، وعلو منزلته ، وسموه على غيره ؛ فقال مثلاً : « خُلق الكلام منى كما تُخلق الفتوة من المروءة ، وظهر الفضل منى كما تظهر الفضارة من الشبـاب ؛ فنغات غزلى فى الأسماع كنفحات العود ، وطعم كلامى فى الأذواق كطعم الشراب العذب ؛ وأنا أصل لحركات الأفلاك ، فهى مستمدة منى ، وأنا ملاء لطبقات السماء ، فهى الأوانى (التى تتلقى فيضى) ! .. »^(٢) .

(١) سبقت الإشارة إلى انتشار ظاهرة الفخر بين الشعراء فى عصر نظامي ، وأنه تأثر بروح العصر ، كغيره من الشعراء .

(٢) سخن از من آفریده چو قوت از مروت

هنراز من آشکارا چو طراوت از جوانی =

و بالغ فی الفخر حتی اعتبر أنه أرفع من أن يفخر عن طريق الشعر ، لأنه مملوء بالكذب ، وقدره أسمى من أن يُبيِّن فيه ، فقال : « ما فن الشعر نفسه حتى أفر عن طريقه ، فأكون كالمثل الذي ينطلق لسانه بالأساطير الكاذبة...! »^(۱)
 وهذا هو مركب النقص الذي يبتلى به الشعراء إذا لم يجدوا مَنْ يقدرهم حق قدرهم ، ويُذِيبهم على شعرهم ؛ وقد صرح نظامی بأنه لم يُقدَّر في الدنيا ، ولكنه واثق من ثواب الآخرة ، فقال : « أنا لا أساوی درهماً في هذه الدنيا ، ولا سکی أساوی كثيراً في الآخرة »^(۲) .

ويُبيِّن أن عدم تقديره لم يكن لرداءة شعره ، بل لفساد عصره ، لأن شعره خير شعر قيل ، وأخذ يتحدث عن مزايا فنه ، ويفخر بشعره ، فقال : « إنني لا أظاهر بألحاني ، رغم أنني أسوغها جميلة كالعروس ، ولا أدق طبولاً بحفون ، وإن كانت أصواتها نغمًا عذباً »^(۳) .

ثم تهادى في الفخر ، فقال : « إن أئفه ما يصدر عني يُعدُّ أصلاً للعلوم

= غزلم بسمعهما در چو سماع ارغنونى
 نكتم بذوقهـا در چو شراب ارغوانى
 حركات اخترازا منم اصل وأو طفيلي
 طبقات آسمانرا منم آب وأو آوانى
 (گنجینه گنجوى ، ص ۱۷۵)

(۱) فن شعر خود چه باشد که بدان کنم تفاخر

چو مثلى است مطلق بدروغ داستانى!

(المرجع السابق ، ص ۱۸۱)

(۲) بعبار این جهان درمى نیم وليکن درمى چهار دانگم بعبار آنجهانى

(المرجع السابق ، ص ۱۸۲)

(۳) نكتم بخطبه لحنى چوكتم بود عروسى

تزم بخيره طبلى چوزنم بود آغانى

(المرجع السابق ، ص ۱۷۶)

الطبيعية والعقلية ، وأردأ عصارات ذهني لذيق سائح شرابه ، وإن كل ما أقوله يعدّ جديداً ، سواء أ كان حديثاً عن القديم أم عن الجديد . ولذلك ، فإنني أسيطر على آلاف القلوب بأفكارى وأشعارى ، وأجذب آلاف النفوس بذكائى ، ودقائق نظمى ^(١) .

ثم قال : « إن قلوب الخلق تبهج بإذن من شفى (بعد أن تتحرك لتقول شعري) كما تتفتح الرياحين من النسيم العليل ^(٢) » .
وقد سمعنا مثل هذه النغمات من الشاعر قبل ذلك ، مما يجعلنا نرجح أن هذا الشعر من نظمه ، وهى نغمات تتردد فى كل ماقاله فى باب الفخر ^(٣) .

* * *

٢ - الزهد والتجرد من الدنيا ، والعمل للأخرة :

أكثر نظامى - فى هذا الجزء من ديوانه - من الحديث عن الزهد ، والتجرد من الدنيا ، وضرورة العمل للأخرة ، بنغمات تناقض نغمات الفخر ، فوجدناه لا يزهو بما عنده من مفاخر بل يبدو متواضعاً ، ويعتبر نفسه مذنباً ، ويدعو إلى ترك التعلق بالدنيا ، وإيثار ما يبقى على ما يفى ، ويحاول أن يعد نفسه للرحيل من الدار الفانية ، بأن يتزود بما يدفعه فى طريقه إلى الآخرة ، وأن يعمل صالحاً حتى يحى نمار عمله ؛ فيقول : « دف الجرس ، وتحركت القافلة للرحيل ،

(١) سقط خلاصه من چه طبيعى وچه عقلى

دغل عصاره من چه نباتى وچه كافى

بقياس شيوه من كه نتیجه نو آمد همه رسمهای تازه كه نیست وباستانى

برم هزار دل را بيديه و معما بخرم هزار جان را بغلوته نهانى

(گنجینه گنجوى ، ١٧٦)

(٢) بإجازات لب من دل خلق بازخندد چو شكوفه رياحين بهواى مهرگانى

(المرجع السابق ، ص ١٧٧)

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٤-١٨٤ .

فهاجر من هذه الدنيا الحقيرة إلى الدار الباقية الكريمة ، وحينما تلحق بالقافلة ستجد عملك يتقدمك في السير ، ويرشدك في الطريق ، فاطرب لصوت الجرس ، وكن في عداد هذه القافلة^(۱) »

وكان الشاعر يرى ضرورة الإفلال من شهوات الدنيا ، حتى يتفرغ الإنسان للعمل المنتج الطيب ، فدعا إلى ذلك في قوله : « إذا أفلتت من الشهوة ، زاد إقبالك على الطاعة ، لأن البخور كلما قل رماده ، كان أجمل رائحته^(۲) » .

ثم وضع ذلك في قوله : « إن الدنيا لانحن معاملة الخلق ، كما أن أحداث الزمان متغيرة دائماً ، فيمكنك أن تنجو من شرورها إذا اعتصمت بالقرآن ، لحاول النسيك به ، لأن الساعة توشك أن تقوم^(۳) » .

ودعا إلى ضرورة اتباع تعاليم الشرع ، فقال : « حاول أن تتفانى في السير في

(۱) هم جرس جنید وهم در جنبش آمد کاروان
کوچ کن زین خیل خانه سوی دار الملک جان
چون درای ناله تو کاروانسار تست
مونی کن با حرس در حلقه این کاروان
(گنجینه گنجوی ، ص ۱۸۵)

(۲) گر ز شهوت کم کنی در دین فراخی کز بخور
هرچه خاکسترش کمتر بیشتر باشد دхан
(المرجع السابق ، ص ۱۸۷)

(۳) هم زمین را با خلاق نا موافق شد مزاج
هم فلک را نا مناسب شد قران
زین قران ایمن شوی گردست در قرآن زنی
مهد قرآن جوی کامد مهدی آخر زمان
(نفس المرجع والصفحة)

طريق الشرع ، فأسرع أكثر من ذلك لأن جسمك سوف يتحلل ، ويصير تراباً^(١) .

ونصح بالاعتماد على الله وحده دون غيره من أصحاب الجاه والنفوذ ، فقال :
« إلى متى تنوسل بهذا السلطان وذاك ؟ .. إن السلطان أكثر منك عبودية ..
كن عبداً لله الذي وهب السلطان الجاه والنفوذ^(٢) » .

ثم نصح الشاعر نفسه - وهو في سن الثلاثين - بالتنبيه ، والاعتكاف للعبادة ،
فقال : « مضت ثلاثون عاماً ، فاستيقظ يا نظامي ، واعتكف ... أنا نصحتك ،
وأنت تعرف النتيجة .. فاحترس . ثم احترس ! »^(٣) .

ورغم أن هذه النغمتان تناقض نغمت الفخر ، إلا أننا نرجح أنها صدرت عن
نظامي ، لأن ما يشهها تردد في منظوماته المختلفة ، وقد بينا أن الظروف التي
أحاطت بالشاعر هي السبب في إيجاد هذه النغمتان المتناقضتين .

وقد راجت الدعوة إلى الزهد ، والتجرد من الدنيا ، والعمل للآخرة ،
والاعتراف بالتقصير ، في كل ماقاله من قصائد في هذا الباب من الديوان .

* * *

(١) خاك راه شرع راگر سرمه همت کنی
پیش تر زان کن که گردد سرمه دانت استخوان
(کنجینه گنجوی ، ص ١٩٠)

(٢) چند ازین سلطان و سلطان وز تو سلطان بنده تر
بنده او شو که او شد صاحب سلطان نشان
(المرجع السابق ، ص ١٩١)

(٣) سی گذشت از عمر برخیزای نظامی گوشه گیر
من نصیحت کردم بت باقی تودانی هان وهان
(المرجع السابق ، ص ١٩٥)

۳ — الغزل :

أكثر نظامي من النظم في موضوع العشق والتغزل في هذا القسم المنشور من ديوانه^(۱) ، غير أن عشقه كان يشبه عشق الصوفية الذي يقصدون به حب الله ، والفناء فيه

ومن أمثلة غزل الشعاع قوله مخاطباً معشوقه : « إني أظهر لك حالتي السيئة ، حتى تنصح عينيك السوداءين (بدم إصابتي بسهام نظراتهما) . . . لا تُلْمِني ، فستكون أكثر هيأماً بهما إذا نظرت إلى وجهك القمري في المرآة^(۲) » .

ثم دعاه إلى ترك الفراق والصد ، لأنه صبر ولم يسمعه تأوّه ، فقال : « أقلم عن الفراق ، لأن حي لك واضح ، ولأنني ألم أسمعك تأوّه^(۳) » .
وطلب منه أن ينقذه بالوصل ، لأنه أصبح أسير حبه ، فقال : « لقد جعلت طابع حسنك مسكناً ليوسف قلبي ، فألقى دلو العناية ليوسف برك^(۴) » .

(۱) كنجينه* كجوى : ص ۲۱۰-۲۲۶ .

(۲) باتو پديد ميكم حال تباه خويش را

تاتو نصيحتي كفي چشم سياه خويش را

سرزنشم مكن كه تو شيفته ترزمن شوى

گرنگرى در آينه روى چوماه خويش را

(المرجع السابق ، ص ۲۱۰)

(۳) ترك فراق را بمن راه من توهان وهان

چون بتوره نداده ام شخنه آه خويش را

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) چاه زنفخ چو کرده* مسكن يوسف دلم

دلو عنايتي فرست يوسف چاه خويش را

(نفس المرجع والصفحة)

حی بواسطة الدموع السخينة .. فعلى أبعد بدء موعى الحواجز التي تعترض طريق
حی لك^(١) .

وختم تصوير حبه بقوله في قصيدة ثامنة : « كيف يقبل قلبي معشوقاً آخر
غيرك ١٩ .. إن معشوقاً آخر إن بشبهك ، وأنت لا تشبه أحداً (لأنك فريد في
حسنك) .. »^(٢) .

ويبدو من عرض هذه الصور أن عشق نظامی لم يكن عشقاً مادياً ، بل كان
عشقاً معنوياً ، فهو عشق نظري ، وليس عملياً ؛ فلم يكن يقصد من وراء عشقه
إلا تسكيناً لروحه المأثمة ، وراحة لقلبه المضطرب ، وكان يرجو من معشوقته أن
يبسر له طرق هذا التسكين ، ويمهد له سبيل هذه الراحة .

وقد سمعنا مثل هذه اللغات التي تصور حرارة العشق تصدر من منظومات
الشاعر ، مما يرجح أن هذه القصائد التي قيات في باب الغزل من نظمه .

* * *

٤ - الرثاء :

توجد قصيدة - في الجزء المنشور من الديوان - يرثي الشاعر فيها ابنة
محمد^(٣) الذي توفي في ربيعان شبابه ، ويبدو أن الحزن كان قد استبد بالشاعر ،

(١) تدبير کنم هرشب تادل ز تو برگیرم

چو روز برآرد سر مهر توز سرگیرم

دل باتو در آمیزم کامیخته با جان جانی دیگرم باید تایار دیگر گیرم

.....

آبی که جگر دارد ریزم زره دیده تا گرد نظامی را از راه تو برگیرم

(گنجینه گنجوی ، ص ٢١٧)

(٢) دل من کجا پذیرد عوض تو دیگری دگری بتوانم تو دیگری نمائی

(المرجع السابق ، ص ٢٢٤)

(٣) شك دستگردی في گنجینه گنجوی ، حاشية ص ٢٢٥ في أن يكون الشاب =

فأثر في نفيانه ، فصدرت معبرة عن حزنه وجزءه ، مما يتجلى في قوله : « يا من صرت قريناً لحور الجنة ، إن وجهك الجميل قد توسد التراب .. لقد أمضيت العمر سعيداً صالحاً ، فدخلت الجنة قبل أن تلوث بالآثام ... إن عمرك لم يتجاوز مرحلة الشباب حتى الآن . فن كتب عليك هذا القضاء ياترى !؟ .. فأنى عجب يا أعلى مافى الوجود أن يمتزج تراب الأرض بالدماء من عيني (الباكيتين دماً) .. إن روض جمالك قد غطاه التراب ، فكيف يمكن أن يكون للزرع رونق بعد ذلك !؟ .^(١) » .

ونرجح أن هذه القصيدة من نظم الشاعر ، لأن ابنه توفي قبله كما أثبتنا ، فضلاً عن روايتها في بعض المصادر المعاصرة لنظامي^(٢) . ولم ترد قصائد في الرثاء غير هذه ، ولعل الشاعر اكتفى في رثاء زوجته بما أثبتته في منظومانه .

* * *

== المذکور فی هذه القصيدة ابن نظامی ، فائلاً إن نظامی لم یکن له إلا ابن واحد ، توفي بعد والده ، وكان في سن الثلاثين حينما توفي والده ، وهو الذي حمل منظومة « إقبالنامه » إلى عز الدين مسعود أتابك الموصل . وقد ناقشت هذه المسألة ، ورجحت أن ابن الشاعر توفي قبله كما ذكر عوفي — في لباب الألباب ج ٢ ، ، ص ٣٩٧ — وهو معاصر لنظامی أن ابن الشاعر توفي قبله ، ثم إن النغمة الحزينة التي تصدر عن الأبيات ترجح أن الشاعر كان يرثي ابنه الوحيد العزيز الذي كان يعتبره أعلى مافى الوجود .

(١) ای شد همسر خوبان بهشت آتیچنان عارض وآنکه برخشت
بزنج عمر بسر بردی خوش دوزخی نشده رفقی بهشت
خط نیاورده بتو عمر هنوز این قضا برسرت آخر که نوشت
چه عجب گر شود ای جان جهان خاک از دیده من خون آغشت
سبزه زار خطت اندر خاکست آب کی باز توان داشت زکشت
(کنجینه کنجوی ، ص ٢٢٥)

(٢) عوفي : لباب الألباب ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .

ولم يتحدث الشاعر في هذا الجزء الذي بين أيدينا في غير هذه الموضوعات .
وتوجد في نهايته بعض الرباعيات ، ولكنها تردد نغمت المشرق ، والرغبة
في الاتصال بالمشوق ، والشكوى من الهجر والقطيعة ، فن ذلك قوله : « لو
كنت أجز للقلب أن يشكو من صدك لعرفت كم من الوقت كان يستغرق
حديثي ! .. ولولا أنه لا يجوز إفشاء السر والتحدث في حقلك ، لجعلتُ من
أفمالك قصصاً تُروى ^(١) » .

ونصح بحسن المعاملة ، واتباع المعروف ، فقال : « ما دام الأمل في الحياة
- من الظهر إلى المساء - ليس موجوداً ، فيجب أن تبذر بذور الخير دائماً ،
وما دام الله لم يمنح الخلود لأحد ، فينبغي أن تحافظ على شعور الأصدقاء ^(٢) » .
ويعمل هذا بقوله : « إن الحياة بدون أصدقاء بلاء عظيم ، فالشخص الذي
ليس له صديق بائس مسكين .. إن هذه الأنفاس القليلة التي لا تعطى بها إلا بعد
مشقة وعنتٍ سوف تقتضيها سعيداً إذا كان لك رفيق مؤنس ^(٣) » .

* * *

ولانجد في الديوان الموضوعات الأخرى التي يضمها الشعراء دواوين أشعارهم

(١) گر دل دهمی کز تو شکایت کنمی دانی که شکایت بچه غایت کنمی

گر پرده دری نباشد اندر حق تو زانها که تو کرده حکایت کنمی

(گنجینه گنجوی ، ص ۲۲۵)

(٢) چون نیست امید عمر از شام بچاشت باری همه تخم نیکوئی باید کاشت

چون عالم را بکس نخواهند گذاشت باری دل دوستان نگه باید داشت

(المرجع السابق ، ص ۲۲۶)

(٣) بی یار بدن عظیم مشکل کاری بیچاره کسی که او ندارد یاری

این یکدوسه دم را که بجان توان یافت گر دل داری مدار بی دلداری

(نفس المرجع والصفحة)

غالباً ؛ كالملاح ، والمهجاء ، والوصف . ولعل السبب في ذلك أن أكثره قد ضاع .
ومهما يكن من شيء ؛ فإن هذا الجزء المنشور من الديوان يمثل محتوياته
تمثيلاً صادقاً إلى حد ما ، فإن هذه الموضوعات من الموضوعات التي ينتظر من
شاعر كديلمي - عاش في ظروف كالتى عرضناها - أن ينظم فيها ، وقد ظهرت
في منظوماته الخمس بحسنة واضحة .

* * *

ونكتفي بهذا الحديث عن الديوان لندرس فن نظامى الشعرى ، في الباب
السابع والأخير من هذا البحث .

الباء، الشاء، ع

فن نظامى الشعرى

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

مزاياء فن نظامى الشعرى

امتاز الفن فى عصر نظامى بميله إلى القأنق والتكلف - كما ذكرنا - فكان الفنان لا يكتفى بصحب ما يصنعه فى قالب ملائم ، بل يحاول أن يرسم عليه من النقوش والزخارف ما يجعل منظره بديعاً .

ويبدو من دراسة منظومات نظامى وجزء من ديوان شعره أنه صيغ شعره بهذه الصيغة التى غلبت على الفن فى ذلك الوقت .

وكان من أهم الأسباب التى جعلت الأدب الفارسى يتجه هذا الاتجاه امتزاجه بالعناصر العربية التى دخلته ، وأخذت تتغلغل وترسخ منذ غلبة السلاجقة ، وما انتهجوه من سياسة للتقرب للخلافة العباسية فى بغداد ، والميل إلى العالم الإسلامى السنى ، لأنهم كانوا يتبعون المذهب السنى ، ويقعصبون له ، ويعتبرون أنفسهم حماة ؛ وكانوا يمثلون القوة العسكرية المادية ، بينما كان الخلفاء العباسيون يمثلون القوة الروحية المعنوية ، فأدى هذا إلى انتشار نفوذ الأدب العربى - بما فيه من فن ، والحضارة الإسلامية بما لها من مميزات - فى إيران ، فأخذت تؤثر فى كل مظاهر الحضارة الإيرانية بما فيها الأدب تأثيراً واضحاً ملموساً .

وبدأ ظهور هذا التأثير فى القرن الخامس الهجرى ، وبلغ أقصى درجاته فى القرنين السادس والسابع ، حتى أصبح إظهار العناصر العربية من علامات الفضل والإجادة .

وكان فن الشعر العربى فى ذلك الوقت صناعة شاقة ، فوضح فيها التفنن ، وكثر فيها التصنع .

وقد برزت هذه الظاهرة فى الشعر الفارسى بصورة واضحة فى القرن السادس

المجبرى ، فمال الشعراء إلى التفتن ، وانتقل الشعر من مرحلة الصنعة إلى مرحلة التصنع ، وصار صناعة متقنة ، تستلزم جهداً ودقة ، فأصبح فهم الشعر مهمة شاقة تحتاج إلى وقت وتفكير .

وتأثر نظامى بذوقه الخاص - إلى جانب تأثره بالذوق العام - فكان يفضل الشعر الذى لا يفهمه إلا الخاصة الذين أوتوا حظاً من الثقافة يؤهلهم لفهم أسرارهِ ، وإدراك سراميهِ ، ويرى أن الشعر إذا نظم فى هذه الصورة ارتفعت منزلته ، وكثُرَت اللذة التى يشعر الدارس بها بعد دراسته وفهمه .

وهكذا أصبح للتفتن فى صناعة الشعر لونا آخر عند نظامى ؛ حاول أن يستعمله فى أكثر ما نظمه من شعر ، ويقيد نفسه به ، بحيث أصبح من السهل على الدارس للشعر الفارسى فى ذلك العصر أن يميز فن نظامى الخاص ، ويحدد معالمه ، ويتبين مميزاته .

وقد تحدث نظامى فى منظومته الأولى « مخزن الأسرار » عن الفن الشعرى الذى يفضلهُ ، ويجب أن يصوغ شعره متبهماً أصوله ، مما يدل على رغبته فى إلزام نفسه به فى منظوماته المختلفة .

وقدم للحديث عن هذا الفن بإبداء رأيه فى الكلام ، فقال : « إن الحركة الأولى التى اتخذها قلم الخلق ، خَلَقَتْ أول لفظة من الكلام ^(١) ، فحينما رفعوا حجاب الخلوة شرعوا فى الكلام منذ الجلسة الأولى ، فلو لم يكن الكلام معبراً عن إحساسات القلب ، لما مُنَحَّت الروح الحرة لجسم من الطين ، فلما صدرت الكلمة عن قلم الخلق عُمِرَت الأرض بفضل الكلام ، فلولو الكلام ماكان للعالم

(١) يقصد الشاعر بالكلمة الأولى قول الله « كن » لأن هذه الكلمة هى سر الوجود كما قال تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » سورة يس ، آية ٨٢ . وهى التى خلق بعدها آدم ليعمر هو وذريته الأرض .

صوت ، واقد نحدثوا كثيراً ، ولكن الكلام لم يقل شيئاً ^(۱) .

ثم تحدث عن الشعراء ، فقال : « إن الكلام المنظوم في العشق روحنا ، ففحن نحيا به ، وهذه الدنيا مجالنا ، فكل فكرة خطرت للناس ، قد سجلوها بفضل الكلام ، فليس في الدنيا أجل من الكلام ، وليس في الفنون أدق منه ^(۲) »

وعدد مزايا الكلام ، فقال : « احفظ الكلام لأنه أفضل ما في الوجود ، فالملوك قد اعتبروه ملكاً متوجاً ، كما نعتهم غيرهم بنموت أخرى ، والناس يعلنون الكلام بالصوت ، أو يسجلونه بالقلم ، ولكنه يتقدم الصفوف أكثر من العلم ، ويفتح الأقاليم أسرع من السيف ^(۳) » .

وصور تعلق الشعراء بالكلام ، وعشقهم له في قوله : « رغم أن

(۱) جنبش اول كه قلم بر گرفت حرف نخستین ز سخن در گرفت
 پرده جلوت چو برانداختند جلوت اول بسخن ساختند
 تا سخن آوازه دل درنداد جان تن آزاده بگل درنداد
 چون قلم آمد شدن آغاز کرد چشم جهان را بسخن باز کرد
 بی سخن آوازه عالم نبود این همه گفتند و سخن کم نبود
 (نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۳۹)

(۲) در لغت عشق سخن جان ماست ما سخنیم این طلل ایوان ماست
 خط هر اندیشه که پیوسته اند بر پر مرغان سخن بسته اند
 نیست درین کهنه نوخیز تر موی شکافی ز سخن تیز تر
 (نفس المرجع والصفحة)

(۳) اول اندیشه پسین شمار هم سخنست این سخن اینجا بدار
 تا جوران تاجورش خوانده اند و اندگر ان آندگرش خوانده اند
 که بنوای علمش برکشند که بنگار قلمش درکشند
 واو ز علم فتح نمایند تر وز قلم اقلیم گشایند تر
 (المرجع السابق ، ص ۴۰)

الكلام لا يظهر جمالاً أمام عباد المادة ، إلا أننا نحن الشعراء نعشق الكلام ، ونحيا به ^(١) .

وعلى ذلك بقوله : « ألهم عديمو الإحساس عواطفهم بالكلام ، ووجد الملتهمون عشقاً فيه الهدوء والراحة ، فهو أكثر عمراناً من الدنيا نفسها ، وهو أنضر من الدنيا ، وأقدم منها خلقاً » ^(٢) .

ثم بين بعد هذه المقدمة فنه الشعري ، وأنه يجب أن يكون متقن الصنع ، فقال : « ليس الشعر جميلاً في الصورة الموجودة حالياً ، وليس سائفاً باللغة العادية ، وإن الكلام ليكثر حينما يرفع النظم أعلامه ، فتكثر نماذجه ؛ فإذا لم يسمُ الكلام بالروح ، فلن تذوق حلاوته » ^(٣) .

وتحدث عن فضل البيان ، فقال : « سخر الشعراء ملأك الطبيعة بالكلام ، ونشروا به الشريعة » ^(٤) .

ومدح الشعراء الذين ينظمون شعراً فيه تفنن يشبه فنه ، فقال : « إن الشعراء الذين يزنون الكلام بدقة ، يملكون كنز العالمين بفضل هذا الكلام

(١) كرجه سخن خود نماید جمال پیش پرستنده مشق خیال
ما که نظر بر سخن افکنده ایم مرده* اوئیم وبدوزنده ایم
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٤٠)

(٢) سرد بیان آتش ازو تافتند گرم روان آب درو یافتند
اوست درین ده زده آباده تر تازه تر از چرخ و کهن زاد تر
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) رنگت ندارد ز نشانی که هست راست نیاید بزبانی که هست
ناسخن آنجا که بر آرد علم حرف زیادت و زبان نیز هم
گر نه سخن رشته جان تافقی جان سر این رشته کجا یافتی ؟
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) ملک طبیعت بسخن خورده اند مهر شریعت بسخن کرده اند
(المرجع السابق ، ص ٤١)

ففتاح كنز الحقيقة الخاص مستقر تحت اسان الشاعر ، لأن الذى خلق ميزان الكلام قد أسعد به أصحاب الحظوظ الحسنة^(۱) .

ووصف الشاعر بأنه حجاب الغيب ، فقال : « إن فن النظم حجاب الأسرار ، وهو ظل من حجاب النبوة ؛ فقد نُظِّمَتْ صفوف العظمة ، فوقف الشعراء خلف الأنبياء^(۲) »

ثم صرح بأن فنه الشعرى يقوم على أسس الدقة فى النظم ، وصعوبة الفهم ؛ فقال مخاطباً الفلك : « أيها الفلك ... كيف خلصوا هذه العقدة المحيكة من قبضتك ، إن النظم قد تشعب ، فاحلل هذه العقدة من حبل الكلام^(۳) » .

وانخذ الشاعر التعميد دليلاً على علو منزلة شعره ، وارتفاع ثمنه ، وبين أن أن الصائغ الذى يطمع فى الذهب يجب أن يشتري شعره بالذهب ، وعاب غيره من الشعراء الضعفاء الذين يحاولون بيع شعرهم بالذهب ، فيبيعون الجوهر الكريم بالنفود . ويصيرون أذلاء ، مهما كثر ما لهم ، وسما قدرم ، فقال : « إن الشعراء الضعفاء الذين يتهاونون على المادة قد أفسدوا بهاء الشعر ، لأن الشاعر فى هذه الحالة يبيع الجوهر الثمين بنفود قليلة ، وإن الشعراء المجيدين أسى من هدامها

(۱) قافیه سبجان که سخن برکشند گنج دو عالم بسخن درکشند

خاص کلیدی که در گنج راست زیر زبان مرد سخن سنج راست

آنکه ترازوی سخن سخته کرد بختورازا بسخن بخته کرد

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۴۱)

(۲) پرده راز بست که سخن پرور بست سایه از پرده پیغمبر بست

پیش وپس بست صف کبریا پس شعرا آمد وپیش آنبیا

(المرجع السابق ، ص ۴۲)

(۳) ای فلك از دست تو چون رسته اند این گره هائی که كمر بسته اند؟

كارشد از دست بانگشت پای این گره ازكار سخن واگشای

(المرجع السابق ، ص ۴۳)

يكن قدرهم في الدنيا ضائعاً^(١) .

نم نصح قائلنا : « مادام كلامك شهداً فلا تبعه رخيصاً ، ولا تلوثه بالذباب
وإذا لم يملوك فلا تأخذك ، ولو كان وفاء .. وإذا لم يتذرقوا شعرك ، فلا تقل
ولو كان دعاء .. »^(٢) .

وقرر أنه يميل إلى الإغراب والتعقيد في فن صناعة الشعر ، فقال : « الأفضل
أن تنظم شعراً لا يعجب إلا بعد تمن في الفهم ، حتى تصوغ كلاماً رائعاً سامياً ،
فإن إله الشعر يوحى إليك بصور جديدة ممتازة إذا لم تعجبك الصور الأولى العادية ،
فإذا حصلت على تحفة من النظم فلا تشبث بها ، بل ابحث عن أفضل منها مما
هو موجود في صدرك (المشرق بنور المعرفة) ، فإن كل من رفع علم السبق في
هذا الطريق ، قد سبق الشمس والقمر ، وسما عليهما »^(٣) .

وصرح بأنه فعل هذا ، فكان فنه الشعري ممتازاً ، واعتقد أنه أصاب
الهدف ، فاستحق أن يُسمّى غريباً في بابهِ ، لأن الشعر أصبح بفضلِه صناعة

(١) سيم کشانی که بزر مرده اند سکهٔ این سیم بزر برده اند
هرکه بزر سکهٔ چون روزداد سنگت سستد درشب افروزداد
لا جرم این قوم که دانا ترند زیر ترند ارچه بیلاترند
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٤٤)

(٢) چون سخنت شهد آرزان مکن شهد سخن را مگس افسان مکن
تاندهند مستان گر وفاست تانیوشند مگو گر دعاست
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) به که سخن دیر پسند آوری تا سخن از دست بلند آوری
هرچه در این پرده نشانت دهند گر نپسندی به از آنت دهند
سینه مکن گر گهر آری بدست بهتر از آنجوی که در سینه هست
هرکه علم بر سر این راه برد گوی ز خورشید و تک از ماه برد
(المرجع السابق ، ص ٤٥)

متقنة لا يفهم دقائقها إلا أصحاب الأذواق الرفيعة ، فسيما بالشعر عن أن يكون فهمه متيسراً لكل إنسان ، وجعل فنه قاصراً على الخاصة من الشعراء ، كالصومعة التي لا يدخلها إلا الخاصة من الزهاد ، مما تدببه في قوله : « أنا الذي أصبت في هذا النوع من الفن ، فأنا جديرٌ بالتقدير لأني غريب في بابي .. إن صومعة الشعر بُنيت بفضلي ، فتحرر فنه من درجته العادية ^(١) » .

ويمكننا بعد أن عرضنا رأى الشاعر نفسه في فنه الشعري أن نرسم الخطوط البارزة التي تحدد معالم هذا الفن ، وتوضح مزاياه ، ويمكن أن نحصيها فيما يلي :
أولاً : وضوح التفنن في صناعة الشعر ، بحيث يحس القارئ والدارس للشعر بأن الشاعر كالصانع الذي يشق في صناعته ، ويبذل في سبيل تجويدها جهداً كبيراً ، وعناء ظاهراً ، فلا يكتفى بالتعبير عما يريد من المعاني في قالب من النظم بل يزين هذا القالب بالنقوش البديعة ، والألوان الزاهية .

ولذلك امتلأ شعر نظامي بالحسنات اللفظية ، والفنون البديعية من ترصيع ، وتجنيس ، ومراعاة للنظير ، واستعمال قافيتين في البيت الواحد وماشابه ذلك ^(٢) . وكانت هذه القيود الكثيرة - التي قيد الشاعر - نفسه بها سبباً في جعل صناعة الشعر مهمة شاقة ، لعل أصدق تصوير لما قول الشاعر : « مزجت دم كبدي بالكلام ، فأججت نار الشعر بدم الكبد ^(٣) » .

(١) منكه درين شيوه مصيب آدمم ديديني أرزم كه غريب آدمم

شعر بمن صومعه بنياد شد شاعري از مصطبه آزاد شد

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٤٥)

(٢) لا أجد داعياً إلى إيراد شواهد لتوضيح هذه الميزة ، لأنها ظاهرة يمكن ملاحظتها بوضوح في الشواهد الكثيرة التي وردت في ثنايا هذا البحث .

(٣) خون جگر با سخن آميختم آتش ز آب جگر انكيختم

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٤٨)

ثانياً : الوصول إلى المعنى عن طريق للكنايات ، والاستعارات ، والتشبيهات المختلفة ؛ وقد صبح الشاعر شعره بهذه الألوان ، فكان المعنى المقصود يختفى خلفها ، حقيقة إنها ساعدت على توضيح المعنى ، وتجميله ، ولكنها كانت كثيراً ما تقضى عليه ، وتطمس معالمه ، فلا يبدو هدف الشاعر واضحاً محدداً .

ثالثاً : الإغراب والتعقيد ، ومحاولة تضمين الشعر ما عند الشاعر من ألوان الثقافات المختلفة ، والاعتماد عليها في صياغة تشبيهاته المتنوعة ؛ وهذه نتيجة طبيعية للإغراق في الصناعة ، مما جعل بعض الأبيات يحتمل أكثر من معنى ، ويمكن أن يفسر تفسيرات مختلفة .

وقد أوجدت هذه الظاهرة فكرة أن شعر نظامي صعب الفهم ، وهى فكرة شاعت بين الإيرانيين أنفسهم ، فقالوا إن شعره مملوء بالأخطاء الأسلوبية ، وعلاؤا ذلك بأن الشاعر كان من أهل آذربيجان الذين لم تكن لهجتهم الفارسية فصيحة فصاحة لهجة أهل خراسان ، وحجتهم على ذلك هى أن أهل آذربيجان كانوا يستعملون اللهجة البهلوية غير الفصيحة ، بينما كان أهل خراسان يستعملون اللهجة الدرية الفصيحة^(١) .

(١) يقول الإيرانيون إن اللهجة الدرية الفصيحة لم تنتشر في آذربيجان وما جاورها إلا منذ القرن السادس الهجرى ، ولم يكن أحد من الشعراء يتقنها حتى ذلك القرن إلا فلكى الشروانى ، بينما كان شعراء آذربيجان المشهورون فى القرن السادس من أمثال : جبر الدين البيلقانى ، وقطران ، والحاقانى ، ونظامى لا يتقنون هذه اللهجة الفصيحة ، مما جعل أسلوبهم معقداً وصياغتهم غير صحيحة .

ولا ندرى لماذا أتقن فلكى الشروانى وحده هذه اللهجة رغم أنه توفى فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى ، بينما توفى الشعراء المذكورون فى أواخر هذا القرن ، وأوائل القرن السابع الهجرى ١١٩
ومهما يكن من شئ ؛ فهذا هو رأى السائد عند الإيرانيين ، وقد بنوا عليه =

ومما لا يقبل جدلاً أن أهل اللغة أقدر من غيرهم ، على الحكم على لهجة الشاعر ، وأسلوبه ؛ ولكن الحكم في هذه القضية قد يتأثر بعوامل نفسية ، أو وطنية ، أو سياسية ، تتعلق بالدور الذي لعبته خراسان وما جاورها ، في إحياء القومية الإيرانية ، وتغذية الشعور بالعزة بهذه القومية ، وبالكرامة الوطنية بعد الافتتاح الإسلامي لإيران .

والشيء الذي يمكن أن نقرره هو أن هذه المميزات التي لاحظناها في فن نظامي يشترك في أهمها - وهو وضوح التفنن في صناعة الشعر - جميع الشعراء الذين عاشوا في القرنين السادس والسابع الهجريين ، سواء أكانوا من أهل آذربيجان أم خراسان أم غيرها من أجزاء إيران ، فيمكن ملاحظتها بسهولة في شعر شعراء إيران في تلك المدة ، فلم تكن من علامات شعراء آذربيجان دون غيرهم . وأغلب الظن أن الإغراب والتعقيد - لاهجة آذربيجان الپهلوية - هما السبب في صعوبة فهم شعر نظامي .

وقد وجدت هذه الفكرة عن شعره عند بعض الشعراء الذين عاشوا بعده ، وحاولوا تقليده كمبد الرحمن الجامي ، فقال في آخر شرحه لديوان نظامي . « بقيت خمسمائة - أو ألف - بيت لا يمكن تفسيرها ، ويجب أن نمسك بذيل نظامي يوم القيامة ، ونطلب منه هو نفسه أن يشرح لنا تلك الأبيات ^(١) » .

== دراساتهم ، فقررنا أن أعظم شعراء إيران حتى القرن السادس كانوا من أهل خراسان كالفرزدوسى الطوسى المتوفى في النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، والحيام النيشاپورى المتوفى في النصف الأول من القرن السادس . كما يبدو من مقالة عبد الحسين نوائى ، في مجلة يادكار ، شماره ششم وهفتم ، بهمن واسفند سنة ١٣٢٥ (هجرية شمسية) ، ص ٧١ .

والواقع أن هذه قضية تشبه إلى حد كبير ما نجده في الدراسات العربية من تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة ، وإثبات أن بعض القبائل العربية كان أفصح من البعض الآخر ، وهى تتأثر بدوافع كثيرة ليس هنا مجال شرحها .

(١) نظامي : مخزن الأسرار ، ص ١٨٦ . حيث ذكر دستگردى هذه العبارة =

ولعل السبب في الإغراب اعتماد الشاعر في صياغة استعاراته وتشبيهاته على ما يعرفه من العلوم المختلفة — كما ذكرنا — مما جعل الترجمة الحرفية لشعره لا تؤدي المعنى واضحاً مفهوماً . ونضرب مثلاً لذلك بقوله في مدح الرسول :

أحمد مرسل كه خرد خاك أوست هر دو جهان بسته فتراك أوست^(١)

فالترجمة الحرفية لهذا البيت هي : « أحمد المرسل الذي العقل^(٢) ترابه ، والعالمان في قبضة حزامه » .

والمعنى الذي قصده الشاعر لا يبدو واضحاً من هذه الترجمة ، لأنه يستعين في رسم هذه الصورة بما يعرفه من الفلسفة التي تقر وجود عالمين : عالم علوى أعلاه العقل المجرد أو اللطيف ، وعالم سفلى أسفله التراب . وعلى هذا الأساس الفلسفي يقول : إن العقل المجرد الذي هو أعلى ما في العالم العلوى إذا ما قيس بعلو قدر الرسول ، يُعدُّ في منزلة التراب الذي هو أسفل ما في العالم السفلى .

وهذا يظهر مكانة الرسول بصورة جلية ، ويدل على أنه أسمى من العالمين ويستقيم أنهما تحت نفوذه ، وفي قبضة يده ، أي أنه مرسل إليهما معاً ، وهو ما وضحته الشطر الثانية من هذا البيت^(٣) .

== التي قالها جامي ، ثم قال : « إننا لم نر هذه الشروح ، كما لم يبق لنا من شرح ميرعلشير نوائى لديوان نظامي غير الاسم ، في بعض كتب اللغة التي ألفت ونشرت في الهند » .

(١) نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٢١ .

(٢) تعبير « العقل ترابه » أي : « خرد خاك أوست » خطأ لم يجر عليه الاستعمال في اللغة الفارسية — كما قال لي بعض الأدباء الإيرانيين المعاصرين في أثناء إقامتي في طهران — ولكن المعنى الذي يهدف إليه الشاعر يعتمد على الفلسفة ، ولا يفهم من مجرد معاني الألفاظ ، والترجمة الحرفية لها .

(٣) حاول دستگردي أن يفسر هذا البيت فقال في الحاشية ، إن المعنى الذي يقصده الشاعر هو : « أن العقل مثل التراب حقير ، وتحت يده ، لأن العقل تحت يد الشرع » .

وأغلب الظن أن الشاعر لا يقصد هذا المعنى ، وإنما يعني عاذكرته .

وهناك أمثلة كثيرة تشبه هذا الميول ، فالمدارس لا ينبغي أن يقتصر على الترجمة الحرفية ، بل يجب أن يعيش في جو نظامي ، ويتمثل ثقافته ، ويستعين بها على فهم شعره فهماً صحيحاً دقيقاً .

* * *

وهذه هي أوضح المزايا التي امتاز بها فن نظامي الشعرى . وقد آمن هو بسمو هذا النوع من الفن ؛ فلم يكفر به ، ولم يتفكر له ، ولم يحاول أن يغيره ، بل سار عليه في كل ما نظمه من شعر ، مما جعل له شخصية واضحة موحدة . ورغم أننا عرضنا صوراً كثيرة من أشعار نظامي تمدُّ شواهد صادقة على فنه الشعرى ، إلا أنه لا بأس من عرض بعض صور أخرى تجسم هذا الفن تجسماً قوياً ملحوظاً .

الفصل الثاني

صور شعرية تجسم فن نظامي

١ - منظر الغروب :

صوّر نظامي منظر غروب الشمس ، فشبه الشمس بفارس ألقى درعه المستدير الذي أمسكه ليحمي به وجهه ، وبين أنها ألفت درعها في ذلك الوقت ، فكان هذا دليلاً على انهزامها وفرارها ، وأن اختفاءها من الميادين أدى إلى هزيمة الأرض بعد أن سقط درعها - وهو الشمس - في الماء ، فأصبح نفس الدنيا أضيق من نفس المحتضر ، فاصفر لونها لفرار الشمس ... مما نتينته في قوله فقال : « لما حان وقت الغروب ألفت الشمس درعها ، فألفت الأرض - بذلك - درعها في الماء ، فصار العالم أكثر ضيقاً من نفسها المحتضر ، وأوضح منها اصفراراً^(١) » .

ثم شرح كيف تم القضاء على الشمس ، فبين أنها لما انهزمت تحولت أشعتها إلى نحرها - وهي التي كانت سهامها التي تقاتل بها - فقتلتها ، فهي كالبقرة التي علقوا في رقبتها عقداً من العصف الحاد ، فقتلها هذا العقد حينما وقعت على الأرض ... فقال : « تحولت سهام الشمس إلى نحرها لقتلها بعد أن ألفت درعها ، كالبقرة التي علقوا في عنقها أصدافاً للزينة ، فصارت خناجر تقتلها حينما سقطت البقرة على الأرض^(٢) » .

(١) چون سپر انداختن آفتاب گشت زمین را سپرافکن بر آب
گشت جهان از نفس تنگ تر وز سپر او سپرک رنگ تر
(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٤٦-٤٧)

(٢) با سپر افکندن او اشکرش تیغ کشیدند بقصد سرش
گاوکه خر مهره بدو درکشند چونکه یفتند همه خنجر کشند
(المرجع السابق ، ص ٤٧)

ثم صَوَّرَ الليل الذي وُجِدَ بعد الغروب في صورة طفل مُدَلَّل ، شَدَّتْ
 المربية حلقة النهار - وهي الشمس - إلى رجله ، فتعثرت ، فسقط على الأرض ،
 وفقد الحلقة ، فحزن عليها ، ومرض من فرط الحزن والتفكير ، فاحتاج إلى دواء
 مُسَهِّل ، فصُنِعَ له من التراب ، فالتَهَمَ الليلُ الأرض ، فوجد في التراب شفاءً ،
 وأطفأ به حرارة مرضه ، فصار ليلاً صحيحاً معافى ، لأن الأرض استقرت في
 معدة الليل ، كما يستقر الدواء في معدة المريض ، مما يتضح من قوله : « لما تعلق طفل
 الليل بذراع المربية ، شَدَّتْ حلقة النهار إلى رجله ، فسقط ، ومرض من شدة
 الحزن والتفكير ، فصنعت له دواء مُسَهِّلاً من التراب ، فأحياء التراب ، وصار
 له كنفس المسيح ، فأطفأ الماء نار هواه ، ثم تفاعل الدواء مع المريض ، فعم
 الظلام جميع الأرجاء ^(١) » .

وبيَّن تأثير الدواء في الليل المريض ، فقال : « . (لما شرب الليل المريض
 الدواء) صب طاساً من الدم القاني ^(٢) ، فصار أسود اللون كالغراب ، وشمله
 السواد من أعلى رأسه إلى إخمص قدمه ، فصبغ القضاء بهذا اللون ، فحكّم
 القضاء بأنه من الكافرين ^(٣) » .

وهكذا نرى في صورة الغروب كثيراً من التشبيهات الغريبة المتنوعة

(١) طفل شب آهيخت چو درد دايه دست زنگله روز فراپاش بست
 آزبي سوداي شب انديشه ناك ساخته معجون مفرح زخاك
 خاك شده باد مسيحاى او آب زده آتش سوداي او
 شربت ورنجور بهم ساخته خانه سودا شده پرداخته
 (نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٧)

(٢) يصور الشاعر بهذا منظر الشفق الأحمر .

(٣) ريخته ورنجور يكي طاس خون گشته زسرتا قدم أنقاس كون
 رنگ دروني شده يرون نشين كفت قضا كان من الكافرين
 (نفس المرجع والصفحة)

المقعدة ، وهى تجسم فن نظامى الشعرى ، فإن الشاعر لم يصرح بالمعنى الذى يقصده مباشرة ، بل سلك هذا الطريق المعجيب ، فجعل المعنى مخفياً وراء التشبيهات والاستعارات والصناعات البديعية ، التى تجعل الدارس لا يستطيع أن يدرك هدف الشاعر إذا ترجم الأبيات ترجمة حرفية ، أو قرأها دون معرفة للموضوع الذى قيأت فيه .

* * *

٢ - صورة جنة الحقيقة :

صور نظامى « جنة الحقيقة » التى وصل إليها بعد خلوته الأولى ، فوصف ما فيها من أزهار جميلة مختلفة الأشكال والألوان ، وشبهها بتشبيهات متنوعة ، فشبّه السوسن حديث السن بلسان عيسى الذى كلم الناس فى المهد ، وشبه بياضه بيد موسى التى خرجت بيضاء من غير سوء ، فقال : « إن السوسن حديث السن الذى يشبه لسان عيسى ، قد منح للصباح بياضاً يشبه بياض كف موسى ^(١) » .

وصور تشابك أغصان الأشجار الجميلة بحيث تكون زرقاء اللون ، لأنه لا يرى منها إلا السماء بلونها الأزرق البديع ، فقال : « تشابكت أغصان الأشجار ذات الألوان الحمراء والصفراء فى الحديقة ، فكانت زرقاء زاهية ^(٢) » .

وبين كيف اخترق نور الصبح الأغصان فظهرت أشعته على أرض الحديقة ، وظهرت إلى جوارها ظلال الأغصان ، بينما تناثرت الأوراق كالدرهم ، فقال :

(١) سوسن يكروزه عيسى زبان داد به صبح از كف موسى نشان

(نظامى : مخزن الاسرار ، ص ٥٦)

(٢) زورق باغ از علم سرخ وزرد پنجره ها ساختن از لاجورد

(نفس المرحع والصفحة)

« نثرت الأغصان نور الفلك ، كما نثرت الأوراق كالدرام تحت أقدام الظلال ^(١) » .
 وصوّر منظر الشمس على حافة النهر ، فاستعار لها الشفتين ، واستعار للظل
 اللسان ، وعدّ صوت الماء تسبيحاً ، فقال : « تحدث الظل على شفة الشمس
 وانتعش الحصى بفضل تسبيح الماء الجارى ^(٢) » .

وشبه صفاء الماء بصفاء عيون الحور ، فقال : « وصار ماء النهر أكثر صفاء
 وبريقاً من عيون الحور ، ليسلب النور من عين الشمس ^(٣) » .

وصوّر الأعشاب النابتة بجوار الجدول في صورة مَنْ فرغ من الوضوء ،
 فوقف لشكر الله . فقال : « توضأت الأعشاب الخضراء من ماء الجدول ،
 فوقفت لتؤدى شكر الوضوء كما ينبغي ^(٤) » .

ثم بيّن كيف نشطت الطيور ، وانتعشت من رائحة الورد ، ففردت أعذب
 الألحان ، فقال : « وتنسّم الطير من الورد رائحة سليمان ، فغنى بنغمت داود ^(٥) » .
 وصوّر منظر الياسمين الأبيض في أثناء الليل للظلم في قوله : « أذهب ورق
 الياسمين الأبيض - الذى يشبه الصبح - ظلمة الليل تماماً ، فلما تبسم الصبح صار

(١) شاخ ز نور فلك انگیخته در قدم سایه درم ریخته

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٥٧)

(٢) سایه سخن کو بلب آفتاب زنده شده ریگ ز تسبیح آب

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) چشمه درفشنده تر از چشم حور تا برد از چشمه خورشید نور

(المرجع السابق ، ص ٥٨)

(٤) سبزه برآن چشمه وضوساخته شکر وضو کرده وپرداخته

(نفس المرجع والصفحة)

(٥) مرغ زگل بوی سلیمان شنید ناله داودی از آن برکشید

(نفس المرجع والصفحة)

— كيوسف — ذا حبل ذهبي ، لحفر بئراً في ذقن الياسمين^(١) .

ثم صور منظر الشروق في هذه الحديقة ، فقال : « وجد نور الصبح ميداناً فسيحاً ، وحرك نسيم العبا ظلال الأغصان ، فعضّ الظل شفة الشمس وصقّتْ النساءُ شعر الصفصاف ، فرقص الظل والنور معاً على حافة النهر^(٢) » .

وأكل الصورة بقوله : « فصار الشوك عوداً كما كان الهدف ، وصارت نيران الورد مجمرأً لذلك العود ، وأصبحت رقبة الورد منبراً للبلبل ، كما صارت ذوائب البنفسج حزاماً للورد ، فأصبحت أعذب ألحاناً من داود ، وصار الورد أبهى جمالا من شعر نظامي^(٣) » .

وهكذا صور الشاعر بعض مناظر « جنة الحقيقة » في أثناء الليل ، وفي وقت السحر ، وفي وقت الشروق ، فاعتمد على هذه التشبيهات العجيبة ، والاستعارات الغريبة ، فصاغها في صور متلاحقة ، متعددة الجوانب ، مختلفة الأضواء .

* * *

(١) ناخن سيمين سمن صبح فام برده ز شب ناخنه شب تمام
صبح که شد یوسف زرین رسن چاه کنان در زنج یاسمن
(نظامی : مخزن الاسرار ، ص ٥٩)

(٢) نور سحر یافته میدان فراخ سایه روی را بعبا داده شاخ
سایه گزیده لب خورشید را شانه زده باد سر ییدرا
سایه ونور از علم شاخسار رقص کنان بر طرف جویبار
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) عود شد آن خار که مقصود بود آتش گل مجمر آن عود بود
کردن گل منبر بلبل شده زلف بنفشه کمر گل شده
مرغ زداود خوش آواز تر گل ز نظامی شکر انداز تر
(نفس المرجع والصفحة)

٣ - وصف حفل ليلي :

وصف نظامي حفلاً ليلياً في خلوته الثانية تحت رعاية القلب ، وهو حفل تصويره خيال الشاعر حيناً أمعن في الخلوة ، فسكنت روحه الهائمة ، وخيّل إليه أنه وصل إلى الحقيقة ، فشر بالسعادة والسرور ، وأخذ يصف المجلس الذي تجلت فيه الحقائق ، فنصوره في صورة حفل ليلي ، ترفرف عليه ملائكة الرحمن ، وشبهه بالربيع ، فقال : « إنه حفل مزين كالربيع الجليل ، فيه طرب أعذب من نعيم الدهر ، تنتشر فيه رائحة البخور ، فتشرح قصة يوسف وقبسه ^(١) » .

ثم بين مدى سيطرة العشق على القلوب ، فقال : « وقد احترقت شمعة الكبد (من فرط الشوق) كما احترقت كبد الشمع ، واشتعلت نار القلب (أغلبة العشق) كما اشتعل قلب النار ^(٢) » .

وصور تأثير خمر الحب الإلهي ، فقال : « وتلاقت العيون والشفاه عقب شرب خمر العشق المنشط للقبل ، كما يمتزج السكر باللوز ، فسمدت العيون والشفاه ، وت عاشق الصبا والجمال ، فانفقا على موعد للقاء ، وعلت الابتسامة العذبة الشفاه ^(٣) » .

(١) مجلس افروخته چون نوبهار عشق آسوده تر از روزگار

آه بخور از نفس روزنش شرح ده يوسف وپراهنش

(نظامي : مخزن الأسرار . ص ٦٢)

(٢) شمع جگر چون جگر شمع سوخت آتش دل چون دل آتش فروخت

(المرجع السابق ، ص ٦٣)

(٣) از پی نقلان می بوسه خیز چشم ودهان شکر وبادام ریز

شکر وبادام بهم نکته ساز زهره و مریخ بهم عشق باز

وعده بدوازه گوش آمده خنده بدریوزه نوش آمده

(نفس المرجع والصفحة)

ثم صور ماساد الحفل من دلال العشاق ، فقال : « فأخذ الدلال يغلب على العشاق ، وبدأ الرقص ، فأشاع في الحفل السرور ، وصار الشمع كالساقى يحمل أقداح الشراب فوق أيديه ، فعمرت الحمر المجلس ، وسكر الفراش ، كما سكر النوم كالفرش ، وسجد الشمع شاكرًا .. وعزفت عازفةً فاتنةً لحناً جميلاً ، فسلب النوم من الرؤوس ، ومنح النور للشموع ، فوجد كل شخص ما تمناه طوال حياته ؛ من معشوق موافق في حفل رائع ، يبعث الصفاء من وقت إلى آخر ، فاثقلت القلوب والأرواح والأجسام ، حتى ليخيل إليك أنهم بعد أن تخلصوا من قيود الجسم ، قد تجردوا نهائياً من أعباء الدنيا الغانية ، فحينما رفرط طائر الطرب بجناحيه ، جاوز السرور الثريا ، وهرب طائر الليل ، وشوى طائر السحر بنيران العشق ، فأتاح شوازه قلوب الغائبات ، لأن الليل طال ، وتقيدت حركات الفلك ، فغطّ الصبح في نوم عميق ، فأصبح مجال الوصل واسعاً أمام العشاق ^(١) .

ووصف عيون المعشوقات وشفاهن ، فقال : « إن العيون خضراء ضيقة ،

(١) ناز گریبان کش ودامن کشان	آسقی از رقص جواهر فشان
شمع چو ساقی قدح می بدست	طشت می آلوده و پروانه مست
خواب چو پروانه پر انداخته	شمع بشکرانه سر انداخته
پردگی زهره در آن پرده چست	زخمه شکست بادای درست
خواب رباینده دماغ از دماغ	نورستانده چراغ از چراغ
آنچه همه عمر کسی یافته	هممنفی در نفسی یافته
نزل فرستنده زمان تا زمان	دل بدل وتن بتن وجان بجان
گفتی ازان حجره که پرداختند	رخت عدم در عدم انداختند
مرغ طرب نامه پیر باز بست	هفت پر مرغ ثریا شکست
آتش مرغ سحر از بازن	بر جگر خوش نمکان آب زن
مرغ گران خواب تر از صبحگاه	پای فلك بسته تر از دست ماه

(نظامی : غزن الاسرار ، ص ٦٤)

والشفاه حمراء ، فهي تشبه الفستق واللوز ، وقد أوجدت السحر الحلال في أثناء الليل ، وزار الخلال الأسود - كالهنود - الفتنة والجمال ، فصيرت كل غمزة من غمزات العيون ، وكل خال منها ، العالم كله بابل والهند ، فلما توالى النظرات الساحرة ، ذهب القلب لزيارة العين ، ليشاركها المنة ^(١) .

ثم صور تأثير سهام نظرات العيون العاشقة ، فقال : « وتهيات سهام العشق لإصابة العشاق ، فأصابت الهدف قبل أن تُرمى ؛ غير أن القلوب انتعشت بإصابتها ، فتحدثت ألسنة اللغات بالفاظ تشبه ماء الحياة ^(٢) » .

وعرض صوراً من هذا التأثير في قوله : « فأصبحت كل نظرة تحيي عالماً ، وصارت كل عين مسكنًا للأرواح . . . وأصبحت القبله سبباً في السكر كالخمر ، وصارت الشفاه تمنح الحياة كنفس المسيح . . . وأصبحت الغمزة معبرة لأن الفم كان قد تعب ، وصارت العين متحدثة لأن اللسان كان قد انعقد ^(٣) » .

(١) فندقه شكر وبادام تنگ سبز خط از پسته عناب رنگ
در شب خط ساخته سحر حلال بابل غمزه و هندوی خال
هر نفس از غمزه و خالی چنان گشته جهان بابل و هندوستان
چون نظری چند پسندیده رفت دل ب زیارتگری دیده رفت
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٦٥)

(٢) شست کرشمه چو کانداز شد تیر نینداخته بر کار شد
باد مسیح از نفس دل دمید آب حیات از دهن گل چکید
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) هر نظری جان جهانی شده هر مرثه بتخانه جانی شده

.....

بوسه چوی مایه افکندگی لب چو مسیحا نفس زندگی

.....

غمزه منادی که دهان خسته بود چشم سخن گو که زبان بسته بود
(المرجع السابق ، ٦٦)

وختم هذه الصورة بقوله : « فبقى العقل ذاهلاً في أثناء الحفل ، ونفذ صبره في النهاية ، غير أنه لم يجد ابتسامة يسخر بها مما يحدث أمامه ، ولم تكن عنده قدرة على التأوه والشكوى ، فصار الصبر في ذلك الحفل خافت الألمان ، لأن الفتنة غلبت ؛ فارتفعت نغماتها ، وأصبحت تشبه نغمات داود ، وتحكى قصة محمود وحديث إياز^(١) ، فأصبح شعر نظامي ينثر الجمال ، وصار وزداً للعشاق المتغزلين^(٢) » .

وهكذا عرض الشاعر مناظر الحفل في هذه الصور الفارقة في التشبيهات والاستعارات الغريبة ، مستعملاً فنوناً مختلفة من البديع ، وهي أهم ما امتاز به فنه الشعري ، ومالا حظناه في شعره بصورة عامة .

* * *

ونكتفي بهذه الصور الثلاث لتجسيم فن نظامي الشعري ؛ وقد اقتبسناها من منظومة « مخزن الأسرار » لترحج أنه ألزم نفسه باتباع هذا الفن الشعري منذ بداية نظمه ، فظهرت معالمه بصورة واضحة في منظومته الأولى .

* * *

ولست أميل إلى هذا اللون من الشعر الذي يعنى في الإغراب والتعقيد ، ويفرق في التفنن والتصنع .

(١) قصد الشاعر بمحمود ، السلطان محمود الغزنوي ، وقصة عشقه لإياز معروفة ذكرها الشعراء ، وتناقلتها كتب الأدب .

(٢) عقل در آن دایره سرمست ماند	عاقبت از صبر تهیدست ماند
در دهن از خنده که راهی نبود	طاقت را طاقت آهی نبود
صبر در آن پرده نواتنگ داشت	فته سرزیر در آهنگ داشت
یافته در نغمه داود ساز	قصه محمود وحديث إياز
شعر نظامی شکر افشان شده	ورد غزالان غزلخوان شده

(المرجع السابق ، ص ٦٦-٦٧)

ولذلك ؛ فإني لا أمتدح فن نظامى الشعرى . غير أن من الإنصاف أن أقرر أن هذه قضية يحكم فيها الذوق الأدبى فى القرن السادس الهجرى - الذى كان الشاعر يعيش فيه - لا الذوق الأدبى فى عصرنا هذا ؛ لأن الذوق يتغير بتغير المصور ، وبيننا وبين الشاعر قرون متطاولة لا بد أن الذوق الأدبى قد تغير فى أثنائها تغيراً كبيراً ؛ فن الإجحاف أن نحكم مقاييس الذوق الأدبى فى العصر الحديث فى شعر نُظِمَ فى القرن السادس ، وإنما يجب أن نفهمه بذوق ذلك القرن ، وأن نستهدى فى حكمنا برأى الناس فى عصره ، ومدى استساغتهم لشعره ، وإعجابهم به . ويبدو أن الناس أُعْجِبُوا بشعره ، فقدروه ، وحاولوا تقليده ، وإن كانت ظروف العصر القاسية ، لم تهيب له المزيد من تقدير الحكام ، والجزيل من عطايهم .

أما الشاعر نفسه ، فكان يعتقد أنه أصاب فى الميل إلى هذا الفن الشعرى ، مما جعله يزدهر وفخوراً بشعره ، وفنه .

خاتمة

أما بعد .. فإني أرجو أن تكون هذه الدراسة كافية لإعطاء صورة واضحة عن نظامى الكنجوى ، وعصره ، وبيئته ، وشعره .

وإن كان لابد من إصدار حكم على الشاعر ، فإنى أستطيع أن أقرر - بعد هذا القدر اليسير من الدراسة - أن نظامى كان ذا شخصية واضحة المعالم ، لها مقوماتها الخاصة بها .

فقد مال إلى العزلة رغم أن نفسه لم تعزف عن الاتصال بالناس .

وكان ذا دين وخلق ، فتمسك بدينه وخلقه بعد الاتصال بالحكام ، بل حاول أن يجعل من نفسه داعية من دعاة الفضيلة ، فظهرت شخصيته واضحة في كل ما نظم من شعر ، وأقحم آراءه الخاصة في أشعاره ، وهياً الجو المناسب لإظهارها ؛ مما جعل لمنظوماته نغبات واحدة مشتركة ، مهما اختلفت موضوعاتها . فنغمة حب العدل والوفاء ، وتجنب الظلم والجفاء قد ظهرت واضحة في كل منظوماته ، وحاول أن يصدرها على لسان أبطال قصصه ، وعن طريق أفعالهم ، فكل منهم يحب للعدل فيقره ، ويسعى إلى دفع الظلم ، وإبعاد شبحه .

ونغمة التنفى بالخلق القويم ، وطهارة الذيل ، ورعاية الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة لم ينقطع ترديدها في منظوماته ، وتصويرها في أقوال شخصيات القصص ، ونجسيمها في أفعالهم .

وكان الشاعر يحب التعمق ، وعدم أخذ الأشياء بظواهرها فحاول سبر الأغوار ، واستخراج المكنون ، وظهر ذلك بصورة جلية في تحليله للشخصيات ، وعرض الموضوعات من جوانب مختلفة .

وكان يعالج المسائل معالجة المنصف دون تعصب ، أو خضوع لموى معين ، فوضح هذا في شعره ؛ فلم يحاول - مثلاً - أن يثبت أن الإسكندر إرانى ،

أو يغفل ذكر تحطيمه لبيوت النار ، أو تمزيقه لكتابات الإيرانيين المقدس ، بل أورد كل شيء ، ولم يستنكف عن إثبات أن الإسكندر كان أفضل من « دارا » الإيراني ، لأنه كان عادلاً ، بينما كان « دارا » ظالماً فقتل بأيدى رجلين من رجاله .

وقد أثرت في الشاعر عاطفته الإسلامية - كرجل مسلم سني متدين - فطفت على ماعداها من عواطف ، وغلبت على عاطفته الوطنية الخاصة ، فحملته ينظر إلى الأشياء من وجهة النظر الإسلامية العامة الواسعة ، وصبغت شعره بصبغة دينية واضحة ، فصار أداة لخدمة الإنسانية والفضيلة .

وكانت شخصية نظامي كشاعر واضحة تمام الوضوح ، فلم يكن شاعراً مقلداً .

فقد نظم قصصاً لأول مرة ، مثل « ليلي ومجنون » ، كما كانت قصصه الأخرى - « خسرو وشيرين » و « هفت بيكر » و « إسكندرنامه » - طريقة في الصور التي صورها هو ، لأنه أدخل فيها عناصر جديدة لم يسبقه شاعر إليها ، وبدأت منظومته « مخزن الأسرار » دقيقة الترتيب ، جديدة الأسلوب .

وكان من السابقين إلى نظم القصص بهذه الطريقة في الشعر الفارسي في القرن السادس الهجري ، كما كان أول من نظم خمس منظومات ترددت فيها نغمات متحدة .

وكان ذا شخصية واضحة في فن صناعة الشعر ، فقد مال إلى لون من الفن ، ففضله والتزمه ، وقيد نفسه بمنهج شعري ، فسار عليه ، ولم يفارقه ، وآمن بصحته وسلامته ، فحرص عليه ، وحاول أن يثبت إتباعه له في كل منظومة من منظوماته ، مهما تكلف من عناء ، ووجد في ذلك لذة ، فأخذ نفسه بكثير من القيود في نظم الشعر ، معتقداً أنها ترفع قدر شعره ، وتزيده روعة وجمالاً .

وهكذا كان لنظامي طابع مميز ، وشخصية موحدة واضحة . مما جعله صاحب

مدرسة شعرية خرّجت كثيراً من الشعراء حاولوا أن يقلّدوه ، وأن يصبحوا أصحاب خمس منظومات مثله ، فكان بذلك إماماً من أئمة الشعر الفارسي ، وصار من شعراء الفارسية القليلين الذين قُلدّوا كثيراً ، وهذه منزلة اعترف بها الشعراء أنفسهم ، وقررها كثير من شعراء الفارسية والتركية .

ولذلك ؛ لا أعد نفسي مبالغاً إذا قررتُ أن نظامي هو إمام « فن المتنوي » وهو فن من أهم فنون الشعر الفارسي ؛ ولعل هذا الحكم قريب من الصدق والصحة بعد هذا القدر من الدراسة التي شملت الشاعر وشعره .

وليس معنى هذا أن نظامي كان أنبع شعراء الفارسية ، وإنما معناه أنه من شعراء الصف الأول ، فهو جدير بالدرس ، وبأن يوضع في مكانه اللائق بين شعراء هذه اللغة .

ولا أزمهم كذلك - أن هذا البحث يُعدّ نهائياً في موضوع نظامي ، لأن هذا الموضوع أوسع وأعمق من أن يستنفده بحث كهذا .

وإنما قصدت أن أضيف حلقة جديدة إلى سلسلة الأبحاث المتصلة بالشاعر ، وأن أجعله نواة أساساً لأبحاث أكثر عمقاً وتفصيلاً ، تتناول كل منظومة من منظومات الشاعر بدراسة مستقلة مفصلة مقارنة مع ترجمتها إلى اللغة العربية ، كما تتناول ديوانه الذي ضاعت منه أجزاء كثيرة ، فتجمع ما شئت منه في الكتب والمكتبات المختلفة . ثم تتناوله - مجوعاً منقحاً - بالنشر والدرس والترجمة .

وإن أبحاثاً كهذه لتحتاج إلى سنوات لا يلم عددها إلا الله ، ولكنها ليست عزيزة المنال ، إذا صح العزم ، وأفسح الله في العمر ، وحالفها التوفيق ؛ والله أسأل أن يوفق للصواب .. إنه على ما يشاء قدير .

ثبت بأسماء المراجع^(١)

١- المراجع التي كتبت باللغات الشرقية

١- المراجع الفارسية :

١- ابن البيبي : (يحيى بن محمد المعروف بابن البيبي) مختصر سلجوقنامه ،

نشر هوتسما Houtsma ، طبع ليدن ، ١٩٠٢ م .

٢- ابن الشبانكارى : (محمد بن على بن شيخ محمد بن حسن بن أبى بكر الشبانكارى)

١- مجمع الأنساب (المختصر) نسخة خطية بمكتبة سعيد نفيسى

الخاصة بطهران ، تحت رقم ٣٧٦٨ .

٣- ب- مجمع الأنساب (النسخة الموسعة) مخطوطة بمكتبة سلطان

القرائى الخاصة بطهران ، كُتِبَتْ فى عام ١٣٥٠ هـ .

٤- ابن النظام الحسبى : (الوزير محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام الحسبى)

العراضة فى الحكاية السلجوقية ، نشر كارل زوسهايم

K. Susheim ، طبع ليدن ، ١٩٠٢ م .

٥- ابن يوسف شيرازى : فهرست كتابخانه مدرسه على سبسالار

جلد دوم ، طبع طهران ، ١٣١٦-١٣١٨ هـ^(٢) . ش

٦- » » » : فهرست كتابخانه مجلس شورى على ، جلد سوم ،

طبع طهران ، ١٣١٨-١٣٢١ هـ . ش

(١) سأذكر هنا المراجع التي ورد ذكرها فى ثنايا البحث ، وهى التى اعتمدت

عليها فى كتابته .

(٢) هـ . ش . رمز للتقويم الهجرى الشمسى المستعمل فى إيران ، وتبدأ السنة

الهجرية الشمسية فى يوم ٢١ مارس من كل سنة ، وعدد أيامها ٣٦٥ يوم إذا كانت

بسيطة و ٣٦٦ يوم إذا كانت كبيسة ، ولذلك فإن سنة ١٣٧٣ هـ . قمرية تقابل

١٣٣٢ هـ . شمسية .

٧ - أبو عمر الجوزجاني : (أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني)

طبقات ناصري ، نشر وتصحيح وليم ناسوليس Nassau Lees

ومولوى خادم حسين ، ومولوى عبدالحى ، طبع كلكته ١٨٦٣ م .

٨ - أبو المعالى محمد الحسينى العلوى : بيان الأديان در شرح أديان ومذاهب جاهلى

وإسلامى (مؤلف فى سنة ٤٥٨ هـ) تصحيح عباس إقبال .

طبع طهران ، ١٣١٢ هـ . ش .

٩ - إسكندر بيك تركمانى منشى : تاريخ عالم آراى عباسى ، طبع طهران ،

١٣١٤ هـ .

١٠ - إسكندرنامه النثرية الخطية : نسخة وحيدة ، كتبت فى القرن السادس

المجرى ، توجد بمكتبة سعيد نفيسى الخاصة بطهران تحت رقم

١٣٠٦ .

١١ - اسكندرنامه النثرية المنشورة ، تنسب إلى العصر القاجارى ونشرت

فى القرن الماضى بطهران .

١٢ - إصفهانى : (محمد صادق بن محمد صالح آزادانى إصفهانى) شاهد

صادق (مؤلف فى الهند فى سنة ١٠٥٦ هـ) نسخة خطية بمكتبة

مجلس النواب (مجلس شوراى ملى) بطهران ، تم نسخها فى

عام ١٣١٤ هـ .

١٣ - أفضل الدين الكرمانى : (أبو حامد أحمد بن حامد الكرمانى)

١ - عقد العلى الموقف الأعلى (مؤلف فى سنة ٦٨٤ هـ) نشر على

محمد نائينى ، طبع طهران ، ١٣١١ هـ . ش .

١٤ - ب - تاريخ أفضل يا بدايع الزمان فى وقائع كرمان ، جمع ونشر

مهدى بيانى - دكتور - طبع طهران ، ١٣٢٦ هـ . ش .

١٥ - أميرخواند البلخى : (محمد بن خاوند شاه بن محمود) روضة الصفا ،

الجزء الرابع ، طبع طهران ، ١٢٧٠ هـ .

- ١٦ - أميرشیر علی خان لودی : مرآة الخیال ، طبع بمبای ، ١٣٢٤ هـ .
- ١٧ - أمير یحیی حسینی قزوینی : لب التواریخ ، نسخة خطیة بمکتبة ملک الخاصة بطهران ، کتبت فی عام ٩٧٨ هـ .
- ١٨ - أمين رازی : هفت اقلیم ، نسخة خطیة بمکتبة ملک الخاصة بطهران ، تم نسخها فی عام ١١٠٨ هـ .
- ١٩ - البناکتی : (فخر الدین أبو سلیمان البناکتی) روضة أولى الأبواب فی تاریخ الأکابر والأنساب ، القسم الرابع ، نسخة خطیة بمکتبة ملک الخاصة بطهران .
- ٢٠ - بهار : (محمد تقی بهار ملک الشعراء) سبک شناسی ، ج ٢ ، طبع طهران ، ١٣٢١ هـ . ش .
- ٢١ - البیضاوی : (قاضی ناصر الدین عبد الله بن عمر) نظام التواریخ ، نشر وتصحیح بهمن کریمی ، طبع طهران ، ١٣١٣ هـ . ش
- ٢٢ - تبریزی : (میرزا راضی تبریزی) زینة التواریخ ، نسخة خطیة بمکتبة ملک بطهران .
- ٢٣ - تربیت : (محمد علی تربیت) دانشمندان آذر بیجان ، طبع طهران ، ١٣١٤ هـ . ش .
- ٢٤ - جامی : (عبد الرحمن الجامی) بهارستان ، طبع طهران ١٣١١ هـ . ش .
- ٢٥ - نفس المؤلف : نفحات الأس ، طبع لکهنو ، ١٣٣٣ - ١٩١٥ م .
- ٢٦ - جان ریپکا : چند غزل تازه از نظامی کنجوی ، طبع طهران ، ١٣١٤ هـ . شمسی - ١٩٣٥ م .
- ٢٧ - الجوبینی : (علاء الدین عطا ملک الجوبینی) جهان کشای ، ج ٢ ، نشر وتصحیح محمد بن عبد الوهاب القزوینی ، طبع ایدن ، ١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م .

- ٢٨ - حاجي خليفة : (مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة ، و بكانب چلبى)
تقويم التواريخ ، نسخة خطية بمكتبة ملك بطهران ، تم نسخها
في عام ١٠٥٨ هـ ، وخاتمتها بخط المؤلف نفسه .
- ٢٩ - حافظ ابرو : (خواجه نور الدين لطف الله) زبدة التواريخ ، نسخة
خطية بمكتبة ملك بطهران .
- ٣٠ - نفس المؤلف : مجمع التواريخ ، جلد سوم ، نسخة خطية بالمكتبة
الأهلية (كتابخانه ملي) بطهران ، تحت رقم ١٥٧٨ .
- ٣١ - حسين بايقرا : (أمير كمال الدين حسين بن شهاب الدين) مجالس
العشاق ، طبع لسكهنو ، ١٣١٤ هـ - ١٨٩٧ م .
- ٣٢ - حكمت : (على أصغر) رومثو وجوليت با مقايسه باليلي ومجنون
نظامي ، طبع طهران ، ١٣١٧ هـ . شمسى .
- ٣٣ - حمد الله مستوفى قزويني : (حمد الله بن أبى بكر بن أحمد بن نصر
المستوفى القزويني) تاريخ كزیده ، جلد أول (مؤلف في سنة
٧٣٠ هـ) نشر وتحقيق براون ، طبع ليدن ، ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م
- ٣٤ - نفس المؤلف : نزهت القلوب (مؤلف في سنة ٧٤٥ هـ) طبع بمباي ١٣١١ هـ
- ٣٥ - خواندامير : (غياث الدين بن همام الدين) خلاصة الأخبار في بيان
أحوال الأخيار ، مقاله هشتم ، نسخة خطية بمكتبة سلطان القرأى
الخاصة بطهران ، تم نسخها في عام ١٠٣٣ هـ .
- ٣٦ - نفس المؤلف : حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، نشر محمد حسين
كاشانى ، طبع بمباي ، ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٨ م .
- ٣٧ - نفس المؤلف : دستور الوزراء ، تصحيح سعيد نفيسى ، طبع طهران ،
١٣١٧ هـ . ش .
- ٣٨ - دنبل : (عبدالرزاق بيك نجفقل خان بن شهباز خان دنبلى خوى تبريزى)

تذكرة تجربة الأحرار وتسليية الأبرار ، نسخة خطية بمكتبة
سلطان القرائى الخاصة بطهران .

٣٩ - دولتشاه : (أمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيارشاه الغازى السمرقندى)
تذكرة الشعراء ، تصحيح ونشر براون ، طبع ليدن ،
١٩٠٠ - ١٣١٨ م .

٤٠ - الرازى : (شمس الدين محمد بن قيس الرازى) المعجم فى معايير أشعار
المعجم ، تصحيح محمد عبد الوهاب القزوينى ، طبع طهران ،
١٣١٤ . ش .

٤١ - الراوندى : (محمد بن على بن سليمان الراوندى) راحة الصدور وآية
السرور ، نشر وتصحيح محمد إقبال ، طبع ليدن ١٩٢١ م .
٤٢ - رشيد الدين فضل : جامع التواريخ ، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية
(كتابخانه ملي) بطهران تحت رقم ٨٦٩ .

٤٣ - رضا قليخان هدايت : مجمع الفصحاء ، طبع طهران ، ١٣٩٢ هـ .
٤٤ - نفس المؤلف رياض العارفين ، طبع طهران ، ١٣٠٥ هـ . ش .
٤٥ - زركوب شيرازى : (أبو عبدالله أحمد بن أبى الخير) شيرازنامه (مؤلف
فى القرن الثامن الهجرى) بتصحيح وإتمام بهمن كرى ، طبع
طهران ، ١٣٥٠ - ١٣١٠ هـ . ش .

٤٦ - زين العابدين شروانى : بستان السياحة ، طبع طهران ، ١٣١٥ هـ .
٤٧ - سنائى : (أبو المجد مجدود بن آدم السنائى الغزنوى) حديقة الحقائق ،
طبع بمباى ، ١٨٥٩ م .

٤٨ - شبلى نعمانى : شعر المعجم ، جلد أول ، طبع طهران ، ١٣١٦ هـ . ش .
جلد چهارم ، طبع طهران ، ١٣١٤ هـ . ش . ترجمه سيد محمد
تقى فخر داعى كيلانى .

٦٠ - مجله مهر ، سال سوم ، شهر يورماه ١٣١٤ ، شماره ٤ ؛ سال پنجم ، مرداد ماه ١٣١٦ هـ . ش .

٦١ - مجله يادگار ، سال سوم ، شماره ششم وهفتم ، بهمن واسفندماه ١٣٢٥ هـ . ش .

٦٢ - مجل القصص والتواريخ : (مجهول المؤلف ، يبدو أنه أُلّف في النصف الأول من القرن السادس الهجرى) تصحيح ملك الشعراء محمد تقى بهار ، طبع طهران ١٣١٨ هـ . ش .

٦٣ - محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ، نشر هوتسما . Houtsma . طبع ليدن ١٨٨٦ .

٦٤ - محمد صوفى : تذكرة بتخانه (وهى نسمى جواهر المنظومات ، وقد أُلّفَت في عام ١٠١٠ هـ) نسخة حظية بمكتبة مجلس النواب (كتابخانه مجلس شوراى) ملى بطهران) تم نسخها في عام ١٢٤٠ هـ .

٦٥ - معصوم على شاه نعمة اللهى . طرائق الحقائق ، طبع طهران ، ١٣١٩ هـ .

٦٦ - مولوى أغا على أحمد على : هفت آسمان ، طبع كلكته ، ١٨٧٣ م .

٦٧ - مير تقى كاشى : خلاصة الأفكار وزبدة الأخبار ، نسخة خطية بمكتبة سعيد نفيسى الخاصة بطهران ، تحت رقم ٩٨٦

٦٨ - مير حسينى سنبلى : تذكرة حسينى ، طبع لسكرهنو ، ١٢٩٢ هـ .

٦٩ - مير عليشير نوائى : مجالس النفائس (مؤلف بالتركية الجفطائية) ترجمة حكيم شاه محمد قزوينى ، نشر وتصحيح على أصغر حكمت ، طبع طهران ، ١٣٢٣ هـ . ش .

٧٠ - ناصر الدين شاه قاجار : سفرنامه بفرنگستان ، طبع بمباى ، ١٨٧٦ م .

٧١ - نظامى عروضى سمرقندى . (أحمد بن عمر بن على النظامى المروضى السمرقندى) چهار مقاله (يبدو أنه مؤلف في سنة ٥٥٠ هـ)

بسمی واهتمام محمد عبد الوهاب قزوینی ، طبع لیدن ،

۱۳۲۷ هـ - ۱۹۰۹ م .

۷۲ - نظامی گنجوی : (نظام الدین أبو محمد الیاس بن یوسف بن زکی بن

مؤید الکنجوی) مخزن الأسرار ، نشر وتصحیح حسن

وحید دستگردی ، طبع طهران ۱۳۱۳ هـ . ش .

۷۳ - نفس المؤلف : خسرو شیرین ، نشر وتصحیح وحید دستگردی ، طبع

طهران ، ۱۳۱۳ هـ . ش .

۷۴ - نفس المؤلف : لیلی و مجنون ، نشر وتصحیح وحید دستگردی ، طبع

طهران ، ۱۳۱۳ هـ . ش .

۷۵ - نفس المؤلف : هفت پیکر ، نشر وتصحیح وحید دستگردی ، طبع

طهران ۱۳۱۵ هـ . ش .

۷۶ - نفس المؤلف : هفت پیکر ، نشر وتصحیح ریتر و ریپکا ، طبع استانبول

۱۹۳۳ م .

۷۷ - نفس المؤلف : شرفنامه ، نشر وتصحیح وحید دستگردی ، طبع

طهران ، ۱۳۱۶ هـ . ش .

۷۸ - نفس المؤلف : خردنامه و اقبالنامه ، نشر وتصحیح وحید دستگردی ،

طبع طهران ، ۱۳۱۷ هـ . ش .

۷۹ - نفس المؤلف : خمسة نظامی ، طبع کلکته ، ۱۲۶۵ هـ .

۸۰ - نفس المؤلف : خمسة نظامی ، طبع طهران ، ۱۳۱۶ هـ .

۸۱ - نفس المؤلف : خمسة نظامی ، نسخة خطیة بدار الکتب المصریة ،

تحت رقم ۱۲۰ أدب فارسی .

۸۲ - نفس المؤلف : دیوان نظامی ، نسخة خطیة بدار الکتب المصریة ،

تحت رقم ۱۶۸ م ، ضمن مجموعة منتخبات .

٨٣ - الميجورى الفزنوى : كشف المحجوب ، نشر جوكوفسكى ، طبع

لننجراد ، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م .

٨٤ - والله داغستانى : (عليقى خان) رياض الشعراء نسخة خطية بمكتبة

ملك الخاصة بطهران ، (مؤلف فى عام ١١٦٩هـ) ، كتبت فى

١٣٠١هـ .

٨٥ - وحيد دستگردى : مقدمته لديوان نظامى الذى سماه كنجينه كنجوى ،

طبع طهران ، ١٣١٨هـ . ش .

٨٦ - نفس المؤلف : هزار اندرز حكيم نظامى ، طبع طهران ، ١٣٢٠هـ . ش .

* * *

ب - المراجع العربية :

٨٧ - ابن الأثير : (على بن أحمد بن أبى الكرم) السكامل فى التاريخ ،

ج ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، طبع تورنبيرج ، ١٨٥١م .

٨٨ - ابن بطوطة : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى

ثم الطنجى) رحلة ابن بطوطة المسماة « تحفة النظار فى غرائب

الأمصار وعجائب الأسفار » طبع القاهرة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م .

٨٩ - ابن جرير الطبرى : (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى) تاريخ

الأمم والملوك ، ج ٢ ، طبع مصر .

٩٠ - ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى) الفصل فى

الملل والأهواء والنحل ، ج ٣ ، طبع مصر ١٣٢٠هـ . ج ٤ ،

٥ ، طبع مصر ١٣٢١هـ .

٩١ - ابن خرداذبه : (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خرداذبه)

المسالك والممالك ، طبع ليدن ، ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م .

- ٩٢ - ابن العبري: (غريغور يوس أبو الفرج بن اهرن الطليبيب الملقب بالمعرف بابن العبري) تاريخ مختصر الدول ، طبع بيروت ، ١٨٩٠ م .
- ٩٣ - ابن العماد : (أبو الفلاح بن العماد الحنبلي) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ٥ ، طبع مصر ، ١٣٥٠ هـ .
- ٩٤ - ابن الفقيه الهمداني : (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني) مختصر كتاب البلدان ، طبع ليدن ، ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٥ م .
- ٩٥ - ابن قتيبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم) الشعر والشعراء ، طبع ليدن ، ١٨١٠ م .
- ٩٦ - ابن نباته : (جمال الدين محمد بن محمد بن نباته المصري) شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، طبع مصر ١٣٢١ هـ .
- ٩٧ - ابن الوردي : (زين الدين عمر بن الوردي) تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، طبع مصر .
- ٩٨ - أبو الفدا : (الملك المؤيد اسماعيل أبو الفدا صاحب حماة) تاريخ أبي الفدا المسمى « المختصر في أخبار البشر » طبع استانبول ، ١٢٨٦ م .
- ٩٩ - أبو الفرج الإصهاني : (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد) الأغاني ، ج ١ ، ٢ ، طبع مصر ، ١٣٢٣ هـ .
- ١٠٠ - أبو معشر الفلاسكي الباهلي : كتاب الألوף والأدوار ، نسخة خطية بمكتبة مجلس النواب (مجلس شوراى ملى) بطهران ، تم نسخها في عام ١١٣٥ هـ .
- ١٠١ - أحمد أمين وزكى نجيب : قصة الأدب في العالم ، ج ١ ، طبع مصر ، ١٩٤٣ م .
- ١٠٢ - أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، طبع مصر ، ١٩٤٠ م .
- ١٠٣ - الاصطخرى : (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى

- المعروف بالكركخي) مسالك الممالك ، طبع ليدن ، ١٨٧٠ م .
- ١٠٤ - أقبرزك الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ج ٧ ، طبع طهران ، ١٣٢٩ هـ .
- ١٠٥ - الأنطاكي : (داود الأنطاكي المعروف بالأكده) تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ، طبع مصر ، ١٣١٩ هـ .
- ١٠٦ - البغدادي : (عبد القادر بن عمر) خزانة الأدب ولب أبواب لسان العرب ، ج ٢ ، طبع مصر ، ١٢٩٩ هـ .
- ١٠٧ - البنداري : (الفتاح بن علي بن محمد البنداري الإصفهاني) . ترجمة الشاهنامه للفردوسي ، نشر عبد الوهاب عزام ، ج ٢ ، طبع مصر ، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .
- ١٠٨ - نفس المؤلف : مختصر توارينخ آل سلجوق ، نشر هوتسما Houtsma ، طبع ليدن ، ١٨٨٩ م .
- ١٠٩ - البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج ١ ، طبع ليبرييج ، ١٨٤٦ م .
- ١١٠ - الثعالبي : (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، طبع باريس ، ١٩٠٠ م .
- ١١١ - الجنابي : (أبو محمد بن الأمير حسن الحسيني الملقب بالجنابي) تاريخ الجنابي المسمى « تحفة الأدب وهدية الأريب » نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران .
- ١١٢ - جنيد الشيرازي : (معين الدين أبو القاسم) شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار (مؤلف في عام ٧٩١ هـ) نشر وتصحيح محمد عبد الوهاب القزويني وعباس إقبال ، طبع طهران ، ١٣٢٨ هـ . ش .
- ١١٣ - حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، نشر

وتعليق محمد شرف الدين يالتاايا ورفعت بيكه الكليسي ،

المجلد الأول ، طبع استانبول ، ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ ؛ والمجلد

الثاني ، طبع استانبول ، ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م .

١١٤ - الحافظ الذهبي : (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي) تاريخ

الإسلام الذهبي ، طبع حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٧ هـ .

١١٥ - الحسيني : (صدر الدين أبو الحسن علي السيد الإمام الشهيد أبو

الفوارس ناصر بن علي الحسيني) أخبار الدولة السلجوقية ،

نشر وتصحيح محمد إقبال ، طبع لاهور ، ١٩٣٣ هـ .

١١٦ - السمعاني : (أبو سعيد عبد الكريم بن أبي بكر محمد السمعاني

المروزي) كتاب الأنساب ، نشر مارجليوث Margoliouth ،

طبع ليدن ، ١٩١٢ م .

١١٧ - الشهاب : (أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة الملقب بشهاب الدين

الخفاجي المصري) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة

بـ « عناية القاضي وكفاية الرازي » ج ٦ ، طبع مصر ١٢٨٣ هـ .

١١٨ - الشهرستاني : (محمد بن عبد الكريم) الملل والنحل ، طبع

ليزيج ، ١٩٢٣ م .

١١٩ - طه حسين : (دكتور) حديث الأرباء ، ج ٢ ، طبع مصر ، ١٩٢٦ م .

١٢٠ - عبد الله بن حسين المصري : تاريخ الفلاسفة اليونانيين (مترجم

عن الفرنسية) طبع مصر ، ١٩٠٤ م .

١٢١ - الفزالي : (حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الفزالي الطوسي)

تهافت الفلاسفة ، طبع بمباي ، ١٠٣٤ هـ .

١٢٢ - الفخر الرازي : (الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء

الدين عمر المشتهر بخطيب الري) ، ج ٥ ، ط مصر ، ١٣٠٨ هـ .

- ١٢٣ - القرآن الكريم .
- ١٢٤ - القرطبي : (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، طبع القاهرة ، ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م .
- ١٢٥ - القزويني : (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) آثار البلاد وأخبار العباد ، نشر فردناند وستنفلد F. Wustenfeld ، طبع جوتنبجن ، ١٩٤٨ م .
- ١٢٦ - القفطي : (الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، طبع مصر ، ١٣٢٦ هـ .
- ١٢٧ - قيس بن الملوح مجنون بنى عامر : الديوان ، جمع أبي بكر الوالي ، طبع بمباي ، ١٣١٠ هـ .
- ١٢٨ - محمد باقر الإصفهاني : روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ١ طبع طهران ، ١٣٠٦ هـ .
- ١٢٩ - المسعودي : (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الحسيفي الشافعي) التنبية والإشراف ، طبع ليدن ، ١٨٩٣ م .
- ١٣٠ - المقدسي : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع ليدن ، ١٩٠٦ م .
- ١٣١ - ياقوت الحموي : (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي البغدادي) معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان ، ج ٣ ، ٤ ، طبع مصر ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م .
- ١٣٢ - اليعقوبي : (أحمد بن يعقوب بن أبي واضح) كتاب البلدان ؛ وهو

مطبوع مع المجلد السابع من كتاب الأعلام النفسية ، تصنيف
أبي علي أحمد بن عمر بن رسته ، طبع ايدن ١٨٩٢ م .

* * *

ج - بالتركية :

١٣٣ - شمس الدين سامي : قاموس الأعلام ، طبع استانبول ، ١٣١٦ .

M. A. Koymen : Buyuk Selcuklu Imparatorlugu — ١٣٤
Ogus Istilasi dil ve Tarih-Gografya, Fakultesi dergisis
cilt v Sayes den ayribasia (extrait:tome v. No. 5)

* * *

٢ - المراجع التي كُتِبَتْ باللغات الأوروبية

١ - المراجع الانجليزية :

E. G. Browne : a) A Literary History of Persia, — ١٣٥
vol. II Cambridge, 1928.

b) A Catalogue of Persian Manuscripts in — ١٣٦
the Library of the University of cambridge, 1896.

Bulletin of the School of Oriental Studies, London — ١٣٧
Institution, London, 1924.

Bulletin of the School of Oriental and African — ١٣٨
Studies, vol. XII, part, 2, 1948.

G. H. Darab: Makhzanol Asrar of Nizami of Ganjeh — ١٣٩
translated for the first time from the Persian with an
introductory essay of the life and times of Nizami,
London, 1945.

M. S. Dimand: A Handbook of Mohammadan Art; — ١٤٠
New york, 1947.

The Encyclopaedia of Islam, vol. 2, Articles: Gandja — ١٤١
Maragha; vol. III Art. Nizami.

- H. Etbe: Catalogue of Persian Manuscripts in the — ١٤٢
Library of the India Office, Oxford, 1903.
- Hadi Hassan: Falaki-i- Shirwani; His times, life, — ١٤٣
and works; part 2, London, 1929.
- Jackson and Yohannan : A Catalogue of Persian — ١٤٤
Manuscripts (Cochran Collection) New york, 1914.
- Lane - Poole : a) Mohammadan Dynasties, London, — ١٤٥
1894; Paris, 1925.
- b) Catalogue of Arabic Coins at Cairo, — ١٤٦
London, 1897.
- G. Le Strange: The Lands of the Eastern Caliphate — ١٤٧
Cambridge, 1930.
- Mawlawi Abdel Muqtadir: Catalogue of the Arabic — ١٤٨
and Persian Manuscripts in the Oriental Public Library
at Bankipore, Calcutta, 1908.
- Mohammad Wahid Mirza : The life and works of — ١٤٩
Amir Khusrau, Calcutta, 1935.
- Sir Percy Sykes : A History of Persia, vol. II, — ١٥٠
London, 1930.
- Radawi and Saheb: Catalogue of the Persian Manu- — ١٥١
scripts in the Buhar Library.
- C. Rieu; a) Catalogue of the Persian Manuscripts — ١٥٢
in the British Museum, vol. II.
- b) Supplement to the Cat. of the Persian — ١٥٣
MSS. in the Brit. Mus. London, 1895.
- A. Sprenger ; Arabic, Persian, and Hindustany — ١٥٤
Manuscripts in the Library of King of Oudh, Calcutta,
1854.

ب - المراجع الروسية :

Bakikhanow ; Golistan Eram, Bakou, 1926. — ١٥٥

I. E. Berthels ; a) Beliki Azerbaidjankii Poet — ١٥٦

Nizami, Bakou, 1940.

b) Uchierk istorii Percidckoi Literaturii, — ١٥٧
Leningrad, 1926.

I. P. Cheblkin ; Pamiatniki Azerbiadjanskovo ١٥٨
Zodchestva epochi Nizami, Bakou, 1943.

Izvestia Azerbaidjanskovo Archeologiskovo Komi- — ١٥٩
tetia, Burisk Pervoie, Bakou, 1925.

V. L. Jordlevsky ; Gocudarstvo Celgukidov Manoi — ١٦٠
Azie, Moskow, 1941.

Iobilienu Komitet Nizami, Pri Asocr. Soioz Sovie- — ١٦١
tskikh Pisatelie Azerbiadjana, Svornik Votorie,
Bakou, 1940.

S. Lipskin : Laila wa Majdnoun Mir Alishir — ١٦٢
Nawai, Tashkand, 1943.

* * *

ح - بالاولمانية :

W. Bacher : Nizamis Leben Und Werke Und der — ١٦٣
Sweite Theil des Nizamischen Alexanderbuches mit
Persichen Texten als Anhang, Gottingen, 1871.

H. Duda : Ferhad und Shirin, Praha, 1933. — ١٦٤

* * *

د - المراجع الفرنسية :

Blochet : Bibliothèque Nationale Catalogue des — ١٦٥
Manuscripts persans, Tome Troisieme, Paris, 1928.

Victor Rosen : Les Manuscrits persans de l'Institut — ١٦٦
des Langues Orientales, Saint-petersbourg, 1885.

E. de Zambaur : Manuel de Genealogie et de Chro- — ١٦٧
nologie pour l'histoire de l'Islam. Tome premiere,
Hanouvre, 1927.

* * *

ه - بالاطالانية :

Italo pizzi : Storia della poesia persiana, vol II, — ١٦٨
Torino, 1894.

ملحقات

١- أسماء الولاة الذين عاصروهم نظامي ، وسفي حكمهم بالتقويمين الهجري والميلادي

١ - دولة السلجوقية :

١ - سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن جفري بن ميكائيل بن سلجوق ،
من السلاجقة العظام : ٥١١-٥٥٢ هـ ، ١١١٧-١١٥٧ م .

٢ - مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان من سلاجقة العراق :
٥٢٧-٥٤٧ هـ ؛ ١١٣٣-١١٥٢ م .

٣ - ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق : ٥٤٧-٥٥٤ هـ ؛
١١٥٢-١١٥٣ م .

٤ - محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق : ٥٤٨-٥٥٤ هـ ؛
١١٥٣-١١٥٩ م .

٥ - سليمان بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق : ٥٥٥ هـ ، ١١٦٠ م .

٦ - أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق :
٥٥٥-٥٧١ هـ ؛ ١١٦٠-١١٧٥ م .

٧ - طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، آخر سلاجقة العراق :
٥٧١-٥٩٠ هـ ؛ ١١٧٥-١١٩٤ م .

٨ - قلیچ أرسلان ، من سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٠٠-٥٣٩ هـ ، ١١٠٦-١١٤٤ م .

٩ - عز الدين قلیچ أرسلان ، من سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٥٧-٥٧٨ هـ ،
١١٦٣-١١٨٢ م .

١٠ - غياث الدين كيخسرو ، من سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٧٨ هـ ، ١١٨٢ م .

١١ - ركن الدين سليمان ، » » » » : ٥٧٨ — ٦٠٢ هـ ،
١١٨٢-١٢٠٥ م .

١٢ - فخر الدين بهرامشاه ، من أمراء سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٧٠-٦٢٢ هـ ،
١١٧٤-١٢٢٥ م .

ب - عظام آذربيجان :

- ۱ - ايلدگز ، من أتابكة آذربيجان : ۵۳۱-۵۶۸ هـ ؛ ۱۱۳۶-۱۱۷۲ م .
- ۲ - محمد جهان پهلوان بن ايلدگز ، من أتابكة آذربيجان : ۵۶۸-۵۸۲ هـ ؛ ۱۱۷۲-۱۱۸۶ م .
- ۳ - قزل آرسلان بن ايلدگز ، من أتابكة آذربيجان : ۵۸۲-۵۸۷ هـ ؛ ۱۱۸۶-۱۱۹۱ م .
- ۴ - أبو بكر بن محمد جهان پهلوان بن ايلدگز ، من أتابكة آذربيجان : ۵۸۷-۵۹۷ هـ ، ۱۱۹۱-۱۲۱۰ م .
- ۵ - أوزبك بن محمد جهان پهلوان بن ايلدگز ، من أتابكة آذربيجان : ۶۰۷-۶۲۲ هـ ؛ ۱۲۱۰-۱۲۲۵ م .
- ۶ - آقسنقر الثاني ، من حكام مراغة : ۵۲۷-۵۶۴ هـ ، ۱۱۳۳-۱۱۶۸ م .
- ۷ - علاء الدين أخو آقسنقر ، من حكام مراغة : ۵۶۴-۵۶۷ هـ ، ۱۱۶۸-۱۲۰۷ م .
- ۸ - منوچهر الثاني ، من حكام شروان : ۵۳۰-۵۴۴ هـ ، ۱۱۳۶-۱۱۴۹ م .
- ۹ - اخستان بن منوچهر ، من حكام شروان : ۵۴۴- بعد عام ۵۹۵ هـ ، ۱۱۴۹- بعد عام ۱۱۹۹ م .

* * *

ج - العباسيون في بغداد :

- ۱ - المقتدى لأمر الله (محمد) : ۵۳۰-۵۵۵ هـ ، ۱۱۳۶-۱۱۶۰ م .
- ۲ - المستنجد بالله (يوسف) : ۵۵۵-۵۶۶ هـ ، ۱۱۶۰-۱۱۷۰ م .
- ۳ - المستضيء بالله (علي) : ۵۶۶-۵۷۵ هـ ، ۱۱۷۰-۱۱۷۹ م .
- ۶ - الناصر لدين الله (أحمد) : ۵۷۵-۵۷۲ هـ ، ۱۱۷۹-۱۲۲۵ م .

* * *

د - الاسماعيليون في إيران :

- ۱ - محمد بن بزرگ أميد : ۵۳۲-۵۵۵ هـ ، ۱۱۳۷-۱۱۶۰ م .
- ۲ - حسن بن محمد بن بزرگ أميد : ۵۵۵-۵۶۱ هـ ، ۱۱۶۰-۱۱۶۵ م .

٣ - محمد بن حسن بن محمد بن بزرك أميد : ٥٦١-٥٦٧ ، ١١٦٥-١٢١٠ م .

* * *

٢ - التعرف بأشهر المدن والقلاع التي ذُكرت في الخريطة^(١)

أرام : ناحية بين آذربيجان وأرمينية وبلاد الأنبار بها مدن كثيرة وقرى ، وكانت قصبها جنزة (گنجه) ، وشروان ، ويليقان ، وكان بها نهر يسمى « نهر السكر » .

أرزنجان : بلدة من بلاد أرمينية على بعد مائتي ميل غربى « أرزن الروم » أهلة بالسكان ، هواؤها عليل ، كثيرة الحيرات ، أهلها مسلمون ونصارى ، وأغلب أهلها من الأرمن ، يتكلمون التركية .

أرزن الروم : مدينة مشهورة من مدن أرمينية .

أرمينية : ناحية بين آذربيجان والروم ، ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة ، أكثر أهلها نصارى .

بلاد السكرج : وهى تسمى أحياناً « بلاد الأبخاز » وكانت عاصمتها « تفليس » على نهر السكر .

تبريز : مدينة حصينة ذات أسوار محكمة ، وقد كانت وما زالت قسبة بلاد آذربيجان بها عدة أنهر ، كما تحيط بها البساتين .

دربر : مدينة على ساحل بحر الخزر مبنية بالصخور ، كانت عليها أبواب من الحديد ، كما كان لها أبراج كثيرة ، على كل برج مسجد المجاورين والمشتغلين بالعلوم الدينية ، وكان على السور حراس يحرسون من العدو ، وقد بناها كسرى آنوشيروان فى القرن السادس الميلادى ، وكانت أحد الثغور العظيمة .

(١) هذه المعلومات مستمدة من الكتب الآتية :

المسالك والممالك لابن خرداذبه ؛ مسالك الممالك للاصطخرى ؛ التنبيه والإشراف للمسعودى ؛ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للقدسى ،

G. Le Strange: The Land of the Eastern Caliphate.

روئين دُر : قلعة حصينة جداً كانت على ثلاثة فراسخ من مراغة .

سُراوِه : كانت ناحية قرب دربند ، قيل إن كسرى أنوشيروان عمرها فسميت باسمه .

سبواس : كانت من المدن المهمة في آسيا الصغرى ، كما كانت عاصمة سلاجقة الروم .

طهرانه : وهى العاصمة الآن ، وكانت فى عصر نظامى قرية كبيرة من قرى مدينة

الرى ، اشتهرت بكثرة البساتين والأشجار ، والثمار اليانعة ، وكانت بها اثنتا عشرة محلة .

قُم : كانت مدينة بأرض الجبال من مدن العراق العجمى ، وكانت كبيرة خصبة ،

وقد مصرت فى عهد الحجاج ، بن يوسف سنة ثلاث وثمانين ، أهلها شيعة غالية جداً ، ومياها من الآبار التى أكثرها ملح .

قُبهرمِيه : كانت مدينة عظيمة فى بلاد الروم بناها ملك الروم من الحجاره ، كما

كانت كثيرة الأهل ، عظيمة العمارة .

كشاف أسماء الأعلام

أبو بكر : (الصديق) ١٢٧-١٢٨	١
أبو الحسن الخرقاني : ٦٦	آدم : (عليه السلام) ١٢٠-١٦٢-١٦٣
أبو زكريا القزويني : (مؤلف آثار البلاد) ٢٣٧	آرسلان : (بن طغرل السلجوقي) ٢٣-٢٤-٣٣-٤٤-٥٠
أبو العلا الكنجوي : (الشاعر الفارسي) ٦١-٦٢ أبو طي : (ابن المستنجد بالله الخليفة العباسي) ٥١	آزريون : (بنت ملك المغرب) ٣٣٢
أبو معشر البلخي : ٣٩٩	آفاق : (زوجة نظامي) ٨٧-٨٨-٢٢٩
أتسز : (خوارزمشاه) ٢٠	آقسنقر : (الأحمديلي حاكم مراغة) ٣٢-٣٩-٤٠-٤١
إته : (Ethe) ١٤٩	آنوشيروان : ١٦٦-١٦٧-٢٤٠
اتكينسون : (Atkinson) ٤	آهي : (الشاعر الفارسي) ٢٨٢
أثير الدين أخسيكي : (الشاعر الفارسي) ٦٢ أحمديل : (بن وهسودان حاكم مراغة) ٣٩	إبراهيم أمين الشواربي : (دكتور) ١٣
الأحمدي الكرمياني : (الشاعر التركي) ٤٣٢	إبراهيم : (عليه السلام) ١١٤
اخستان : (بن منوچهر حاكم شروان) ٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨	ابن الأثير : ٢٨-٢٩-٦٤-٧٩
أخي فرج الزنجاني : (شيخ نظامي) ٨٢-٨١	ابن بطوطة : ٨٢
أديب صابر : (الشاعر الفارسي) ٦٢	ابن سلام : (زوج ليلي معشوقة قيس) ٢٩٩-٣٠٣-٣١٦
أرسطو : ١١٦-٣٨٢-٣٨٩-٤٠١	ابن العبري : ١٩
٤٠٢-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٦-٤٠٧	ابن الفقيه الهمداني : ٢٣٦
٤٠٨-٤١٠-٤٢٥	ابن مقلة : ٦٩
	ابن هاني : ٦٩
	ابن الوردي : ١٣٦
	أبو بكر نصره الدين : (ابن محمد جهان) ٣٦-٣٧-٣٨-٤٠-١٣٧-٢٦٩
	٢٨٦-٣٧٥

- أرشميدس : (تليذ أرسطو) ٤٠١-
٤٠٢
اسحق : (أبو بهرام شاه حاكم آذربيجان)
٥٦
اسك بن سلوكوس : (الإسكندر الأول)
٤٢٥
الاسكندر المقدوني : ٤-١٠١-١١٦-
١١٧-١٢٢-١٢٣-١٣٦-١٣٧-
٢٧١-٢٧٢-٣٧٣-٣٧٥-٣٧٦-
٣٧٧-٣٧٨-٣٧٩-٣٨٠-٣٨١-
٣٨٢-٣٨٣-٣٨٤-٣٨٥-٣٨٦-
٣٨٧-٣٨٨-٣٨٩-٣٩٠-٣٩١-
٣٩٢-٣٩٣-٣٩٤-٣٩٥-٣٩٦-
٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-٤٠٠-٤٠١-
٤٠٢-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٥-٤٠٦-
٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩-٤١١-٤١٢-
٤١٣-٤١٤-٥١٥-٤١٦-٤١٧-
٤١٨-٤١٩-٤٢٠-٤٢١-٤٢٢-
٤٢٣-٤٢٤-٤٢٥-٤٢٦-٤٢٧-
٤٢٨-٤٢٩-٤٣٠-٤٣١-٤٣٢-
٤٤٩-٤٨٠
إسكندروس : (بن الإسكندر) ٤٠٤-
٤٢٤
أفريدون : ١٧٧
أفلاطون : ١١٧-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٦-
٤٠٧-٤١٠-٤٢٤
الب أرسلان : (زميل تركي) ١٢
الب أرسلان : (السلجوقي) ١٩-٤١
أمير خسرو الدهلوي : (من شعراء الفارسية)
٧-٦٢-١٤٥-٢٢٥-٢٢٦-٢٨٢-
٣١٩-٣٦٦-٣٦٧-٤٣٢-٤٣٣-
أمير شير اللودي : (صاحب تذكرة مرآة
الخيال) ٤٦
أنوري : (الشاعر الفارسي) ٦٢
أوبان : (زميل فرنسي) ١٢
أوحدى للمراغي : (الشاعر الفارسي)
١٤٥
أوزبك : (من أتابكة آذربيجان) ٣٨
ايلدگز : (مؤسس دولة أتابكة
آذربيجان) ٢١-٢٢-٢٣-٢٤-
٣٢-٣٣-٣٩-٤٠-٤٧-٧٩-
١٥٦-١٥٧
ايناج : (والي الرى) ٢٣-٢٤ .
ب
ببا طاهر العريان : (الشاعر الفارسي
الصوفي) ٦٦ .
باربد : (المغني) ٢٤٠-٢٥٦-٢٦٣-
باخر : (Bacher) ١-٢-٥-٦-٨-
١٥٦-١٥٧-٢٢٩ .
البخاري : ١٢٢
بدر الدين علي : (الهندي) ٣
برتلس : (Berthels) ٢-٨-٩-١٥٨-
٤٣٨
براون : (Browne) ١٥٦
بركيارق : (السلجوقي) ٥٣

- برونسکی: (المستشرق التشييكوسلوفاكى)
۱۲
بزرگ امید: (الاسماعیلی) ۵۴
بزرگ امید: (أستاذ خسرو پرویز)
۲۲۹-۲۵۴-۲۵۵-۲۶۶
بطليموس: ۱۱۸
بلیناس: (الفيلسوف الحكيم) ۱۱۶-
۴۰۶-۴۰۷-۴۱۸-۴۲۴
بهار: (ملك الشعراء) ۴۳۱
بهرام چوبین: (قائد فارسى) ۴۸-
۲۵۴-۲۵۶-۲۷۳-۲۷۷-۲۸۷
بهرام گور: ۱۱۶-۳۲۳-۳۲۴-۳۲۶-
۳۲۷-۳۳۰-۳۳۱-۳۳۲-۳۳۳-
۳۳۴-۳۳۵-۳۳۶-۳۳۷-۳۳۸-
۳۳۹-۳۴۰-۳۴۲-۳۴۵-۳۴۷-
۳۴۹-۳۵۰-۳۵۲-۳۵۴-۳۵۷-
۳۵۸-۳۵۹-۳۶۰-۳۶۱-۳۶۳-
۳۶۴-۳۶۶-۳۶۷-۳۶۸-۳۷۶-
بهرامشاه: (اکم آرنجیان) ۲۷-۲۸-
۲۹-۵۶-۱۳۱-۱۵۵-۱۵۶-
۱۵۷-۱۵۹-۱۶۱-۲۱۷-
نوزابه: (من أمراء مسعود السلجوقى)
۲۲
البيضاوى: (المفسر) ۲۲۵-
پ
پریزاد: (جارية شیرین) ۲۵۲
ت
تربت: (مؤلف ایرانی) ۲۸
نقی کاشی: (صاحب تذکرة) ۱۰۲
تککش آرسلان: (خوارزمشاه) ۲۴،
۲۵، ۴۶
ث
الثعالی: ۲۳۶
ج
جاولی: (الجاندار من قواد مسعود
السلجوقى) ۲۶، ۷۹
جعفر الصادق: ۵۳
جلال الدين الرومى: ۷۰، ۷۱، ۱۲۵
جلال الدين منكبرتى: ۳۸-
جمال الدين بن عبد الرزاق: (الشاعر
المارسی) ۶۷
جشید: ۲۰۵
جورج یعقوب: (مؤلف) ۲-
جوهر: (حاكم الرى فى عهد مسعود
السلجوقى) ۵۱
ح
حافظ الشيرازى: ۱، ۴
الحجاج بن يوسف الثقفى: ۱۹۴
حسن الصباح: ۵۳، ۵۴
الحسن بن محمد بن بزرگ أمیسمد:
(الاسماعیلی) ۵۴
حسین بایقرا: (التمورى) ۷
خ
خاص بك بن بلنگرى: (من أمراء
مسعود السلجوقى) ۲۲، ۲۳، ۳۹
ت

- الحقاني : (الشاعر الفارسي) ٤٥ ،
٤٤٢ ، ١٤٦ ، ٦٩ ، ٦٢ ، ٤٦
- الخرقاني : (من شيوخ الصوفية) ٦٧
خانيقوف : (Khanikow) ٤٥
خاتون : (جارية شيرين) ٢٥٢ .
خسرو پرويز : ٢٥ ، ٣٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ،
٨٩ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٣٣ ،
١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣١٥ ،
٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٦٥ ،
٣٦٦ ، ٤٤٠ ، ٤٨١ .
- الخضر : (عليه السلام) ١١١ ، ١١٥ ،
١١٧ ، ٢٨٨ ، ٣٥٢ ، ٣٧٩ ،
٣٩٦ ، ٤٢٥
- خواجوا الكرمانى : (الشاعر الفارسي) ٢٢٥
- خواند أمير : (المؤرخ) ١٠٢
خورشاه : (الاسماعيلي) ٥٦
خيالى : (الشاعر التركي) ٣١٩
- د
- دارا بن داراب بن بهمن : (ملك الفرس)
٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،
٣٨٨ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٨١ .
داراب بن بهمن : ٩ ، ١٠ ، ٤٢٧
داود : (عليه السلام) ١١٥
داود : (أبو بهرامشاه حاكم أرزنجان)
٣٩ .
داود بن محمود : (السلجوقي) ٥٤
ديمتريوس : (ملك الكرج) ٧٩
دولتشاه السمرقندى : (صاحب تذكرة
الشعراء) ١٠١ ، ٤٣٨ .
- ذ
- ذوالقرنين : (المذكور في القرآن)
٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠
- ر
- رابعة العدوية : ١٧٠
راست روشن : (وزير بهرام گور)
٣٥٧ .
الراشد بالله العباسى : ٢١ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤
رامين : (معشوقة ويس) ١٤٦ .
الراوندى : (مؤلف راحة الصدور) ٤٧ .
رستم : (البطل الإيراني) ١٤١

- رشيد الدين الوطواط : (الشاعر الفارسي) ١٤٦ .
- رشيد الدين العطار : (وزير المستضيء بالله العباسي) ٥١ .
- رضا قليخان هدايت : (مؤلف فارسي) ١٠٢ .
- رفيعي : (الشاعر الفارسي) ٢٨٢ .
- روح الأمين : (الشاعر الفارسي) ٣١٩ .
- روشنك : (بنت دارا بن داراب ملك الفرس) ٣٨٩-٣٨٨ .
- ركن الدين : (حاكم مراغة) ٤٠ .
- ركن الدين سلمان : (من سلاجقة الروم) ٢٧ .
- ريپكا : (Rypka) ٧-٨-٤٣٩ .
- ريتر : (Ritter) ٧ .
- ريو : (Rieu) ٥-١٤٨-١٤٩ .
- ١٥٨-١٥٥ .
- ز
- زليخا : ١٤٦ .
- زامباور : (Zambaur) ٢٨ .
- س
- سعدى الشيرازي : ١-٤-٧١ .
- سعيد نفيسي : (أستاذ إيراني) ٢-١٢-٤٣٠ .
- سقراط : ١١٦-٤٠٤-٤٠٦-٤٠٧ .
- ٤٠٨-٤٢٤ .
- سلام البغدادي : ٣٠٩-٣١٠-٣١٤ .
- سلجوقشاه : ٢١ .
- سليمانشاه : (السلجوقي) ٢٢-٢٣-٢٣ .
- سليمان : (عليه السلام) ٢٩-٤٦-١٦٩-٤٥١-٢٠٣ .
- سليم العامري : (خال مجنون ليلى) ٣٠٨ .
- سمن ترك : (جارية شيرين) ٢٥٢ .
- سنائي : (الشاعر الفارسي) ٧٠، ١٤٥، ١٤٦، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٢٢، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٤ .
- سنجر : (السلجوقي) ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٥٣، ٥٤، ١٧١ .
- سنجر بن سليمانشاه : (السلجوقي) ٣٤ .
- سنار : (المهندس الذي بنى قصر الخورنق) ٣٢٩، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٢ .
- سهيل : (جارية شيرين) ٢٥٢ .
- سيكس : (Sykes) ٢٢ .
- ش
- شاپور : (نديم خسرو پرويز) ٢٤٠ .
- ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤ .
- ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٧ .
- ٢٥٨، ٢٦٣ .
- شارمو : (Charinoya) ٤ .
- شاك : (Chak) ٣ .
- شيرنج : (Sprenger) ٥ .
- شعله : (نيريزي) (الشاعر الفارسي) ٧ .
- شكر : (زوجة خسرو پرويز الإصفهانية) ٢٦١ .

ضميرى : (الشاعر الفارسي) ٣١٩	شميرا : (مهين بانو عمه شيرين) ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ .
ط	الشهاب : (المفسر) ٤٢٥
الطبري : ١٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .	شيرين : ٢٥ ، ٣٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
طغرل الأول (السلجوقي) ١٩-٦٦	١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٣٣ ،
طغرل الثاني : (السلجوقي) ٣٢	١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،
طغرل الثالث : (السلجوقي) ٨ ، ٢٤ ، ٢٥	٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٣٣ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٢٣١ .	٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
طغرل تكين : ١٣٥	٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
ع	٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
عابدي : (زميل باكستاني) ١٢	٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،
عباس : (حاكم الري في عهد مسعود	٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
السلجوقي) ٢١ ، ٢٢ ، ٥٤	٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
عبد الرحمن الجامي : (الشاعر الفارسي)	٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
١ ، ٣١٩ ، ٣٦٧ ، ٤٣٢ ، ٤٦٧	٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
عبد الرحمن : (من أمراء مسعود) ٢٢	٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،
عبد الواسع الجبلي : (الشاعر الفارسي)	٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،
٦٨	٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
عثمان بن عفان : ١٢٧-١٢٨ .	٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،
عجب نوش : (جارية شيرين) ٢٥٢	٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣١٥ ،
عذراء : (معشوقة وامق) ١٤٦	٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٦٥ ،
عوفي : الشيرازي (الشاعر الفارسي)	٣٦٦ ، ٤٤٠ ، ٤٨١ .
٢٢٥ ، ٢٨٢ .	شيرهيه : (بن خسرو پرويز) ٢٦٦ ،
عز الدين قلج أرسلان : (من سلاجقة	٢٦٧ ، ٢٧٥ .
الروم) ٢٦ ، ٢٧	ص
	صادق نشات : (أستاذ إيراني) ١٢

الفردوسی: ١، ٢، ٤، ١٤٤، ١٤٦،
 ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٧٠، ٢٧١،
 ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦،
 ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١،
 ٣٢٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢،
 ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٥،
 ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤٢٦،
 ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠،
 ٤٣١، ٤٣٢.

فرفوربوس: (الفيلسوف الحكيم)
 ١١٧، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٢٤

فرنگیس: (جارية شیرین) ٢٥٢
 فرهاد: (عاشق شیرین) ٢٣٦، ٢٣٧،
 ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠،
 ٢٦١، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٢

فريد الدين العطار: ٧٠
 فضولی: (الشاعر التركي) ٣١٩
 فلك ناز: (جارية شیرین) ٢٥٢

فلسکی الشروانی: (الشاعر الفارسی) ٦٢
 فورك: (بنت ملك الهند) ٣٣٢
 فیضی: (الشاعر) ٣٦٧

فيلقوس: (أبو الإسكندر) ٣٨٠،
 ٣٨١، ٣٨٢، ٤٢٧، ٤٢٩
 فيلمان: (Villemann) ١٠

ق

قتلوغ اينانچ: (بن جهان پهلوان حاكم
 آذربيجان) ٢٤، ٢٥، ٣٦، ٤٠

عزالدين مسعود: (أنابك الموصل) ٩٤-
 ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٧ - ٣٧٥ -
 ٤٢٤

عطا ملك الجوينی: (المؤرخ) ٤٦.
 طي بن أبي طالب: ١٢٧، ١٢٨
 علاء الدين كرب أرسلان: (حاكم
 مراغة) ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٢،
 ٣٢٣، ٣٢٤.

عماد الدين خوني: (وزير عز الدين
 مسعود أنابك الموصل) ١٣٥
 عماد فقيه (الشاعر الفارسی) ٧
 عمر بن الخطاب: ١٢٧، ١٢٨
 عمر: (خال نظامی) ٨٦
 عمر الحيام: ١، ٤، ٦٤.
 العنصری (الشاعر الفارسی) ١٤٦.
 عيسى: (عليه السلام) ٣٨، ٩٢، ٩٣،
 ١١٦، ١١٩، ٤٧٧.

غ

الغزالي: ٦٤
 غياث الدين كيه خسرو: (بن عز الدين قاج
 أرسلان من سلاجقة الروم) ٢٧.

ف

الفخر الرازي: (المفسر) ٤٢٥
 نغزالدين السكرکاني: (الشاعر الفارسی)
 ١٤٦

فرانسوا إردمان (P. Erdmann) ٤
 فرخ زاد: (بن منوچهر الثاني حاكم
 شروان) ٤٦.

السكريم الأقراني : (مؤلف سامرة
الأخبار) ٥٦ .

كسرى آنوشيروان : ٢٣٨ .

كلارك : (Clarke) ٢ - ٦

كيد : (ملك الهند في زمن الإسكندر)
٤٢٨ .

كيقباد : (ملك الفرس) ٦٩ - ١١١ -
٣٨٩ .

كيكاوس : (ملك الفرس) ٣٣٢ .

كيومرث : (ملك الفرس) ٣٨٩ .

ك

كوهر ملك : (جارية شيرين) ٢٥٢ .

ل

لامعي : (الشاعر التركي) ٢٨٢ - ٣٦٧
لطفعلی بيك : (مؤلف تذكرة آشكده)

٦٠ - ١٠١

لويس سبيتزنجل : (L. Spitznagel) ٤

ليلي : ٨٩ - ٩١ - ١٠٠ - ١٤١ - ١٤٣ -

١٢٥ - ١٥٠ - ٢٨٢ - ٢٨٣ -

٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٢٨٩ -

٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ -

٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ -

٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ -

٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٥ - ٣٠٧ -

٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ -

٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ -

٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ -

٢٦٥ - ٤٣٧ - ٤٤٠ - ٤٨١

قراستقر : (من أمراء مسعود السلجوقي)
٢١ - ٧٨ - ٧٩ .

قزل أرسلان : (بن ايلدگز حاكم

آذربيجان) ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٢ ، ٥٥ ،

١٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

٢٢٤ ، ٢٦٩ ، ٢٨٦

قطب قياز : (أمير أمراء المستضيء بالله
العباسي) ٥١ .

قلج أرسلان : (من سلاجقة الروم) ٢٦

قيس : (مجنون بن عامر) ٨٩ ، ٩١ ،

١٠٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،

١٥٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ،

٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،

٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،

٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،

٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،

٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،

٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،

٣١٩ ، ٣٦٥ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ،

٤٨١ .

قياز : (والي إصفهان في عهد مسعود
السلجوقي) ٢٣ .

ك

كاتبي : (الشاعر الفارسي) ٢٢٥ .

كالستنس : (Calstens) ٤٣١

كردويه : (أخت بهرام چوبين) ٢٧٣

محمود الغزنوی : ۶۶ ، ۲۷۱ ، ۳۷۵
 محمود بن ملکشاه : (السلجوقی) ۴۳
 مجیر الدین البیلقانی (الشاعر الفارسی) ۶۲
 محیی الدین بن العربی : ۷۱
 مریم بنت موريس : (زوجة خسرو
 پرويز النهرانية) ۹۴ ، ۲۵۴ ،
 ۲۵۶ ، ۲۵۷ ، ۲۶۱ ، ۲۷۶ ،
 ۲۷۷ .
 المسترشد بالله : (الخليفة العباسی) ۲۱ ،
 ۵۴ ، ۵۰ ، ۴۹
 المستضيء بالله : (الخليفة العباسی)
 ۵۱ ، ۴۴ .
 المسنجد بالله : (الخليفة العباسی) ۴۴-۵۱
 مسعود بن محمد : (بن ملکشاه
 السلجوقی) ۳۱ ، ۲۲ ، ۲۶ ، ۳۲ ،
 ۳۹ ، ۴۷ ، ۴۹ ، ۵۰ .
 مسعود بن علی : (وزير خوارزمشاه)
 ۵۵ .
 مظفر الدین گوکبری : (حاکم اربل)
 ۳۷ .
 المقتنی لأمر الله : (الخليفة العباسی)
 ۲۱ ، ۲۲ ، ۵۰ ، ۵۱ .
 ملکشاه بن ألب أرسلان : (السلجوقی)
 ۱۹ ، ۴۳ ، ۵۳ ، ۷۸ .
 ملکشاه بن محمود : (بن محمد بن
 ملکشاه السلجوقی) ۲۲ ، ۲۳ ،
 ۱۳۵ ، ۳۲۴ .
 المنتصر بالله : (الخليفة العباسی) ۵۰

م
 مانی : (النبی الفارسی) ۲۴۰
 محمد بن بزرگت امید : (الاسماعیلی)
 ۵۴ .
 محمد جهان پهلوان : (بن ایلدگز حاکم
 آذربيجان) ۷ ، ۸ ، ۲۳ ، ۲۴ ،
 ۲۵ ، ۳۳ ، ۳۴ ، ۳۶ ، ۴۰ ، ۴۳۰ ،
 ۲۳۱ ، ۲۳۲ ، ۲۶۹ .
 محمد بن الحسن : (بن محمد بن بزرگت
 أمید الاسماعیلی) ۵۵
 محمد شوشتری : (الهندی) ۵
 محمد بن عبد الله : (صلى الله عليه وسلم)
 ۴۵ ، ۹۲ ، ۱۰۴ ، ۱۰۵ ، ۱۱۴ ،
 ۱۱۶ ، ۱۲۰ ، ۱۲۷ ، ۱۲۹ ،
 ۱۵۸ ، ۱۶۱ ، ۲۳۸ ، ۲۶۵ ،
 ۲۶۷ ، ۲۶۹ ، ۲۸۱ ، ۲۸۶ ،
 ۲۹۰ ، ۳۲۷ ، ۳۷۸ ، ۴۶۸ .
 محمد عوفی : (مؤلف لباب الألباب)
 ۶۰ ، ۴۳۷ .
 محمد بن طغرل : (بن محمد بن ملکشاه
 السلجوقی) ۲۵
 محمد بن محمود : (بن محمد بن ملکشاه
 السلجوقی) ۲۲ ، ۲۳ ، ۳۹ ، ۵۰ .
 محمد بن ملکشاه : (السلجوقی) ۱۹ ،
 ۵۳ ، ۷۸ .
 محمد بن نظامی : ۹۰ ، ۱۰۰ ، ۲۹۰ ،
 ۳۱۷ ، ۴۵۲

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ،
 ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
 ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
 ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
 ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ،
 ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
 ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
 ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
 ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
 ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ،
 ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
 ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ،
 ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ،
 ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
 ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ،
 ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ،
 ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ،
 ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
 ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،
 ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

المنذر بن النعمان : (ملك الحيرة)
 ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

منكوچك غازى : (أحد أمراء ألب
 أرسلان السلجوقى) ٢٧ .

منوچهر الثانى : (حاكم شروان)
 ٤٣ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ .

موسى : (عليه السلام) ١١٥ ، ٤٢٥
 مولوى عبد المقتدر : (صاحب فهرس
 مخطوطات) ١٤٩ .

مير حسين طى : ٣

مير عايشير نوائى : (الشاعر) ٣١٩ ،
 ٤٣٢

مينورسكى (Minorsky) ١٠

ن

ناتان بلند : (N. Bland) ٥

نازيرى : (بنت ملك خوارزم) ٣٣٢ .
 نجائى : (الشاعر) ٣١٩ .

الناصر لدين الله : (الخليفة العباسى)
 ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥١

نسرين نوش : (بنت ملك سقلاب)
 ٣٣٢ .

نطاوس : (بنت ملك الفرس) ٣٣٢
 نظام الملك : (وزير ملكشاه السلجوقى)

١٩ ، ١٣٥ ، ٣٢٤

نظامى الكنجوى : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ،
 ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ،

٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،

هاتفى : (الشاعر الفارسى) ٢٨٢-٧	٢٩٩-٣٠٥-٣١٣-٣١٤-٣١٥
٣٦٧-٣١٩	٣١٦-٣١٧-٣١٨-٣١٩-٣٢٤
هاروت . ١١٨	٣٢٦-٣٢٧-٣٤٠-٣٤١-٣٥٧
هارون الرشيد : ٢٠٩	٣٦٠-٣٦١-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤
هربرت دودا : (H. Duda) ٦	٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨-٣٧٢
هرمز : (ملك الفرس) ٢٣٩-٢٣٨	٣٧٣-٣٧٤-٣٧٥-٣٧٧-٣٧٨
٢٥٠-٢٤٥-٢٤٠	٣٧٩-٣٨٢-٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩
هرمس : (الفيلسوف الحكيم) ١١٧	٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩-٤٢٤-٤٢٥
٤٢٤-٤٠٧-٤٠٦-٤٠٣	٤٢٦-٤٢٧-٤٢٨-٤٢٩-٤٣٠
همای : (بنت قيصر الروم) ٣٣٢	٤٣١-٤٣٢-٤٣٣-٤٣٥-٤٣٧
هميون : (جارية شيرين) ٢٥٢	٤٣٩-٤٤٤-٤٤٦-٤٤٨-٤٤٩
هلالى : (الشاعر الفارسى) ٧	٤٥٠-٤٥١-٤٥٢-٤٥٣-٤٥٤
هميلا : (جارية شيرين) ٢٥٢	٤٥٥-٤٥٧-٤٥٩-٤٦٠-٤٦٥
هوتسما : (Houtsma) ٦	٤٦٦-٤٦٧-٤٦٩-٤٧٠-٤٧٢
هولاكو : (الغولى) ٥٦	٤٧٤-٤٧٥-٤٧٨-٤٧٩-٤٨٠
	٤٨١-٤٨٢
	النعمان بن المنذر : (ملك الحيرة)
	٣٢٨-٣٢٩-٣٣٠-٣٤١
واليس : (الفيلسوف الحكيم) ١١٦-	نكيسا : (الغنية فى عهد خسر پرويز)
٤٢٤-٤٠٧-٤٠٦-٤٠٣	٢٦٣
وامق : (معشوق عذراء) ١٤٦	نيكلسون : (Nicholson) ٢
وحشى : (الشاعر الفارسى) ٢٨٢-٧	نوح : (عليه السلام) ١١٤
وحيد دستگردي : (أستاذ إيراني)	نور الدين أرسلان : (حاكم الموصل)
١٥٨-١٥٧-١٤٩-١٤٨-٨-٧	١٣٥
٤٤٤-٤٤٣-٤٣٩	نوفل : (صديق قيس مجنون ليلي)
ويس : (ممشوق رامين) ١٤٦	٣٠٠-٣٠١-٣٠٣
ويلسون : (Wilson) ٦	نولدكه : (Noldeke) ٢

یوسف : (علیہ السلام) ۱۱۵-۱۴۶..	یاقوت الحموی : ۴۲۵
۱۹۶-۴۷۵	یزدگرد الأول : (أبو بهرام گور)
یوسف بن زکی بن مؤید : (والد	۳۲۷-۳۲۸-۳۳۳
نظامی) ۸۵	یغما : (بنت ملك الصين) ۳۳۲

كثاف الأسر والدول والشعوب والقبائل

الدانصمندية : ٢٦	الأبخاز : ٢٤ - ٢٧
الدولة الخوارزمية : ١٨ ، ٢٠ ، ٨٤	أتابكة آذربيجان : ١٧ - ١٨ - ٢٢ - ٣٣ -
الدولة الشدادية : ٧٨	٣٥ - ٣٦ - ٤٣ - ٤٧ - ٥١ - ٥٢ -
الدولة الغزنوية : ١٨	٦٢ - ٧٩
دولة الأتابكة : ٢١ ، ٣٢ ، ٣٨	الأحمدلية : (حكم مراغة) ٤٠
الروس : ٤ ، ٨ ، ٩ ، ٨٩ ، ٣٩٥	الأخية الفتيان : ٥٨ - ٨٢ - ٨٣
الروم : ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٨٩ ، ٣٢٩	الأرمن : ٢٩ - ٤٠ - ٦١
٢٥٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٢٩	الاسماعيليون : ١٨ - ٢٤ - ٤٨ - ٤٩ -
٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٨٠ ، ٤١٠	٥٠ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٢ -
٤٢٥	٦٤
الزردشتيون : ١١٣ ، ٣٢٤ ، ٤٢٨	الأشاعرة : ٦٤ - ١٢٨
الزنوج : ٣٨٣ ، ٣٨٤	الأكاسرة : ٢٥٠
الساسانيون : ٢٣٥ ، ٢٣٦	الأكراد : ٧٦ - ٨٦ - ٣٥٣
السامانيون : ٥٧	أهل السنة : ٦٤
السلجقة : ١٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٩	الإيرانيون : (القرس أو العجم) ٨١ ،
٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٧	١٢٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٨٢ ،
٥٨ ، ٦٠ ، ٦١	٣٢١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٨٤ ،
سلجقة الروم : ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧	٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٣٠ ،
سلجقة العراق : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠	٤٦٦ ، ٤٨١
٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦	بنو أسد : ٢٩٨
٢٧ ، ٣٣ ، ٤٥	بنو عامر : ٢٩٠ ، ٢٩٤
السلجقة العظام : ١٧ ، ١٨ ، ١٩	الترك : ١٢٠
٢٠ ، ٢٦	الحنفية : ٦٤
الشافعية : ٦٤	الحلفاء الراشدون : ١٢٧
الشيعة : ٥٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٦	الحلفاء العباسيون : ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٩

المجوس : ٣٨١	الصوفية : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٦
السلون : ١٢٣	٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٨١ ، ١٢٩
المصريون : ٣٨٣	١٣٠ ، ١٧٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٤٤٩
مضر : ٦٩	العرب : ١٢٣ ، ١٤٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤
المعتزلة : ١٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ٦٦	٢٩٩ ، ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٩٠ ، ٣٩٩
المقول : ٧٠ ، ٨٣ ، ٨٤	الفلاسفة : ٦٤
ملوك خوارزم : ٥١	قبائل الفز : ٢٠ ، ٢٧
النبليون : ١١٦	قبائل القراخطائية : ٢٠
يأجوج : ٤٢٠	قوم شداد : ٤١٣
اليونانيون : ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤١١	الكيانيون : ٣٨٨
	الكرج : ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٥١
	٥٨ ، ٦١ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣

كشاف المدن والبقاع والقطار والبحار والقطر

ألموت : (قلعة) ٥٦ ، ٥٣	١
اليزايتبول : ٨٤	آذربيجان : ٢١ ، ٢٠ ، ١٧ ، ٩ ، ١
أوروبا : ٤ ، ١	٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٢٤
إيران : ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٢ ، ٧	٥٠ ، ٤٣ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٧ ، ٣٦
٢١ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٥٩	١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٣٧ ، ٧٩ ، ٧٨
٦٠ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤ ، ٣٣٣	٢٥١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٢
٣٣٧ ، ٣٥٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩	٤٦٦ ، ٢٩١ ، ٢٧٥
٤٢٧ ، ٤٥٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧	آسيا الصغرى : ٨٢ ، ٦١ ، ٣١ ، ١٩
ب	١٥٦
بابل : ٤٢٢	الران : ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٦ ، ٤٧ ، ٣٢
باخرزان : ٢٤٨	٢٤١
باكو : ٤٧	أرانية : ٢٠
بحر الخزر : ٢٣٧ ، ٢٣٦	أرزنجان : ٥٦ ، ٥٥ ، ٢٨ ، ٢٧
بخارى : ٣٨٤	١٥٧ ، ١٥٥ ، ١٤٩ ، ٥٨
براغ : ٧ ، ٦	أرزن الروم : ٢٧
بردة : ٢٤٨ ، ٢٤١ ، ٢٣٧ ، ٧٨	أرمينية : ٣٩٥ ، ٢٠
٣٩٥ ، ٣٩١	استانبول : ٧
برلين : ٤٣٨ ، ٧	اسكندر آباد : ٤١٦
بطرسبرج : ٤	الاسكندرية : ٤٢٣ ، ٤١٠ ، ٣٨٤
بغداد : ٣٩ ، ٧٣ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ١٧	٤٢٥
٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٤٠٣	إصفهان : ٥٠ ، ٤٦ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ١٩
٤٥٩	٢٦١
بلاد الأبخاز : ٣٩١ ، ٢٤١ ، ٢٩	أعلم : (من توابع همدان) ٢٢
بلاد الأرمن : ٢٤٠ ، ٤٣٧ ، ٢٣٦	إفريقية : ٦٥ ، ٦٠
٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨	أكسفورد : ٤٣٨ ، ٧
٣٩١ ، ٢٥٠	

خ	بلاد الأندلس : ۴۱۱
خراسان : ۱۹-۴۶-۵۳-۲۸۲-۳۹۴-	البلاد التركية الروسية : ۸۲
۴۰۳-۴۶۶-۴۶۷	بلاد الروم : ۱۳۶ ، ۲۵۶ ، ۲۷۵ ،
خوارزم : ۲۰-۳۳۲	۳۸۹ ، ۲۸۰
خوزستان : ۲۲	بلاد العرب : ۲۹۰ ، ۳۹۰ ، ۳۹۱
د	بلاد اليونان : ۳۸۰ ، ۳۹۰ ، ۳۹۴ ،
در بند : ۸۸-۳۹۳	۳۹۶ ، ۳۹۸ ، ۳۹۹ ، ۴۰۴ ،
درس دن : ۱۵۷	۴۲۲
دياربكر : ۲۰	مبای : ۷
ديار ريعة : ۲۰	بيت المقدس : ۳۴۸ ، ۴۱۱
ر	بيستون : ۲۳۷
الرى : ۱۹-۲۳-۲۴-۵۴-۶۶	پ
روئين دثر : (قلعة) ۳۹-۴۰	پاریس : ۷
روسيا : ۸۴-۱۳۸	ت
س	التبت : ۳۹۴
سجستان : ۱۹-۵۵	تبريز : ۵۴ ، ۵۸
سقلاب : ۳۳۲	شمیکوسلوفاکیا : ۶
سمرقند : ۱۹	تفرش : ۷۶
سورية : ۶۰	الجزيرة : ۱۳۶
ش	جوتنبج : ۵
الشام : ۲۰-۱۳۶-۳۲۹	ج
شروان : ۱۷-۳۲-۴۳-۴۷-۵۸-	چهار صوفه : ۲۴
۶۱-۲۸۵-۲۸۶-۲۸۷-۳۱۳-	ح
۴۳۷	البحرين : ۲۰
شهرزور : ۴۲۲	حمدونيان : ۲۳۴
ص	
صقلية : ۱۳۶	
الصين : ۳۵-۲۵۴-۳۳۲-۳۳۷-	

ك	٤١٨
كاظمين : ٦٥	ط
كاك : (قلعة) ٢٤	طاقدیس : ٢٦١
کردستان : ١٧ ، ٣٣ ، ٢٣١	طبرستان : ١٩ - ٥٤
كرمان : ١٩ ، ٢٠ ، ٤٢٢	طهران : ١٢ - ١٣ - ٤٣٠
كرمانشاهان : ٢٣٧ ، ٢٤٧ ، ٤٢٢	ع
الكعبة : ٣٩٠	العراق : ١٧ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ،
كلكتة : ٣ ، ٥ ، ٦	٣٣ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ١٣٦ ، ٢٣١ ،
كيروف آباد : ٨٤	٣٩١ ، ٣٤٥
ك	العراق العجمي : ٧٧
كنجه : ١ ، ٦ ، ٩ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٧٥	العراقيين : ٢٠ ، ٤٦
٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ،	غ
٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٥ ،	غازان : ٤
١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ،	غزنة : ١٩
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢١٥	ف
ل	فارس : ٢١ ، ٤٢٥
لندن : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٤٨ ، ٢٣٠	فينا : ٧
لنگرېشت : ٤١٦	ق
ليزيج : ٣	القاهرة : ١٣
ليدن : ٦	قبرص : ١٣٦
م	قزوين : ٢٤ ، ٥٤
محلة الكرخ : ٦٥	قصر شيرين : ٢٣٧
المدائن : ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ ،	قم : ٦٠ ، ٧٥
٢٦٤	قندهار : ١٦٤
مراغة : ١٧ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ،	قهبستان : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٦
٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٨ ،	قونية : ٢٦ ، ٢٧
٣٢٤	

ن	مرو : ۲۰، ۴۰، ۶۰
نیشاپور : ۲۰، ۶۴	مصر : ۶۰، ۱۳۶، ۳۲۹، ۴۱۰
•	۴۲۳، ۴۲۹
•	المغرب : ۳۳۲
هرك : (قلعة) ۸۰	مقدونية : ۳۸۰
همدان : ۱۹، ۲۱، ۲۳، ۳۴، ۶۶	مكة : ۶۴
الهند : ۶۱، ۲۷۱، ۳۳۲، ۳۳۸	الموصل : ۲۰، ۵۰، ۹۴، ۱۳۴
۳۴۱، ۳۸۰، ۳۹۴، ۴۱۶	۱۳۵، ۱۳۷، ۳۷۵، ۴۲۴
۴۲۸، ۴۲۹، ۴۳۸	موقان : ۲۴۰، ۲۴۸، ۲۵۱
البحین : ۱۷۹	میمون دثر : (قلعة) ۵۶

جدول الصور

- ١ — خريطة الشرق الأوسط في عصر نظامى بين ص ١٨ و ١٩
 - ٢ — صورة نظامى نقلا عن أصلها المحفوظ في مكتبة ليننجراد بين ص ٩٦ و ٩٧
 - ٣ — صورة الصفحة الأولى من إحدى نسختي ديوان نظامى الخطيتين الموجودتين في مكتبة بودلين بأكسفورد بين ص ٤٣٤ و ٤٣٥
 - ٤ — صورة الصفحة الأولى من نسخة ديوان نظامى الخطية الموجودة في برلين بين ص ٤٣٦ و ٤٣٧
-

تصويب

وقعت بعض أخطاء مطبعية من السهل ملاحظتها ، غير أننا نشير إلى أهمها ونرجو أن ترد إلى أماكنها :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٤	تمهيد	تمهيد
ز	٢٣	١٤٨	٤٨٢
١	١٢	تبدأ	يبدأ
٥	٢ من الحاشية	uud	und
٦	٢٠	١٩٣٤ م	١٩٣٣ م
٩	» » ٥	fitst	first
١٠	» » ١	Bulletin	Bulletin
٧٧	» » ٧	آواز فضل ازاو	آواز فضل ازو
٧٨	» » ٨	السايق	السلجوقية
٧٨	» » ١١	سيائي	سيائي
٨١	» » ٨	عندهم	عندها
٩٤	» » ٥	محفظ	محفظ
١٠٣	» » ٦	سپه‌لار	سپه‌سالار
١١٠	» » ١١	نظامي	نظامي
١١٣	٨	الزردشتيون	الزردشتيون
١١٦	١٥	تهالس	واليس
١٢٣	٦	إنه	أنه
١٥٥	٩ من الحاشية	Perian	Persian
١٧٣	» » ٥	ديني	ديني
١٧٤	١	المسادة	المسادة
١٧٤	٦	العقل العقل	العقل
١٧٧	٨	للتنزه	للتنزه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧٩	١٤	المحل	المحل
١٨٦	٦ من الحاشية	بدايان	بدايان
١٨٩	٦	وهرة	دهره
١٩٢	٣ من الحاشية	عسيبت	عسيبت
٢٠٠	٢ » »	أفمن	أفمن
٢٠٨	٣	(٣)	(١)
٢٠٨	٩	(٤)	(٢)
٢٠٨	١٣	(٥)	(٣)
٢٠٨	١ من الحاشية	(٣)	(١)
٢٠٨	٣ » »	(٤)	(٢)
٢٠٨	٥ » »	(٥)	(٣)
٢١٠	٢	وضع	وضع
٢١٢	٧	وييدوا	وييدوا
٢١٢	١ من الحاشية	نقى	نقى
٢١٤	١٢ » »	عظ	عظ
٢٢٢	٥ » »	أذب	أذب
٢٢٤	٤	بعناى	بعناى
٢٤٥	٤ من الحاشية	المرجع	المرجع
٢٤٥	٦ » »	جشمه	جشمه
٢٦٠	٤ » »	كراينيد	كراينيد
٢٦٢	٥ » »	سپيدم	سپيدم
٢٦٤	٤	وشيرين	شيرين
٢٦٦	١ من الحاشية	كان	كان
٢٦٨	٢ » »	جراجت	جراجت
٣٠٠	٤	ضعيف	ضعيف
٣٠٦	٧ من الحاشية	بو	بوفا
٣٠٨	٤ » »	تعيش كنفه	تعيش فى كنفه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
۳۲۸	۱۲ من الحاشية	حانقزای	جانقزای
۳۲۹	۱۲	فسيبصر	فیبصر
۳۳۳	۴	أبو بهرام	أبا بهرام
۳۳۴	۲ من الحاشية	کنناه گذشته	کنناه گذشته
۳۳۷	۴ » »	أردهای	أردهای
۳۵۷	۴ » »	کنبد	کنبد
۳۶۴	۹	منظومة	منظومة
۳۶۵	۱۳	آراءه	آرائه
۳۷۹	۹	نبییا	نبیا
۳۸۷	۱۲	فضلك	بفضلک
۳۹۶	۸	الاسکندر	الإسکندر
۳۹۹	۱۲	وقالوا	قالوا
۴۰۲	۳	فذهت	فذهب
۴۱۰	۳ من الحاشية	نختین	نخستین
۴۱۰	۷ » »	پیدجید	پیدجید
۴۱۴	۶ » »	یاہم	یاہم
۴۱۷	۳	البقى	الباقی
۴۱۷	۱۰	فتزلا	فتزلا
۴۱۹	۱ من الحاشية	زبن	زین
۴۲۲	۷	أه	أنه
۴۲۲	۵ من الحاشية	جو	چو
۴۲۴	۸	مونه	موته
۴۲۵	۱۷	لا سکندر	الاسکندر
۴۲۹	۸	حجہ	حجبا
۴۲۹	۹	وإقرار	وإقرار
۴۲۹	۱۸	لنظامی	نظامی
۳۳۰	۸	أرجح	أرجح

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٣٠	٢ من الحاشية	أثناء في	في أثناء
٤٣١	٤	يرجح	يرجح
٤٣٢	١	وترتيب	وترتيب
٤٣٢	٤	وأنطق	وأنطق
٤٣٩	٩	ريبكا	ريبكا
٤٥٠	٢	مُلْك	مُلْك
٤٦٠	٨	لونا	لون
٤٦٠	١٧	معبراً	معبراً
٤٦٢	١ من الحاشية	كرجه	كرجه
٤٧٠	٦	في قوله فقال	في قوله
٤٨٣	١	المرجع	المراجع
٤٨٣	١٠	٥٣٥٠	٥٧٥٠

كتب وأبحاث علمية للمؤلف

صدر منها :

- ١ — معالم تاريخ مصر الحديث (بالاشتراك مع الدكتور حسن محمود) وهو مؤلف بالإنجليزية ، ويصور معالم تاريخ مصر الحديث تصويراً واضحاً ، فيشرح العوامل التي وجهت هذا التاريخ ، وقد صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٤٩ .
- ٢ — فن المتنوى ، وهو بحث علمي موجز كتب بالفارسية ، يتناول فن « المتنوى » أو « المزوج » في الشعر الفارسي ، مع الإشارة إلى أشهر المتنويات حسب ترتيبها الزمني ، وهو منشور في مجلة دانش التي صدرت في طهران في يناير من عام ١٩٥١ .
- ٣ — آموزگار فارسی (بالاشتراك مع الأستاذين صادق نشأت وفؤاد الصياد) وهو مؤلف بالفارسية ؛ ويقع في ثلاثة أجزاء تهدف إلى دراسة الفارسية المعاصرة ، مع عرض للأدب الفارسي في عصوره المختلفة ، وقد صدر الجزء الأول منها في عام ١٩٥٢ م ، وصدر الجزءان الثاني والثالث في عام ١٩٥٣ .
- ٤ — كليله ودمنه در زبان فارسی وعربی ، وهو بحث علمي مكتوب بالفارسية يكشف عن حقيقة كتاب « كليله ودمنه » ويصور خط سيره في اللغتين الفارسية والعربية ، وهو منشور في مجلة وزارة المعارف الإيرانية العلمية المسماة « آموزش و پرورش » في أغسطس من عام ١٩٥٣ .
- ٥ — نظامی الگنجوی شاعر الفضيلة ، وهو أشمل بحث ، وأوسع دراسة لهذا الشاعر الإيراني العظيم الذي يعد بحق إمام « فن المتنوى » وأستاذ الفن القصصي المنظوم بالفارسية ، وهو يشمل دراسة أحواله ، وعصره ، وبيئته ، وشعره ، وتصوير واضح لكل قصة من قصصه ، ويحتوي على بضعة آلاف بيت من الشعر الفارسي في مقابل ترجمتها العربية مع دراسات مقارنة . وقد صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٥٤ .

وبصير قريباً :

- ٦ - دراسات في النثر الفارسي وتطوره ، وهو دراسات شاملة - باللغة العربية - للنثر الفارسي بعد الإسلام ، وتصور فنونه المختلفة ، ومقارنته بالنثر العربي .
- ٧ - تاريخ الدولة السلجوقية حق سقوط بغداد ، وهو أتمل دراسة لتاريخ هذه الدولة التي لعبت دوراً مهماً على مسرح التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ إيران بصفة خاصة ، وهو مؤلف بالعربية .
- ٨ - مخزن الأسرار ، وهو عبارة عن أول ترجمة عربية لأولى منظومات الشاعر الإيراني نظامي الكنجوي ، مع دراسة مقارنة ، ونشر النص الفارسي .
- ٩ - قصة ليلى والمجنون ، وهو أول ترجمة عربية لمنظومة « ليلى ومجنون » لنظامي الكنجوي ، مع دراسة مقارنة ، ونشر النص الفارسي .
- ١٠ - جمال الدين الإيراني المشهور بالأفغانى (بالاشتراك مع الأستاذ صادق نشأت) وهو دراسة وافية بالعربية تحقق أصل هذا المصلح الكبير ، وتشرح مبادئ دعوته الإصلاحية .

ويطلب النشور من هذه الكتب والأبحاث من
مكتبة الحانجي ، ومكتبة النهضة بالقاهرة ، والمكتبات الشهيرة بالشرق والغرب

